الجزء الثالث		المجلد الحادي والخمسون

مجلة
مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »



رجب سنة ١٣٩٦ هـ

تموز « يوليو » سنة ١٩٧٦ م

بقايا الفصاح

الأستاذ شفيق جبري

من طرائف الأمور أن تعيش في لغة العامّة لفظة وهي غاية في الغرابة ، وأن تموت هذه اللفظة الغريبة في لغة الخاصّة أي في لغة الأدب ، فإن لفظة : فلان مبرطم تستفيض في أحاديثنا ونكاد لانرى لها أثراً في كتابات هذا العصر . ماذا تريد العامة بقولها : فلان مبرطم ؟. إذا قال أحدنا : ذهبت إلى فلان فوجدته مبرطماً أراد بذلك معاني كثيرة ، فالمبرطم العابس ، المنقبض ، الغضبان ، إذا حيّاه أحد فلا يردّ عليه التحيّة . أفرأينا خصب معاني هذه المادّة في لغتنا ؟ فلنبحث الآن عن بعض معانيها في معجم الفيروزابادي .

يقول صاحب القاموس المحيط : « البرطمة الانتفاخ غضباً ، وتبرطم تغضّب من كلام » وبرطمه غاظه » . أفلا نرى تشابهاً بين معنى هذه المادّة في اللغتين الفصحى والعامّة ؟ ولكنها في لغة العامة أخصب دلالةً وأفسح آفاقاً ، ولا أبالغ إذا قلت : إن هذه المادة في لغة العامّة لاتكاد تقوم مقامها مادة أخرى في الدلالة على معناها في مصطلحات العامّة ، ولكن من الذي يستعملها في كتابته إذا كان كاتباً ، أو في شعره إذا كان شاعراً

وإذا استعملها أحد فلا ينجو من ناقدٍ يرميه بالميل إلى استعمال الغريب الذي يحتاج إلى شرح وتفسير ، وقد تكون لفظة المبرطم شائعة في دمشق مثلاً ولا تكون شائعة في بلدٍ آخر من بلاد العرب ، ففي كل بلدٍ مصطلحات خاصة للعامة في لغتها يفهمها أهل البلد ولا يفهمها أهل بلد آخر .

وقد وردت لفظة المبرطم في أبيات رواها صاحب الحماسة البصرية ونقلها الدكتور صلاح الدين المنجد في كتابه « الحياة الجنسية عند العرب » :

مبرطماً برطمةَ الغضبان

من هذا كله نستنبط أن مادة البرطمة تنطوي على الغضب وما يصحب هذا الغضب من عبوس وانقباض وتجهّم وما شابه ذلك .

وإذا انتقلنا من الألفاظ الدالّة على ظواهر النفس كالغضب مثلاً فقد نستطيع أن نمرّ بألفاظٍ تدلّ على الملابس . ونحن نعلم أن الملابس قد تتغير من عصرٍ إلى عصرٍ ، ففي الأيام التي نعيش فيها ملابس لم يعرفوها في الماضي ولذلك لانعلم لها أسماءً في لغتنا لأن الأسماء توضــع عادةً لمسمّيات معروفة ، وفي الأيام التي عاشوا فيها في الماضي ملابس لانعرفها في الحاضر ، وقد تبهم علينا أسماء بعضها وإن كنا نجــد لها تفسيراً في كتب اللغـة .

من الألفاظ الشائعة في لغة العامة لفظة : الشّاشيّة ، فقــد يحتاج أحدنا إلى تغطية إبريق ماءٍ بغطاءٍ خفيف أو شيء آخر من بعض المآكل أو قد يحتاج إلى أن يضع على رأسه مثل هذا الغطاء بعـد أن يبلّه بالماء أو بالخلّ ، والأمثال في ذلك كثيرة . والخلاصة قد يحتاج أحدنا إلى مانسميه : الشاشية ، وكلنا يعرف ماهي الشاشية ، ولكن قد يجوز أنّا لانعرف أن هذه المادة فصيحة ، فقد وردت في شعر البحتري في هجائه الحارثي :

يامَنْ رأى الدامرَ يختال في شاشيَّةٍ شَوْهاءَ مُغْبَرَّةْ

وإذا تركنا الملابس وجئنا إلى المآكل عثرنا على ألفاظٍ تعيش في بعض القرى ، ففي القرية التي أعيش فيها تنانير يخبزون فيها الخبز ، وإن كانت هذه التنانير أخذت تقل يوماً بعد يوم ، وأخذ أهل القرية يشترون خبزهم من الأفران وشتّان ما جودة خبز التنانير وجودة خبز الأفران ، فمن خبز أهل القرية ما يسمونه : الفرنية ، وهي لجودتها تؤكل بعد خروجها من التنور بلا أدم . وقد وجدتُ هذه اللفظة في بعض كتب الأدب القديمة ولكني آسف على أنني لم أدوّن في دفتري مكانها ، على أنا نجد في القاموس المحيط : « الفرن بالضم : المخبز يخبز فيه الفرْني ، لخبز غليظ مستدير » . وقد استعملت هذه اللفظة على المجاز ، فالفرني أيضاً الرجل الغليظ .

أفرأينا كيف تعيش في لغة العامّة طائفة من الألفاظ الدالة على المآكل وهي فصيحة مثل الفرنية ، وكيف تموت في لغتنا ألفاظ قديمة تدلُّ على المآكل ونحن لانعرفها على حقيقتها مثل اللوزينج وهي معرّبة .

وإذا فرغنا من المآكل والملابس فلننتقل إلى لغة العيون .

من أقوال العامّة : فلان عينه تغزل ، وهم يريدون بذلك على ما أعتقد كثرة حركتها وقلّة استقرارها . فالعين التي تغزل هي العين الحائرة التي وصفها المتنبي في قـــوله :

أدرنَ عيوناً حائراتٍ كأنّها مركّبةٌ أحداقها فوق زئبقِ

وقد جاءت هذه المادة في شعر البحتري في هجائه لابن المغيرة :

مالعينيك تغـــزلان إذا ما رأتا في الرؤوس رأساً صليعا

ولم أهتد إلى الصلة بين المعنيين : الفصيح والعامي ، فلم أجد في

اللغة غزل بمعنى حار أو تحرّك أو ما ماثل ذلك ، وإنما الغزالة : الشمس لأنها تمدّ حبالاً كأنها تغزل . ومغازلة النساء محادثتهن والاسم الغـزل ، فهل من صلة مجازية بين هذا الغزل وبين العين التي تغزل ، ولا ريب في أن للعين شأناً كبيراً في مغازلة النساء ، وعلى كل حالٍ فلنترك لعلماء اللغة تعليل هذا الأمر .

وما دمنا نشير إلى العين التي تغزل فلا نرى بأساً بالإشارة إلى العين التي تبصبص . فهذه المادة : بصبص ، شائعة في لغة العامة ، وقد يجعلون لها معنى خاصاً فإذا قالوا : فلان يبصبص فكأنهم يريدون بذلك أنه يسترق النظر إلى شيء ، إمّا إلى مجتمع نساء وإما إلى غير ذلك ، ولا يبعد معنى هذه المادة العامي عن المعنى الفصيح في اللغة ، فالبصّاصة العين لأنها تبصّ ومعنى بصّ يبصّ بصيصاً برق ولمع . ومن معاني بصبص يقال : بصبص الجروُ فتح عينيه والكلبُ حرّك ذنبه .

وقد جاءت هذه المادة في شعر البحتري في بعض قصائده في مدح المهتدي بالله .

وبَصْبَصَ أهل العَيْث حين هداهم أخو سَطَوات ما يُبِلُّ سليمُها

والخلاصة ان بصبص العامية أصلها فصيح والمعنيان الفصيح والعامي متشابهان أو متقاربان ، وفي بعض بلاد العرب كفلسطين ومصر يقولون : بُصّ بالأمر أي انظر .

شفيق جبري

نظرة في
معجم المصطلحات الطبية
الكثير اللغات

للدكتور أ. ل. كليرفيل
نقله إلى العربية الأساتذة مرشد خاطر
وأحمد حمدي الخياط ومحمد صلاح الدين الكواكبي

- ٣١ -

الدكتور حسني سبح

10566 point d'application, point d'attaque

١٠٥٦٦ نُقْطَة تَطبيق ، نُقْطة صَوْلة

وأرجح المُنْطَلَق في اللفظة الثانية .

10568 point blanc pultacé des cryptes amygdalienne, amas caséeux blanchâtre dans les cryptes des amygdales .

١٠٥٦٨ نُقْطة بَيْضاء مَلبُوبة لسِباء اللوزة ، رُسُوبٌ سَهَوِي ، كُوَم جُبْنية مُبَيَّضَة في سِباء اللوزتين .

وأفضل بُقْعَة بيضاء حَرِيرَوية أو تلبينية[1] لمغاور[2] اللوزتين ، راسب مغاري ، كتل متجبنة مبيضة في مغاور اللوزتين ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[3] .

---

(١) ان المقصود من (pultacé) ما كان على هيئة الحريرة أو التلبينة (bouillie) لا على شكل اللب . ففي لسان العرب الحريرة الحسا من الدسم والدقيق، وقيل هو الدقيق الذي يطبخ بلبن ، والتلبينة حساء يعمل من دقيق أو نخالة ويجعل فيها عسل ، سميت تلبينة تشبيهاً باللبن لبياضها ورقتها .

(٢) الصفحة ٢٨٧ من المجلد الخامس والثلاثين الصفحة ٦٠٧ من هذه المجلة.

(٣) (exsudate filling the cryptes of the tonsils, plug of caseous matter in the cryptes of the tonsils .

10574 point névralgique ١٠٥٧٤ نقطة الألم العصبي

والنقطة المؤلمة، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(١)

10577 point de rosée ou de condensation

١٠٥٧٧ نُقطَة ندى أو نُقْطَة تكاثف

وأفضل نقطة النداوة أو نقطة التكاثف. لأن ما تعنيه اللفظة(٢) : درجة الحرارة التي يتكاثف فيها بخار الماء ليكوِّن الندى.

10578 point de solidification, point de prise

١٠٥٧٨ نُقْطة التَّصلب ، أو تجمّد ، نقطة تماسك

وأفضل نقطة التصلب ، نقطة التماسك

10508 Pointé, ée couvert de pointes ١٠٥٧٩ذو رُؤوس ، ذو بروزات

وأرجح ذو شَوْك أو شوكة وشاك(٣) .

10580 pointe du pied ١٠٥٨٠ ذرْوَة القَدَم

وأفضل طرَف القدم(٤) أو نهايتها أو طرف أصابع القدم أو نهايتها ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(٥).

---

(١) (painful point).

(٢) لفظة (dew point) في معجم وبستر Webster's Third New International Dictionary .

(٣) في تاج العروس الشَوْك من النبات مايَدق ويصلب رأسه، الواحد شوكة. وأرض شاكة كثيرة الشوك وشجرة شاكة كثيرة الشوك .

(٤) في لسان العرب : طرف كل شيء منتهاه .

(٥) (the tips of the toes, tip toe) .

١٠٦١١ لَقَح ، غُبار الطَّلْع — 10611 Pollen

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة لِقاح . وفي معجم الألفاظ الزرعية لَقاح ولَقَح ، وأرجح لَقاح (بالفتح) ولَقَح والطَّلْع .

١٠٦١٦ عيادة عامّة — 10616 Polyclinique, policlinique

أو عيادة شاملة في اللفظة الأولى وعيادة البلدية أو المدينة في اللفظة الثانية ، وقد أهملتها اللجنة .

10617 Polydactylie, plydactilisme

١٠٦١٧ زَمَع (زيادة عَدَدِ الأصابع)

وقد أقر مجمع اللغة العربية اللفظة ، ودرجت على ترجمتها بالعَنَش[١] وأفضل تخصيص لفظة الزَّمَعان ترجمة للمشي المتقارب الخطى ، أو بخطى قصيرة (démarche à petits pas) .

١٠٦١٨ سُهاف ، شِدَّة العَطَش — 10618 Polydipsie

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة : العُطاش في مصطلحات علم الطب الباطني وجاء في الشرح : داء يصيب الانسان فيشرب

---

(١) في القاموس المحيط : الأعنَش من له ست أصابع .

(٢) في القاموس المحيط : الزَّمع شبه الرعدة تأخذ الانسان والزيادة في الأصابع وهو أزمع ، والدهش الخوف ، وقد زمع كفرح والأزمع الداهية والأمر المنكر ج أزامع ، و ككتف من إذا غَضِب سَبَقه بوله أو دمعه .

الماء ولا يرتوي . كما أن مجمع القاهرة أقر الشهاف ـ البَحَر(١)
بين مصطلحات علم الأمراض ومتفرقاتها وجاء في الشرح :
عَرَض لا يُروى صاحبه من العطش .

10619 Polygala de Virginie

١٠٦١٩ بُوليغالة فرجينيا مُسْتَدِرَّة فرجينيا
وفي معجم الألفاظ الزراعية للمرحوم الأمير مصطفى الشهابي
بُولِيغَالُن ، مستدرة ، وجاء في الشرح : (الأولى معربة
قديماً في المفردات ، قال ابن البيطار معناه مكثر
اللبن ، والثانية من وضعي وهي مترجمة تشير إلى ما اشتهرت
به هذه النباتات من اكثار الدر في الضأن والبقر . جنس
نباتات عشبية من فصيلة المستدرات فيها أنواع كلئية
وأنواع للتزيين) .

10620 Polynévrite, névrites multiples

١٠٦٢٠ التهابُ أعصابٍ كثيرة ، التهاب أعصاب مُتَعَدِّدة
التهاب أعصاب متعددة والتهابات عصبية متعددة (بصيغة الجمع)

10625 Polyol

١٠٦٢٢ كثير الغَوْل ، غَوْلٌ كثير القِيَم
وأفضل تعريب اللفظة بوليول

(١) في لسان العرب : وأما البَحَر فهو داء يورث السل ، وأبحر الرجل إذا أخذه السل ، ورَجُلٌ بَحِيرٌ وبَحِر مسلول ذاهب اللحم . وجاء في اللسان في موضع آخر : ويقال أيضاً بَحِرَ إذا اشتد عطشه فلم يَرْوَ من الماء والبَحَر أيضاً داء في الابل .

١٠٦٢٨ وَشْك التَّنفّس الحروري — 10628 Polypnée thermique

بُهْـــر حروري

وأفضل تَواتُر التَّنفّس الحروري

١٠٦٢٩ داءَ سَلِيلِي أو مُرَجِّلي — 10529 Polypose

وأفضل داء السُّلَيلات أو الاعتلال السُّلَيلي

١٠٦٣٠ التهاب جُذورٍ كثيرة — 10630 Polyradiculite

وأفضل التهاب عِدَّة جذور أو التهاب الجذور المتعددة .

10631 Polyradiculonévrite, syndrome de Guillain et Barré, cellulo - radiculo - névrite, plexite aiguë, Schwannite

١٠٦٣١ التهاب جُذور وأعصابٍ عَديدة ، تناذر غيلن وباره ، التهاب جذور وخلايا وأعصاب، التهاب ضفيرة حاد، التهاب غمد شوان.

وأرجح التهاب عدة جذور وأعصاب ، أو التهاب الجذور والأعصاب المتعددة، لزمة غيلن وباره ، التهاب الخلايا والجذور والأعصاب ، التهاب الضفيرة الحاد ، التهاب غمد شوان .

١٠٦٣٢ فَرْط السِّمَن ، انفِضاج — 10632 Polysarcie

وأفضل الضُّخَم[1] أو الجسامة والضَّخامة ، إذ أن ماتعنيه

(١) في لسان العرب : الضَّخم الغليظ من كل شيء ، والضُّخام بالضم العظيم من كل شيء ، وقيل هو العظيم الجرم الكثير اللحم .

في لسان العرب : وقد جَسُم الشيء أي عظم فهو جسيم وجُسام .

اللفظة كما جاء في معجم دُرلان(١) كثرة اللحم لا السِّمن أو البدانة(٢)، وللفظة انفضاج معانٍ أخرى(٣)

١٠٦٣١ كثير الكبْريتور 10933 Polysulfure

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة متعدد الكبريتور

١٠٦٣٣ زبَب ، غزارة الشَّعر 10634 Polytrichie, politrichose

وأفضل كَثْرة الشَّعر أو كثاثته (٤) تاركاً الزَّبَب (٥) ترجمة لِـ (hirsutisme).

١٠٦٣٥ بُوالة (غزارة البول) 10635 Polyurie

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة بُوال

١٠٦٣٦ كثير القِيَم 10636 Polyvalent, ente

متعدد التكافؤ كما أقرها مجمع اللغة العربية في القاهرة.

---

(١) Dorland's Illustrated Medical Dictionary (twenty — fifth edition) .

(٢) الصفحة ١١٣ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

(٣) في لسان العرب : انفضجت القَرْحة : انفتحت وانفضج بَطْنُــه استرخت مَراقّه، وكل ماعَرُض كالمشدَوخ فقد انفضج،رجل عِفْضاج ومِنْضاج وهو العظيم البطن المسترخيه، إلى أن قال : وتفضج بدَنه بالشَّحم تَشقق ، وهو أن يأخذ مأخذه فتنشق عُروق اللحم في مداخل الشحم بين المضابع .

(٤) في لسان العرب : كثَّ الشيء كثاثة أي كثف وكثَّت اللحية تكث كثًّا وكثاثة وكثوثة ، لحية كثة وكثاء كثرت أصولها وكثفت .

(٥) الصفحة ٨٦ من المجلد الثاني والأربعين من هذه المجلة .

10643 pomme d'Adam

١٠٦٤٣ تفّاحة آدم

والصّحيح الحرْقدة(١)

10644 pomme de pin

١٠٦٤٤ تفاحة الصّنوبر ، مخروط الصّنوبر

والشائع كُوز الصّنوبر ، وهو الأفضل

10645 Pommelière, tuberculose des bovidés, ou bovine

١٠٦٤٥ سُل البَقريات ، سُل بقَري

والداء اللؤلؤي ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(٢)

10651 Ponction, piqûre v. paracentèse

١٠٦٥١ بَزْل ، وَخْز ، أنظر ثقْب

وأرجح ، بَزْل ، وَخز ، بَط ، شَق(٣) تاركاً ثقب

ترجمة لِـ (perforation) اللفظة (١٠٠٣٧) .

10660 ponction thoracique, pleurale

١٠٦٦٠ بَزْلٌ صَدْري ، بَزْلٌ جَنْبي

وأرجح بَزْل جَوْف الصدر وبَزْل الجُنبة أي جَوْف الجُنبة

10663 ponctionner

١٠٦٦٣ بَزَلَ ، وَخَزَ

بَزَل فقط ، تاركاً وخز ترجمة لِـ (piquer) .

10666 pondérable

١٠٦٦٦ وَزون ، وازِن ، يمكن وزنه

أفضل الاقتصار على وَزون ووازن

---

(١) في لسان العرب : الحرْقدة عُقْدة الحَنجور والجمع الحراقد .

(٢) (pearl disease) .

(٣) الصفحة ٨ من المجلد الخمسين من هذه المجلة .

10670 Pontage (chirurgie des nerfs)

١٠٦٧٠ تجسير (في جراحة الأعصاب)

وأرجح الجَسْر أو الوَصْل لا التجسير(١) لأن المقصود وصل بين قطعتي العصب أو بين عصبين

١٠٦٧٤ متنفس ، انظر قناة عرقية — 10674 Pore, v. canal sudoripare

وأرجح مُسم (بصيغة المفرد)

١٠٦٧٥ مَسام الجلد ، مناتيح — 10674 pore de la peau

وأرجح مُسم الجلد

١٠٦٧٧ مَسام ذَوْقية ، مَسام الذوق — 10676 pore gustatif, du gout

مُسم الذوق

١٠٦٧٧ تجوّف الدماغ ، توهّد الدماغ — 10677 Porencéphalie

وأفضل تجوف الدماغ(٢)

10681 Porphyrinurie, hématoporphyrinurie

١٠٦٨١ بيلة بُرْفينيّه ، بيلة دَمَوية بُرْفينية

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة تعريب (porphyrin)

---

(١) في تاج العروس : جَسَّر الرجل يُجَسِّر عقد جسراً . وجَسَّره تجسيرا شجعه .

(٢) في لسان العرب : الوَهْدة الهوّة تكون في الأرض ومكان وَهِد وأرض وَهِدة كذلك والوهدة النقرة المنتقرة الأرض أشد دخولاً في الأرض من الغائط ، وليس لها حرف عرضها رجان وثلاثة لاتنبت فيها شيئاً .

بالفرفيرن ، وجاء في التعريف : خضاب ينتج عن تحلل الهيموجلوبين المرضي ، وتصبح ترجمة اللفظة بيلة فرفيرينية دموية ، فرفيرينية .

١٠٦٨٢ بَرْفَرة ، رَهْنك 10682 Porphyrisation

وأفضل السَحْق والدَّق والرَهْك وكما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(١)

١٠٦٨٣ كُرّاثي 10683 Porracé, ée

وأفضل أخضر كُراثي كما جاء الترجمــة الألمانية من المعجم الأصلي(٢) .

10690 portée visuelle, étendue de la vue

١٠٦٩٠ مَدى البَصَر ، مُتَّسع الرُؤية

وأفضل مَدى البَصَر ، مَجال الرؤية

١٠٦٩١ حامِل العِصابة أو العِصاب أو الرِّبَق 10691 porte - lacs

وأرجح حامل الأنشوطة أو الحِبالة (٣)

10691 porter (se)

١٠٦٩١ ثَقِل ، إنتَقَل ، بدَّل حالة الصحة من جيد أو رديء

وأفضل نَقَل ، أقَلَّ ، تَمَتّع بصحة (جيدة أو سيئة)

---

(١) (porphyrisation, tritumation) .

(٢) (lauchgrün) .

(٣) الصفحة ٦٥ من المجلد الخامس والأربعين من هذه المجلة .

10692 Porter à terme

١٠٦٩٢ حمل تام (قبالة)

وأفضل حمل التام (قبالة)

10693 porte - tampon

١٠٦٩٣ حامل السَّبيخة

وأرجح حامل القَطيلة ، شأن مافعلته اللجنة في لفظة (tompon) اللفظة (١٣١٤٦) وليس للسبيخة هذه الدلالة(١) .

10695 porteur de germes actif

١٠٦٩٥ حامل جراثيم فاعل ، مُؤَثِّر

وأرجح ناقل الجراثيم الناشط أو النشيط(٢)

10696 porteur de germes passif

١٠٦٩٦ حامل جَراثيم مُنْفَعِل ، مُتَأثِّر

وأفضل ناقل الجراثيم المُتَقَبِّل

10697 porteur de germes permanent

١٠٦٩٧ حامل جراثيم دائم أو مُسْتَمِر

وناقل الجراثيم المزمن كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(٣) .

---

(١) في لسان العرب: والقَطيلة قطعة كساء أو ثوب ينشف بها الماء، والسبيخ من القطن مايسبخ أي يلف لتغزله المرأة .

(٢) سبقت اللجنة أن استعملت حامل ترجمة لـ(enceinte)(اللفظة ٤٨٥٩)

(٣) (chronic germ carrier) .

10699 porteur hôte intermédiaire

١٠٦٩٩ حامِل الثَّوِي الوسيط

ناقل ، حاضن[١] لأنه ثمة خطأ مطبعي والصحيح : porteur, hôte intermédiaire وكما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[٢] أيضاً .

10700 Poser des ventouses (sèches), ventouser

١٠٧٠٠ وَضْع مَحاجِم (جافة) حَجَمَ

وأفضل حِجامة جافة ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[٣] .

10701 position cadavérique des cordes vocales

١٠٧٠١ وَضْع جيفي للأوتار الصَوْتية

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة الوَضْعة ترجمة لِـ (position) وهي الأفضل . وتكون الترجمة : الوَضْعة الميتة أو الهامدة لأوتار الصوت .

10703 position de Crouzat Walcher (les jambes pendantes)

١٠٧٠٣ وَضْع كروزا ــ والشر (الساقان مدلاتان)

والصحيح وضعه كروزات - والخر (كما تلفظ بالألمانية) والاقتصار على وضعة والخر ، كما جاء في الترجمة الانكليزية

(١) الصفحة ٨٩ من المجلد الثاني والأربعين من هذه المجلة .

(٢) (intemediary carrier) .

(٣) (dry cupping) .

من المعجم الأصلي وكما هو وارد في المعاجم الأخرى(١)

10704 position de déflexion (obs.) présentation en déflexion

١٠٧٠٤ وَضْع اِنبساط (قبالة) اِعتلان انبساطي

وَضْعة الانبساط وجِئة انبساطية كما أقرها مجمع اللغة العربية في القاهرة .

10705 postion génu - cubitale

١٠٧٠٥ وَضْعٌ رُكَبي زَنْدي

ووَضْعة الركبة والمِرفق كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(٢) .

10706 position génu - pectorale

١٠٧٠٦ وَضْع رُكَبي صَدري (وَضْع السُّجود)

ووضعة الرُكْبة والصدر ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(٣) .

10707 position (dite) obstetricale

١٠٧٠٧ وَضْعٌ قِبالي

الوَضْعة القِبالية (المسماة أو كما يطلق عليها) وكذلك وضعة الظهر والمصالبة للسرير ، وشق الحصاة في أثناء المخاض، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(٤)

---

(١) (Walcher position) .

(٢) (knee- elbow position) .

(٣) (knee - chest position) .

(٤) (dorsal, cross - bed or lithotomy in labour) .

10708 position de relâchment

١٠٧٠٨ وَضْعُ استِرْخاء

وضعة الارتخاء أو الفتور

10709 position de la taille

١٠٧٠٩ وَضْع الحَزْع المثاني

وَضْعة حَزْع المثانة أو الشق الحصوى ، كما أقرها مجمع اللغة العربية في القاهرة ، أو الوَضعة الظَّهْرية العَجُزية كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(١).

10711 position ventrale, décubitus abdominal ou ventral

١٠٧١١ وَضْع بَطْنِي ، استلقاء على البَطْن ، انبطاح ، انكباب

وأفضل الوَضْعة البَطْنية ، انبطاح لا الاستلقاء(٢)

10714 Poste de secours, ambulance

١٠٧١٤ مَرْكز إسعاف ، مَسْعَف ، مُسْتَشْفى سيَّار

مَرْكز إسعاف ، نَقَّالة ، مَرْكز الاسعاف الأوَّلي كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(٣)

10717 Posthypophyse

١٠٧١٨ فَص النُخامة الخَلفي

وأفضل الفَص الخلفي للغدة النخامية ، وكما أقرها مجمع اللغة العربية في القاهرة

10718 Post mortem (après la mort)

١٠٧١٨ في عَقِب الموت (بعد الموت)

---

(١) (lithotomy or dorso - sacral position) .

(٢) في لسان العرب : واستلقى نام على ظهره .

(٣) (first - aid station, first - aid post) .

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة بعد الوفاة

١٠٧٢٠ بَعْد البَضْع ، عقيب البَضْع — 10720 Post - opératoire

وأفضل بَعْد الجراحة

١٠٧٢٤ ما يَنطَبِخ في قِدْر ، طَبِيخ ، طَبْخة — 10724 pot - au - feu

والصحيح السُّلاقة وبخاصة سُلاقة اللحم(١)

١٠٧٢٥ شَروب ، شَرِيب — 10725 Potable

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة شَرِيب

10726 Potage à la farine de céréales, soupe à la farine

١٠٧٢٦ حِساء بدقيق الحُبوب ، حساء بالدقيق

حِساء بدَقيق الحُبوب حِساء بالطَّحين أو حَرِيرة(٢)

١٠٧٢٧ حِساءٌ بدَسَم — 10727 Potage au gras

ولعلها الخَزِيرة(٣)

١٠٧٢٨ حِساء بالخُضَر — 10728 Potage aux herbes

وأرجح بالبقول

١٠٧٢٧ حِساء بدون دسم — 10727 Potage maigre

وأفضل حِساء غير دسم

---

(١) معجم لاروس .

(٢) في لسان العرب : والحَرِيرة الحسا من الدَّسم والدقيق .

(٣) في لسان العرب : والخزيرة والخزير الحسا من الدسم والدقيق وقيل الحسا من الدسم .

10734 potassium (carbonate acide de) bicarbonate de potassium

١٠٧٣٤ البوتاسيوم (فَحمْات) الحامِضة ثاني فَحمْات البوتاسيوم

وأرجح البوتاسيوم (كربونات) الحامضة ثاني كربونات البوتاسيوم

10735 Potassium (carbonate neutre de)

١٠٧٣٥ البوتاسيوم (فحمات) المعتدلة

وأرجح بوتاسيوم (كربونات) الحامضة وثاني كربونات بوتاسيوم في الأولى ، بوتاسيوم (كربونات) المعتدلة في الثانية[١]

10749 potentiel d'action consécutif ou tardif (courbe oscillo graphique) .

١٠٧٤٩ مَكْنون العَمَل التالي أو المتأخر (منحني المخطط النوّساني)

وأفضل الفعل أو الأثر الكامن التالي أو المتأخر كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[٢] (المخطط الذبذبي)[٣]

10750 potentiel d'action de plaque motrice

١٠٧٥٠ مَكْنون عمل اللوحة المُحرِّكة

الأثر الكامن أو الفعل الكامل للوحة المحركة

10751 potentiel d'action de pointe (courbe oscillographique)

١٠٧٥١ مكنون عَمَل الأسنة أو الأسنان (منحني المخطط النوساني)

الذَرْوة أو القمة الارتفاع الرئيسي في المخطط الذبذبي كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[٤] .

---

(١) الصفحة ٦٣٣ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) (after potential oscillographic tracing) .

(٣) الصفحة ٤٩٣ من المجلد التاسع والاربعين من هذه المجلة .

(٤) (spike main deflection of the oscillographic tracing) .

10752 potentiel hydrogène, pH, symbole de la concentration d'iones acides H

١٠٧٥٢ مكنون الهدرجين : أ. هـ.

رمز التركيز من شوارد الهيدروجين الحمضية

الهيدروجين الفعال ب. هـ رمز التركيز للهيدروجين الحامض الأثر هـذا وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ترجمة لـ (potency) بالفعالية وجاء في التعريف : هي قوة تأثير المادة للحصول على نتائج خاصة مثل فعالية الدواء .

10753 Potion, mixture

١٠٧٥٣ جَروع ، مَزيج

والشائع ترجمة اللفظة الأولى بشراب وأفضل شراب جروع يُشرب بجرعات .

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ترجمة الثانية بممزوج . وقد جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (draught, draft) وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ترجمة الثانية بشَربة ، وجاء في الشرح : مقدار كبير من الدواء يؤخذ دفعة واحدة ، هذا وتطلق الشَربة في بلاد الشام على الدواء المسهل .

10754 potion gazeuse

١٠٧٥٤ جَروع غازي

وأفضل شراب غازي أو شَربة غازية لأنه لايتجرع عادة بل يُشرب دفعه واحده ، وشراب فوّار كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(١) .

للبحث صلة

(١) (saturation or effervescing potion or draft) .

كتاب الدلائل في غريب الحديث
لأبي محمد قاسم بن ثابت العوفي السرقسطي

الدكتور شاكر الفحام

مخطوطة الرباط - لم تصل إلينا مخطوطة الرباط سليمة تامة الأجزاء، فقد أبت يد الحدثان إلا أن تذهب بسفرها الأول، وبقي لنا سفراها: الثاني والثالث، وجدا في مكتبة الزاوية الناصرية بمدينة تمكروت[1]. ثم نقلا إلى الخزانة العامة بالرباط (مخطوطات الأوقاف).

خط النسخة مغربي، يجمع بين الصحة والوضوح والجمال، وضبطت كلماتها بالنقط والشكل المغربيين فأتقن ضبطها، وتضم كل صفحة في المخطوطة (٢١) سطراً، وقد جعل الناسخ بين كل فقرتين دارة تفصل بينهما،

(١) الزاوية الناصرية: أنشئت بمدينة تمكروت (تامكروت)، من وادي درعة، جنوبي المغرب الأقصى، وعرفت لذلك بزاوية تمكروت. وكانت تشتمل على نحو عشرة آلاف مخطوط، كلها من غريب الكتب ونفيسها، ثم عبث بها العابثون، فتمزقت شرَّ ممزّق، وعثر على أشلائها تعرض في الأسواق بأيدي الوراقين والسماسرة (الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ١ : ٩ - ١٠ م، ٢١ م، الزاوية الدلائية لمحمد حجي : ٥٦ - ٦١).

ونقطت الدارة في وسطها ، اشعاراً بمعارضة النسخة ومقابلتها بالأصل(١) . وتدل التعليقات في حواشي المخطوطة على أن النسخة منقولة عن أصل جيد ، مقروء ، مقابل بعدة نسخ أصول . وتلك التعليقات نوعان : فإذا كان التعليق استدراكاً لكلمة أو كلمات سقطت ـ ويسمى ذلك المستدرك : اللحق (بفتح اللام والحاء المهملة) ـ أثبت الناسخ في موضع السقط من السطر خطاً صغيراً صاعداً إلى فوق ، ثم يعطفه بين السطرين عطفة يسيرة إلى جهة الحاشية التي يكتب فيها اللحق ، ثم يكتب عند انتهاء اللحق المثبت في الحاشية كلمة : « صح » صغيرة . وتلك هي الطريقة المختارة في تخريج الساقط(٢) . أما إذا كان التعليق في الحاشية شرحاً وتفسيراً ، أو فائدة ، أو تنبيهاً على غلط ، أو اختلاف رواية ، أو نسخة ، أو ضبط ، أو نحو ذلك مما ليس في الأصل ، فقد أثبت الناسخ على الكلمة المقصودة في النص علامة كالضبة أو التصحيح ، ايذاناً بذلك(٣) . فكانت العلامة (ـــ) المثبتة فوق الكلمة تدل على التخريج في الحاشية اليمنى ، وكانت العلامة (ـــ) للتخريج في الحاشية اليسرى .

---

(١) علوم الحديث لابن الصلاح : ١٦٥ - ١٦٦ ، فتح المغيث ٢ : ١٥٧ - ١٥٨

(٢) الالماع : ١٦٢ - ١٦٤ ، علوم الحديث : ١٧١ - ١٧٣ ، فتح المغيث ٢ : ١٧٢ - ١٧٣ ، وقد يثبت الناسخ أحياناً عند انتهاء اللحق كلمتي : « صح ، أصل » (٢ : ١٠٤ ، ١١٤ ، ٢٨٥ ، ٣ : ٤ ، ٢٣ ، ٩٧ ، ١١٦ ، ١٢٥ ، ١٣٨ ، ١٦٤ ، ٢٣٩ ، ٢٨٦ ، ٢٩٦) أو : « أصل ، صح » (٢ : ١٠٧ ، ٣ : ٢٣٩) ، أو : « أصل » (٢ : ٣٠١ ، ٣ : ١١٩) .

(٣) الالماع : ١٦٤ ، علوم الحديث : ١٧٣ - ١٧٤ ، فتح المغيث ٢ : ١٧٤ - ١٧٥

فكأنَّ التخريج في طرَّتيـــه طرر صفّقت ببيض الحدود(١)

ويظهر التعقيب في أسفل الصفحات اليمنى ، لضبط أوراق المخطوطة ، خشية أن تزيح عن مواضعها ، ويبدو أن التعقيب في النسخة متأخر عن وقت النسخ ، قام به قارىء خشي على النسخة أن تختل أوراقها ، يدل على ذلك أن التعقيب جاء في أوراق زاحت عن مواضعها (٢ : ٣٠١ - ٣٠٤ ، ٣ : ١١ - ١٢) ، والتزم الناسخ عند ختام أحاديث الصحابي أوالتابعي التي شرح غريبها ولغاتها ألا ينتقل إلى أحاديث من يليه حتى يفصلها عن سابقتها بمثل قوله : « انتهى حديث أبي بكر رضي الله عنه ، يتلوه حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه » .

السفر الثاني من المخطوطة ـ عدد صفحات السفر الثاني (٣٠٦) صفحة ، وقد جاء في أول صفحة منه : « كتاب شرح الحديث » بلغاته ، وأمثاله ، وشاهـــده ، تأليف : أبي محمد قاسم بن ثابت بن حزم السرقسطي ، رواية ابنه ثابت [بن] قاسم ، رضي الله عنهـــم »(٢) ، وتحته : « ملك لله تعالى ، بيد سيد محمد بن ناصر ، بقوش »(٣) . وجاء في جانب الصفحة الأيسر:

---

(١) الالماع : ١٦٥ ، فتح المغيث ٢ : ١٧٦

(٢) كتب العنوان بخط كاتب مشرقي غير محسن ، لذلك حرفت كلمـــة : « بلغاته » إلى : « بلغاة » وأضيف إلى : « حزم » كلمة : « حازم » .

(٣) محمد بن ناصر الدرعي : ينتهي نسبه إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، هاجر أجداده إلى درعة في صدر القرن العاشر الهجري ، وولد محمد بن ناصر ونشأ بقرية اغلان في درعة ، ثم انتقل إلى تامكروت في عام ١٠٤٠ هـ وأقام في زاويتها فنسبت إليه . كان مشاركاً في فنون من العلم كالفقه والعربية والكلام والتفسير =

« مصنف الكتاب من تلامذة الامام الحافظ أحمد بن شعيب النسائي ، صاحب السنن[1] ، يظهر ذلك من مطالعة كتابه هذا ، إذ يخرج عنه الحديث فيقول : حدثنا أحمد بن شعيب النسائي » . ووسمت الصفحة الأولى في أعلى الجانب الأيسر بختم نقشه : « مخطوطات الأوقاف — الخزانة العامة بالرباط » وفي وسط الختم رقم : « ١٩٧ ب »[2] .

أما الصفحة الثانية التي يبدأ بها الكتاب ، ففيها في الحاشية اليمنى ختمان : واحد منها : ختم خزانة الرباط السابق ، والثاني ختم منقوش فيه : « مكتبة الزاوية الناصرية - تمكروت » وفي وسطه رقم : « ٣٢٣ ص » ، وقد وسمت به الصفحة الرابعة أيضاً في حاشيتها اليمنى[3] .

= والحديث والتصوف ، توفي سنة ١٠٨٥ هـ ، وإليه ينتسب الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري مؤلف كتاب : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (الاستقصا ١ : ٩ م ، ٧ : ٤٣ ، ١٠٥ - ١٠٦ ، الزاوية الدلائية : ٥٦ - ٦١) .

(١) هو أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي الحافظ ، كان امام عصره في الحديث ، استوطن مصر ، له من المصنفات : السنن الكبرى ، والصغرى ، وهي أحد الكتب الستة ، وله خصائص علي ، ومسند علي ، ومسند مالك ، توفي بمكة ، وقيل : بالرملة ، في سنة ٣٠٣ هـ (وفيات الأعيان ١ : ٧٧ - ٧٨ ، العبر ٢ : ١٢٣ - ١٢٤ ، تذكرة الحفاظ ٢ : ٦٩٨ — ٧٠١ ، حسن المحاضرة ١ : ١٦٣ ، فهرست ابن خير : ٥٨ ، ١٠٧ ، ١١٠ — ١١٧ ، ١٢٦ ، ١٤٥ — ١٤٨ ، ٢٠٩ ، وانظر مصادر ترجمته الأخرى في الاعلام للزركلي ١ : ١٦٤ ، المستدرك الثاني : ٢٣ ، ومعجم المؤلفين ١ : ٢٤٤ - ٢٤٥) ، قرأ عليه قاسم بن ثابت وأبوه بمصر (ابن الفرضي ١ : ١١٩ ، ٤٠٣ ، بغية الملتمس : ٤٣٤ ، نفح الطيب ٢ : ٤٩ ، الديباج المذهب : ١٠٢ ، مجلة مجمع اللغة العربية ، مج ٥٠ : ٥١٧) .

(٢) أثبت الختم نفسه ، ولكن دون ترقيم ، في الصفحات : ١٥ ، ٥٥ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٦٧ ، ٢٠٧ ، ٢٢٣ ، ٢٦٥ ، ٣٠٦) ،

(٣) أثبت الختم نفسه ، دون ترقيم ، في الصفحات : ١٦٤ ، ٢٥٠ ، ٣٠٦

ويبدأ المخطوط في مطلع الصفحة الثانية : « بسم الله الرحمن الرحيم . وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم .

وقال : في حديث النبي ﷺ أنه أتي بعلالة شاة ، فأكل منها ثم صلّى ، ولم يتوضأ[١] .

يرويه سفيان عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر[٢] .

قوله : بعلالة شاة ، يريد : بشيء يسير كان قد فضل منها . قال الراجز :

أحمل أمي وهي الحمّـــاله

ترضعني الدرة والعـــلاله

ولا يجازى والد فعـــاله[٣]

قال أبو زيد : العلالة : اللبن بعد حلب الدرة تنزله الناقة[٤] ، والأمُّ تعلّل صبيّها بشيء من المرق واللبن[٥] . وأنشد :

(١) الفائق للزمخشري ٢ : ٤١ ، النهاية في غريب الحديث والأثر (علل)٣: ١٤٠

(٢) ذكر في تهذيب التهذيب (٤ : ١١٢ ، ٦ : ١٤) أنّ السفيانين : سفيان الثوري ، وسفيان بن عيينة ، قد رويا عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، وذكر في لسان الميزان (٣ : ٥٣) أن سفيان بن عبد الله بن زياد بن حدير قد روى عنه . ونرجح أن المراد هنا هو سفيان الثوري (ت ١٦١ هـ) — انظر ترجمته في تهذيب التهذيب ٤ : ١١١ - ١١٥ ، وسبقت الترجمة لعبد الله بن محمد بن عقيل ، وجابر ابن عبد الله (مجلة مجمع اللغة العربية ، مج ٥١ : ٢٤٣)

(٣) ورد الرجز في كتاب العين ١ : ١٠٠ ، والمحكم لابن سيده ١ : ٤٥ ، ولسان العرب وتاج العروس (علل) .

(٤) أورد العبارة صاحب التاج (علل) ، وجاء في كتاب الابل للأصمعي (الكنز اللغوي : ٨١ - ٨٢) : « وأما العلالة فلبن ينزل بعد لبن ، وأصل ذلك من قولك : نهل البعير وعلّ » .

(٥) قال صاحب العين (١:١٠٠) : « والأم تعلل الصبي بالمرق والخبز ليجتزىء =

وقال الذي يرجو العلالة ورّعوا عن الماء ، لايطرق وهن طوارقُه

فما زلن حتى عاد طرْقاً ، وشيْبَنه بأصفرَ تذريه سجالاً أيانقُـه(١)

وأخبرنا أبو الحسين عن أحمد بن يحيى عن ابن الاعرابي(٢) قال : التعلة والتعلل واللهو : واحد ، وأنشد :

= به عن اللبن ... والعلالة : بقية اللبن ، وبقية كل شيء ... » ونقله ابن سيده في المخصص (١ : ٢٨) وكان قاسم بن ثابت وأبوه أول من أدخل كتاب العين للخليل ابن أحمد إلى الأندلس (مجلة مجمع اللغة العربية ، مج ٥٠ : ٥١٩) ، وفي المحكم ١ : ٤٥ ، واللسان (علل) قريب مما في كتاب العين .

(١) قال في اللسان (ورع) : ورّع الابل عن الحوض : ردّها فارتدت ، قال الراعي :

وقال الذي يرجو العلالة ورّعوا عن الماء ، لايطرق وهن طوارقه

وتجد الشاهد نفسه في المحكم ٢ : ٢٥١ — ٢٥٢ والتاج (ورع) . ولم يرد البيتان في شعر الراعي المجموع (ط. دمشق) . والطرق : هو الماء الذي يكون في الأرض ، فتبول فيه الابل وهو مستنقع . يقال له : طرق ومطروق (غريب الحديث لأبي عبيد ٤ : ٤٣٥) . والأيانق : جمع الجمع ، المفرد : ناقة وجمعها أينق وجمع الجمع أيانق .

(٢) أبو الحسين محمد بن ولاد التميمي ، أخذ عن أبي علي الدينوري وعن محمود ابن حسان وغيرهما بمصر ، ثم رحل إلى العراق ، وأقام بها ثمانية أعوام ، ولقي المبرد وثعلبا . وكان حسن الخط ، صحيح الضبط . قرأ على المبرد كتاب سيبويه ، وله كتاب المنمق ، والمقصور والممدود . وعدّه الزبيدي في الطبقة الثانية من النحويين واللغويين المصريين . توفي سنة ٢٩٨ هـ (طبقات الزبيدي : ٢١٧ ، ط ٢ ، بغية الوعاة : ١١٢ ، معجم الأدباء ١٩ : ١٠٥ — ١٠٦ ، الاعلام للزركلي ٧ : ٣٥٩ ، معجم المؤلفين ١٢ : ٩٥) وقد صرح القاسم بن ثابت باسمه في كتابه الدلائل حين قال : « وكان أبو الحسين محمد بن ولاد النحوي يقول في قول خنساء :

وقائلة والنعش قد فات خطوها لتدركه : يالهف نفسي على عمرو =

غنينا فأفنينا النهــار تعلة بإرقاص مرقال تخب وتعنق
لها من رديف كان لدنا ردافه وذو رفع من خمر عانة متأق

لها : أي من اللهو ، وذو رقع : يريد زقاً ، وألهاه ذو رقع أيضاً . وقال الأسود بن يعفر :

ألا هل لهذا الدهر من متعلل على الناس مهما(١) شاء بالناس يفعل
وهــذا ردائي عنده يستعيره ليسلبني نفسي ، أمالِ بن حنظلِ(٢)»

واختتم السفر الثاني منه (ص : ٣٠٦) بقوله : « وفي قول أبي مسعود [عقبة بن عمرو الأنصاري] : كراهية أن يعلم ، ثلاث لغات : كراهية وكراهة وكراهين ، قال أبو زيد : سمعت أعرابياً من بني تميم يقول : أتيتك

= قال : معناه : قد فات خطوها الذي كانت تخطوه لتدركه ، أي لكي تدركه ..» (مخطوطة الظاهرية ، ظ ٨١) .

– أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب (ت ٢٩١ هـ) ، كان من الحفظ والعلم وصدق اللهجة ، والمعرفة بالغريب ، ورواية الشعر القديم ، ومعرفة النحو على مذهب الكوفيين ، على ماليس عليه أحد ، نظر في النحو ، وله ثمان عشرة سنة ، وصنف الكتب وله ثلاث وعشرون – انظر مراجع ترجمته في حاشية : انباه الرواة ١ : ١٣٨ ، وحاشية : وفيات الأعيان ١ : ١٠٢ (تحقيق د. إحسان عباس) وفي الأعلام للزركلي ١ : ٢٥٢ ، ومعجم المؤلفين ٢ : ٢٠٣ - ٢٠٤

– أبو عبد الله محمد بن زياد الاعرابي (ت ٢٣١ هـ) ، كان نحوياً ناسباً كثير السماع راوية لأشعار القبائل ، كثير الحفظ ، ولم يكن في الكوفيين أشبه برواية البصريين منه – انظر مراجع ترجمته في حاشية : انباه الرواة ٣ : ١٢٨ ، وحاشية : وفيات الأعيان ٤ : ٣٠٦ ، وفي الاعلام ٦ : ٣٦٥ – ٣٦٦ ، ومعجم المؤلفين ١٠ : ١١ – ١٢

(١) رسمها الكاتب في النسخة : « مهمى » .

(٢) أنظر البيتين وتخريجها في : ديوان الأسود بن يعفر (صنعة د. نوري حمودي القيسي - بغداد ، ١٩٧٠) : ٥٦ - ٥٧ ، ٨١ .

كراهين أن تغضب »(١) . وجاء في أثره : « تم الشرح بحمد الله وعونه ، وصلى الله على محمد نبيّه وعبده ، وعلى آله وسلم تسليماً ، وزادهم شرفاً وتعظيماً . يتلوه في السفر الثالث ، إن شاء الله تعالى ، وقال : في حديث النعمان بن بشير رحمه الله » ، وجاء في الحاشية اليمنى : « بلغت بالمقابلة بالأصل المنقول منه ، والحمد لله »(٢) .

السفر الثالث من المخطوطة ـ عدد صفحات السفر الثالث (٣٠٨) صفحة ، وقد جاء في أول صفحة منه : « كتاب الدلائل في معاني الحديث » وتحته : « ملك لله تعالى ، بيد سيد محمد بن ناصر بقرش » ، يلي ذلك : « الحمد لله وحده . مؤلف هذا الكتاب ، على ما في اختصار نفح الطيب المسمى بتغريد المنادب على غصن الأندلس الرطيب ، هو : قاسم بن ثابت أبو محمد العوفي السرقسطي ، رحل مع أبيه ، فسمع بمصر من أحمد بن

---

(١) ورد الحديث في مخطوطة الظاهرية (و ٦٦) ، وعلق عليه في الحاشية : « قال الحطيئة شاهداً على الكراهين :

وبكرٍ فلاها عن نعيم ، غريزةٍ مصاحبةٍ على الكراهين فاركِ »

قال السكري : « يريد بكراً سباها ، فقطعها عن نعيم أهلها ، فصارت لغير بعلها ، مصاحبة له على الكراهية ، فاركاً له . يقال : كراهة وكراهية وكراهين ، بمعنى واحد » (ديوان الحطيئة : ٦٦) وجاء الشاهد في اللسان والتاج (كره) .

(٢) أشير إلى المقابلة في تضاعيف السفر بعبارات متقاربة مثل : بلغت بالمقابلة ، بلغت بالمقابلة فالحمد لله على ذلك ، بلغت بالمقابلة فصح والحمد لله وصلواته على محمد وعلى آله وسلم تسليماً ، بلغت بالمقابلة بالأصل (ص : ١٢ ، ٥٠ ، ٧٧ ، ١٢٣ ، ١٤٤ ، ٢٠٣ ، ٢٢٩ ، ٢٥٠ ، ٢٨٧) .

شعيب النسائي ، والبزّار ، وبمكة من [عبد الله بن][1] علي بن الجارود . والجوهري ، واعتنى بالحديث واللغة هو وأبوه فأدخلا للأندلس علماً كثيراً ، ويقال : إنهما أول من أدخل كتاب العين إلى الأندلس . وألّف[2] قاسم هذا في شرح الحديث كتاباً سماه : الدلائل ، بلغ فيه الغاية من الاتقان ، ومات قبل إكماله ، فأكمله أبوه ثابت بعده . وقد رُوي عن أبي علي البغدادي أنه كان يقول : كتبت كتاب الدلائل ، وما أعلم أنه وضع بالأندلس مثله . وكان قاسم عالماً بالحديث والنحو والشعر ، وكان ، مع ذلك ، ورعاً ناسكاً[3] ، وأريد للقضاء بسرقسطة ، فامتنع من ذلك ، فأراد أبوه اكراهه على ذلك ، فسأله أن يتركه ينظر في أمره ثلاثاً [فمات في هذه الثلاثة الأيام] فيرون[4] أنه مات في تلك الثلاث لأنه دعا لنفسه بالموت ، وكان مجاب الدعوة . توفي في سنة اثنتين[5] وثلاثمائة بسرقسطة ، رحمه الله تعالى ، آمين ، آمين »[6] ، وفي زاوية الصفحة اليسرى ختمٌ

---

(١) زيادة لابد منها – انظر : نفح الطيب ٢ : ٤٩ ، وابن الفرضي ١ : ٤٠٣ ، وبغية الملتمس : ٤٣٤

(٢) كتبت في المخطوطة : « واللف » بلامين ، وكذلك جاءت بلامين في تاريخ ابن الفرضي ١ : ٤٠٣ ﻫ ١ .

(٣) كتبت في المخطوطة : « نسكا » بغير ألف .

(٤) جاءت في المخطوطة بواو واحدة ، وكذلك جاءت في أصل ابن الفرضي ١ : ٤٠٣ ﻫ ١ ، وفي بغية الملتمس : ٤٣٥ ، وهي صحيحة المعنى ، ولكن ناشر ابن الفرضي جعلها : فيرورن ، بواوين . وكذلك جاءت بواوين في نفح الطيب ٢ : ٤٩

(٥) جاءت في المخطوطة : « اثنين » .

(٦) انظر : نفح الطيب ٢ : ٤٩ – ٥٠ ، وابن الفرضي ١ : ٤٠٢ – ٤٠٣ ، فقد تابع المقري في الترجمة التي عقدها لقاسم ما جاء في كتاب ابن الفرضي .

نقشه : « مخطوطات الأوقاف ـ الخزانة العامة بالرباط » وفي وسط الختم رقم « ١٩٧ ج » ، ووسمت الصفحة الثانية من المخطوطة بختمين ، أحدهما : ختم الخزانة العامة نفسه ، دون ترقيم(١) ، والثاني : نقش فيه : « مكتبة الزاوية الناصرية ـ تمكروت » وفي وسط الختم رقم : « ٣١٨ ص » ووسمت به أيضاً الصفحة الرابعة (٢) .

ويبدأ السفر الثالث في الصفحة الثانية : « بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على النبي الكريم محمد ، وعلى آله وسلم تسليماً .

وقال : في حديث النعمان بن بشير رحمه الله قال : استعملني عمر بن الخطاب أو عثمان بن عفان على صدقات سعد هـذيم ، وهم : عذرةُ ، وسلامانُ(٣) ، وضنّةُ ، والحارث ، وهم من قضاعة ، فلما قبضت الصدقة قسمتها بين أهلها ، وأقبلت بالسهمين الباقيين إلى عمر أو عثمان ، فلما كنتُ ببلاد عذرة في حيّ منهم يقال لهم : بنو هند ، إذا أنا ببيت حريد ، جاحش عن الحي(٤) ، فملت إليه فإذا عجوز جالسة عند كسر البيت ، وإذا شاب نائم في ظل البيت ، فلما قعدتُ فسلمت ترنم بصوت له ضعيف فقال :

جعلتُ لعرّاف اليمامة حكمه وعراف حَجْر إن هما شفياني

(١) وجاء مثله دون ترقيم في الصفحات : ٤٦ ، ٤٧ ، ١٩٥ ، ٢٩٧ ، ٣٠٨

(٢) ووسمت بالختم نفسه دون ترقيم الصفحات : ٨٦ ، ١٨٦ ، ٢٦٨ ، ٣٠٨

(٣) أثبت فوقها كلمة « صح » صغيرة .

(٤) جاء في المحكم (٣ : ٢٩) واللسان (جحش) : « وجحش عن القوم : تنحّى ، ومنه قول النعمان بن بشير : فبينا أنا أسير في بلاد عذرة إذا ببيت حريد جاحش عن الحي » زاد في اللسان : « والحريد ، في قول النعمان بن بشير : الذي تنحّي عن قومه وانفرد » .

فقالا : نعم ، نشفي من الداء كله   وقاما مع العـــواد يبتدران
نعم وبلى قالا : متى كنت هكذا   ليستخبراني ، قلت : منذ زمان
فما تركا من رقيـــة يعلمانها   ولا سلوة إلا بهـــا سقياني[1]
فقالا : شفاك الله ، والله مالنا   بما حُمّلتْ منك الضلوعُ يدان[2]

ثم شهق شهقة خفيفة فنظرت ، فإذا هو قد مات... »[3].

وكان ختام السفر الثالث (ص : ٣٠٨) : « وفي حديث لعبد الملك ابن مروان أن رجلًا وصف له ظبية صادها وشواها ، قال : ثم كشطت عنها جلدها كالقُبطية البيضاء ، واستخرجت سُرتها كالفرنيّة الحمراء .

الفُرنيّةُ : خبزة مسلّكةٌ مصعنبةٌ ، تشوى ثم تروّى لبناً وسمناً وسكراً . وأهل الشام يتخذون الفرنية على صنعة كير الزجاجين ، يختبزون فيه الفرنية »[4] . ثم يليه : « كمل كتاب الدلائل على معاني الحديث بالشاهد والمثل ، تأليف أبي محمد قاسم بن ثابت رحمه الله ، والحمد لله على عونه وتأييده ، وصلى الله على محمـــد نبيه المصطفى ، وعلى أهله وذريته ، وسلم وشرف

---

(١) اثبت فوقها علامة التنبيه على اختلاف النسخ ، ليذكر في الحاشية : « شفياني » فوقها « خ » صغيرة ، أي أن الرواية قد جاءت في نسخة ثانية : شفياني ، بدل : سقياني ، لأن الخاء المعجمة رمز النسخة (فتح المغيث ٢ : ١٧٥) .

(٢) انظر الخبر والقصيدة وتخريجها في نوادر القالي : ١٥٧ — ١٦٢ ، وسمط اللآلي ٣ : ٧٣ - ٧٤

(٣) يقع الحديث في مخطوطة الظاهرية (و ٦٦) .

(٤) يقع الحديث في مخطوطة الظاهرية (ظ ١٧٩) .

وكرم». وتحت ذلك: «بلغت بالمقابلة بالأصل المنتسخ منه[١]، والحمد لله على ذلك، وصلواته على محمد رسوله، وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً كثيراً».

- وإذا تجاوزنا ماجاء في الحواشي من استدراك يتصل بالسقط، فلعله يحسن أن نختار بعض الحواشي الأخرى التي لاتخلو من دلالة خاصة:

- جاء في (٢ : ٦١): وقال: في حديث النبي ﷺ الذي يرويه علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كنا إذا اشتد البأسُ، واحمرَّت الحدقُ اتقينا برسول الله ﷺ، فلم يكن أحد منا أقرب الى العدوّ منه» فكان التعليق في الحاشية: «تكرر هذا الحديث في حديث علي»[٢].

- عرض قاسم بن ثابت (٢ : ٦٧) لقول رسول الله ﷺ: اطلبوا الحوائج من حسان الوجوه[٣]، وذكر وجهين في تفسيره، ثم قال: «وأما العامة فإنهم يأبون إلا الوجه الأول، وقال فيه شاعرهم:

ودعاني اليك قول رسـول الـ ... له، إذ قال مفصحاً إفصاحاً:

إن أردتم حـوائجاً من أناس ... فتوخوا بها الوجوه الصباحـا

فلعمري، لقـد تخيرتُ وجهاً ... مـا به خاب من أراد نجاحاً»

فكتب أحد القراء في الهامش: «حاشية - ومنه أيضاً، لله درُّه:

(١) أشير إلى المقابلة في أضعاف السفر (ص: ٣، ٣٤، ٥٤، ٧٨، ٩٨، ١١٨، ١٥٨، ١٧٨، ١٩٨، ٢١٨، ٢٣٨، ٢٥٨).

(٢) انظره في حديث علي - المخطوطة ٢ : ١٩٧

(٣) رواه السيوطي في الجامع الصغير: «اطلبوا الخير عند حسان الوجوه» وانظر طرقه ورواياته في شرح المناوي: فيض القدير ١ : ٥٤٠ - ٥٤١

لقد قال الرسول وقال حقاً : ، وخير القول ماقال الرسولُ،
اذا الحاجات . . . فاطلبوها الى من وجهه حسن جميلُ

وكتبه أحمد بن سربه[١] » .

ـ وذكر قاسم بن ثابت (٢ : ١٧٦) كلمة سماك بن حرب[٢] في أبي زبيد الطائي[٣] : أنه لقيه أسد بثني الفرات فسلّحه ، فصار شعر أبي زبيد كلّه في الأسد ، فجاء التعليق في الحاشية اليمنى : « قال أبو جعفر بن النحاس[٤] في طبقات الشعراء له : في بعض الأخبار أن شعبة قال : قلت

---

(١) جاءت الكلمة مهملة في المخطوطة .

(٢) أبو المغيرة سماك بن حرب الذهلي البكرى الكوفي . توفي سنة ١٢٣ ﻫ (تهذيب التهذيب ٤ : ٢٣٢ - ٢٣٤) .

(٣) أبو زبيد حرملة بن المنذر ، وقيل : المنذر بن حرملة ، من قبيلة طيّىء ، كان جاهلياً قديماً ، وأدرك الاسلام ، فعدّ في المخضرمين ، وكان من المعمّرين ، نادم الوليد بن عقبة ، وكان مغرى بوصف الأسد . تجد ترجمته وأخباره في : طبقات فحول الشعراء (تحقيق أستاذنا الشيخ محمود محمد شاكر) ٢ : ٥٩٣ - ٦١٥ ، والشعر والشعراء ١ : ٢٦٠ - ٢٦٤ ، والأغاني ٥ : ١٣٣ - ١٤٠ ، ١٢ : ١٢٧ - ١٣٩ ، ومعجم الأدباء ١٠ : ١٩١ - ٢٠٩ ، وخزانة الأدب ٢ : ١٥٣ وما يليها ، وانظر بقية المراجع في حاشية : الشعر والشعراء ١ : ٢٦٠ ، وفي الاعلام للزركلى ٨ : ٢٢٨ ، المستدرك الثاني : ٢٤٨ ، وقد جمع شعره الدكتور نوري حمودي القيسي (بغداد ، ١٩٦٧) .

(٤) أبو جعفر أحمد بن محمد بن اسماعيل المرادي النحاس النحوي المصري (ت ٣٣٨ ﻫ) ، كان عالماً بالنحو حاذقاً ، وخرج إلى العراق ، ولقي أصحاب المبرد ، وله تصانيف في النحو وفي تفسير القرآن جياد مستحسنة ، توفي بمصر — =

الطرماح(١) : ماشأن أبي زبيد وشأن الأسد ، قال : انه لقيه أسد بالنجف ، فسلّحه ، وذكروا أن عثمان بن عفان كان يدنيه ويقربه ، وكان نصرانياً ».

– أورد القاسم (٢ : ١٨١) كلمة علي بن أبي طالب يوم الجمل التي يقول فيها : « ثم استخلف عمر ، رحمه الله ، فأقام واستقام ، ثم ضرب الدين بجرانه ... » وعقّب بتفسير غريبه فقال : « قوله : ضرب الدين بجرانه : يعني أنه انتهى إلى ذلك ثم جثم ولم ينهض ، وسكن من غلوائه »(٢) فأثبت الناسخ شبه علامتي تضبيب في مبدأ قوله : وسكن من غلوائه ، ونهايته ، ليعلق على ذلك بقوله : « ثبت المعلّم – حاشية ».

– وحين روى القاسم (٢ : ١٨٢) كلمة الحصني يذكر فيها نجماً يعرف بسهم الرامي ، حيال القلادة ، جاء في الحاشية اليمنى تعريفاً بالشاعر الحصني : « قال الأصبهاني : اسمه محمد بن يزيد من ولد مسلمة بن عبد الملك ، ينسب إلى حصنه ، وقال ابن قتيبة : هو رجل من أهل الشام ، كان حسن المعرفة بمناظر النجوم ، وأنشد له في كتاب الأنواء ، من هذا الشعر :

حتى إذا ما الحوت في حوض من الدلو كرع
ووازن الكف التي فيها خضاب قد نصع

= انظر مراجع ترجمته في حاشية : انباه الرواة ١ : ١٠١ ، والأعلام للزركلي ١ : ١٩٩ ، ١٠ : ٢٧ ، ومعجم المؤلفين ٢ : ٨٢ – ٨٣

(١) أبو بسطام شعبة بن الحجاج البصري (ت ١٦٠ هـ) ، لم يكن في زمنه مثله في الحديث ، وكان صاحب نحو وشعر ، قال فيه الأصمعي : لم نر أحداً أعلم بالشعر منه (تهذيب التهذيب ٤ : ٣٣٨ - ٣٤٦).

– أبو نفر الطرماح بن حكيم ، من طيّىء ، من شعراء الدولة الأموية وكان يرى رأي الخوارج ، انظر مراجع ترجمته في حاشية الشعر والشعراء ٢ : ٥٦٦ والاعلام للزركلي ٣ : ٣٢٥

(٢) جاء الحديث في مخطوطة الظاهرية (ر ٣).

قال الدليل : عرِّسوا فليس في صبحٍ طمع[1] »

– جاء في الدلائل (٢ : ١٨٣) : « قال الشاعر[2] :

تضحي وقد ضمنت ضراتها غرقاً من طيب الطعم حلو غير مجهود

فوضع الناسخ علامتي تنبيه : أولاهما فوق كلمة تضحي ، ليذكر في الحاشية اليمنى الرواية الصحيحة :

« تصبح وقد ضمنت

وتصبح : جــواب الشرط في البيت الذي قبله » ، والعلامة الثانية فوق كلمة : « غرقا » ليذكر في الحاشية اليسرى نقلاً عن : س : « في [كتاب] العين : اللبن : عرق يتحلب في العروق حتى ينتهي إلى الضرع . وأنشد بيت الشماخ بن ضرار :

تصبح وقد ضمنت ضراتها عرقا[3]

وسائر اللغويين رواه غرقا ، جمع غرقة »[4] .

– ويروي قاسم (٢ : ٢٠٦) قول رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب : « أين درعك الحطمية ؟ » ويذكر أنها : « منسوبة إلى حطمة بن

---

(١) انظر مجلة مجمع اللغة العربية ، مج ٥١ : ٢٥٧ – ٢٥٩

(٢) هو الشماخ يصف الابل ، وقبله :

إن تمس في عرفط ، صلع جماجمه من الأسالق عاري الشوك مجرود

يقول الشماخ في صفة الابل : هي ، على قلة رعيها وخبثه ، غزيرة اللبن . وانظر : البيتين وتخريجها في : ديوان الشماخ بن ضرار الغطفاني (ط. دار المعارف بمصر) : ١١٧ ، ١٢٧

(٣) كتاب العين ١ : ١٧٣

(٤) في حاشية الظاهرية اليسرى (ظ ٣) تعليق قريب مما هنا .

محارب» فيعلق الناسخ في حاشية الصفحة اليسرى: «ابن حبيب: حطمة، بفتح الحاء وسكون الطاء، وعنه أيضاً: حطمة بتحريكها»(١).

– جاء في حاشية الصفحة (٢ : ٢٠٨) العليا تعليق لأحد القراء:

«ولله در القائل:

هذا الكتاب لو يباع بوزنه ذهباً لكان البائع المغبونا
ومن الخسارة(٢) أن تراني آخذا ذهباً وأعطي لؤلؤاً مكنونا

ثم كتب المعلق على حاشية الصفحة اليمنى جدولاً، وزع فيه الأعداد التسعة وفق ما يلي:

٢	٩	٤
٧	٥	٣
٦	١	٨

وهو توزيع يجعل مجموع كل ثلاثة أعداد من الجدول، مذكورة في

(١) في حاشية مخطوطة الظاهرية (ر ١٣) تعليق أكثر بسطا: «ابن حبيب: حطمة، بفتح الحاء وسكون الطاء، وعنه أيضاً: حطمة: بتحريكها بالفتح. ابن دريد: الحطم: رجل من عبد القيس تنسب إليه الدروع الحطمية، عرفه ابن الكلبي، وقال الأصمعي: لاأدري إلى [أي] شيء نسب» (مختلف القبائل ومؤتلفها لابن حبيب ٣٩، وجمهرة اللغة لابن دريد ٢ : ١٧٢)، وانظر: الفائق ١ : ٢٦٩، ولسان العرب والتاج (حطم)، والأنساب للسمعاني ٤ : ١٩١، والاكمال لابن ماكولا ٣ : ١٦٦ - ١٦٧ مع حاشية الشيخ المحقق الأستاذ المعلمي اليماني.

(٢) كتبت في المخطوطة بالصاد بدل السين.

سطر أفقي ، أو سطر عمودي ، أو على أحد قطري الجدول ، خمسة عشر ، ثم كتب تحتها : « الله حفيظ لطيف قديم أزلي حي قيوم لاينام ».

– يذكر قاسم (٣ : ٣) قول أبي زيد الأنصاري : « ويقال عند الدعاء على الرجل : ألحق الله بك الحوبة » فيضع الناسخ علامة التنبيه فوق كلمة الحوبة ليذكر في الحاشية : « س : من المصنف لأبي عبيد : أصابتهم خوبة : إذا ذهب ماعندهم ، فلم يبق شيء ، كذا روي عنه : خوبة بالخاء المعجمة . ابن الاعرابي : خاب الرجل يخوب خوباً : إذا افتقر فقراً مدقعاً . والعرب تقول : اللهم إنا نعوذ بك من الخوبة ، قاله المطرز عن ثعلب »(١).

– يروي قاسم (٣ : ١٧٢) بيت الفرزدق في الصقيع :

وأصبح ميض الصقيع كأنه على سروات النيب قطن مندف

فيعلم الناسخ على النيب ، ليذكر في الحاشية : « أجود هذه الروايات كلها : النيب من الابل » قاله س » وهي حاشية لانجد مايماثلها في مخطوطة الظاهرية ، ثم تليها في الصفحة نفسها حاشية ثانية قالها : س ، أيضاً ، وشاركت فيها مخطوطة الظاهرية (و ١١٧) وهي أن النهل جمع ناهل .

– في (٣ : ١٧٥) حاشيتان ، أولاهما ، نجد مثلها في مخطوطة الظاهرية (ظ ١١٨) ، أما الثانية : فتنفرد بها مخطوطة الرباط ، تعليقاً على بيت نسب للبيد وهو :

بكى جزعاً من أن يموت وأجهشت إليه الجرشّى ، وارمعلّ خنينها(٢)

ليأتي التعليق : « أنشده ابن الاعرابي لمدرك بن حصن الفقعسي » .

(١) في مخطوطة الظاهرية (ظ ٦٧) الحاشية نفسها ، وانظر لسان العرب (خوب).

(٢) الجرشى ، كزمكى : النفس ، وارمعلّ الرجل ، بالعين المهملة والغين المعجمة : شهق ، انظر اللسان والتاج في (جرش ، رمعل ، خنن) .

– يروي قاسم (٣ : ١٨٣) قول النابغة :

إذا نطقت حذام فأنصتوها فإن القول ما قالت حذام

ليأتي التعليق في الحاشية : « البيت للجيم بن صعب بن علي ، يقوله لزوجه حذام بنت جسر بن تيم بن يقدم بن عنز ، قاله ابن الكلبي » وهو تعليق نجده في حاشية الظاهرية أيضاً (و ١٢٣) ، إلا أن البيت في الظاهرية يروى :

إذا نطقت حذام فصدقوها

ليشار في الحاشية إلى أن رواية « فأنصتوها » وردت في نسخة .

وهذا ، الى جانب أدلة أخرى ، يؤكد أن نسختي الرباط والظاهرية قد نقلتا عن أصلين مختلفين ، ولكن كلًا منها قوبل بعدة نسخ أصول . يؤيد ذلك مانجده في بعض تعليقات الحواشي ، كقوله : « المعلم عليه إلى آخر الحديث : ثبت في بعض الكتب » ثم يقول في نهاية الحاشية : « لم يثبت الملحق في الأصل ، وثبت حاشيةً كما كتبته بخط غ » (٣ : ٢٤٣ ، ٢٤٤) والحاشية نفسها مثبتة في مخطوطة الظاهرية (و ١٥٣) ولكن دون تعليق . وجاء في حاشية للظاهرية (و ١٥٠) : « سقط عند ع إلى آخر الحديث » وهو ساقط حقاً في نسخة الرباط (٣ : ٢٣٧) .

– أورد قاسم (٣ : ٢٥٠) بيت حميد بن ثور :

وصهباء منها كالسفينة نضّجت به الحمل حتى زاد شهراً عديدها(١)

وعقّب بتفسيره فقال : « قوله : منها : يعني من الابل ، أضمرها ولم

(١) انظر البيت وتخريجه في: ديوان حميد بن ثور الهلالي (ط. دار الكتب ، ١٩٥١م) صنعة الأستاذ الكبير عبدالعزيز الميمني .

يُجْبَر لها ذكراً[(١)] ، به : يعني بولدها ... » فجاء التعليق في الحاشية : « س : هذا البيت أول القصيدة » .

- وتتطابق أو تتقارب حواشي نسختي الرباط (٣ : ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥٧) والظاهرية (و ١٥٥ ، ظ ١٥٥ ، ظ ١٥٨) ، إلا أن نسخة الرباط تحتفظ أحياناً بالرمز : « س » أو الرمز : « غ » إزاء الحواشي .

- في (٣ : ٢٥٤) : « غ : نا ابن الهيثم عن داود بن محمد عن ثابت عن ابن الاعرابي » .

- في (٣ : ٢٥٥) : « غ : أبو عمر النمري ، نا عبد الوارث ، نا قاسم ، نا محمد بن عبد الله بن الغاز قال : نا أبو حاتم عن العتبي قال : حدثني أبو حفص قال : كتب عديٌّ إلى عمر يستأذنه ، وذكره » .

* * *

أشار إلى هـــذه المخطوطة الأستاذ الدكتور محمود علي مكي في

---

(١) وكذلك جاءت في مخطوطة الظاهرية (ظ ١٥٥) ، أما في مخطوطة استانبول (و ١٠٧) فجاءت : « ولم يَجْبر لها ذكر » . وكان تعليق الظاهرية في الحاشية على شرح القاسم : « قوله : ولم يجر لها ذكر ، لأن البيت هذا أول القصيدة» . قال في لسان العرب (نضج) : « ونضجت الناقة بولدها ونضجت وهي منضج : جاوزت الحق بشهر ونحوه ولم تنتج ، أي زادت على وقت الولادة » ثم أورد بيت حميد بن ثور شاهداً على ذلك . واستشهد الزمخشري في أساس البلاغة (نضج) بالبيت نفسه منسوباً إلى الحطيئة .

صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد[1] وأعاد الحديث عنها في كتاب: المقتبس لابن حيان الأندلسي[2]. ثم أشار الى المخطوطة الأستاذ عز الدين التنوخي في كلمته التي تحدث فيها عن كتاب الدلائل[3].

وهذا ثبت ماتضمنه السفران الثاني والثالث من المخطوطة:

وقال في حديث النبي ﷺ (٢ : ٢) – حديث أبي بكر (٢ : ٨٩)
– حديث عمر بن الخطاب (٢ : ١٠٤) – حديث عثمان بن عفان (٢ : ١٤٨)
– حديث علي بن أبي طالب (٢:١٧٦)

وهنا تلتقي المخطوطة المغربية بمطلع السفر الثاني من المخطوطة الظاهرية.

– حديث الزبير بن العوام (٢:٢١٤) – حديث طلحة (٢ : ٢١٩)
– « سعد (٢ : ٢٢٢) – « أبي عبيدة بن الجراح (٢:٢٢٨)
– « عبدالرحمن بن عوف (٢:٢٣٠) – « أبي بن كعب (٢:٢٣٣)
– « أبي موسى الأشعري (٢:٢٣٤) – « حديث المقداد (٢ : ٢٤٠)
– « حديث العباس (٢:٢٤١) – « زيد بن ثابت (٢ : ٢٥٠)
– « عبد الله بن أنيس (٢:٢٥٣) – « حديث معاذ (٢ : ٢٥٣)
– « عمار (٢ : ٢٥٤) – « سلمان (٢ : ٢٥٦)
– « أبي أيوب (٢ : ٢٥٧) – « خوات (٢ : ٢٥٨)
– « زيد بن خالد (٢ : ٢٥٨) – « عبد الله بن سلام (٢ : ٢٥٩)

---

(١) المجلدان التاسع والعاشر (١٩٦١ – ١٩٦٢) : ٤٠٠

(٢) المقتبس (ط. القاهرة ، ١٩٧١) : ٣٣٥ ، (ط. بيروت، ١٩٧٣) : ٤٩٣

(٣) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مج ٢١ : ١٦ – ١٨ (كانون الثاني ، ١٩٦٦)

- حديث أبي ذر (٢ : ٢٦٠) - حديث عبد الله بن بسر (٢ : ٢٦٨)
- « عبد الله بن مسعود (٢:٢٦٩) - « زيد بن أرقم (٢ : ٢٨٧)
- « عمران بن حصين (٢ : ٢٨٩) - « حذيفة بن اليمان (٢ : ٢٩٠)
- « أبي الدرداء (٢ : ٢٩٥،٣٠٢) - « عوف بن مالك (٢ : ٢٩٧)
- « وائل بن حجر (٢ : ٢٩٧) - « أبي حذيفة بن عتبة (٢ : ٢٩٨)
- « عمار بن رويبة (٢ : ٢٩٩) - « المغيرة بن شعبة (٢ : ٣٠٠)
- الضحاك بن قيس (٢ : ٣٠٠) - « عقيل بن أبي طالب (٢:٣٠٥)
- النعمان بن بشير (٢:٣٠٢،١١-١٢) - « أبي سعيد الخدري (٣:٤)
- أبي هريرة (٣ : ٥) - « عقبة بن عامر (٣ : ١٠)
- « حذيفة بن أسيد (٣ : ١٣) - « جابر بن عبد الله (٣ : ١٣)
- « كعب بن مالك (٣ : ١٥) - « البراء بن عازب (٣: ١٦)
- « أبي برزة (٣ : ١٧) - « حسان بن ثابت (٣ : ١٩)
- « عمرو بن العاص (٣ : ٢٢) - « عبدالله بن عمرو بن العاص (٣:٢٦)
- « معاوية بن أبي سفيان (٣:٢٩) - « يزيد بن أبي سفيان (٣ : ٤٦)
- « الحكم بن أبي العاص (٣:٤٩) - « مروان بن الحكم (٣ : ٥٢)
- « عائشة (٣ : ٥٢) - « أم سلمة (٣ : ٦٣)
- « فاطمة بنت قيس (٣: ٦٤) - « أسماء بنت يزيد (٣ : ٦٥)
- « حفصة (٣ : ٦٥) - « صفية (٣ : ٦٦)
- « سودة (٣ : ٦٧) - « اسماء بنت أبي بكر (٣:٦٨)
- « ابن عباس (٣ : ٧٠) - « عبد الله بن عمر (٣ : ٩١)

- حديث أنس بن مالك (٣ : ١٠٩) - حديث عبدالله بن الزبير (٣ : ١١٠)
- « الحسن (٣ : ١١٤) - « الحسين بن علي (٣ : ١١٤)

تم حديث الصحابة [٦٦ صحابياً] ، يتلوه حديث التابعين [٨٥ تابعياً]

- حديث كعب الأحبار (٣ : ١١٨) - حديث عبيد بن عمير (٣ : ١٢٠)
- « نافع بن جبير (٣ : ١٢٤) - « سعيد بن المسيب (٣ : ١٢٤)
- « أبي الوقاص (٣:١٢٨) - « سعيد بن جبير (٣ : ١٢٨)
- « أبي مسلم الخولاني (٣:١٣١) - « محمد بن سيرين (٣:١٣٢)
- « محمد بن الحنفية (٣ : ١٣٣) - « ابن كعب بن مالك (٣:١٣٤)
- « القاسم بن محمد بن أبي بكر (٣:١٣٦) - « أبي سلمة بن عبد الرحمن (٣:١٣٨)
- « محمد بن علي بن الحسين (٣:١٣٩) - « مغيث (٣ : ١٣٩)
- « عبد الله بن شداد بن الهادي الليثي (٣ : ١٤٠) - « طاوس بن كيسان (٣ : ١٤٢)
- « شريح بن الحارث القاضي (٣:١٤٣) - « مسروق بن الأجدع (٣:١٥٣)
- « الأسود بن يزيد (٣:١٥٦) - « أبي وائل شقيق بن سلمة (٣:١٥٧)
- « أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل (٣:١٥٨) - « الربيع بن خثيم (٣ : ١٥٩)
- « مطرف بن عبد الله بن الشخير (٣ : ١٦١) - « يزيد بن عبد الله بن الشخير (٣ : ١٦١)
- « أبي عثمان عبد الرحمن ابن مل النهدي (٣ : ١٦٢) - « أبي البختري (٣ : ١٦٣)
- « أبي إياس معاوية بن قرة (٣:١٦٤) - « عبيد بن أبي الجعد (٣:١٦٥)

- حديث بشير بن أبي مسعود (٣:١٦٥) - حديث الأحنف بن قيس (٣:١٦٦)
- « الحسن البصري (٣:١٧١) - « سويد بن متعبة (٣ : ١٨٩)
- « عمرو بن معديكرب (٣:١٩٠) - « أبي مجلز لاحق بن حميد (٣:١٩١)
- « عطاء بن أبي رباح (٣:١٩١) - « أبي قلابة عبدالله بن يزيد (٣:١٩٣)
- « مسلم بن يسار (٣ : ١٩٣) - « عبدالله بن عتبة بن مسعود (٣:١٩٤)
- « عطاء بن يسار (٣ : ١٩٤) - « أبي الجوزاء أوس بن عبد الله (٣ : ١٩٤)
- « عبد الله بن الصامت (٣:١٩٦) - « مكحول (٣ : ١٩٧)
- « إياس بن معاوية (٣ : ١٩٨) - « عامر بن شراحيل الشعبي (٣:١٩٩)
- « أبي الحجاج مجاهد بن جبر (٣ : ٢٢٩) - « عكرمة مولى ابن عباس (٣ : ٢٣٢)
- « أبي الخطاب قتادة بن دعامة السدوسي (٣ : ٢٣٥) - « ابراهيم بن يزيد النخعي (٣ : ٢٣٩)
- « زيد بن علي بن الحسين (٣:٢٤٤) - « عبد الملك بن مروان (٣:٢٤٦)
- « عبدالعزيز بن مروان (٣:٢٥٠) - « سليمان بن عبد الملك (٣:٢٥١)
- « عمر بن عبد العزيز (٣:٢٥٤) - « هشام بن عبد الملك (٣:٢٦٠)
- « مسلمة بن عبد الملك (٣:٢٦٢) - « الحجاج بن يوسف (٣:٢٦٦)
- « عبدالكريم بن أبي أمية (٣:٢٦٩) - « سعيد بن أبي عروبة (٣:٢٧٠)
- « قرة بن خالد السدوسي (٣:٢٧٠) - « عاصم بن أبي النجود (٣:٢٧٠)
- « أبي الزناد (٣ : ٢٧١) - « موسى بن سليمان الدمشقي[١] (٣ : ٢٧١)

---

(١) الصواب : سليمان بن موسى (تهذيب التهذيب ٤ : ٢٢٦ — ٢٢٧).

- حديث يحيى بن أبي كثير (٣ : ٢٧٢) - حديث محمد بن مسلم بن شهاب الزهري (٣ : ٢٧٤)
- « سالم بن أبي الجعد (٣ : ٢٧٩) - « حميد بن هلال (٣: ٢٨٠)
- « عمرو بن دينار (٣: ٢٨٠) - « أبي هاشم الرماني (٣: ٢٨١)
- « خصيف بن عبدالرحمن (٣: ٢٨٢) - « حسان بن عطية (٣ : ٢٨٢)
- « سفيان بن عيينة (٣: ٢٨٣) - « مالك بن أنس (٣: ٢٨٣)
- « سفيان بن سعيد الثوري (٣: ٢٨٨) - « شعبة بن الحجاج (٣ ٢٩٠)
- « محمد بن اسحاق بن يسار (٣: ٢٩٢) - « سلمة بن دينار (٣ : ٢٩٤)
- « عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة (٣ : ٢٩٥) - « مالك بن دينار (٣ ٢٩٥)
- « الضحاك بن مزاحم (٣: ٢٩٦) - « القاسم بن مخيمرة (٣ : ٢٩٨)
- « ابن أبي نجيح (٣ : ٢٩٨) - « عبد الله بن شبرمة (٣: ٢٩٩)
- « ابن الرهين (٣ : ٣٠٠) - « أبي بكر بن عياش (٣: ٣٠٠)
- « وكيع بن الجراح (٣: ٣٠١)

أحاديث منثورة

- باب في الدعاء (٣ : ٣٠٢)

- ٣ -

مخطوطة استانبول - تضم مكتبة الأوقاف باستانبول السفر الثاني من كتاب الدلائل برقم ١٦٨٢ ، وعدد أوراقه (١٢٨) ورقة ، يضم إليها ثلاث ورقات مزيدة . وهو بخط مغربي. عدد سطور الصفحة (٢٥) سطراً ، وكان الكاتب يفصل بين كل فقرتين بثلاث نقط (.:.). وقد جاء في وجه الورقة الأولى بخط مشرقي: « السفر الثاني من كتاب الدلائل ، في تفسير

مشكل الأحاديث النبوية ، مما عُني بتأليفه : السرقسطي رضي الله عنه . وفي أسفل الصفحة إلى اليمين : « عدد أوراقه مائة وتسعة وعشرين ورقة - كذا - معها ثلاث ورقات صغار ، صح » . وفي أعلى الصفحة إلى اليسار : « ملكه من فضل الله تعالى عبده الفقير إليه : أحمد بن عبد القادر بن أحمد بن مكتوم ابن أحمد القيسي[1] » وتحت ذلك بخط أدق : « ملكه وما قبله من فضل الله تعالى : محمد بن محمد العمادي »[2] وبعده بخط مغاير جملة غير واضحة كتب بعدها : محمد بن علي .

تبدأ المخطوطة في (ظ ١) ، وقد وسمت الصفحة بختم مرتين[3] ، ولم أتبين من نقشه إلا كلمتي : « صار ... محمد ... » وهذا مطلع المخطوطة : « بسم الله الرحمن الرحيم ، [و] صلى الله على محمد رسوله الكريم وسلم تسليما .

حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنه .

وقال فيه : إنه وقف عند الجمرتين قدر سورة من السبع .

---

(١) أحمد بن عبد القادر بن أحمد بن مكتوم القيسي (٦٨٢ - ٧٤٩ هـ) ، من كبار النحاة ، أخذ النحو عن البهاء بن النحاس ، ولازم أبا حيان دهراً طويلاً ، وله تصانيف حسان في اللغة والنحو - انظر مراجع ترجمته في الاعلام للزركلي ١ : ١٤٧ ، ومعجم المؤلفين ١ : ٢٧٨ - ٢٧٩ . وقد أثبت الزركلي في كتابه : الاعلام ، انموذجاً من خطه (الاعلام ١١ ، ق ١) .

(٢) لعله محمد بن محمد العمادي ، المولى أبو السعود (٨٩٨ - ٩٨٢ هـ) ، انظر ترجمته في الاعلام للزركلي ٧ : ٢٨٨ ، ومعجم المؤلفين ١١ : ٣٠١ - ٣٠٢

(٣) وسم به أيضاً وجه الورقة ٢ ، وظهر الورقة ١٢٨ من المخطوطة .

نا إسحاق بن موسى الخزاعي قال : نا أبو الوليد الأزرقي قال : أخبرني جدي قال : أخبرني مسلم بن خالد عن ابن جريج قال : أخبرني عبد الله بن عثمان بن خثيم قال : أخبرني سعيد بن جبير أنه رمى مع ابن عباس ، فوقف عند الجمرتين قدر سورة من السبع ... »[١] .

ويبدو أن الناسخ قد نقل عن نسخة تختلف في تجزئتها عما اتبعه ، فقد جاء في وجه الورقة ٤٣ : « هنا كمل الجـــزء الثالث ، وفيه من الأحاديث : ... » وقابل الناسخ بالأصل[٢] ثم عاد فقابل النسخة بأكثر من أصل ، يدل على ذلك تعليقه على بياض وقع في الأصل الذي ينقل منه : « نظرت موضع البياض في أصل قرىء على البطليوسي فلم أجده فيه ...» وكذلك قوله : « نقصت هنا أحاديث تثبت في آخر الكتاب » (و ٨٩) ولما وفى الكاتب بما وعد واستدرك مانقص تم ذلك بعنوان : « أحاديث لم تقع في الرواية التي ابتدأت الكتب منها واستدركتها هاهنا » (و ١٢١).

بدأ السفر بأحاديث الصحابة فذكر أحاديث واحد وستين صحابياً ، ثم تلاها بأحاديث التابعين (و ٦٨) فعدد منها أحاديث لستة وثمانين تابعياً .

وكان ختام المخطوطة (ظ ١٢٠) ماجاء في حديث لعبد الملك بن مروان أن رجلاً وصف له ظبية صادها ... وجاء تحته : « كمل جميع كتاب

(١) وقع الحديث في مخطوطة الظاهرية في (ظ ٨٤) ، وفيها اسحاق بن محمد الخزاعي بدل : اسحاق بن موسى الخزاعي ، وفي الحاشية تعليقاً عليه : « الصواب : اسحاق بن أحمد » . وهو في مخطوطة الرباط (٣ : ٧٠) : اسحاق بن أحمد الخزاعي ، وهو أحد الشيوخ الذين أخذ عنهم القاسم بن ثابت وأبوه بمكة (مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مج ٥٠ : ٥١٦) انظر ترجمته في العبر ٢ : ١٣٦ ، والوافي بالوفيات ٨ : ٤٠٣ ، وطبقات ابن الجزري ١ : ١٥٦ ، وشذرات الذهب ٢ : ٢٥٢

(٢) كثر في الحواشي اثبات كلمة « بلغت » دلالة على المعارضـــة والمقابلة : « و ١٧ ، و ٢٠ ، ظ ٢٥ ، ظ ٣٠ ، ظ ٣٣ ، ظ ٣٦ ، و ٧١ ، و ٨٥ ، ظ ٨٩ ، و ٩٥ ، ظ ٩٩ ، و ١٠٥ ، و ١١٠ ، ظ ١١٦ »

الدلائل بحمد الله تعالى وحسن عونه ، والحمد لله رب العالمين ، وصلواته على محمد سيد المرسلين ، وعليهم أجمعين ، وعلى آله وسلامه » . وجاء في حاشية الصفحة : « فيه من الأحاديث » ، وفوقها أحرف تدل على العدد لم أهتد إلى معرفتها . ثم استدرك في الورقات التالية (و ١٢١ - و ١٢٨) ما فاته من أحاديث أربعة عشر تابعياً سبق أن أورد قسماً من أحاديثهم . وأورد بعد ذلك في الورقة ١٢٨ ترجمة ثابت بن قاسم وترجمة أبيه قاسم مؤلف الكتاب ، وجده ثابت .

عورضت النسخة بالأصل ، واستدرك في حواشيها السقط ، يختم بكلمة « صح » صغيرة ، أو بكلمتي : « صح ، أصل » صغيرتين - وأثبت اختلاف النسخ ، وبعض التنبيهات ، مثل تعليقه على حديث مروان بن الحكم الذي ورد في أحاديث الصحابة : « تكرر وثبت في أحاديث التابعين » (و٥٦) والحديث قد تكرر حقاً في أحاديث التابعين (ظ ١١٥) . ومثل آخر : يقول قاسم : « والمعزقة : البيل أو المرُّ » (و ٦٩) فيعلق في الحاشية : « المرُّ : المسحاة ، وكذلك ... فأما البيل فغير معروف »[1].

وقد تجد في الحواشي فوائد لم ترد في مخطوطة الظاهرية مثل : « ويقال : إن عمرو بن عبيد قال بعد جواب أبي عمرو [بن العلاء] : ياأبا عمرو ، شغلك الاعراب عن الصواب[2] ، صح » (ظ ٧٠) .

---

(١) في الظاهرية (و ١٠٨) : « والمعزقة : البال أو المرّ » ويقول الجاحظ في البيان والتبيين (١ : ١٩) : « وكذلك أهل الكوفة فإنهم يسمون المسحاة : بال ، وبال بالفارسية » .

(٢) انظر مراتب النحويين ١٧ — ١٨

وهذا ثبت ماتضمنه السفر الثاني :

من أحاديث الصحابة : [٦١ صحابياً]

- حديث عبد الله بن عباس (ظ ١) - حديث عبد الله بن عمر (و ٨)
- « أنس بن مالك (ظ ١٣) - « عبد الرحمن بن عوف (و ١٤)
- « أبي موسى الأشعري (و ١٥) - « المقداد بن الأسود (و ١٧)
- « العباس بن عبد المطلب (ظ ١٧) - « زيد بن ثابت (و ٢٠)
- « عبد الله بن أنيس (و ٢١) - « معاذ بن جبل (و ٢١)
- « عمار بن ياسر (ظ ٢١) - « سلمان الفارسي (و ٢٢)
- « أبي عبيدة بن الجراح (ظ ٢٢) - « أبي أيوب (و ٢٣)
- « خوات بن جبير (ظ ٢٣) - « زيد بن خالد (ظ ٢٣)
- « عبد الله بن سلام (ظ ٢٣) - « أبي ذر (و ٢٤)
- « عبد الله بن بسر (ظ ٢٦) - « حسان بن ثابت (و ٢٧)
- « عبد الله بن مسعود (ظ ٢٧) - « أيوب السختياني (ظ ٣٣)
- « عبد الله بن الزبير (ظ ٣٣) - « زيد بن أرقم (و ٣٥)
- « عمران بن الحصين (ظ ٣٥) - « حذيفة بن اليمان (ظ ٣٥)
- « أبي الدرداء (ظ ٣٧) - « كعب بن مالك (و ٣٩)
- « البراء بن عازب (ظ ٣٩) - « عمرو بن سلمة الجرمي (و ٤٠)
- « أبي برزة الأسلمي (ظ ٤٠) - « عوف بن مالك الأشجعي (ظ ٤١)
- « وائل بن حجر (ظ ٤١) - « أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة (ظ ٤١)

- حديث عمارة بن رويبة (و ٤٢)
- « قيس بن الضحاك (ظ ٤٢)[1]
- « أبي مسعود الأنصاري (ظ٤٢)
- « أبي سعيد الخدري (ظ٤٤)
- « عقبة بن عامر (ظ ٤٦)
- « جابر بن عبد الله (ظ ٤٦)
- « عمرو بن العاص (و ٥٢)
- « يزيد بن أبي سفيان (ظ٥٤)
- « مروان بن الحكم (و٥٦)
- « الحسين بن علي (ظ ٥٦)
- « أم سلمة (و ٦٦)
- « فاطمة بنت قيس (ظ ٦٦)
- « صفية (ظ ٦٦)
- « أسماء بنت أبي بكر (ظ ٦٧)
- حديث المغيرة بن شعبة (ظ ٤٢)
- « عقيل بن أبي طالب (ظ ٤٢)
- « النعمان بن بشير (و ٤٣)
- « أبي هريرة (و ٤٥)
- « حذيفة بن أسيد الغفاري (ظ٤٦)
- « معاوية بن أبي سفيان (و ٤٧)
- « عبد الله بن عمرو بن العاص (ظ ٥٣)
- « الحكم بن أبي العاص (ظ٥٥)
- « الحسن بن علي (و ٥٦)
- « عائشة (ظ ٥٧)
- « أسماء بنت يزيد بن سكن (و٦٦)
- « حفصة (ظ ٦٦)
- « سودة (و ٦٧)

أحاديث التابعين [٨٥ تابعياً]

- حديث سعيد بن المسيب (و ٦٨)
- « أبي الوقاص (و ٦٩)
- « أبي مسلم الخولاني (و ٧٠)
- حديث نافع بن جبير (و ٦٩)
- « سعيد بن جبير (و ٦٩)
- « مطرف بن عبد الله بن الشخير (و ٧٠)

(١) صحته : الضحاك بن قيس انظر مخطوطة الظاهرية (ظ ٦٥) ومخطوطة الرباط (٢ : ٣٠٠)

- حديث محمد بن سيرين (ظ ٧٠) - حديث محمد بن الحنفية (و ٧١)
- « ابن كعب بن مالك (و ٧١) - « القاسم بن محمد (و ٧١)
- « عروة بن الزبير (ظ٧١) - « أبي سلمة بن عبد الرحمن (و٧٢)
- « محمد بن علي بن الحسين (ظ٧٢) - « مغيث بن سمي (ظ ٧٢)
- « عبد الله بن شداد بن الهادي (و٧٣) - « إياس بن معاوية (ظ٧٣)
- « أبي مجلز (و ٧٤) - « الحسن بن الحسن البصري (و٧٤)
- « الأحنف بن قيس (ظ٧٧) - « أبي البختري (و ٧٩)
- « معاوية بن قرة (و ٧٩) - « بشير بن أبي مسعود (ظ ٧٩)
- « الأسود بن يزيد (و ٨٠) - « أبي وائل (و ٨٠)
- « عمرو بن شرحبيل (ظ ٨٠) - « الربيع بن خثيم (و ٨١)
- « أبي العلاء (و ٨١) - « أبي عثمان النميري (ظ ٨١)
- « عامر الشعبي (و ٨٢) - « مالك بن أنس (ظ ٨٩)
- « كعب الأحبار (ظ ٩١) - « شريح القاضي (ظ ٩٢)
- « مسروق (ظ ٩٥) - « عبيد بن عمير (و ٩٦)
- « طاوس (ظ ٩٧) - « سويد بن شعبة (ظ ٩٧)
- « عمرو بن معدي كرب (ظ٩٧) - « عطاء بن أبي رباح (و ٩٨)
- « أبي قلابة (و ٩٨) - « عطاء بن يسار (و ٩٨)
- « أبي الجوزاء (و ٩٨) - « مكحول (ظ ٩٨)
- « مسلم بن يسار (و٩٩) - « عبد الله بن عتبة (ظ ٩٩)
- « عبد الله بن الصامت (ظ٩٩) - « الزهري (ظ ٩٩)
- « سالم بن أبي الجعد (و١٠١) - « سفيان بن عيينة (و ١٠١)

- حديث حميد بن هلال (و ١٠١) - حديث عمرو بن دينار (ظ ١٠١)
- « أبي هاشم (ظ ١٠١) - « سفيان الثوري (ظ ١٠١)
- « مجاهد (ظ ١٠٢) - « عكرمة (و ١٠٣)
- « قتادة (ظ ١٠٤) - « ابراهيم النخعي (و ١٠٥)
- « زيد بن علي (ظ ١٠٥) - « عبد الملك بن مروان (و ١٠٦)
- « عبد العزيز بن مروان (و ١٠٧) - « سليمان بن عبد الملك (و ١٠٧)
- « عمر بن عبد العزيز (و ١٠٧) - « هشام بن عبد الملك (و ١٠٩)
- « مسلمة بن عبد الملك (و ١١٠) - « الحجاج بن يوسف (و ١١١)
- « عبد الكريم أبي أمية (ظ ١١١) - « ابن أبي عروبة (و ١١٢)
- « قرة بن مخلد (و ١١٢) - « عاصم بن أبي النجود (و ١١٢)
- « أبي الزناد (ظ ١١٢) - « سليمان بن موسى (ظ ١١٢)
- « يحيى بن أبي كثير (و ١١٣) - « ابن أبي نجيح (ظ ١١٣)
- « ابن الرهين (و ١١٤، ظ ١١٧) - « أبي بكر بن عياش (و ١١٤)
- « شعبة بن الحجاج (ظ ١١٤) - « خُصيف (و ١١٥)
- « مروان بن الحكم (ظ ١١٥) سبق ذكره في الصحابة - « حسان بن عطية (ظ ١١٥)
- « محمد بن إسحاق (ظ ١١٥) - « عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة (ظ ١١٦)

- حديث مالك بن دينار (ظ ١١٦) - حديث الضحاك بن مزاحم (ظ١١٦)
- « أبي حازم (ظ ١١٧) - « القاسم بن مخيمرة (و ١١٨)
- « ابن شبرمة (و ١١٨) - « وكيع (و ١١٨)
- باب في الدعاء (ظ ١١٨)

أحاديث لم تقع في الرواية التي ابتدأ الناسخ الكتب منها

- من حديث الحسن بن أبي الحسن (و ١٢١) - حديث الربيع بن خثيم (و ١٢٣)
- من حديث الشعبي (و ١٢٣) - من حديث مسروق (و ١٢٣)
- من حديث طاوس (و ١٢٥) - من حديث عطاء (و ١٢٥)
- من حديث الزهري (ظ ١٢٥) - من حديث عمرو بن دينار (و١٢٦)
- من حديث قتادة (و ١٢٦) - من حديث ابراهيم النخعي (و١٢٦)
- من حديث عبدالملك بن مروان (ظ١٢٦) - من حديث سليمان بن عبدالملك (و١٢٧)
- من حديث عمر بن عبدالعزيز (و١٢٧) - من حديث الحجاج (ظ ١٢٧)

ولعل من الخير أن نختم مقالة الدلائل ، بذكر ترجمتي قاسم بن ثابت الواردتين في مخطوطتي الظاهرية واستانبول ، فقد انفردت كل من المخطوطتين بسرد فوائد في ترجمة قاسم لانجدها في التراجم المطبوعة .

ترجمة قاسم بن ثابت في مخطوطة الظاهرية

[و ١٨٠] / وقال ثابت بن قاسم بن ثابت بن حزم بن عبد الرحمن : ولد أبي قاسم بن ثابت سنة خمس وخمسين ومائتين ، وتوفي بسرقسطة في شوال سنة اثنتين وثلاثمائة . وتوفي جدي ثابت بن حزم بن عبد الرحمن بسرقسطة

في شهر رمضان سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة ، وهو ابن خمس وتسعين سنة أو نحوها ، ومولده سنة سبع عشرة ومائتين أو نحوها .

قال ثابت : خرج أبي مع جدي إلى الحج سنة ثمان وثمانين ومائتين ، فسمعا بمكة : من أبي محمد عبد الله بن الجارود ، ومحمد بن علي بن زيد الصائغ ، وأبي العباس مكيّ بن محمد بن أحمد ، وأبي عمران موسى بن هارون الجمال ، وأبي الحسن علي بن محمد بن عبد الحميد السياري الهروي ، ومحمد بن القاسم بن عبد الرزاق الجمحي ، وجعفر بن محمد الفاريابي القاضي، وأحمد بن زكرياء العابدي ، وإسحاق بن أحمد الخزاعي ، وأحمد بن عمرو ابن مسلم الخلال ، وأبي سعيد المفضل بن محمد بن إبراهيم بن المفضل بن سعيد ابن عامر الشعبي المعروف بالجندي ، وخلف بن عمرو العكبري ، وإبراهيم ابن سعيد بن عثمان بن مسلم بن الوليد بن رباح الحذاء المكي ، وسمعا بمصر من جماعة منهم : أبو بكر بن الامام ، ومحمد بن أحمد بن الهيثم التميمي ، وعبد الرحمن بن سليمان بن موسى بن مرداس أبو سعيد الجرجاني ، وأحمد ابن عمرو بن عبد الخالق البصري البزار ، وأحمد بن حمزة بن محمد بن هارون ، وإبراهيم بن حميد بن العلاء الكلابزي البصري ، وغيرهم . وسمعا بالأندلس : من الخشني محمد بن عبد السلام ، وعبيد الله بن يحيى ، ومحمد ابن وضاح ، ومطرف بن قيس ، وعبد الله بن مسرة ، ومحمد بن عبد الله ابن الغاز ، وسعيد بن خمير .

وانفرد ثابت بن حزم بالرواية عن بقي بن مخلد ، ويحيى بن إبراهيم ابن مزين ، ومحمد بن أحمد بن عبد العزيز العتبي .

وسمعا بالثغر : من محمد بن سليمان بن تليد ، وإبراهيم بن نصر ،

ومحمد بن أبي النعمان . وانفرد جدي بالرواية عن أحمد ويحيى ابني محمد بن عجلان وكان أحمد ممن روى عن مالك .

وانصرفا إلى الثغر سنة أربع وتسعين ومائتين .

وكان قاسم ورعاً فاضلاً عالماً . قال ابنه ثابت : إنه من بني عوف من غطفان . قال ثابت : أنا ثابت بن قاسم بن ثابت بن حزم بن عبد الرحمن ابن غانم بن يحيى بن سليمان العوفي . قال الحكم [المستنصر أمير المؤمنين] رحمه الله : سألته ، فقال : من بني عوف . قال الحكم : فذكرت ذلك لزكرياء بن الخطاب ، فقال : هم من البربر ، يتولون زهرة بن كلاب ، فوقع بينه وبين الذين كان يتولاهم كلام ، فحلف ألا ينمي إليهم ، ثم ندم وتذمم من ذلك فكتب العوفي ، فقلت له : يا أبا القاسم ، ماهذا ؟ ! فقال : أليس (ظ ١٨٠) / عبد الرحمن ابن عوف ، وانه من والى ولد عبد الرحمن ، فهو مولى عبد الرحمن ، قالت ثابت بن قاسم بن ثابت : سمعت جدي يقول : الولاء ولاءان ، ولاء عتاقة وولاء علاقة .

قال الحكم : فقال لي زكرياء بن خطاب : هو مولى بني زهرة مولى علاقة ، وهم من البربر . وانتماء البربر إلى ولاء زهرة في ذلك الثغر وذلك الشرق كثير جداً . لاترى أحداً من البربر يذكر غير ولاء زهرة ، إلا الشاذ ، يزعمون أنهم أسلموا على يدي رجل من ولد عبد الرحمن بن عوف ، كان عندهم في الثغر ، وقت افتتاح الأندلس . وتوفي ثابت بن حزم السرقسطي يوم الاثنين لاربع خلون من شوال سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة بجركش : قرية من قرى سرقسطة ، على عشرة أميال منها ،

بقبليها ودفن بسرقسطة يوم الأربعاء لست خلون من شوال المؤرخ ، وصلى عليه ابنه سعيد . ومولد ثابت سنة تسع وثمانين ومائتين ، فبلغ من السن ثلاثاً وستين سنة . أخبر بذلك ابنه سعيد عند قدومه من الحج سنة ست وخمسين وثلاثمائة في جمادى الآخرة . وكان حجه في موسم خمس وخمسين وثلاثمائة .

ترجمة قاسم بن ثابت في مخطوطة استانبول

(و ١٢٨ / ثابت : هو ابن قاسم بن ثابت بن حزم بن عبد الرحمن ابن غانم بن يحيى بن سليمان العوفي السرقسطي . وكان كتب هذا الكتاب للحكم أمير المؤمنين من الكتاب الذي عمله أبوه قاسم بن ثابت .

قال ثابت : ولد أبي قاسم بن ثابت سنة خمس وخمسين ومائتين ، وتوفي بسرقسطة في شوال سنة اثنتين وثلاثمائة . وتوفي جدي ثابت بن حزم ابن عبد الرحمن بسرقسطة في شهر رمضان سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة ، وهو ابن خمس وتسعين سنة أو نحوها . ومولده : سنة سبع عشرة ومائتين أو نحوها .

قال ثابت : خرج أبي مع جدي إلى الحج سنة ثمان وثمانين ومائتين ، فسمعا بمكة من أبي محمد عبد الله بن الجارود في جماعة ، وسمعا بمصر من أبي نصر بن الامام في جماعة ، وسمعا بالأندلس من الخشني محمد بن عبد السلام ، وانصرفا إلى الثغر سنة أربع وتسعين ومائتين . وكان قاسم ورعاً فاضلاً عالماً . قال ابنه ثابت : إنه من بني عوف من غطفان ، وقال : أنا ثابت بن قاسم بن ثابت بن حزم بن عبد الرحمن بن غانم بن

يحيى بن سليمان العوفي . قال الحكم أمير المؤمنين : سألته ، فقال : من بني عوف ، وذكرت ذلك لزكريا بن خطاب فقال : هم من البربر يتولون زهرة بن كلاب . وتوفي ثابت بن قاسم بن حزم يوم الاثنين لأربع خلون من شوال سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة بجوكش : قرية من قرى سرقسطة ، على عشرة أميال منها . ودفن بسرقسطة يوم الأربعاء لست خلون من شوال ، وصلى عليه ابنه سعيد . ومولد ثابت سنة تسع وثمانين . فبلغ من السن ثلاثاً وستين سنة . أخبر بذلك ابنه سعيد عند قدومه من الحج سنة ست وخمسين وثلاثمائة في جمادى الآخرة ، وكان حجه في موسم سنة خمس وخمسين وثلاثمائة .

(ظ ١٢٨) / ثابت بن حزم بن عبد الرحمن العوفي ، وهم بطن في قيس ، ذكره لنا القاسم . وكانت له رحلة وسماع في المشرق . وهو أول من أدخل كتاب العين الأندلس ، وكانت وفاته سنة أربع عشرة وثلاثمائة . وكان له ابن يسمى قاسماً ، غاية في العلم والورع . ورحل مع أبيه إلى المشرق ، فلقي رجال الحديث واللغة ، وتوفي سنة ست وثلاثمائة ، قبل أبيه . وألف قاسم هذا كتاباً في شرح حديث النبي ﷺ وسماه كتاب الدلائل ، بلغ فيه الغاية من الاتقان والتجويد ، حتى حسد عليه ونسب إلى غيره من أهل المشرق . ومات قبل إكماله ، فأكمله أبوه ثابت . قال أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادي : لم يؤلف بالأندلس كتاب مثل كتاب ثابت في شرح الحديث . قال أبو علي إسماعيل : وأخذته عن ابن قاسم إعجاباً به ، ولقاسم هذا كتاب سماه كتاب الرطب ، جمع فيه من أشعار المتقدمين والمحدثين نحواً من أربعة آلاف قطعة في أنواع

شتى من المعاني . وتناول هذا الكتاب محمد بن أفلح مولى أمير المؤمنين الحكم المستنصر رضوان الله عليه ، فاحتمل فيه على طريقة إسحاق بن إبراهيم الموصلي في كتابه المعروف بالأغاني من تسمية شعراء تلك الأشعار ، ومواليدهم ، وبلدانهم ، وأخبارهم ، وما تضمنت تلك الأشعار من المعاني والآثار .

نا الوزير صاحب الصلاة يونس بن عبد الله قال : نا أبو الفضل عباس ابن عمرو الصفار عن القاسم[1] بن ثابت بن حزم السرقسطي من أهل الأندلس الذي ألف مع أبيه الشرح المعروف بشرح ثابت في الحديث ، أن الوالي بسرقسطة — وكان من العرب — بعث في ثابت بن حزم فقال له : قد استخرت الله عز وجل في تقديم ابنك القاسم إلى قضاء بلده هذا ، فاعرض عليه ذلك ، فعرض عليه أبوه هذا فأبى منه ، فأعلم الوالي بذلك فغضب وقال له : أنت إن لم يجبني ابنك إلى هذا فاخرجوا عن بلدي ، فانصرف إليه أبوه فقال له : يابني ، تكلفني في آخر عمرى أن أجلو عن وطني ، وأتطوف على البلدان ببنياتي ، فقال له ابنه القاسم : ياوالدي امهلني في هذا إلى نهار غد ، فلما أتى الليل صار القاسم بن ثابت في محرابه يصلي طول ليلته ، ثم أصبح في محرابه ميتاً ، رحمه الله .

وهذا الكلام فيه خلاف للكلام المتقدم في الصفح قبله .

شاكر الفحام

---

(١) لعل الصواب : عن ثابت عن القاسم بن ثابت لان الصفار لم يدرك القاسم بن ثابت فيحدث عنه فقد ولد عام ٢٩٥ هـ وقدم الاندلس عام ٣٣٦ هـ (انظر ابن الفرضي ١ : ٣٤٣)

نظرات في ما أخذه ابن الشجري
على مكي في كتاب «مشكل إعراب القرآن»
- ٣ -

الدكتور أحمد حسن فرحات

٢٣ — في إعراب «والذين لايجدون إلا جهدهم»:

قال ابن الشجري(١):

ومن أغاليطه - أي مكي - في سورة براءة ماقاله في قوله تعالى: «الذين يلمِزُون المطَّوِّعين مِنَ المؤمنينَ في الصَّدَقات والذين لايجدون إلاَّ جُهدهم فيَسخَرون منهم(٢)».

قال - أي مكي -: «والذين لايجدون»: في موضع خفض عطف على المؤمنين، ولا يحسن عطفه على «المطوعين»، لأنه لم يتم اسماً بعد، لأن «فيسخرون» عطف على «يلمزون»، هكذا ذكره النحاس في الإعراب له، وهو عندي وهم منه»(٣).

قال ابن الشجري:

يعني أن النحاس ذكر أن قوله: «والذين لايجدون» عطف على

---

(١) أمالي ابن الشجري جـ/٢/ صفحة: ٤٦٣

(٢) سورة التوبة: ٧٩ (٣) مشكل إعراب القرآن ٣٦٨/١

« المطوعين » ومنع هو من هذا ، لأن المطوعين بزعمه لم تتم صلته ، وليس الأمر على ما قال ، بل صلة الألف واللام من « المطوعين » آخرها قوله : « في الصدقات » .

واحتـــج بأن « المطوعين » لم تتم صلته بعطف « يسخرون » على « يلمزون » ، وأي حجة في هذا ؟ و « يلمزون » قبل « المطوعين » . وزعم أن « الذين لايجدون » عطف على المؤمنين . وهذا غير صحيح ، لأن تقدير الكلام على قوله : يلمزون من تطوع من المؤمنين ومن الذين « لايجدون إلا جهدهم » فيكون « الذين لايجدون إلا جهدهم » غير مؤمنين ، لأن المعطوف يلزمه أن يكون غير المعطوف عليه . تقول : جاءني أصحابك والرجال النصارى ، فتكون النصارى غير أصحابك . وجاءني الرجال النصارى وأصحابك فيكون أصحابك غير نصارى .

والصواب عطف « الذين لايجدون » على « المطوعين » فالتقدير :يلمزون الأغنياء المطوعين ، ويلمزون ذوي الأموال الحقيرة الذين لايجدون إلاجهدهم ، وذلك أن عبد الرحمن بن عوف أتى بصُرّةٍ من الذهب تملأ الكف ، وأتى رجل يقال له أبو عقيل بصاع من تمر فعابه المنافقون بذلك فقالوا : رب محمد غني عن صاع هذا .

فالنحاس إذن مصيب ، والراد عليه هو المخطىء .

وقبل أن نناقش هذه المسألة يحسن أن نذكر ماقاله فيها المفسرون وأهل الاعراب :

ذكر السمين في كتابه « الدر المصون في علوم الكتاب المكنون[1] » القول بنصب « الذين لايجدون » عطفاً على « المطّوّعين » ، والقول بجر

(١) نسخة مخطوطة في مكتبة عارف حكمة ـ غير مرقمة الصفحات .

« الذين لايجدون » عطفاً على « المؤمنين » ، ثم رجّح القول بالنصب عطفاً على « المطوعين » فقال :

« قلت : الأمر فيه كما ذكر ، فإن المطوعين قد تم من غير احتياج لغيره ».

أما السفاقسي في كتابه « إعراب القرآن »[1] فقد أورد القولين ، وأيد ابن الشجري فيما ذهب إليه وذكر أقواله بعينها ، ثم علق على ذلك بقوله :

« والظاهر : اندراجه ، أي المعطوف ، في المعطوف عليه ، ويسميه بعضهم بالتجريد بالذكر للتشريف ، وكان أبو علي الفارسي يذهب إلى أن المعطوف في هـذا وشبهه لم يندرج فيما عطف عليه ، قال : لأنه لايسوغ عطف الشيء على مثله .

وقال الألوسي[2] : عطف على « المطوعين » وهو من عطف الخاص على العام . وقيل عطف على المؤمنين ، وتعقبه الأجهوري بأن فيه إيهام أن المعطـوف ليس من المؤمنين . وقال أبو البقاء : وهو عطف على « الذين يلمزون » وأراه خطأً صرفاً .

وجاء في « إعراب القرآن » المنسوب للزجاج :

وأما قوله تعالى « الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين » :

فالذين يلمزون : مبتدأ ، وخبره : سخر الله منهم . ومن نصب « زيداً مررت به » كان « الذين » : منصوباً عنده ، ولا يكون : « فيسخرون » : خبره ، لأن لمزهم للمطوعين لايجب عنه سخريتهم بهم . كما أن الإنفاق يجب عليه الأجر ، في قوله : « الذين ينفقون أموالهم » ، إلى قوله : « فلهم

---

(١) نسخة مخطوطة في مكتبة الحرم النبوي - غير مرقمة الصفحات .
(٢) جـ/١٠/ صفحة ؛ ١٣١

أجرهم »[١] وإذا لم يجب عنه ، كان « فيسخرون » ، عطفاً على « يلمزون » أو على « يجدون » .

ثم يقـــول :

وموضع « والذين لايجدون » : جر تابع للمؤمنين ، أو نصب تابع للمطوعين . والظرف ، أعني : « في الصدقات » : يتعلق بـ « يلمزون » دون « المطوعين » للفصل بين الصلة والموصول . أي : يعيبون في إخـــراج الصدقات لقلتهـا[٢] ...

وقال أبو حيان في البحر المحيط[٣] :

« والأحسن في الاعراب : أن يكون الذين يلمزون مبتدأ . وفي الصدقات : متعلق بـ « يلمزون » و « الذين لايجدون » : معطوف على المطوعين . كأنه قيل : يلمزون الأغنياء وغيرهم . و « فيسخرون » : معطوف على « يلمزون » .... قال : وقيل : « والذين لايجدون » : معطوف على « المؤمنين » وهذا بعيد جداً ... » .

وقال القرطبي[٤] : « والذين » : في موضع خفض عطف على المؤمنين ولا يجوز أن يكون عطفاً على الاسم قبل تمامه » .

والذي يظهر لنا من أقوال المفسرين والمعربين أن بعضهم يرجح الجر

(١) البقرة ٢٧٤
(٢) إعراب القرآن ، المنسوب للزجاج ج/٢/ صفحة : ٧٤٩ . تحقيق إبراهيم الابياري ، وانظر أيضاً : صفحة ٦٣٨ من نفس الجزء .
(٣) البحر المحيط ج/٥/ صفحة : ٧٦
(٤) تفسير القرطبي ج/٨/ صفحة ٢١٥

عطفاً على المؤمنين . والأكثر يرجح النصب عطفاً على « المطوعين » . والذي يرجح الجر يحتج بأن « المطوعين » لم تتم اسماً . في حين يقول الآخر : إن الكلام قد تم وليس بحاجة إلى الاسم ، ويورد على عطف « الجر » إيهام أن يكون « الذين لايجدون » غير مؤمنين .

ومنشأ الخلاف — فيما أرى — يعود إلى « المطوعين » هل هم فريق واحد أو فريقان ؟ فإذا كانوا فريقاً واحداً تم الكلام عنـــد قوله « في الصدقات » كما يقـول ابن الشجري وغيره ، ثم يعتبرون عطف « الذين لايجدون » على « المطوعين » من عطف الخاص على العامّ ، أو من التجريد بالذكر .

وإذا كان « المطوعين » فريقين وهم الأغنيا. والفقراء ، لايتم الكلام عند قوله : « في الصدقات » لأن « الذين لايجدون » من صلة « المطوعين » ، وفي هذه الحالة لايحسن العطف على « المطوعين » بل يكون العطف على « المؤمنين ».

وبناء على هذا الأصل ، نرى أن الفريق الأول الذي عطف « الذين لايجدون » على « المطوعين » من باب التجريد أو من عطف الخاص على العام كما قال ، نجد هذا الفريق حينما يعمد إلى التقدير ينقض ادعاءه أنهما فريق واحد ويجعلها فريقين ، حيث يقول ابن الشجري :

« والصواب : عطف « الذين لايجدون » على « المطوعين » فالتقدير : يلمزون الأغنيـاء المطوعين ويلمزون ذوي الأموال الحقيرة الذين لا يجدون إلاّ جهدهم » .

ويستدل ابن الشجري على تقديره — هذا — بما رُوي من أسباب النزول حيث يقول : « وذلك أن عبد الرحمن بين عوف أتى بصرّة من

ذهب تملأ الكف ، وأتى رجل يقال له أبو عقيل بصاعٍ من تمر ، فعابه المنافقون بذلك ، فقالوا : لرب محمد غني عن صاع هذا » .

وبمثل ذلك قدر أبو حيان حيث قال : « كأنه قيل : يلمزون الأغنياء وغيرهم » .

فعلى هذين التقديرين المتشابهين ، لايمكن أن يكون الفقراء من الأغنياء ، أو داخلين فيهم وخُصّوا بالذكر تشريفاً ، كما لايمكن أن يكون « الأغنياء » : عاماً ، والفقراء : خاصاً .

ولا شك أن الذي ألجأهم إلى هذا التقدير « أسباب النزول » ، أما الآية فليس فيها مايشير إلى « الأغنياء » .

وإذا قلنا إنهما فريقان لايسوغ هذا العطف ، لأن معناه أن الفريق الثاني ليس متطوعاً وليس مؤمناً ، في حين قد تطوع بجهده الذي وجده ، وهو مؤمن لاشك في إيمانه .

إنما يسوغ أن نعطف « الذين لايجدون » على « المؤمنين » وبذلك يكون « المتطوعين » فريقين ، فريق « المتطوعين من المؤمنين » وفريق « المتطوعين من الذين لايجدون » .

أما اعتراض ابن الشجري وغيره بأن في ذلك إيهاماً حيث يكون « الذين لايجدون » غير مؤمنين « فهو غير وارد في رأينا ، لأن كلمة « المؤمنين » ـ هنا ـ جاءت بدلاً من كلمة « الموسرين » لنكتة بلاغية ، وهي أن الموسرين حينما قدموا أموالهم الكثيرة ، لمزهم المنافقون ، فقالوا : لم يفعلوا ذلك إلا رياءً ، فجاءت كلمة « المؤمنين » لترد هذا اللمز الذي هو

في الحقيقة طعن في إيمانهم ، ومما يؤكد هذا أسباب النزول[1] التي تشير كلها إلى أن « الموسرين » لُمِزوا في إيمانهم ، في حين لُمِز الفقراء بمقدار ما تصدقوا به . ومن هنا جاءت كلمة « والذين لايجدون إلا جهدهم » بدلاً من كلمة الفقراء .

وأيضاً فإن « من المؤمنين » : حال من ضمير « المطوعين » . وهذا يعني أن القرآن لايريد أن يصف المطوعين بأنهم مؤمنون لمجـــرد البيان فذلك معروف من سياق الآيات السابقة ، وإنما قصد أن يذكر هذا ويعلنه حين تعرض هذا الوصف للخدش بلمز المنافقين واتهامهم الموسرين بالرياء ، فكان وصفهم « بالمؤمنين » . رداً لقيل المنافقين وطعنهم في إيمانهم .

وعلى هذا الأساس : يبدو لنا أن إعراب الجر عطفاً على « المؤمنين » ليس هناك مايرد عليه ، كما يرد على إعراب النصب عطفاً على « المطوعين » .

ثم إن مكياً لم يصرح بعدم جواز عطف « الذين لا يجدون » على « المطوعين » وإنما قال : ولا يحسن عطف « الذين لايجدون » على « المطوعين » لأن « المطوعين » لم تتم اسماً بعد ، غير أن القرطبي قد صرح بعدم الجواز .

وهذ كله إنما يجوز فيما لو صحّ فهم ابن الشجري لعبارة مكي في مشكل الإعراب غير أن الرجوع إلى كتاب النحاس يحسم المشكلة من أساسها ويغير طبيعة المعركة التي فتحها ابن الشجري حيث نرى أن رأي النحاس هو القول بإعراب الجر دون النصب ، وبذلك يكون الكلام الذي نقله مكي في كتابه هو عبارة النحاس نفسها ، ويكون معنى قول مكي :

---

(١) أنظر أسباب نزول الآية في تفسير ابن كثير : ج/٢/ صفحة ٤٠١ – ٤٠٢ مكتبة النهضة الحديثة (١٣٨٤ – ١٩٦٥) .

« هكذا ذكره النحاس في الإعراب له » يعود على الكلام السابق بتمامه لا على جزء منه كما أراد ابن الشجري أن يفهم . ويكون قول مكي « وهو عندي وهم منه » رداً لقول النحاس بإعراب الجر ، وهو الرأي نفسه الذي يذهب إليه ابن الشجري ، وبذلك يكون ابن الشجري متوهماً فهو لايخطّيء مكياً في الحقيقة وإنما يقف إلى جانبه ، ولا يدافع عن النحاس بل يهاجمه ، وهكذا تتغير طبيعة المعركة وطبيعة المواقع ، وبذلك لايستطيع ابن الشجري أن يقول : إن هذه من زلات مكي ، لكنها من زلات النحاس !!

٢٤ – في إعراب « استعجاله بالخير » .

قال ابن الشجري[1] .

وقال ـ أي مكي ـ في قوله تعالى في سورة يونس :

« ولو يُعَجِّلُ الله للناسِ الشَّرَّ استعجالَهُم[2] » .

قوله : « استعجالهم » : مصدر ، تقديره : استعجالاً مثل استعجالهم ، ثم أقام الصفة وهو « مثل » مقام الموصوف ، وهو : الاستعجال . ثم أقام المضاف إليه ، وهو : « استعجالهم » مقام المضاف ، وهو مثل . هذا مذهب سيبويه .

وقيل : تقديره : في استعجالهم ، وقيل : كاستعجالهم ، فلما حذف حرف الجر نصب ، ويلزم من قدر حذف حرف الجر منه أن يجيز : زيد الأسد ، فينصب « الأسد » على تقدير : كالأسد[3] .

قلت ـ أي ابن الشجري :

لا يلزم من قدر الكاف في قوله « استعجالهم » أن يجيز « زيد الأسد » :

(١) أمالي ابن الشجري جـ/٢/ صفحة ٤٦٥

(٢) يونس : ١١ (٣) مشكل إعراب القرآن ٣٧٥/١

لأن الكاف حرف شاعت فيه الاسمية ، حتى دخل عليه الخافض ، وأسند إليه الفعل ، وليس من الحروف الخافضة التي إذا أسقطتها نصبت مابعدها ، وانما هي أداة تشبيه ، إذا حذفت جرى مابعدها على إعراب ماقبلها ، كقولك : فينا رجل كأسد ، ورأيت رجلاً كأسد ، ومررت برجل كأسد . تقول إذا ألقيتها : فينا رجل أسد ، ورأيت رجلاً أسداً ، ومررت برجل أسد ، فلا يجوز زيد الأسد ـ بالنصب ـ لأن منزلتها منزلة مثل ، في قولك : زيد مثل بكر ، تقول إذا حذفت « مثل » : زيد بكر ، كما قال تعالى : « وأزواجه أمهاتهم[1] » . ولعمري ان قول سيبويه في الآية هو الوجه . ومن قدر الكاف وحذفها فنصب مابعدها ، فلأن ماقبلها منصوب » .

وتقول : إن الذين قدروا حذف الكاف إنما قدروها في مجال الاعراب . واعتبروا مابعدها منصوباً بنزع الخافض قال النحاس[2] : استعجالهم ـ على قول الأخفش والفراء ـ بمعني كاستعجالهم ، ثم حذف الكاف ونصب . قال الفراء : كما تقول : ضربت زيداً ضربك ، أي : كضربك ، ... ثم يقول النحاس : وحكي الأخفش : « زيد شرب الإبل » . ولو جاز ماقال الأخفش والفراء لجاز زيد الأسد ، أي : كالأسد ، فهذا بيّن جداً ، أما كون الكاف حرف تشبيه ، فهذا صحيح ، ولكن المجال ـ هنا ـ ليس مجال بحث في التشبيه ، وإنما هو مجال بحث في الإعراب ، أما القول بأنه إذا ألقيت الكاف جرى إعراب مابعدها على ماقبلها ، فمعنى ذلك أننا رجعنا إلى الإعراب الأول ، ولا يكون إذن في هذا التقدير وجه ثان للإعراب ، وإنما هناك وجه واحد فقط . وما حكاه مكي عن الذين قدروا الكاف وحذفها ،

(١) الأحزاب : ٦

(٢) إعراب القرآن للنحاس ـ مخطوطة تركية ـ ورقة : ٩٢

إنما قاله على أساس أنهم نصبوا ما بعد الكاف بنزع الخافض ، وعلى هذا كلامه سديد ولا اعتراض عليه .

٢٥ ـ في أصل كلمة « فزيّلنا » :

قال ابن الشجري(١) :

وقال ـ أي مكي ـ في قوله تعالى : « فزيّلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون(٢) » .

(هو « فعّلنا » من زِلتُ الشيء عن الشيء ، فأنا أزِيله ، إذا نحيته . والتشديد للتكثير ، ولا يجوز أن يكون « فيعلنا » من زال يزول ، لأنه تلزم فيه الواو ، فيقال : زوّلنا . وحكى الفراء أنه قرىء « فزايلنا » من قولهم : لا أزايل فلانا ، أي : لا أفارقه ، فأما قولهم : لا أزاوله ، فمعناه لا أخايله . ومعنى « زايلنا » و « زيلنا » واحد(٣)) ـ انتهى كلامه .

ويقول ابن الشجري : أما قوله : « لا يجوز أن يكون « فيعلنا » من زال يزول ، لأنه يلزم فيه الواو ، فيقال : «زولنا » ، فغير صحيح ، من قبل أنه لو كان « فيعلنا » من زال يزول كان أصله « زيولنا » ثم تصبح الواو ياء ، لوقوع الياء قبلها ساكنة ، ثم تدغم الياء في الياء ، فيقال : « زيلنا » ، وذلك أن من شرط الياء والواو إذا تلاصقتا ، والأولى منها ساكنة أن تقلب الواو ياء ، ولا تقلب الواو ياء واواً ـ كما زعم مكي ـ .

فما تقدمت فيه الياء قولهم في « فَيْعَل » من الموت : « ميّت » ومن

(١) أمالي ابن الشجري جـ/٢/ صفحة : ٤٦٦ .
(٢) يونس : ٢٨ (٣) مشكل إعراب القرآن ٣٨٠/١

هان يهون ، وساد يسود : هيّن، وسيّد . الأصل : ميوت ، وهيون ، وسيود . ففعل فيهن ماذكرنا . ومما تقدمت فيه الواو « الشيّ » و « الطيّ » و « الليّ » مصادر « شويت » و « طويت » و « لويت » أصلهن : شوى ، وطوى ، ولوى ، ثم صرن إلى القلب والإدغام » .

ونقـول : إننا لانريد أن ندخل في تفاصيل مغالطات ابن الشجري ونناقش في جزئياتها بل يكفي أن نناقش محل الشاهد ، لأنه يبتعد عن محل الشاهد ، ويأتي بأمثلته في نأي عنه ، ليوهم القارىء بصحة مغالطته وخطأ الآخرين .

ولكن ماقصده ابن الشجري - هنا - لايستقيم ، ولو كان صحيحاً لصح أن نقول - في الأمثلة التي جاء بها في الصيغة التي نحن بصددها « فيعلنا » - ميّتنا بدلاً من موتنا ، وهيّنا ، بدلاً من هونا ، وسيّدنا بدلاً من سودنا ، وشيينا بدلاً من شوينا ، وطيينا بدلاً من طوينا ، ولينا بدلاً من لوينا . ولا ندري إن كان ابن الشجري يوافق على هذا أم لا ؟

وقد قال أبو حيان(١) : « وقال الواحدي : التزييل والتزيّل والمزايلة : التمييز والتفريق - انتهى - .

وزيّل مضاعف للتكثير وهو لمفارقة الجبث(٢) من ذوات الياء بخلاف زال يزول فمادتها مختلفة .

وزعـم ابن قتيبة أن زيّلنا من مادة زال يزول وتبعه أبو البقاء . وقال أبو البقاء : « فزيّلنا » : عين الكلمة واو لأنه من زال يزول ، وإنما

(١) البحر المحيط - لأبي حيان : ٥/١٥٢

(٢) هكذا في الأصل .

قلبت ياء لأن وزن الكلمة فيعل أي : زيولنا مثل : بيطر وبيقر، فلما اجتمعت الواو والياء على الشرط المعروف قلبت ياء - انتهى » .

ثم يعلق على ذلك أبو حيان قائلاً :

« وليس ذلك بجيد لأن « فعّل » أكثر من « فيعل » ولأن مصدره تزييل ، ولو كان « فيعل » لكان مصدره فيعلة فكان يكون زيلة كبيطرة ، لأن « فيعل » ملحق بـ « فعلل » ولقولهم في قريب من معناه زايل ، ولم يقولوا : زاول - بمعنى فارق - إنما قالوه بمعنى : حاول وخالط ... » .

وقد اطلعت في كتاب السمين « الدر المصون في علوم الكتاب المكنون » على ماذكره في هذه الكلمة : قال السمين : قال مكي : ولا يجوز أن يكون « فعلنا » من زال يزول ، لأنه تلزم فيه الواو ، فيكون « زولنا » . قلت - أي السمين - هذا صحيح ، وقد تقدم تحرير ذلك في قوله : « أو متحيزاً إلى فئة » .

٢٦ - في إعراب « من غلٍّ إخواناً » .

قال ابن الشجري[1] :

وقال - أي مكي - في قوله تعالى في سورة الحجر :

« إنّ المتقين في جناتٍ وعيون . أدخلُوها بسلامٍ آمنين . ونزعنا ما في صدورهم مِن غلٍّ إخوانا [2] » :

« إخوانا » : حال من المتقين ، أو من المضمر المرفوع في « ادخلوها » ،

---

(١) أمالي ابن الشجري جـ/٢/ صفحة : ٤٦٧

(٢) الحجر : ٤٥ - ٤٧

أو من الضمير الذي في « آمنين » ويجوز أن يكون حالاً مقدرة من الهاء والميم في « صدورهم » .

وأقول – أي ابن الشجري :

إن « إنْ » ليست من الحروف التي تنصب الأحوال ، كما تنصبها « كأن » في نحو كأن زيداً محارباً أسد ، لما في كأن من التشبيه الذي ضارعت به الفعل .

ولكن يجوز أن يكون قوله « إخواناً » : حالاً من الضمير في الظرف الذي هو خبر « إن » لأنه ظرف تام ، والظروف التوام تنصب الأحوال لنيابتها عن الاستقرار أو الكون ، فالتقدير : إن المتقين مستقرون في جنات ، وجاز أن يكون « إخواناً » حالاً من هذا الضمير – على ضعف – وذلك لبعد الحال منه ، لأن مجموع هذه الآيات تشتمل على ثلاث جمل :

الأولى : إن المتقين في جنات .

والثانية : ادخلوها بسلام .

والثالثة : ونزعنا ما صدورهم من غل .

فإن جعلت « إخواناً » حالاً من « الواو » في « ادخلوها » فهي في حال مقدرة ، لقوله : « على سرر متقابلين » ، لأنهم لا يدخلونها وهم متقابلون على سرر ، وإنما يكون ذلك بعد الدخول ، فالتقدير : مقدرين التقابل على سُرُرٍ

وإن جعلت الحال من المضمر في « آمنين » فحسن .

وإن جعلتها من الضمير الذي هو الهاء والميم « في صدورهم » فالحال من المضاف إليه ضعيفة ، وقد بسطت القول في هذا النحو فيما تقدم . ولكن مُجَوِّزٌ ومُحَسِّنٌ أن يكون قوله « إخواناً » حالاً من هذا الضمير

شيئان : أحدهما : قربه منه ، والآخر : أن المضاف الذي هو الصدور بعض المضاف إليه . فكأنه قيل : ونزعنا مافيهم من غل . فليس هذا المضاف كالمضاف في قول تأبط شراً :

سلبت سلاحي بائساً وشتمتني

فاعرف الفرق بين الحالين .

ونلاحظ على قول ابن الشجري ـ هنا :

أنه لم يخطّىء[1] مكياً ولم يردّ عليه ، وإنما أضاف وجهاً جديداً زيادة على ماذكره مكي من الوجوه الثلاثة ، غير أنه وجّه إعراب مكي وأقواله وفصل القول فيها ، ولا شك أن ذكره لهذه الآية في عداد ماسماه زلات مكي خطأ كبير ، لايليق بابن الشجري ، لأنه يوهم القارىء السريع أن مكياً قد أخطأ في هذه الآية .

---

(١) نعم . قد يفهـم من كلام ابن الشجري أنه لايجيز الوجه الأول من الاعراب للتعليل الذي ذكره وهو أن « إن » لاتنصب الأحوال كما تنصب « كأن » .

غير أن الذي قال بهذا الوجه من الاعراب له تعليل آخر ، وذلك كما ذكر صاحب كتاب « الفريد في إعراب القرآن المجيد » مخطوطة المكتبة الأزهرية تحت رقم ٣٢٥٨/٢١٢ ، حيث قال :

وقوله : إخواناً على سرر : حال من أحد خمسة أشياء : إما من المنويّ في « جنات » وهو ضمير المتقين . والعامل : الظرف نفسه . أو من الضمير العامل في « ادخلوها » . أو من المستكن في « بسلام » ؛ لأنه بمعنى : سالمين أو من المستكن في « آمنين » . أو من المضاف إليه في « صدورهم » ، والعامل فيها معنى الاضافة من الممازجة والملاصقة .

٢٧ – في إعراب « أيُّهم أشد على الرحمن عتيا » :

قال ابن الشجري[١] :

وقال – أي مكي – في قوله عز وجل في سورة مريم :

« ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا »[٢] :

« ذهب يونس إلى أن « أيُّهم » : رفع بالابتداء ، لا على الحكاية ، ويعلق الفعل وهو « لننزعن » فلا يعمله في اللفظ ، ولا يجوز تعليق مثل « لننزعن » – عند سيبويه والخليل ، وإنما يجوز أن يعلق مثل أفعال الشك وشبهها مما لم يتحقق وقوعه »[٣] .

قلت – أي ابن الشجري – :

« اختصاصه بالتعليق أفعال الشك وشبهها مما لم يتحقق وقوعه خطأ ، لأن أفعال العلم تعلق ولها في تحقق الوقوع القدم الراسخة ، فما علق فيه الماضي منها عن لام الابتداء ، قوله تعالى : « ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق »[٤] . ومما علق فيه المستقبل منها عن الاسم الاستفهامي قوله : « ولتعلمن أينا أشد عذاباً » .

ونقول : إن ماذكره ابن الشجري – هنا – عن مكي فيه خطأ في النقل ، حيث سقط من كلامه كلمة « مثل » فعبارة مكي كما نقلها ابن الشجري : « وإنما يجوز أن يعلق أفعال الشك وشبهها مما لم يتحقق وقوعه » . ولو رجعنا إلى كتاب مكي وجدنا عبارته : « وإنما يجوز أن يعلق مثل أفعال الشك وشبهها من مالم يتحقق وقوعه » فلما سقط من كلام ابن الشجري كلمة « مثل » اختل الكلام واحتمل ماحمله ابن الشجري ليرد عليه بعد ذلك .

(١) أمالي ابن الشجري ج/٢/ صفحة : ٤٦٨

(٢) مريم : ٦٩ (٣) مشكل إعراب القرآن ٢/٦١

(٤) البقـــرة : ١٠٢

فكلمة « مثل » قبل أفعال الشك تشير إلى أن هناك أفعالاً أخرى تعلق وليس المقصود بها شبه أفعال الشك مما لم يتحقق وقوعه ، بدليل أنه قال بعد ذلك : أفعال الشك وشبهها مما لم يتحقق وقوعه .

وأيضاً فإننا لو رجعنا إلى الآية : « ولقد علموا لمن اشتره » التي استشهد بها ابن الشجري على تعليق الماضي عن لام الابتداء ، فإننا نجـد مكياً يعلقها ، وذلك حينما يقول :

قوله « لمن اشتراه » من : في موضع رفع بالابتداء . وخبره : ماله في الآخرة من خلاق . فخلاق : مبتدأ ، ومن : زيدت لتأكيد النفي . وله : خبر الابتداء . والجملة خبر من . واللام : لام الابتداء ، وهي لام التأكيد بقطع مابعدها مما قبلها ، ولا يعمل ما قبل اللام فيما بعدها كحروف الاستفهام وكالأسماء التي تجزم بها في الشرط إنما يعمل في ذلك مابعده . ومنه قوله تعالى : « وسيعلم الذين ظلموا أي منقلت ينقلبون[1] » ، فأي : نصب بـ « ينقلبون » لا بـ « سيعلم » .

٢٨ - في إعراب « إما شاكراً وإما كفوراً » :

... وقبل أن أطلع على النسخة المخطوطة لأمالي ابن الشجري في دار الكتب المصرية - مكتبة تيمور - كنت قد رأيت النسخة المطبوعة في حيدر أباد الدكن عام ١٣٤٩ هـ ، وفيها يقول ابن الشجري[2] :

وقال مكي بن أبي طالب المغربي في مشكل إعراب القرآن :

« أجاز الكوفيون في قوله تعالى : « إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما

---

(١) الشعراء ٢٢٧

(٢) أمالي ابن الشجري : جـ/٢/ صفحة : ٣٤٦ - طبعة حيدر أباد الدكن .

كفوراً[١] » ، أن تكون « إما »: إن « الشرطية زيدت عليها« ما» . قال : ولا يجوز هذا عند البصريين ، لأن « إن » الشرطية لاتدخل على الأسماء إلا أن تضمر بعد « إن » فعلاً وذلك في نحو : « وإن أحدٌ من المشركين استجارك »[٢] ، أضمر « استجارك » بعد « إن » ودل عليه الثاني فحسن لذلك حذفه ، ولا يحسن اضمار فعل بعد « إن » ـ ههنا ـ لأنه يلزم رفع « شاكر » بذلك الفعل . وأيضاً فإنه لادليل على ذلك الفعل المضمر في الكلام[٣] انتهى كلامه .

قال ابن الشجري : وهذا القول منه ليس بصحيح ، لأن النحويين يضمرون بعد إن الشرطية فعلاً يفسره ما بعده لأنه من لفظه ، فيرتفع الاسم بعد « إن » بكونه فاعلاً لذلك المضمر ، كقولك : إن زيد زارني أكرمته ، تريد إن زارني زيد ، وكذلك إن زيد حضر حادثته ، تريد : إن حضر زيد ، وكقوله تعالى : « إن امرؤ هلك »[٤] و « إن امرأة خافت »[٥] و « إن أحد من المشركين استجارك » .

هذه الأسماء ترتفع بأفعال مقدرة ، وهذه الظاهرة مفسرة لها ، وكما يضمرون بعد حرف الشرط أفعالاً ترفع الاسم بأنه فاعل ، كذلك يضمرون بعده أفعالاً تنصب الاسم بأنه مفعول ، كقولك : إن زيداً أكرمته نفعك ، تريد : إن أكرمت زيداً ، ومنه قول النمر بن تولب :

لاتجزَعي إن منفِساً أهلكتُه ... وإذا هلكتُ فعندَ ذلكَ فاجزَعي

أراد إن أهلكت منفساً . وإذا عرفت هذا فليس يلزم « شاكر »

(١) الانسان : ٣ — (٢) التوبة : ٦
(٣) مشكل إعراب القرآن ٢/٤٣٥
(٤) النساء : ١٧٥ — (٥) النساء : ١٢٧

أن يرتفع في قول من قال : إن « إما » شرطية ، وقوله لادليل على الفعل المضمر في الكلام يعني في قوله « إما شاكراً وإما كفوراً » قول بعيد من معرفة الإضمار في مثل هذا الكلام ، لأن المضمر - ههنا - يشهد بإضماره القلوب وهو « كان » وذلك أن سيبويه لايرى إضمار « كان » إلا في مثل هـــذا المكان ، كقولك : أنا أزورك إن قريباً وإن بعيداً ، تريد : إن كنت قريباً وإن كنت بعيداً ، ومن ذلك البيت المشهور ، وهو للنعمان ابن المنـذر :

قد قيلَ ذلك إن حقاً وإن كذباً فما اعتذارُك مِن شيء إذا قيلا

وقول ليلى الأخيلية :

لاتقرَبنَّ الدهرَ آلَ مطرفَ إن ظالماً فيهم وإن مظلوما

أي : إن كنت ظالماً وإن كنت مظلوماً ، وكذلك التقدير : هديناه السبيل إن كان شاكراً وإن كان كفوراً . وإضمار الفعل بعد حرف الشرط مخصوص به « إن » وربما استعمله الشاعر مع غيرها ، كقوله :

صعـدة نابتـــة في حائر أينما الريحُ تميلها تَمِل

الصعدة : القناة التي تنبت مستوية ، فلا تحتاج إلى تثقيف ، وامرأة صعدة : مستوية القامة شبهوها بالقناة . والحائر : المكان الذي يتحير فيه الماء .

ونقول : إن عبارة مكي في هذا المجال موهمة كما فهم ابن الشجري ، ولعل عذر مكي في هذا هو الاختصار ولو أننا رجعنا نستنطق كتب مكي التي بين أيدينا ، فإننا سنتعرف على حقيقة رأيه بوضوح .

وأقرب شيء بين يديَّ الآن كتابه « الهداية إلى بلوغ النهاية في تفسير القرآن وأنواع علومه » فماذا قال فيه :

قال مكي : « وأجاز الفراء أن يكون « ما » زائدة و « إن » للشرط ، والمعنى ـ على هذا ـ : إنا هديناه السبيل إن شكر وإن كفر . وفيه بعد ، لأن « إن » التي للشرط لاتقع على الأسماء إلا بإضمار فعل ، ولا يحسن ذلك هنا ، وقيل تقديره ـ على قول الفراء : إن كان شاكراً أو كان كفوراً » .

وهكذا نرى أن مكياً لم يغب عن باله أبداً أن « إن » الشرطية يمكن تقدير فعل بعدها ينصب الاسم ، كما يمكن تقدير فعل يرفع الاسم وأنه يعرف التقدير الذي جاء به ابن الشجري بعده بزمن بعيد وكل ماهنالك أن مكياً لايستحسن هـــذا التقدير هنا ، لأنه بعيد في المعنى ، ولا ينسجم مع التفسير .

وعلى هذا فاعتراض ابن الشجري غير وارد ، لأن مكياً لم يصرح في في كتاب المشكل بعدم جواز تقدير فعل ينصب الفعل بعـد إن ، بل استبعده ، ثم هو في كتاب الهداية يصرح بأن هـذا الرأي للفراء ويأتي بتقديره على رأي الفراء ناصباً للاسم بعده ، دون أن يصرح بعدم جواز ذلك .

وبعد : أرجو أن تكون هذه الدراسة قد حققت ما كنت آمل من كشف ملابسات أحاطت بالحقيقة وغبشتها ، ورفعت حيفاً وظلماً عن عالم من علماء العربيـة توارى خلف ألف عام من السنين لم يكن باستطاعته أن يقول كلمة في الدفاع عن نفسه أو يرد ما نسب إليه من زلات وأخطاء سائلاً المولى ـ عز وجل ـ أن يأخذ بناصيتنا إلى مافيه رضاه ، وأن يجنبنا عثرات الطريق ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

أحمد حسن فرحات

نص مستدرك من كتاب العبر

الأستاذ رياض عبد الحميد مراد

صدر الجزء الخامس من كتاب العبر في خبر من غبر للذهبي ضمن مطبوعات التراث العربي، وهي السلسلة التي تصدرها دائرة المطبوعات والنشر في الكويت، وذلك سنة ١٣٨٦ هـ/١٩٦٦ م بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد.

وكنت أبحث فيه عن ترجمة لأبي إسحاق الثَّوري في حوادث سنة ٦٨٥ هـ، وعجبت إذ لم أقع له على ترجمة مع طول البحث، وازداد عجبي حين رأيت أن هذه السنة كلها، وسنوات أخرى، ناقصة من هذا الجزء.

وقادتني المصادفة إلى نسخة مصورة من كتاب العبر محفوظة في مكتبة مجمع اللغة العربية بدمشق، وهي إحدى النسختين المعتمدتين في تحقيق هذا الكتاب. وحين قلّبتها وجدت فيها السنوات الناقصة من المطبوع، كما لاحظت أن ثمة فروقاً كثيرة بين المطبوع والمصورة، فعمدت إلى مقابلتها وانتهيت إلى جملة الملاحظات التالية، وقد جعلتها في قسمين:

١ - القسم الأول: النص المستدرك، ويتضمن السنوات الناقصة من المطبوع، وهو نص جديد.

٢ - القسم الثاني: الملاحظات على النص المطبوع.

ولا يفوتني أن أشير هنا إلى أن الدكتور مصطفى جواد أشار حدساً - فيما كتبه عن هذا الجزء في مجلة المجمع العراقي المجلد ١٧/ص ٧٠ - إلى النقص الذي أستدركه فيما يلي:

القسم الأول

السنوات الناقصة من المطبوع

[٢١٨ أ] سنة ست وثمانين وست مئة

(*) فيها قدم نائب السلطنة حسام الدين طُرُنْطاي(١) ، وسار بالجيوش فحاصر صِهْيون(٢) وبُرْزَيْة(٣) ، وانتزعها من سُنْقُر الأشقر(٤) ، ونزل إليه بعد التوثّق منه بالأيمان ، فأعطي مئة فارس بمصر .

(*) وفيها توفي البرهان السِّنْجاري قاضي القضاة أبو محمد الخَضِر بن

(١) الأمير حسام الدين أبو سعيد طُرنطاي « في العبر بفتح الطاء الأولى ، وفي النجوم بضمها » ابن عبد الله المنصوري . توفي بالتعذيب سنة ٦٨٩ هـ . انظر العبر د/٣٦١ ، والنجوم الزاهرة ٧/٣٨٥

(٢) صهيون « بكسر الصاد عند ياقوت وبفتحها عند أبي الفداء ، وسكون الهاء وضم الياء وسكون الواو » ، بلدة ذات قلعة حصينة من أعمال سواحل بحر الشام . انظر معجم البلدان « صهيون » ، وتقويم البلدان ٢٥٦

(٣) برزية «بضم الباء وسكون الراء وفتح الزاي وسكون الياء » قلعة حصينة قرب صهيون من جهة الشرق بينها مرحلة . تقويم البلدان ٢٦٠ . وانظر أيضاً معجم البلدان ففيه : « بَرْزُوَيه . والعامة تقول بَرْزَيه » .

(٤) الأمير سُنقُر بن عبد الله العلائي ثم الصالحي النجمي ،المعروف بالأشقر ، توفي سنة ٦٩٢ هـ . انظر النجوم ٨/٣٧

الحسن بن علي الزَّرزاري الشافعي[1] . وليَ قضاء مصر وحدها مدة في دولة الصالح ، ثم آذاه الوزير بهاء الدين[2] ونكبه ، فلما مات وليَ الوزارة للملك السعيد ، فبقي مدة ثم عزل ، وضربه الشجاعي[3] ، ثم وليَ الوزارة ثانياً ، ثم عزل وأوذي ، ثم وليَ قضاء القضاة بالإقليم فتوفي بعد عشرين يوماً. فيقال إنه سُمَّ . توفي في صفر ، وولي بعده تقي الدين ابن بنت الأعز .

(*) وابن بُلَشَّان الأديب شرف الدين سليمان بن بُلَشَّان بن أبي الجيش الإربلي[4] الشاعر المشهور ، أحد ظرفاء العالم. توفي بدمشق في عاشر صفر وقد كمّل التسعين .

---

(١) ترجمته في تاريخ الإسلام اللوحة ٦٠ من الجزء الأخير ، وفي الوافي ١٢٧/١٣ ، وطبقات السبكي ١٤٣/٨ ، والبداية والنهاية ٣١٠/١٣ ، وتاريخ ابن الفرات ٥٧/٨ ، والسلوك ج ١ / ق ٢ / ٧٣٨ ، والنجوم الزاهرة ٣٧٣/٧ ، وحسن المحاضرة ١٦٤/٢ - ١٦٧ ، ٢٢١ ، ٣٢٢ ، والشذرات ٣٩٥/٥

(٢) هو علي بن محمد بن سليم الصاحب الوزير الكبير بهاء الدين بن حِنَّى المصري . توفي سنة ٦٧٧ هـ . انظر فوات الوفيات ـ إحسان عباس ـ ٧٦/٣ ، والمشتبه ١٨٣ ، والعبر ٣١٥/٥ ، والتبصير ٤٧٣/١ ، والشذرات ٣٥٨/٥

(٣) هو الأمير علم الدين سَنْجَر بن عبد الله ،المعروف بأرجواش المنصوري الشجاعي . توفي سنة ٧٠١ هـ . انظر النجوم ١٩٨/٨ ، والبداية والنهاية ٣٣٤/١٣، وحسن المحاضرة ٢٢٣/٢

(٤) ترجمته في تاريخ الإسلام اللوحة ٦٠/ من الجزء الأخير ، والوافي ٨/ ١٦٥ ، وفوات الوفيات ٥٧/٢ ، والسلوك ج١/ق٢/٧٣٨ ، والنجوم ٣٧٢/٧ ، والشذرات ٣٩٥/٥ ، وقد ورد اسم أبيه في بعض هذه المصادر « بنيان » .

(*) وابن عساكر الإمام الزاهد أمين الدين أبو اليُمن، عبد الصمد ابن عبد الوهاب بن عبد الصمد بن زين الأمناء الدمشقي[1] المجاور بمكة. روى عن جده[2]، والشيخ الموفق[3] وطائفة، وكان صالحاً خيّراً قويّ المشاركة في العلم، بديع النظم، لطيف الشمائل، صاحب توجّهٍ وصدق. ولد سنة أربع عشرة وست مئة.

(*) وعبد العزيز بن عبد المنعم بن علي بن الصَّيْقل، مسند الوقت عز الدين، أبو العز الحرّاني[4]. روى عن أبي حامد بن جوالق، ويوسف

(١) ترجمته في تاريخ الإسلام ٦١، وفوات الوفيات ٢/٣٢٨، ومرآة الجنان ٤/٢٠٢، والبداية والنهاية ١٣/٣١١، والسلوك ج١/ق٢/٧٤٦، والشذرات ٥/٣٩٥

(٢) هو زين الأمناء أبو البركات الحسن بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن عساكر الدمشقي الشافعي، ولد سنة ٥٤٤ هـ. روى عنه أمين الدين أبو اليمن حفيده. وانظر في ترجمته سير أعلام النبلاء ١٣/١٩١، والعبر ٥/١٠٨، وطبقات السبكي ٨/١٤١، والبداية والنهاية ١٣/١٢٧، والنجوم الزاهرة ٦/٢٧٣، والشذرات ٥/١٢٣

(٣) هو عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي بن أبي سعد، الشيخ موفق الدين البغدادي. ولد سنة ٥٥٧، وتوفي سنة ٦٢٩ هـ. وانظر إنباه الرواة ٢/١٩٣، والعبر ٥/١١٥، وسير أعلام النبلاء ١٣/١٩٩، والوافي ١٩/٦٥، وفوات الوفيات - إحسان عباس - ٢/٣٨٥، وطبقات السبكي ٨/٣١٢

(٤) ترجمته في تاريخ الإسلام ٦٢، والوافي ١٩/٦، والبداية والنهاية ١٣/٣١٠، وتاريخ ابن الفرات ٨/٥٨، والسلوك ج ١/ق ٢ / ٧٣٨، وحسن المحاضرة ١/٣٨٤، والشذرات ٥/٣٩٦

ابن كامل[١] ، وطائفة . وأجاز له ابن كليب[٢] ، وكان آخر من روى عن أكثر شيوخه . توفي في رابع عشر رجب وقد نيّف على التسعين[٣] .

(*) وابن الحبوبي شهاب الدين أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد بن حمزة بن علي الثعلبي الدمشقي الشاهد[٤] . روى عن ابن الحرستاني[٥] وغيره. وأجاز له المؤيد الطوسي[٦] ، وابن الأخضر[٧] . وتوفي في رجب .

---

(١) هـو أبو الفتوح يوسف بن المبارك بن كامل بن أبي غالب البغدادي الخفاف المقرىء . ولد سنة ٥٢٧ هـ وتوفي سنة ٦٠١ هـ . انظر سير أعلام النبلاء ٩٦/١٣ ، والعبر ٢/٥

(٢) هـو أبو الفـرج عبد المنعم بن عبد الوهاب بن سعد بن صدقة بن خضر بن كليب الحرّاني البغدادي الحنبلي التاجر الآجرّي . ولد سنة ٥٠٠ هـ حدث عنه عبد العزيز بن الصيقل . توفي سنة ٥٩٦ . انظر سير أعلام النبلاء ٥٩/١٣ ، والعبر ٢٩٣/٤ ، والوافي ١١٠/١٩١

(٣) ولد سنة ٥٩٤

(٤) ترجمته في تاريخ الاسلام الجزء الأخير ٦٣ ، والشذرات ٣٩٦/٥

(٥) هو جمال الدين أبو القاسم عبد الصمد بن محمد بن الفضل بن علي بن عبد الواحد الأنصاري الدمشقي الشافعي ، ابن الحرستاني . ولد سنة ٥٢٠هـ وتوفي سنة ٦١٤ هـ . انظر سير أعلام النبلاء ١٣٦/١٣ ،والعبر ٥٠/٥ ، وذيل الروضتين ١٠٦ ، وطبقات السبكي ١٩٦/٨ ، والنجـوم ٢٢٠/٦ ، وتاريخ ابن الفرات ٢٢٧/٥ ، والبداية والنهاية ٧٧/١٣ ، والشذرات ٦٠/٥

(٦) هو رضيّ الدين أبو الحسن المؤيد بن محمد بن علي بن حسن بن محمد ابن أبي صالح الطوسي النيسابوري . ولد سنة ٥٢٤هـ وتوفي سنة ٦١٧ هـ. انظر سير أعلام النبلاء ١٤٢/١٣ ، والعبر ٧١/٥

(٧) هو أبو محمد عبد العزيز بن محمود بن المبارك بن محمود الجنابذي البغدادي =

[٢١٨/ب] (*) وابن القسطلاني الإمام قطب الدين أبو بكر محمد ابن أحمد بن علي المصري ثم المكي[1] . ولد سنة أربع عشرة وست مئة . وسمع من علي ابن البنا[2] ، والشهاب السهروردي[3] ، وجماعة . وتفقّه وأفتى ، ثم رحل سنة تسع وأربعين ، فسمع ببغداد ومصر والشام والجزيرة وكان أحد من جمع العلم والعمل والهيبة والورع . طُلب من مكة ووَلِيَ مشيخة دار الحديث الكاملية[4] بالقاهرة . وتوفي في المحرم .

= التاجر البزاز ، ابن الأخضر . ولد سنة ٥٢٤ هـ وتوفي سنة ٦١١ هـ . انظر سير أعلام النبلاء ١٢٤/١٣ ، والعبر ٣٨/٥ ، والوافي ٢١/١٩

(١) ترجمته في مجمع الآداب في معجم الألقاب ج٤/ق٦٨٦/٢ ، وفي تاريخ الإسلام ٦٤ ، والوافي ١٣٢/٢ ، وفوات الوفيات ٣١٠/٣ ، ومرآة الجنان ٢٠٢/٤ ، وطبقات الشافعية ٤٣/٨ ، والبداية والنهاية ٣١٠/١٣ ، وتاريخ ابن الفرات ٥٩/٨ ، والعقد الثمين ٣٢١/١ ، والسلوك ج١/ق٧٣٨/٢ ، والنجوم ٣٧٣/٧ ، وحسن المحاضرة ٤١٩/١ ، والشذرات ٣٩٧/٥

(٢) هو أبو الحسن علي بن أبي الكرم نصر بن المبارك بن أبي السيد بن محمد الواسطي البغدادي المكي الخلال ، ابن البنا . روى عنه قطب الدين محمد القسطلاني . توفي سنة ٦٢٢ هـ . انظر سير أعلام النبلاء ١٨١/١٣ ، والعبر ٩٠/٥

(٣) هو شهاب الدين أبو حفص وأبو عبد الله عمر بن محمد بن عبد الله القرشي التيمي البكري السَّهرَوَردي الصوفي البغدادي . ولد سنة ٥٣٩ ، وتوفي سنة ٦٣٢ هـ . انظر سير أعلام النبلاء ٢١٣/١٣ ، والعبر ١٢٩/٥

(٤) المدرسة الكاملية : بناها الملك العادل في القاهرة سنة ٦٢١ ، وكان القطب القسطلاني ثامن من درّس فيها . انظر المقريزي ٢١١/٤ ، وحسن المحاضرة ٢٦٢/٢

(*) والدُّنَيْسِري الطبيب الحاذق عماد الدين أبو عبد الله محمد بن عباس ابن أحمد الرَّبَعي[1] . ولد بدُنَيْسِر[2] سنة ست[3] ، وسمع بمصر من علي بن مختار[4] ، وجماعة ، وتفقه للشافعي . وصحب البهاء زهير[5] مدةً ، وتأدّب به وصنّف . وقال الشعر ، وبرع في الطب . توفي في ثامن صفر .

(*) والبدر ابن مالك أبو عبد الله محمد بن العلامة جمال الدين محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني[6] ثم الدمشقي شيخ العربية

---

(١) ترجمته في طبقات الأطباء ٢/٣٦٧ ، وتاريخ الإسلام ـ الجزء الأخير ٦٥ ، والوافي ٣/٢٠٠ ، وفوات الوفيات ٣/٣٩٢ ، والبداية والنهاية ١٣/٣١٠ ، والسلوك ج١/ق٢/٧٣٩ ، والنجوم ٧/٣٧٣ ، والشذرات ٥/٣٩٧

(٢) دُنَيسر بضم أوله . « بلدة عظيمة مشهورة من نواحي الجزيرة قرب ماردين بينها فرسخان » معجم البلدان .

(٣) في تاريخ الاسلام : « سنة خمس أو ست وست مئة ».

(٤) هو جمال الملك أبو الحسن علي بن مختار بن نصر بن طُغان العامري المحلي الاسكندراني ، ويعرف بابن الجمل . ولد سنة ٥٤٨ هـ ، وتوفي سنة ٦٣٨ هـ. انظر سير أعلام النبلاء ١٣/٢٣٨ ، والعبر ٥/١٥٨

(٥) هو بهاء الدين أبو العلاء زهير بن محمد بن علي الأزدي المهلبي المكي القوصي ، الشاعر المشهور . ولد سنة ٥٨١ هـ ، وتوفي سنة ٦٥٦ هـ.وانظر سير أعلام النبلاء ١٣/٣١١ ، والعبر ٥/٢٣٠

(٦) ترجمته في تاريخ الإسلام ـ الجزء الأخير ٦٥ ، والوافي ١/٢٠٤ ، وفوات الوفيات ٣/٤٠٧ ، ومرآة الجنان ٤/٢٠٣ ، وطبقات السبكي ٨/٩٨ ، والسلوك ج١ / ق٢ / ٧٣٨ ، والنجوم الزاهرة ٧/٣٧٣ ، وبغية الوعاة ١/٢٢٥ ، ونفح الطيب ٢/٢٢٢

وقدوة أرباب المعاني والبيان كان ذكياً فهماً عارفاً بالمنطق والأصول والنظر . لكنه كان لعاباً معاشراً . توفي بالقولنج في ثامن المحرم ولم يكتهل .

(*) وأبو صادق جمال الدين محمد بن الشيخ الحافظ رشيد الدين أبي الحسين يحيى بن علي القرشي المصري العطار(١) . سمع من محمد بن عماد(٢)، وابن باقا(٣) ، وطائفة . وكتب وخرّج الموافقات . توفي في ربيع الآخر عن بضع وستين سنة .

سنة سبع وثمانين وست مئة

(*) وفيها توفي أبو العباس الفقيه شرف الدين أحمد بن أحمد بن عبد الله ابن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الحنبلي الفرضي(٤) ، بقية السلف .

---

(١) ترجمته في تاريخ الاسلام اللوحة ٦٦ من الجزء الأخير ، والشذرات ٥ / ٣٩٩

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن عماد بن محمد بن الحسين بن عبد الله بن أبي يعلى الجزري الحراني التاجر . ولد سنة ٥٤٢ ، وتوفي سنة ٦٣٢ هـ. انظر أعلام النبلاء ١٣/٢١٥ ، والعبر ٥/١٩٠

(٣) هو أبو بكر عبد العزيز بن أبي الفتح أحمد بن عمر بن سالم بن محمد ابن باقا السَّيبي « نسبة إلى السَّيب : قرية بالكوفة » البغدادي التاجر العدل المصري ولد سنة ٥٥٥ ، وتوفي سنة ٦٣٠ هـ . انظر تكملة الإكمال ٢٠٧ ، والعبر ٥/١١٩ ، وسير أعلام النبلاء ١٣/٢٠٧

(٤) ترجمته في تاريخ الاسلام اللوحة ٦٧ من الجزء الأخير ، والوافي ٦/٢٣٠ ، والنجوم الزاهرة ٧/٣٧٧ ، والشذرات ٥/٣٩٩

سمع من عم أبيه الموفق(١) ، وجماعة . وتفقه على التقي بن العز(٢) . توفي في المحرم عن ثلاث وسبعين سنة ، وكان يشغل بجامع الجبل(٣) بلا وظيفة وفيه زهد وعبادة وقناعة باليسير ويقظة للسير .

(*) والجمال ابن الحموي ، أبو العباس أحمد بن أبي بكر بن سليمان بن علي الدمشقي(٤) . حضر ابن طَبَرْزَذ(٥) ، وسمع من

(١) الشيخ موفق الدين المقدسي أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدام بن نصر المقدسي الجماعيلي ثم الدمشقي الصالحي الحنبلي، صاحب التصانيف ولد سنة ٥٤١ . وتوفي سنة ٦٢٠ هـ انظر سير أعلام النبلاء ١٣/١٥٨ ، والعبر ٥/٧٩ ، وذيل الروضتين ١٤٨

(٢) هو تقي الدين أبو العباس أحمد بن عز الدين محمد بن عبد الغني المقدسي الصالحي . ولد سنة ٥٩١ هـ ، وتوفي سنة ٦٤٣ هـ .انظر سير أعلام النبلاء ١٣/٢٧٤ والعبر ٥/١٧٤

(٣) هو المشهور بجامع الحنابلة وبالمظفري بسفح قاسيون . الدارس ٢/٤٣٥، وذيل ثمار المقاصد ٢٠٩

(٤) ترجمته في تاريخ الاسلام الجزء الأخير ٦٨ ، والوافي ٦/٢٦٩ ، والدارس ٢/١٤٩ ، والنجوم الزاهرة ٧/٣٧٨ ، والشذرات ٥/٤٠٠

(٥) هو عمر بن محمد بن مُعمّر بن أحمد بن يحيى بن حسان البغدادي الدارَقزّي المؤدب ، ويعرف بابن طبرزذ . والطبرزذ بذال معجمة هو السُّكَّر . مولده سنة ٥١٦ هـ روى عنه الجمال ابن الحموي وعبد الرحيم بن خطيب المزة ، وغيرهما . توفي سنة ٦٠٧ هـ انظر سير أعلام النبلاء ١٣/٢٣٣ ، والعبر ٥/٢٤

الكندي(١) وابن الحرستاني(٢) [٢١٩/ا] . افترى على الحاكم ابن الصائغ(٣) بشهادة فأسقط لأجلها . ومات بدُوَيْرة حَمْد(٤) في ذي الحجة ، وله سبع وثمانون سنة .

(*) وأبو إسحاق اللَّوْري(٥) إبراهيم بن عبد العزيز بن يحيى الرُّعيني الأندلسي المالكي المحدث . ولد سنة أربع عشرة ، وحجّ فسمع من ابن رَوَاج(٦) وطبقته . وسكن دمشق وقرأ الفقه وتقدم في الحديث مع الزهد والعبادة والإيثار والصفات الحميدة والحرمة والجلالة . ناب في القضاء ثم ولي

---

(١) هو تاج الدين أبو اليمن زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن بن سعيد ابن عصمة الكندي البغدادي . ولد سنة ٥٢٠ هـ، وتوفي سنة ٦١٣ هـ. انظر سير أعلام النبلاء ١٢٤/١٣ ، والعبر ٤٤/٥

(٢) تقدمت ترجمته في ص ٥٤١ هـ ٥

(٣) هو القاضي عز الدين ، أبو المفاخر محمد بن عبد القادر بن عبد الخالق ابن خليل بن مقلد بن جابر الأنصاري ، المعروف بابن الصائغ. ولد سنة ٦٢٨ هـ،وتوفي سنة ٦٨٣ هـ. انظر الوافي ٢٧٠/٣ ، والعبر ٣٤٤/٥ ، وقضاة دمشق ٢٧٦ وطبقات الشافعية ٧٤/٨

(٤) ذكر الصفدي أنها بدمشق .

(٥) ترجمته في تاريخ الإسلام ٦٨ من الجزء الأخير ، ومرآة الجنان ٢٠٤/٤ ، والنجوم الزاهرة ٣٧٨/٧ ، والشذرات ٤٠٠/٥ وفيه وفي الأعلام ٤٠/١ : « اللوزي » وعند الذهبي أن نسبته إلى لوْرة ، وهي قلعة في الأندلس من أعمال إشبيلية .

(٦) هو عبد الوهاب بن ظافر بن علي رشيد الدين أبو محمد بن رَوَاج . ولد سنة ٥٥٤هـ. وتوفي سنة ٦٤٨ هـ.انظر سير أعلام النبلاء ٢٧٩/١٣ ،والعبر ٢٠٠/٥

مشيخة دار الحديث الظاهرية . توفي في الرابع والعشرين من صفر بالمُنيبع[1].

(*) والشيخ إبراهيم بن ميعْضاد[2] أبو إسحاق الجعْبَري[3] الزاهد الواعظ المذكّر . روى عن السخاوي[4] وسكن القاهرة . وكان لكلامه وقع في القلوب لصدقه وإخلاصه وصدعه بالحق . توفي في المحرم عن سبع وثمانين سنة وشهر .

(*) وسعد الخير بن أبي القاسم عبد الرحمن بن نصر بن علي ، أبو محمد النابلسي ثم الدمشقي الشاهد[5] . سمع الكثير من ابن البُنّ[6] وزين

(١) في تاريخ الإسلام أنها بظاهر دمشق .

(٢) ترجمته في تاريخ الإسلام ٦٩ من الجزء الأخير ، والوافي ١٤٧/٦ ، ومرآة الجنان ٢٠٤/٤ ، وطبقات السبكي ١٢٣/٨ ، وتاريخ ابن الفرات ٧٢/٨ ، والسلوك ٧٤٦/٢/١ ، والمنهل الصافي ١٦٣/١ ، والنجوم الزاهرة ٣٧٤/٧ ، وحسن المحاضرة ٥٢٣/١ ، والشذرات ٣٩٩/٥

(٣) نسبته إلى جَعْبَر « بالفتح ثم السكون » وهي قلعة على الفرات بين بالس والرقة قرب صفّين « معجم البلدان » .

(٤) هو علم الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد بن عطّاس المصري السخاوي الشافعي نزيل دمشق . ولد سنة ٥٥٨ أو ٥٥٩ وتوفي سنة ٦٤٣ وانظر سير أعلام النبلاء ٢٤٨/١٣ ، والعبر ١٧٨/٥ ، وطبقات الشافعية ٢٩٧/٨ وفيه سرد لمصادر أخرى .

(٥) ترجمته في تاريخ الإسلام اللوحة ٧٠ ، والشذرات ٤٠٠/٥

(٦) هو نفيس الدين أبو محمد الحسن بن علي بن أبي القاسم الحسين بن الحسن ، ابن البُنّ الأسدي الدمشقي الخشاب . ولد سنة ٥٣٧ هـ . حدث عنه سعد الخير ، وتوفي سنة ٦٢٥ وانظر سير أعلام النبلاء ١٨٩/١٣ ، والعبر ١٠٤/٥

الأمناء[١] وطبقتها. توفي في جمادى الآخرة وله سبعون سنة.

(*) وابن خطيب المزّة شهاب الدين عبد الرحيم بن يوسف بن يحيى الموصلي ثم الدمشقي[٢] نزيل القاهرة ومسندها. سمع في الخامسة من حنبل[٣] وابن طَبَرْزَذ[٤] وكان فاضلاً ديّناً ثقة. توفي في تاسع رمضان.

(*) والقطب خطيب القدس، أبو الذكاء عبد المنعم بن يحيى بن إبراهيم القرشي الزهري العوفي النابلسي الشافعي المفتي[٥] المفسّر. سمع من داود ابن ملاعب[٦]، وأبي عبد الله بن البنا[٧]. وأجاز له أبو الفتح المندائي[٨]،

(١) تقدمت ترجمته ص ٥٤٠ هـ ٢

(٢) ترجمته في تاريخ الإسلام الجزء الأخير ٧١، والشذرات ٤٠١/٥

(٣) هو حنبل بن عبد الله الرصافي أبو علي وأبو عبد الله الواسطي البغدادي المكبّر راوي المسند كله عن هبة الله بن الحصين. توفي سنة ٦٠٤ هـ. وانظر سير أعلام النبلاء ٩٨/١٣، والعبر ١٠/٥، وذيل الروضتين ٦٢

(٤) تقدمت ترجمته في ص ٥٤٥ هـ ٥

(٥) ترجمته في تاريخ الإسلام ٧٢، والوافي ١١٤/١٩، وتاريخ ابن الفرات ٧٤/٨، والسلوك ٧٤٦/٢/١، والشذرات ٤٠١/٥

(٦) هو ربيب الدين أبو البركات داود بن أحمد بن محمد بن منصور بن ثابت بن ملاعب البغدادي الأزجي الوكيل عند القضاة. ولد سنة ٥٤٢ وتوفي سنة ٦١٦ وانظر سير أعلام النبلاء ١٣٨/١٣، والعبر ٦٠/٥

(٧) هو نور الدين أبو عبد الله محمد بن أبي المعالي عبد الله بن موهوب ابن جامع بن عبدون البغدادي الصوفي، ابن البنا. ولد سنة ٥٣٦ هـ وتوفي سنة ٦١٢، روى عنه القطب الزهري، وانظر سير أعلام النبلاء ١٣١/١٣، والعبر ٤٣/٥

(٨) هو أبو الفتح محمد بن القاضي أبي العباس أحمد بن بختيار بن علي بن =

وطاقفة . توفي في سابع رمضان وله أربع وثمانون سنة .

(*) وابن النفيس[1] العلامة علاء الدين علي بن أبي الحرم القرشي الدمشقي شيخ الطب بالديار المصرية وصاحب التصانيف وأحد من انتهت إليه معرفة الطب مع الذكاء المفرط والذهن الخارق والمشاركة في الفقه والأصول والحديث والعربية والمنطق[2] [٢٢٠ ب] . توفي في الحادي والعشرين من ذي القعدة ، وقد قارب الثمانين . وقف أملاكه وكتبه على المارستان المنصوري ، ولم يخلف بعده مثله .

(*) والنجيب[3] أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن المؤيد بن علي الهمْداني ثم المصري المحدث . أجاز له ابن طبرزد[4] وعفيفة[5] والكبار . وسمع

محمد المندائي الواسطي ولد سنة ٥١٧ وتوفي سنة ٦٠٥ هـ وانظر سير أعلام النبلاء ١٣/١٠٠ ، والعبر ٥/١٤

(١) ترجمته في طبقات الأطباء ٢/٢٤٩ ، وتاريخ الإسلام ٧٢ ، والوافي ٢١/١٢ ، ومرآة الجنان ٤/٢٠٧ ، وطبقات السبكي ٨/٣٠٥ ، والبداية والنهاية ٣١٣/١٣ ، والسلوك ١/٢/٧٤٦ ، والنجوم الزاهرة ٧/٣٧٧ ، وحسن المحاضرة ٥٤٢/١ ، والدارس ٢/١٣١ ، والشذرات ٥/٤٠١ ، والأعلام ٥/٧٨ ، وفي بعض هذه المصادر « ابن أبي الحزم » بالزاي .وفي الأصل إشارة إهمال فوق الراء .

(٢) يضطرب ترتيب الصفحات في الأصل إذ ترد حوادث سنة ٦٩٥ مقحمة ضمن حوادث سنة ٦٨٧

(٣) ترجمته في تاريخ الإسلام ٧٣ ، والشذرات ٥/٤٠٢

(٤) تقدمت ترجمته في ص ٥٤٥ هـ

(٥) هي عفيفة بنت أحمد بن عبد الله بن محمد ، أم هانئ الفارفانية — نسبة إلى فارفان : من قرى أصبهان — الاصبهانية ولدت سنة ٥١٠ وتوفيت سنة ٦٠٦ وانظر سير أعلام النبلاء ١٣ : ١١٠ ، و العبر ٥/١٧

من عبد القوي بن الجبّاب[١] . وقرأ بنفسه على ابن باقا[٢] ، ثم صار كاتباً[٣] في أواخر عمره ومات في ذي القعدة .

(*) ومحمد بن عبد الخالق بن طرخان ، شرف الدين أبو عبد الله الأموي الاسكندراني[٤] . أجاز له أبو الفخر أسعد بن رَوْح[٥] وسمع من علي ابن البنا[٦] ، والحافظ ابن المفضل ، وطائفة كثيرة . عاش اثنتين وثمانين سنة .

---

(١) هو القاضي الأسعد صفي الملك أبو البركات عبد القوي بن القاضي الجليس أبي المعالي عبد العزيز بن الحسين بن عبد الله بن الحسين ابن الجباب التميمي السعدي الأغلبي المصري المالكي ولد سنة ٥٣٦ هـ . حدث عنه النجيب محمد بن أحمد الهمداني . وتوفي سنة ٦١١ هـ. وانظر سير أعلام النبلاء ١٨٠/١٣ ، والعبر ٨٣/٥ والمشتبه ١٣٨

(٢) تقدمت ترجمته في ص ٥٤٤ هـ ٣

(٣) في الأصل « كاتب » .

(٤) ترجمته في تاريخ الإسلام ٧٣/ب ، والوافي ٢١٩/٣ ، والشذرات ٤٠٣/٥

(٥) هو أبو الفخر أسعد بن سعيد بن محمود بن محمد بن رَوْح الاصبهاني التاجر ، ابن أبي الفتوح . ولد سنة ٥١٧ ، وتوفي سنة ٦٠٧ وانظر أعلام النبلاء ١١٣/١٣ ، والعبر ٢١/٥

(٦) هو أبو الحسن علي بن أبي الكرم نصر بن المبارك بن أبي السيد بن محمد الواسطي الأصل البغدادي ثم المكي الخلال ، ابن البنا ، راوي الجامع للترمذي عن عبد الملك الكروخي ، حدث عنه محمد بن عبد الخالق بن طرخان الأموي . مات سنة ٦٢٢ انظر سير أعلام النبلاء ١٨١/١٣ ، والعبر ٩٠/٥

(*) والحاج ياسين المغربي الحجام الأسود[1]. كان جرائحياً على باب الجابية. وكان صاحب كشف وحال. وكان النووي[2] رحمه الله يزوره ويتلمذ له. توفي في ربيع الأول وقد قارب الثمانين.

[٢١٩/ب] سنة خمس وتسعين وست مئة

(*) استهلت وأهل الديار المصرية في قحط شديد ووباء مفرط حتى أكلوا الجيف، وأما الموتى فيقال أخرج في يوم واحد ألف وخمس مئة جنازة، وكانوا يحفرون الحفائر الكبار، ويدفنون الجماعه الكثيرة. وبلغ الخبز كل رطل وثلث بالمصري بدرهم نقرة.

(*) وفيها قدم علينا شيخ الشيوخ صدر الدين إبراهيم بن الشيخ سعد الدين حمويه الجويني[3] طالبَ حديث، فسمع الكثير. وروى لنا عن أصحاب المؤيد الطوسي[4] وأخبر أن ملك التتار غازان بن أرغون[5] أسلم

(١) ترجمته في تاريخ الإسلام ٧٤ وفيه « ياسين بن عبد الله المغربي »، ومرآة الجنان ٢٠٦/٤، والشذرات ٤٠٣/٥

(٢) هو الشيخ محيي الدين النووي أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري بن حسن الشافعي. ولد سنه ٦٣١ وتوفي سنة ٦٧٧. وانظر العبر ٣١٢/٥، وطبقات السبكي ٣٩٥/٨، ومعجم المؤلفين ٢٠٢/١٣ وفيها سرد لمصادر أخرى كثيرة

(٣) انظر مرآة الجنان ٢٣٧/٤، والشذرات ٤٢٨/٥

(٤) تقدمت ترجمته في ص ٥٤١ هـ ٦

(٥) هو صاحب الشرق محمود غازان بن أرغون بن أبغا بن هولاكو. تولى الملك سنة ٦٩٣ هـ، وأسلم في السنة ذاتها وتوفي سنة ٧٠٣، انظر ذيول العبر ٢٦، والنجوم الزاهرة ٢١٢/٨

على يده بوساطة نوروز وكان يوماً مشهوداً .

(*) وأما دمشق فاستسقى الناس وبلغ الخبز كل عشر أواق بدرهم في جمادى الآخرة وارتفع فيه الوباء والقحط عن مصر ونزل الاردب[*] إلى خمسة وثلاثين درهماً ، فرحلت إليها حينئذ بإذن والدي .

(*) وفي ذي القعدة قدم الملك العادل كَتْبُغَا[(١)] دمشق وسار إلى حمص .

(*) وفيها في ربيع الآخر قتل جماعة من حراس دمشق ، فاختبط البلد ثم بعد أيام أخذ حرفوش ناقص العقل فاعترف أنه كان يأتي إلى الحارس، وهو نائم ، فيضربه على يافوخه بحجر يقتله حتى قتل عشرة ، فسمّروه

(*) وفيها توفي أحمد بن حمدان بن شبيب بن حمدان العلامة الكبير شيخ الفقهاء نجم الدين أبو عبد الله الحراني النميري الحنبلي[(٢)] مصنف الرعاية الكبيرة . توفي في صفر بالقاهرة وله اثنتان وتسعون سنة . روى عن الحافظ عبد القادر الرهاوي [(٣)] وفخر الدين ابن تيمية [(٤)] ، وطائفة ، وانتهت إليه معرفة المذهب .

---

(١) هو الملك العادل زين الدين كتبغا بن عبد الله المنصوري التركي المغلي أصله من التتار من سبي وقعة حمص الأولى سنة ٦٥٩ هـ ، أخذه الملك المنصور قلاوون وأدبه ثم أعتقه ، وجعله من مماليكه ثم رقاه حتى صار من أكابر أمرائه واستمر على ذلك في الدولة الأشرفية إلى أن قتل سنة ٧٠٢ هـ . انظر الوافي ١٥١/٢٤ ، وذيول العبر ٢٢ ، والنجوم الزاهرة ٥٥/٨ ، والدرر الكامنة ٢٦٢/٣

(٢) ترجمته في تاريخ الاسلام ١٧٣ ، والوافي ٣٦٠/٦ ، وتاريخ ابن الفرات ٢١٥/٨ ، والمنهل الصافي ٢٧٢/١ ، والشذرات ٤٢٨/٥ ، والأعلام ١١٦/١

(٣) هو أبو محمد عبد القادر بن عبد الله الرهاوي الحنبلي . ولد سنة ٥٣٦ هـ =

(*) وأحمد بن عبد الباري الشيخ أبو العباس الداري الصعيدي ثم الاسكندراني[١] المؤدب الرجل الصالح . قرأ القراءات على أبي القاسم بن عيسى[٢] وأكثر عنه وعن الصفراوي[٣] . توفي في أوائل السنة عن ثلاث وثمانين سنة .

(*) والمنقذي أبو الفضائل أحمد بن [٢٢٠/أ] عبد الرحمن بن محمد

= حدث عنه نجم الدين أبو عبد الله بن حمدان وهو آخر من روى عنه موتاً . توفي سنة ٦١٢ ، انظر سير أعلام النبلاء ١٣٣/١٣ ، والعبر ٤١/٥

(٤) وهو فخر الدين أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله ، ابن تيمية الحراني الحنبلي صاحب ديوان الخطب والتفسير الكبير . ولد سنة ٥٤٢ هـ . وتوفي سنة ٦٢٢ . وانظر سير أعلام النبلاء ١٩٢/١٣ ، والعبر ٩٢/٥ ، والأعلام ٣٤٥/٥ وفيه سرد لمصادر أخرى كثيرة .

(١) ترجمته في تاريخ الإسلام الجزء الأخير ١٧٤ ، وفي الوافي ١٢/٧ ، وغاية النهاية ٦٥ ، والمنهل الصافي ٣١٠/١ ، والشذرات ٤٢٩/٥ .

(٢) هو أبو القاسم عيسى بن عبد العزيز بن عيسى اللخمي الشريشي ثم الاسكندراني المقرىء . توفي سنة ٦٢٩ هـ . وانظر سير أعلام النبلاء ١٩٨/١٣ ، والعبر ١٢٦/٥

(٣) هو جمال الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد المجيد بن إسماعيل بن عثمان بن يوسف بن الحسين بن حفص ، ابن الصفراوي – نسبة إلى الصفراء التي عند بدر – الاسكندري الفقيه المالكي المقرىء . ولد سنة ٥٤٤ هـ ، وتوفي سنة ٦٣٦ هـ ، وانظر سير أعلام النبلاء ٢٣٠/١٣ ، والعبر ١٥٠/٥

الحسيني الدمشقي(١) خادم مصحف مشهد علي بن الحسين . روى عن ابن غسّان(٢) ، وابن صبّاح(٣) وجماعة . وله حضور على ذرع بن فارس . توفي في ذي الحجة .

(*) والشريف عز الدين نقيب الأشراف أبو العباس أحمد بن محمد ابن عبد الرحمن الحسيني الحلبي ثم المصري(٤) الحافظ المؤرخ ، روى عن فخر القضاة أحمد بن الجبّاب(٥) ، وأكثر عن أصحاب البوصيري(٦) ، وعني بالحديث وبالغ . توفي سادس المحرم .

---

(١) ترجمته في تاريخ الإسلام : الجزء الأخير ١٧٤ ، والشذرات ٤٣٠/٥

(٢) هو الأمير سيف الدولة أبو عبد الله محمد بن غسان بن غافل بن نجار ابن غسان بن تامر الأنصاري الخزرجي الحمصي . ولد سنة ٥٥٢ هـ ، وقدم دمشق وهو صبي ، حدث عنه أحمد بن عبد الرحمن المنقذي وغيره . توفي سنة ٦٣٢هـ. وانظر سير أعلام النبلاء ٢١٥/١٣ ، والعبر ١٣١/٥

(٣) هو أبو صادق الحسن بن يحيى بن صبّاح بن حسين بن علي المخزومي المصري الكاتب أحد شهود الخزانة بدمشق . مولده بمصر سنة ٥٤١ هـ . وتوفي سنة ٦٣٢ هـ ، وانظر سير أعلام النبلاء ٢١٣/١٣ والعبر ١٢٨/٥

(٤) ترجمته في تاريخ الاسلام الجزء الأخير ١٧٥ ، والسلوك ٨٣١/٢/١ ، وحسن المحاضرة ٣٥٧/١ ، والشذرات ٤٣٠/٥

(٥) هو أبو الفضل أحمد بن أبي عبد الله محمد بن أبي المعالي عبد العزيز ، ابن الجباب ، توفي سنة ٦٤٨ هـ وانظر العبر ١٩٨/٥ وسير أعلام النبلاء ٢٧٩/١٣ ، وتوضيح المشتبه ـ مخطوطة الظاهرية ـ ١٧٥/١ ب ، والوافي ٥٥/٨ والشذرات ٢٤٠/٥ وفيها وفي النجوم ٢٢/٧ « ابن الحباب » .

(٦) هو أمين الدين أبو القاسم سيد الأهل هبة الله بن علي بن سعود =

(*) وقاضي الحنابلة الامام شرف الدين حسن بن الشرف عبد الله ابن الشيخ أبي عمر بن قدامة المقدسي[1]. ولي القضاء بعد نجم الدين ابن الشيخ[2] وإلى أن توفي في شوال وله سبع وخمسون سنة.

(*) وبنت الواسطي الزاهدة العابدة أم محمد زينب بنت علي بن أحمد بن فضل الصالحة[3]. روت عن الشيخ الموفق[4] وتوفيت في المحرم، وقد قاربت التسعين.

(*) والتقي شبيب بن حمدان الحراني الطيب الكحال الشاعر[5]. له

= » في العبر وحسن المحاضرة: مسعود » بن ثابت بن هاشم بن غالب الأنصاري الخزرجي البوصيري المصري، ولد سنة ٥٠٦ هـ وتوفي سنة ٥٩٨ انظر سير أعلام النبلاء ٩٠/١٣، والعبر ٣٠٦/٥، وحسن المحاضرة ٣٧٥/١

(١) ترجمته في تاريخ الإسلام الجزء الأخير ١٧٦ ب، والوافي ٣٧/١٢ ب، وتاريخ ابن الفرات ٢١٦/٨، والسلوك ٨١٧/٢/١، والشذرات ٤٣٠/٥، والمنهج الأحمد ٤٠٦/٢، وقضاة دمشق ٢٧٤

(٢) هو أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الصالحي قاضي القضاة نجم الدين أبو العباس بن قاضي القضاة شيخ الإسلام شمس الدين أبي محمد بن الشيخ أبي عمر. ولد سنة ٦٥١ هـ وتوفي سنة ٦٨٩ هـ، انظر المنهج الأحمد ٤٠٢/٢، وقضاة دمشق ٢٧٣، والمنهل الصافي ٣١٠/١، والنجوم الزاهرة ٣٨٥/٧، والقلائد الجوهرية ٣٦٦

(٣) ترجمتها في تاريخ الإسلام ١٧٧، ومرآة الجنان ٢٢٨/٤، والشذرات ٤٣٠/٥

(٤) تقدمت ترجمته في ص ٥٤٠ هـ ٣

(٥) ترجمته في تاريخ الإسلام ١٧٨، والوافي ٢٨/١٤، وفوات الوفيات ٩٨/٢ وحسن المحاضرة ٥٤٣/١، والشذرات ٤٢٩/٥، والأعلام ٢٢٨/٣ « ووفاته فيه سنة ٦٧٥ »

نظم فائق وتقدم في الطب ، روى عن أبي الحسن بن روزبة(١) وغيره . توفي في هذه السنة بمصر .

(*) وابن قوام العدل الصالح كمال الدين أبو محمد عبد الله بن محمد ابن نصر بن قوام بن وهب الرصافي ثم الدمشقي(٢) ثنا عن القزويني(٣) وابن الزبيدي(٤) . ومات فجأة في ذي القعدة ، وله ثمانون سنة رحمه الله .

(*) وابن رزين الامام صدر الدين عبد البر بن قاضي القضاة تقي الدين محمد(٥) . توفي في رجب . وولي بعده تدريس القيمرية إمام الدين

---

(١) هو أبو الحسن علي بن أبي بكر بن رُوزبة بن عبد الله البغدادي القلانسي العطار الصوفي . ولد سنه نيف وأربعين وتوفي سنة ٦٣٣ هـ ، انظر سير أعلام النبلاء ١٣ ٢١٧ ، والعبر ٥/١٣٤

(٢) ترجمته في تاريخ الإسلام الجزء الأخير ١٢٨ ، والشذرات ٥/٤٣٠

(٣) هو مجد الدين أبو المجد محمد بن الحسين بن أبي المكارم أحمد بن حسين ابن بهرام القزويني الصوفي . ولد سنة ٥٤ هـ بقزوين . حدث عنه الكمال عبد الله بن قوام . توفي سنة ٦٢٢ هـ . وانظر سير أعلام النبلاء ١٢/١٨٢ ، والعبر ٥/٩٢

(٤) هو سراج الدين أبو عبد الله الحسين بن أبي بكر المبارك بن محمد بن يحيى ابن مُسلّم الرَّبعي الزَّبيدي الأصل البغدادي الحنبلي . ولد سنة ٥٦٥ أو ٥٤٦ حدث عنه الكمال بن قوام ، توفي سنة ٦٣١ وانظر سير أعلام النبلاء ١٣/٢٠٩ والعبر ٥/١٢٤

(٥) ترجمته في تاريخ الإسلام ١٧٨ ، والوافي ١٨/٨ ، ومرآة الجنان ٤/٢٢٨ والشذرات ٥/٤٣١ ، والدارس ١/٤٤٤

القزويني[١] الذي ولي القضاء .

(*) وابن بنت الأعز قاضي الديار المصرية تقي الدين عبد الرحمن ابن قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب العلامي[٢] الشافعي . وولي بعده ابن دقيق العيد[٣] شيخنا . توفي في جمادى الأولى كهلاً .

(*) وابن الفاضل الشيخ سعد الدين عبد الرحمن بن علي بن القاضي الأشرف أحمد بن القاضي الفاضل[٤] ، سمع من عبد الصمد الغضاري[٥] ..

---

(١) هو إمام الدين أبو المعالي عمر بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن الحسين بن علي بن أحمد بن خلف التميمي العجلي القزويني . ولد سنة ٦٥٣ ﻫ درس بالقيمرية بعد صدر الدين عبد البر بن تقي الدين بن رزين . توفي سنة ٦٩٩ ﻫ . انظر العبر ٥/٤٠٢ ، والدارس ١/١٩٦

(٢) ترجمته في الوافي ١٨/٦٤ ، وفوات الوفيات ٢/٢٧٩ ، وتاريخ الإسلام ١٧٩ ، ومرآة الجنان ٤/٢٢٨ « واسمه فيه عبد الرحيم » ، وطبقات السبكي ٨/١٧٢ ، والبداية والنهاية ١٣/٣٤٦ ، وتاريخ ابن الفرات ٨/٢١٧ ، والسلوك ١/٢/٨١٧ ، والنجوم الزاهرة ٨/٨٢ ، وحسن المحاضرة ١/٤١٥ ، ٢/١٦٨ ، والشذرات ٥/٤٣١

(٣) هو تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري ، ابن دقيق العيد المصري . ولد سنة ٦٢٥ ﻫ وتوفي سنة ٧٠٢ . ولي القضاء بعد تقي الدين عبد الرحمن بن القاضي تاج الدين ابن بنت الأعـز سنة ٩٥ ﻫ . انظر فوات الوفيات ٣/٤٤٢ ، والنجوم ٨/٢٠٦ ، والدرر الكامنة ٤/٩٢ ، وحسن المحاضرة ١/٣١٧ ، والشذرات ٦/٥

(٤) ترجمته في الوافي ١٨/٧٣ ، وتاريخ الإسلام الجزء الأخير ١٧٩ ، وحسن المحاضرة ١/٣٨٥ ، والشذرات ٥/٤٣١

(٥) بهذه اللفظة تنقطع حوادث سنة ٦٩٥ التي وردت مقحمة خلال حوادث سنة ٦٨٧

[٢٢٨ ب] سنة ست وتسعين وست مئة

(*) توجه الملك العادل[١] إلى مصر ، فلما كان باللجون[٢] وثب حسام الدين لاجين المنصوري[٣] على بُتْخاص وبكتوت الأزرق[٤] فقتلها وكانا جناحي أستاذهما العادل ، فخاف وركب سرّاً وهرب في أربعة مماليك ، وساق إلى دمشق ، فدخل القلعة ، فلم ينفعه ذلك . وزال ملكه وخضع المصريون لحسام الدين ولم يختلف عليه اثنان ولقّبه بالملك المنصور ، وأخذ العادل تحت الحوطة فأسكن بقلعة صَرْخَد[٥] وقنع بها .

---

(١) هو كَتْبُغا بن عبد الله المنصوري زين الدين الملقب بالملك العادل . ولد ٦٣٩ هـ من ملوك المماليك البحرية في مصر والشام . أصله من سبي التتار ، وجعله الملك قلاوون من مماليكه ، وإليه ينسب . وحين تولى محمد بن قلاوون وكان صغيراً خلعه وتسلطن سنة ٦٩٤ ولكن لاجين اضطره إلى أن يخلع نفسه سنة ٦٩٦ هـ . توفي سنة ٧٠٢ هـ . وانظر الوافي ٢٤/١٥١ ، والفوات ٣/٢١٨ ، والسلوك ١/٨٠٦ — ٨٢٠ ، والنجوم ٨/٥٥ ، والدرر الكامنة .

(٢) اللجون : بفتح أوله وضم ثانيه : بلد بالأردن بين طبرية والرملة .

(٣) هو لاجين حسام الدين بن عبد الله المنصوري من ملوك دولة المماليك البحرية بمصر والشام وهو الحادي عشر . ولد سنة ٦٢٥ هـ . وتوفي سنة ٦٩٨ هـ . كان مملوكاً للمنصور قلاوون وإليه ينسب . ولي السلطنة سنة ٦٩٥ . انظر الوافي ٢٤/١٨١ ، والسلوك ١/٨٢٠ — ٨٦٥ ، والنجوم ٨/٨٥

(٤) انظر السلوك ١/٨٢٠

(٥) صَرْخَد : بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق وهي قلعة حصينة وولاية حسنة واسعة . « معجم البلدان » .

(*) وفيها توفي ابن الأغلاقي أبو العباس أحمد بن عبد الكريم بن غازي الواسطي ثم المصري[1] . روى لنا عن عبد القوي بن الجبّاب[2] وابن باق[3] ، وكان إمام مسجد . توفي في صفر عن ست وثمانين سنة .

(*) وابن الظاهري الحافظ الزاهد القدوة جمال الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الله الحلبي الحنفي المقرىء المحدث[4] توفي بزاويته بالمقس[5] بظاهر القاهرة في ربيع الأول ، وله سبعون سنة . كان أحد من عُني بهذا الشأن . وكتب عن سبع مئة شيخ بالشام والجزيرة ومصر . وحدّث عن ابن اللتي[6] والإربلي[7] فمن بعدهما ، وما زال في طلب

(١) ترجمته في تاريخ الإسلام الجزء الأخير ١٨٧ ، وتذكرة الحفاظ ٤/٢٦١ ، وحسن المحاضرة ١/٣٨٥ ، والشذرات ٥/٤٣٤

(٢) تقدمت ترجمته في ص ٥٠٠ ه ١

(٣) تقدمت ترجمته . ص ٥٤٤ ه ٣

(٤) ترجمته في الوافي ٨/٣٦ ، وتاريخ الإسلام ١٨٧ ، وتذكرة الحفاظ ٤/٢٦٠ ، وطبقات القراء ١/١٢٢ ، والسلوك ١/٢/٨٣٠ ، وحسن المحاضرة ١/٣٥٧ والدارس ١/١١٤ ، والشذرات ٥/٤٣٥ ، ومنادمة الأطلال ٦١

(٥) المقس : بالفتح ثم السكون وسين مهملة وهو بين يدي القاهري على النيل . معجم البلدان .

(٦) هو أبو المنجا عبد الله بن عمر بن علي بن زيد ، ابن اللتي البغدادي الحريمي القزاز . ولد سنة ٥٤٥ . روى عنه ابن الظاهري . توفي سنة ٦٣٥ وانظر سير أعلام النبلاء ١٣/٢٢٣ ، والعبر ٥/١٤٣

(٧) هو فخر الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن مسلم بن سلمان الاربلي الصوفي . ولد سنة ٥٥٩ أو ٥٦٠ حدث عنه أبو العباس بن الظاهري . توفي سنة ٦٣٣ هـ . وانظر سير أعلام النبلاء ١٣/٢١٩ ، والعبر ٥/١٣٥

الحديث وإفادته وتخريجه إلى آخر أيامه .

(*) والنفيس إسماعيل بن محمد بن عبد الواحد بن صدقة الحرّاني ثم الدمشقي(١) ناظر الأيتام وواقف النفيسيّة(٢) بالرصيف(٣) . روى عن مُكْرَم القرشي(٤) . وتوفي في ذي القعدة عن نحو سبعين سنة .

(*) والضياء جعفر بن محمد بن عبد الرحيم أبو الفضل الحسيني المصري الشافعي(٥) المفتي أحد كبار الشافعية . روى لنا عن سبط السلفي . ومات في ربيع الأول عن ثمان وسبعين سنة .

(*) والضياء دانيال بن مَنكلي الشافعي(٦) قاضي الكَرَك . قرأ

(١) ترجمته في تاريخ الاسلام الجزء الأخير ١٨٩ ، والشذرات ٤٣٥/٥

(٢) كانت تقع قرب حمام القيشاني ثم درست . انظر الدارس ١١٤/١، ومنادمة الأطلال ٦٠

(٣) كانت مع المدرسة تقع قرب مايعرف اليوم بحمام القيشاني ، وقد درسا قبل زمن بدران . انظر منادمه الأطلال ٦٠

(٤) هو مُكرَم بن محمد بن حمزة بن محمد بن أحمد بن سلامة بن أبي جميل بن أبي الصقر ، أبو المفضل نجم الدين القرشي الدمشقي التاجر . ولد سنة ٥٤٨ هـ . توفي سنة ٦٣٥ . انظر سير أعلام النبلاء ٤٥٤/١٣ ، والعبر ١٤٦/٥ « وفيه مكرّم ».

(٥) ترجمته في الوافي ٦٨/١١ « وفيه اسم جده : عبد الكريم بدل عبد الرحيم » وتاريخ الاسلام ١٨٩ ، والطالع السعيد ١٨٢ ، وطبقات الشافعية ١٣٧/٨ ، وحسن المحاضرة ٤٢٠/٦ ، والشذرات ٤٣٥/٥

(٦) ترجمته في الوافي ١٧٢/١٣ ، وتاريخ الاسلام ١٨٩ ، والشذرات ٤٣٥/٥

على السخاوي(١) . وسمع من ابن اللتي(٢) وابن الخازن(٣) وطائفة [١٢٩ ا] وكان له رُواءُ ومنظر ، ولديه فضائل . توفي في رمضان .

(*) والتاج عبد الخالق بن عبد السلام بن عبد السلام بن سعيد بن علوان ، أبو محمد البعلبكي القاضي(٤) . فقيه ، عالم ، جيد المشاركة في الفنون ، ذو حظ من عبادة وتواضع . روى عن الشيخ الموفق(٥) ، والقزويني(٦) ، والبهاء عبد الرحمن(٧) . توفي في تاسع المحرم ، وله ثلاث وتسعون سنة .

(*) وقاضي الحنابلة بالقاهرة عز الدين عمر بن عبد الله بن عمر بن عوض المقدسي(٨) . محمود القضايا ، عمدة في الأحكام ، متثبت ، مليح

---

(١) تقدمت ترجمته في ص ٥٤٧ هـ ٤ (٢) تقدمت ترجمته في ص ٥٥٩ هـ ٦

(٣) هو أبو بكر محمد بن سعيد « في العبر : أسعد » بن أبي البقاء الموفق بن علي بن الخازن النيسابوري ثم البغدادي الصوفي . ولد سنة ٥٥٦ هـ وتوفي سنة ٦٤٣هـ وانظر سير أعلام النبلاء ٢٤٩/١٣ ، والعبر ١٧٩/٥

(٤) ترجمته في الوافي ٣١/١٨ ب ، وتاريخ الاسلام الجزء الأخير ١٩٠ ، وتذكرة الحفاظ ٢٦١/٤ ، والشذرات ٤٣٥/٥

(٥) تقدمت ترجمته في ص ٥٤٠ هـ ٣

(٦) تقدمت ترجمته في ص ٥٥٧ هـ ١

(٧) هو بهاء الدين أبو محمد عبد الرحمن بن إبراهيم بن أحمد بن عبد الرحمن ابن إسماعيل بن منصور المقدسي الحنبلي شارح المقنع . ولد سنة ٥٥٥ ، روى عن التاج عبد الخالق . وتوفي سنة ٦٢٤ ، انظر سير أعلام النبلاء ١٨٨/١٣ ، والعبر ٩٩/٥

(٨) ترجمته في الوافي ١٨٩/٢٢ ، وتاريخ الاسلام ١٩١ ، وتذكرة الحفاظ ٢٦٢/٤ ، والسلوك ٨٢٠/٢/١ ، وحسن المحاضرة ١٩١/٢ ، والشذرات ٤٣٦/٥

الشكل . روى عن ابن اللتي [١] حضوراً ، وعن جعفر الهمداني [٢] توفي في صفر وله خمس وستون سنة .

(*) والضياء السبْتي أبو الهدى عيسى بن يحيى بن أحمد بن محمد الأنصاري الشافعي الصوفي المحدث [٣] . ولد سنة ثلاث عشرة وست مئة ، وقدم مع أبيه فحج ولبس الخرقة مع السهروردي [٤] وسمع وقرأ الكثير على يوسف بن المخيلي [٥] والصفراوي [٦] وابن المقيّر [٧] . توفي بالقاهره فجأة

---

(١) تقدمت ترجمته في ص ٥٥٩ هـ ٣

(٢) هو أبو الفضل جعفر بن علي بن هبة الله بن جعفر بن يحيى الهمداني الاسكندراني المالكي . مولده سنة ٥٤٦ ، ووفاته سنة ٦٣٦ . وانظر سير أعلام النبلاء ٢٢٨/١٢ ، والعبر ١٤٩/٥

(٣) ترجمته في تاريخ الاسلام ١٩١ ، وتذكرة الحفاظ ٢٦٢/٤ ، وحسن المحاضرة ٣٨٥/١ ، والشذرات ٤٣٦/٥ « وفي المصدرين الأخيرين : « السَّبتي » وفي الشذرات نسبته إلى موضع ، وفي معجم ياقوت أن الموضع سَبَن ، وإليه ينسب السَّبنية ضرب من الثياب يتخذ من الكتان أغلظ مايكون وهي مدينة قرب بغداد وانظر المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب لدوزي ١٦٥ .

(٤) تقدمت ترجمته في ص ٥٤٢ هـ ٣

(٥) هو جمال الدين أبو الفضل يوسف بن عبد المعطي بن منصور بن نجا بن منصور الغساني الاسكندراني ابن المخيلي المالكي ، ومَخِيل من بلاد برقة . ولد سنة ٥٦٨ هـ وتوفي سنة ٦٤٢ . وانظر سير أعلام النبلاء ٢٤٧/١٣ ، والعبر ١٧٣/٥

(٦) تقدمت ترجمته في ص ٥٥٣ هـ ٣

(٧) هو أبو الحسن علي بن أبي عبيد الله الحسين بن علي بن منصور ، ابن المقيّر البغدادي الأزجي المقرىء الحنبلي النجار . ولد سنة ٥٤٥ وحدث عنه السبتي وتوفي سنة ٦٤٣ هـ . وانظر سير أعلام النبلاء ٤٩٤/١٣ ، والعبر ١٧٨/٥

في رجب وله ثلاث وثمانون سنة .

(*) ومحمد بن بَلَنْغزا البعلبكي[(١)] . رجل مبارك . ثنا عن البهاء عبد الرحمن[(٢)] .

(*) والتلّعفري الشيخ محمد بن جوهر الصوفي المقرىء[(٣)] . قرأ على أبي إسحاق بن وَثيق[(٤)] ، وأقرّن مدة وكان عارفاً بالتجويد . روى عن يوسف بن خليل[(٥)] ، وغيره . توفي بدمشق في صفر .

(*) ومحمد بن حازم بن حامد بن حسن الشيخ شمس الدين المقدسي الصالحي الحنبلي[(٦)] . شيخ عالم صالح مهيب حسن السمت كثير العبادة .

---

(١) ترجمته في تاريخ الاسلام ١٩٢ وفيه : « محمد بن بلغزا بن محمد بن بلغزا بن داره بن رستم الشيخ قمر الدين البعلبكي الحنبلي . رجل عامي ديّن مكثر عن البهاء عبد الرحمن . ولد في نصف جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة ، وسمع منه جماعة من الكبار ببعلبك وكتب إليّ بوفاته شيخنا أبو الحسين في المحرم » .

(٢) تقدمت ترجمته في ص ٦١ ٥ ٧ هـ

(٣) ترجمته في تاريخ الاسلام ١٩٢ ، وفي الوافي ٢/٣١٤ ، والشذرات ٥/٤٣٦

(٤) هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن وثيق الأموي مولاهم المغربي الاشبيلي المقرىء . مولده سنة ٥٦٧ ، تلا عليه محمد بن جوهر التلعفري وتوفي سنة ٦٥٤ . وانظر سير أعلام النبلاء ١٣/٢٩٧ ، والعبر ٥/٢١٧

(٥) هو يوسف بن خليل بن قراجا عبد الله أبو الحجاج شمس الدين الدمشقي الأدمي الاسكاف . ولد سنة ٥٥٥ هـ . حدث عنه محمد بن جعفر التلعفري . وتوفي سنة ٦٤٨ هـ . وانظر سير أعلام النبلاء ١٣/٢٥٧ ، والعبر ٥/٢٠١

(٦) ترجمته في تاريخ الاسلام الجزء الأخير ١٩٢ ، وتذكرة الحفاظ ٤/٢٦٢ والشذرات ٥ / ٤٣٦ .

روى عن أبي القاسم بن صصرى[١] وابن غسّان[٢]. وحدث بالصحيح عن ابن الزّبيدي[٣] توفي في ذي الحجة عن ست وسبعين سنة.

(*) والضياء ابن النُّصيبي محمد بن محمد بن عبد القاهر الحلبي الكاتب[٤]. وزر لصاحب حماة. وحدث عن ابن رُوزبة[٥]، والموفق عبد اللطيف[٦]. توفي في رجب.

(*) والرَّضيّ محمد بن أبي بكر بن خليل العثماني المكي[٧] الشافعي المفتي النحوي الزاهد. شيخ الحرم وفقيهه. روى عن ابن الجُمَّيزي[٨] وغيره.

---

(١) هو شمس الدين أبو القاسم الحسين بن أبي الغنائم هبة الله بن محفوظ بن صَصْرَى الربعي التغلبي الجزري البلدي الدمشقي. ولد سنة بضع وثلاثين وخمس مئة وتوفي سنة ٦٢٦. وانظر سير أعلام النبلاء ١٣/١٩٠، والعبر ٥/١٠٥

(٢) تقدمت ترجمته في ص ٥٥٤ هـ ٢

(٣) تقدمت ترجمته في ص ٥٥٦ هـ ٤

(٤) ترجمته في تاريخ الاسلام ١٩٢، والسلوك ١/٢/٨٣٠، والشذرات ٥/٤٣٧

(٥) تقدمت ترجمته في ص ٥٥٦ هـ ١

(٦) تقدمت ترجمته في ص ٥٤٠ هـ ٣

(٧) ترجمته في تاريخ الإسلام : الجزء الأخير ١٩٣. والوافي ٢/٢٦٤، والعقد الثمين ١/٤٢٨ و ٢/٥٩، والشذرات ٥/٤٣٧

(٨) هو بهاء الدين أبو الحسن علي بن هبة الله بن سلامة بن مسلم اللخمي المصري الشافعي الجُمَّيزي. ولد سنة ٥٥٩ هـ روى عن الرضيّ الطبري. توفي سنة ٦٤٩ هـ وانظر سير أعلام النبلاء ١٣/٢٨٤ والعبر ٥/٢٠٣

[٢٢٩ ب] (*) ومحمد بن أبي بكر بن بطيخ أبو عبد الله الدمشقي[١] . روى لنا عن الناصح وكان ينادي ويتبلغ . توفي في صفر عن ثمان وسبعين سنة .

(*) وابن العدل محيي الدين يحيى بن محمد بن عبد الصمد الزَّبداني[٢] مدرس مدرسة جدّه . مابالزبداني عن ابن الزَّبيدي[٣] وابن اللتي[٤] . توفي في المحرم .

(*) وابن عطاء أبو المحاسن يوسف بن قاضي القضاة شمس الدين عبد الله ابن محمد بن عطاء الأذرعي الحنفي[٥] . روى عن ابن الزَّبيدي[٣] وغيره . توفي في ربيع الأول عن ست وسبعين سنة .

(*) وأبو تغلب بن أحمد بن أبي تغلب الفاروثي الواسطي[٦] . سمع

---

(١) ترجمته في الشذرات ٥/٤٣٧ وفي تاريخ الإسلام ١٩٣ وفيه : « محمد بن أبي بكر بن بركات بن يوسف بن بطيخ . شيخ متعفف رث الحال دلال في سوق الرحبة ، ولد بين منجار ورأس عين في حدود العشرين . وكان أبوه معماراً للملك الأشرف وقدم دمشق في خدمته . وسمع محمد من ابن الزَّبيدي وابن اللتّي والناصح ابن الحنبلي وكتب عنه الطلبة . وسمعت منه . ومات في صفر ، في أواخره . وكان ديناً مصلياً رحمه الله » .

(٢) ترجمته في تاريخ الإسلام ١٩٣ ، وتذكرة الحفاظ ٤/٢٦٢ ، وفيه « السلمي الزنداني » ، ومرآة الجنان ٤/٢٢٨ ، والشذرات ٥/٤٣٧

(٣) تقدمت ترجمته ٥٥٦ ه ٤ (٤) تقدمت ترجمته في ص ٥٥٩ ه ٦

(٥) ترجمته في تاريخ الاسلام الجزء الأخير ١٩٤ ، وتذكرة الحفاظ ٤/٢٦٢ ، والشذرات ٥ / ٤٣٧

(٦) ترجمته في تاريخ الاسلام ١٩٤ ، وتذكرة الحفاظ ٤/٢٦٢ « وفيه أبو ثعلب بن أحمد بن أبي ثعلب » ، والشذرات ٥/٤٣٧

ابن الزُّبيدي[1] وابن باسويه[2] . وتوفي بدمشق في المحرم وله إحـــدى وتسعون سنة .

سنة سبع وتسعين وست مئة

(*) فيها توفي الشهاب العابر أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن عبد المنعم بن نعمة النابلسي الحنبلي[3] . فقيه إمام عالم لايُدرك شأوه في علم التعبير . روى عن ابن رواج[4] وابن الجُمَّيْزي[5] . توفي في ذي القعدة بدمشق عن سبعين سنة .

(*) والصدر ابن عقبة الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن عقبة البُصْروي الحنفي[6] . مفتٍ مدرس . ولي إمرة قضاء حلب . وكان ذا همة وجلادة وسعي . توفي في رمضان عن سنٍّ عالية .

---

(١) تقدمت ترجمته في ص ٥٥٦ هـ ٤

(٢) هو تقي الدين علي بن المبارك بن الحسن الواسطي الفقيه الشافعي المقرىء المعروف بابن باسَوَيه . توفي سنة ٦٣٢ هـ . وانظر العبر ١٢٨/٥ ، وطبقات القراء ٥٦٢/١ ، والشذرات ١٤٩/٥

(٣) ترجمته في تاريخ الإسلام الجزء الأخير ١٩٤ ، والوافي ٤٨/٧ ، وفوات الوفيات ٨٦/١ ، والسلوك ٨٥٠/٢/١ ، والشذرات ٤٣٧/٥

(٤) تقدمت ترجمته في ص ٥٤٦ هـ ٦

(٥) تقدمت ترجمته في ص ٥٦٤ هـ ٨

(٦) ترجمته في تاريخ الإسلام ١٩٥ ، والوافي ٣١١/٥ ، والجواهر المضية ٣٣/١ ، والسلوك ٨٥٠/٢/١ ، والدارس ٥١٢/١ ، والشذرات ٤٣٨/٥

(*) وجبريل بن إسماعيل بن جبريل الشارعي أبو الروح ابن الحطاب[1] شيخ مقرىء متواضع بزوري يؤم بمسجد . توفي في هذا العام ظناً . روى لنا عن ابن باقا[2] وغيره . خرّج عنه الأبيوردي في معجمه .

(*) وعائشة ابنة المجد عيسى بن الشيخ موفق الدين المقدسي[3] مباركة صالحة عابدة روت لنا عن جدها[4] وابن راجح[5] وعاشت ستاً وثمانين سنة .

(*) والكمال الفُوَيرِه[6] مسند العراق أبو الفرج عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن محمد البغدادي الجبلي المقرىء[7] [٢٣٠ ا] البزاز المكبر

---

(١) ترجمته في تاريخ الاسلام الجزء الأخير ١٩٦ وفيه « له دكان بالشارع للعطر والسدر وله مسجد يؤم به » ، والشذرات ٤٣٨/٥

(٢) تقدمت ترجمته في ص ٥٤٤ هـ ٣

(٣) ترجمتها في تاريخ الاسلام الجزء الأخير ١٩٧ ، ومرآة الجنان ٢٢٩/٤ ، والشذرات ٥ / ٤٣٨

(٤) تقدمت ترجمة الموفق المقدسي في ص ٥٤٥ هـ ١

(٥) هو نجم الدين أقضى القضاة أبو العباس أحمد بن محمد بن خلف بن راجح ابن بلال المقدسي الصالحي الحنبلي الشافعي . ولد سنة ٥٧٨ وتوفي سنة ٦٣٨ وانظر سير أعلام النبلاء ٢٣٨/١٣ ، والعبر ١٥٨/٥

(٦) ضبط الصفدي الراء بالفتح وقال إنها مشتقة من الفروهية بينما نص ابن حجر على كسرها وقال إنها تصغير فاره .

(٧) ترجمته في تاريخ الاسلام ١٩٨ ، والوافي ٥٧/١٨ ، ومرآة الجنان ٢٢٩/٤ ، وغاية النهاية ٣٧٢/١ ، والشذرات ٤٣٨/٥

شيخ المستنصرية. قرأ القراءات على الفخر الموصلي(١) . وسمع من أحمد بن صرما(٢) ، وأبي الوفاء محمود بن منده(٣) وجماعة وأجاز له ابن طبرزذ(٤) وعبد الوهاب بن سُكينة(٥) . وانتهى إليه علو الإسناد في القراءات والحديث توفي في ذي الحجة وله ثمانٍ وتسعون سنة . وقد ضَعُف ووقع في الهرم .

(*) وابن المنيزل الصدر شرف الدين عبد الكريم بن محمد بن محمد بن نصر الله الحموي الشافعي(٦) . روى عن الكاشغَري(٧) . وابن الخازن(٨) . وتوفي في المحرم وله إحدى وثمانون سنة .

---

(١) هو محمد بن أبي الفرج بن معالي بـــن بركة بن الحسين أبو المعالي الفخر الموصلي . ولد سنة ٥٣٩ ، وتوفي سنة ٦٢١ وانظر العبر ٨٦/٥ ، وطبقات الشافعية ١١٤/٨ ، والوافي ٣١٩/٤ ، وطبقات القراء ٢٢٨/٢ .

(٢) هو أبو العباس أحمد بن يوسف بن يوسف بن محمد بن أحمد بن صرما الأزجي . ولد سنة ٥٣٦ ، روى عنه الكمال الفُويره . توفي سنة ٦٢١ . وانظر سير أعلام النبلاء ١٦٥/١٣ ، والعبر ٨٢/٥

(٣) هو أبو الوفاء جمال الدين محمود بن إبراهيم بن سفيان بن إبراهيم ، ابن منده العبدي الاصبهاني ولد سنة ٥٥٠ هـ وقيل سنة ٥٥٢ حدث عنه الكمال عبد الرحمن الفُويره توفي سنة ٦٣٢ وانظر سير أعلام النبلاء ٢١٦/١٣ ، والعبر ١٣١/٥

(٤) تقدمت ترجمته في ص ٥٤٥ هـ ٥

(٥) هو ضياء الدين أبو أحمد عبد الوهاب بن علي بن علي بن عبيد الله بن سُكينة البغدادي الصوفي الشافعي . ولد سنة ٥١٩ هـ حدث عنه الكمال عبد الرحمن توفي سنة ٦٠٧ وانظر سير أعلام النبلاء ١١٦/١٣ ، والعبر ٢٣/٥

(٦) ترجمته في تاريخ الاسلام الجزء الأخير ١٩٩ ، والشذرات ٤٣٨/٥

(٧) هـــو أبو إسحاق إبراهيم بن عثمان بن يوسف التركي الكاشغري ثم =

(*) وابن واصل قاضي حماة جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سالم ابن نصر الله بن واصل الحمـــوي الشافعي[1] . توفي في شوال وقد بلغ التسعين . وكان من أذكياء العالم . وله يد طولى في العقليات . روى عن زكي الدين البرزالي[2] .

(*) وابن المغربي بدر الدين محمد بن سليمان بن معالي الحلبي المقرىء[3]. عبد خيّر صالح عالم . كتب العلم وقرأ بنفسه . روى عن كريمة[4] ، وابن المقيّر[5] وطائفة . توفي في ربيع الأول من ثمان وسبعين سنة .

= البغدادي الزركشي . ولد سنة ٥٥٤ هـ وتوفي سنة ٦٤٥ وانظر سير أعلام النبلاء ٢٥٦/١٣ ، والعبر ١٨٥/٥

(٨) تقدمت ترجمته في ص ٥٦١ هـ ٣

(١) ترجمته في تاريخ الاسلام الجز الأخير ٢٠١ ، والوافي ٨٥/٣ ، والسلوك ٨٤١/٢/١ والشذرات ٤٣٨/٥

(٢) هو زكي الدين أبو عبـد الله محمد بن يوسف بن محمد بن أبي يدّاس البرزالي الاشبيلي . ولد تقريباً سنة ٥٧٧ . حـدث عنه جمال الدين ابن واصل ، توفي سنة ٦٣٦ وانظر سير أعلام النبلاء ٣ /٢٣٣ ، والعبر ١٥١/٥

(٣) ترجمته في تاريخ الاسلام الجزء الأخير ٢٠١ ، والشذرات ٤٣٩/٥

(٤) هي كريمة بنت عبد الوهاب بن علي بن الخضر بن عبد الله بن علي أم الفضـل القرشية الأسدية الدمشقية تعرف ببنت الحبقبق . ولدت سنة ٥٤٦ . وتوفيت ٥٤١ وانظر سير أعلام النبلاء ٢٤٢/١٣ ، والعبر ١٧٠/٩

(٥) تقدمت ترجمته في ص ٥٦٢ هـ ٧

(*) ومحمد بن صالح بن خلف الجهني ، أبو عبد الله المصري المقرىء[1] ثنا عن ابن باقا[2] . توفي في حدود هذه السنة .

(*) والأيكي العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الفارسي[3] الشافعي الأصولي المتكلم الصوفي توفي في رمضان بالمزة وكان من أبناء السبعين . درّس مرة بالغزالية[4] ثم تركها .

فهرس أسماء التراجم المستدركة

إبراهيم بن أحمد بن عقبة البصروي الحنفي أبو إسحاق ٥٦٦
= = سعد الدين بن حمويه الجويني صدر الدين ٥٥١
= = عبد العزيز بن يحيى الرعيني أبو إسحاق الثوري ٥٤٦
= = معضاد أبو إسحاق الجعبري ٥٤٧
أحمد بن أحمد بن عبيد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي ٥٤٤
= = أبي بكر بن سليمان الدمشقي الجمال ابن الحموي ٥٤٥

(١) ترجمته في تاريخ الإسلام الجزء الأخير ٢٠١ .
(٢) تقدمت ترجمته في ص ٥٤٤ هـ ٣

(٣) ترجمته في تاريخ الإسلام ٢٠١ ، ومرآة الجنان ٢٢٩/٤ ، وطبقات السبكي ١١٤/٨ ، والسلوك ٨٥١/٢/١ ، وحسن المحاضرة ٥٤٣/١ ، والدارس ١٦٠/٢ ، والشذرات ٤٣٩/٦ .

(٤) المدرسة الغزالية إحدى مدارس الجامع الأموي ، تقع في الزاوية الشمالية الغربية منه . انظر الأعلاق الخطيرة ٨٤/٢ ، ٢٤٦ ، والدارس ٤١٣/١ ، ومنادمة الأطلال ١٣٤ .

أحمد بن حمدان بن شبيب بن حمدان أبو عبد الله الحراني ٥٥٢
= = عبد الباري أبو العباس الداري الصعيدي ٥٥٣
= = عبد الرحمن بن عبد المنعم النابلسي الشهاب أبو العباس ٥٦٦
= = عبد الرحمن بن محمد الحسيني المنقذي أبو الفضائل ٥٥٣
= = عبد الكريم بن عادي ابن الاغلاقي أبو العباس ٥٥٩
= = محمد بن عبد الرحمن الحسيني عز الدين أبو العباس ٥٥٤
= = محمد بن عبد الله المعروف بابن الظاهري ٥٥٩
إسماعيل بن محمد بن عبد الواحد الحراني المعروف بالنفيس ٥٦٠
أبو تغلب بن أحمد بن أبي تغلب الواسطي الفاروثي ٥٦٥
جبريل بن إسماعيل بن جبريل السارعي أبو الروح بن الحطاب ٥٦٧
جعفر بن محمد بن عبد الرحيم أبو الفضل الحسيني المصري ٥٦٠
حسن بن عبد الله بن محمد بن قدامة المقدسي شرف الدين ٥٥٥
الخضر بن الحسن بن علي الزرزاري أبو محمد البرهان السنجاري ٥٣٨
دانيال بن منكلي الشافعي قاضي الكرك الضياء ٥٦٠
زينب بنت علي بن أحمد بن فضل الصالحة بنت الواسطي ٥٥٥
سعد الخير بن عبد الرحمن بن نصر النابلسي ٥٤٧
سليمان بن بليمان بن أبي الجيش الإربلي شرف الدين ٥٣٩
شبيب بن حمدان بن شبيب بن حمدان الحراني الكحال ٥٥٥
عائشة ابنة المجد عيسى بن الشيخ موفق الدين المقدسي ٥٦٧
عبد البر بن قاضي القضاة تقي الدين محمد ، ابن زين صدر الدين ٥٥٦
عبد الخالق بن عبد السلام بن سعيد أبو محمد البعلبكي ٥٦١

عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن محمد البغدادي الجبتلي أبو الفرج ٥٦٧
عبد الرحمن بن عبد الوهاب ابن بنت الأعز تقي الدين٥٥٧
عبد الرحمن بن علي بن أحمد بن القاضي الفاضل ٥٥٧
عبد الرحيم بن يوسف بن يحيى الموصلي ابن خطيب المزة ٥٤٨
عبد الصمد بن عبد الوهاب بن ابن عساكر أبو اليمن ٥٤٠
عبد العزيز بن عبد المنعم بن علي بن الصيقل عز الدين الحراني ٥٤٠
عبد الكريم بن محمد بن محمد بن نصر الله الحموي بن المغيزل ٥٦٨
عبد الله بن محمد بن نصر بن قوام بن وهب الرصافي ٥٥٦
عبد المنعم بن يحيى بن إبراهيم القرشي الزهري العوفي النابلسي ٥٤٨
علي بن أبي الحرم القرشي الدمشقي المعروف بابن النفيس ٥٤٩
علي بن محمد بن أحمد بن حمزة بن علي الثعلبي ابن الحبوبي ٥٤١
عمر بن عبد الله بن عمر بن عوض المقدسي عز الدين ٥٦١
عيسى بن يحيى بن أحمد بن محمد الأنصاري الضياء السبتي ٥٦٢
محمد بن أحمد بن علي أبو بكر المعروف بابن القسطلاني ٥٤٢
محمد بن أحمد بن محمد بن المؤيد بن علي الهمذاني أبو عبد الله ٥٤٩
محمد بن أبي بكر بن بطيخ أبو عبد الله الدمشقي ٥٦٥
محمد بن أبي بكر بن خليل العثماني المكي ٥٦٤
محمد بن أبي بكر الفارسي الشافعي عبد الله الأيكي ٥٧٠
محمد بن بلنغزا البعلبكي ٥٦٣
محمد بن جوهر الصوفي المقرىء التلعفري ٥٦٣
محمد بن حازم بن حامد بن حسن المقدسي الحنبلي ٥٦٣

محمد بن سـالم بن نصر الله بن واصل الحموي جمال الدين ٥٦٩
محمد بن سليمان بن معالي الحلبي المقريء ابن المغربي ، بدر الدين ٥٦٩
محمد بن صالح بن خلف الجهني ، أبو عبد الله المصري المقرىء ٥٧٠
محمد بن عباس بن أحمد الرَّبعي أبو عبد الله الدنيسري ٥٤٣
محمد بن عبد الخالق بن طرخان أبو عبد الله ٥٥٠
محمد بن محمد بن عبد القاهر الحلبي الضياء ابن النصيبي ٥٦٤
محمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك الطـائي ٥٤٣
محمد بن يحيى بن علي القرشي المصري أبو صادق جمال الدين ٥٤٤
ياسين المغربي الحجام الأسود ٥٥١
يحيى بن محمد بن عبد الصمد الزبداني ، ابن العدل محيي الدين ٥٦٥
يوسف بن عبد الله بن محمد بن عطـاء الأذرعي أبو المحاسن ٥٦٥

دمشق رياض مراد

- البحث صلة -

قصيدة من افريقية

الدكتور عمر الأسعد

(١)

جاء العرب إلى إفريقية مبكرين ، فقد وصلوا إليها قبل الإسلام . ووجد العرب السواحليين (أي سكان ساحل شرق إفريقية من مدغشقر في الجنوب إلى الصومال في الشمال) أناساً فيهم من الود الشيء الكثير . ونتيجة لذلك أقام كثير من العرب هناك . ووجد السواحليون العربَ أيضاً طيبين ، فلما انتشر الإسلام في الجزيرة العربية ، وازداد مجيء العرب المسلمين إلى تلك الديار وتوضّعهم فيها لم يلبث أن دخل فيه السواحليون أفواجاً فأصبحوا مسلمين ، وأصبحت علاقتهم وصلاتهم بالعرب أقوى بوحدة الدين .

وتاريخ العرب في تلك الديار طويل حافل ، وخصوصاً عند ذكر استعمار البرتغال للمنطقة ، ومسارعة العرب لتخليص تلك البلاد من حكم البرتغال بدماء عربية .

(٢)

وعندما استقر العرب في تلك المنطقة وجدوا في اللغة السواحلية لغة سهلة مطاوعة للشعر والأدب كاللغة العربية . فاستُخدم كثير من النماذج الشعرية العربية في اللغة السواحلية الشعرية ، فصرنا نجد فيها التخميس والتربيع والتثليث ، وما إلى ذلك من فنون الشعر العربي . ومن علامات السهولة والمطاوعة في تلك اللغة كون أشعارها مقفاة كالعربية ؛ فالشعر السواحلي المنظوم له قوافٍ متحدة ، ونظام ثابت قريب الشبه بالعربية إن لم يكن مشابهاً له .

ونتيجة لهذا التقارب والتشابه بين الشعر السواحلي والعربي - الذي نمثّل له بعد - صرت تجد كثيراً من الشعراء السواحليين من أصل عربي، فهناك نسبة كبيرة منهم تزيد على ثمانين بالمئة احتفظوا - في نظم الشعر باللغة السواحلية - بأصول النظم العربي ، بل احتفظوا كذلك بأصول أسمائهم العربية مثل : مويا كابن حاجي الغساني ، ومحمد كجمعة البكري ، وسعود المعمري ، وسيد منصب بن عبد الرحمن الحسني ، وهم شعراء سواحليون من أجيال مختلفة .

ولم يقتصر التشابه بين اللغتين السواحلية والعربية على تأثر تلك بأصول النظم الشعري المقفّى ، بل تعدّاه إلى أن اللغة السواحلية نتيجة لوجود العرب وانتشار الإسلام في المنطقة امتصت كثيراً من المفردات العربية والمصطلحات الإسلامية . ويتبين ذلك بوضوح في الأبيات الشعرية السواحلية التالية ومقارنتها بترجمتها العربية :

بسم الله بَعْـــداتو نَحْمدي نَشْـكري

تِنَشْـــلامو تَنصْـلاتو زِ محمدي رســـولي
محمـــدي أليفُـــوتو هَكَنَدومو تَندَماري

معنـــاه :

بعـــد بســـم الله ، نحمـــده ونشـــكره
ونســـلّم ونصـــلي على محمـــد الرسـول
محمـــد قد مـــات ، لم يـــدم في الدهر

وبما حملت اللغة السواحلية من ألفاظ عربية ، ومصطلحات إسلامية ، عُدَّت لغةَ المسلمين هناك ، ووسيلةَ نشر الإسلام بين السكان ؛ فبهـــا تقام الصلاة ، ويقرأ القرآن الكريم ، وتتم ، دراسة الإسلام . واستخدمت اللغة السواحلية في إقناع الناس بمنطقة الإســلام حتى اضطر المبشرون النصارى الذين يرتادون تلك الديار إلى أن يتحدثوا بلغة الإســـلام وبمصطلحات عربية وإسلامية ، فهم مثلاً عندما يحدثون أهل تلك البلاد عن الصيام يفهم هؤلاء صوم رمضان ، أو يحدثونهم عن الصلاة تنصرف أذهانهم إلى صلوات المسلمين المكتوبة وهكذا .

(٣)

كان الأدب السواحلي أدباً شفوياً ، إذ لم يكن القوم يكتبون من قبل . إلا أن الاتصال بين العرب والسـواحليين أعطى هؤلاء الكتابة والأدب المكتوب ؛ ذلك أن المسلمين السواحليين عندما جعلوا يقرؤون القرآن ويكتبونه علّموا غيرهم الكتابة العربية ، فبذلك حُفظ الأدب السواحلي بفضل الإسلام واللغة العربية . وتبعاً لذلك فقد كُتبت المخطوطات السواحلية حتى عام ١٩٣٠ بلغة عربية وحروف عربية . وكثير من تلك

المخطوطات القيمة نقلت إلى مكتبات أوربا ، فهي خسارة للغة السواحلية والعربية والإسلام . إلا أن لدى كثير من العائلات السواحلية بالمقابل مخطوطات تضنّ بها وتحافظ عليها ، ولكنها في حاجة إلى عناية الباحثين والمحققين وجهودهم في نشرها وإذاعتها .

والمخطوطة التي أقدمها للقراء واحدة من تلك المخطوطات العربية . وهي تنطوي على قصيدة من نظم أحد الشعراء العرب السواحليين الذين تقدم ذكرهم . وقد تفضل بتقديمها إليّ الأستاذ الفنان إبراهيم أبو نور شريف البكري ، مدرس اللغة السواحلية وعلم الفن في قسم اللغات بجامعة روتجرز Rutgers University بولاية نيوجرزي . والأستاذ إبراهيم السواحلي الجنسية ، والإفريقي اللون ، والعربي الأصل كما يدل اسمه ، حصل على هذه المخطوطة كما أخبرني ، من أحد أبناء والي ساحل كينيا المرحوم مبارك علي الحنائي .

(٤)

موضوع القصيدة التي تتضمنها المخطوطة الزهد والدعوة إلى التقوى والصلاح في الدنيا ، الذي يقود إلى النجاة والفوز في الآخرة ، وذكر يوم الحساب والمعاد ، وما يلقاه الإنسان فيه من عمل قدّمه لحياته .

ولن أقدم للقارىء شيئاً يتصل بالقصيدة من حيث جودة النظم وعلوّ الفن الشعري ، بل أترك ذلك له ليكوّن الانطباع الذي يتخيّره .

تقع المخطوطة في ثلاث وأربعين ورقة في كل منها سبعة أسطر بينها فراغات كتب فيها بالحروف العربية معاني الألفاظ بالسواحلية . والقصيدة منظومة على حروف الألف باء العربية ، بحيث جُعل كل حرف رويّاً

في خمسة أبيات ، بُدىء بالهمزة وانتهي بالياء ، فيكون مجموع أبياتها مئة وخمسة وأربعين بيتاً - ومترجمةٌ نظماً إلى اللغة السواحلية ، بحيث كتب البيت بالعربية وتلته ترجمته بالسواحلية .

تحمل ورقة العنوان اسم الناظم والناسخ ومكان النسخ . وكُرِّر اسم الناظم والناسخ في نهاية القصيدة في الورقة الأخيرة للمخطوطة ، مع ذكر مكان النسخ وهو « لامو » أحد بلدان كينيا ، وتاريخه وهو سنة ١٣٣٧ هـ . والذي عرفناه عن ناظمها أنه « عالم في بلاد لامو » كما أشارت حاشية الناسخ في نهاية المخطوطة .

والمخطوطة مكتوبة بالخط النسخي الواضح المقروء والمشكول . إلا أنه أصابها في مواقع كثيرة البلل والرطوبة فامّحى بعض كلماتها .

وفوق الصعوبة الناشئة عن إصلاح النص من البلل والطمس ، تمثلت صعوبة أخرى في طريقة الكتابة : فالناسخ لم يلتزم الطريقة الإمـلائية المعهودة . فهو يسقط كثيراً من الحروف في درج الكتابة . مثال ذلك ما جاء في الورقة (١٤) من المخطوطة :

وأين الأعظمون يدً وبأساً   وأين سابقون لدً الفخار

وصوابه :

وأين الأعظمون يداً وبأساً   وأين السابقون لدى الفخار

ومثاله أيضاً من الورقة (١٥) :

كأن لم يخلقُ ولم يكنُو

وصوابه :

كأن لم يُخلقوا أو لم يكونوا

ويضاف إلى ذلك وقوع خطأ في شكلٍ كثيرٍ من الكلمات والحروف .
وكان عملي في التحقيق :

- تقويم النص بتقدير ما تُرك بياضاً في الأصل أو سقط منه ، وإصلاح ما فسد نتيجة البلل والطمس ، ووضع ذلك كله بين معقّفات تدل عليه .

- كتابة النص بالطريقة الإملائية الحديثة المتعارف عليها ، وضبط بعض الكلمات التي تفتقر إلى ذلك ليستقيم المعنى بقراءتها على صورتها الصحيحة .

- تزويد الأبيات ببعض الحواشي الضرورية المعينة على جلائها وبيانها .

وأضع بين يدي القارىء القصيدة المخطوطة علّها تعطي فكرة عن أحوال النظم باللغة العربية في البلدان الإفريقية الساحلية إلى عهد قريب .

* * *

[قصيدة] تبارك ذو العلا ، نظم ... سيد موني منصب بن عبد الرحمن الحسني ، بقلم محمد بن أبي بكر بن عمر البكري ملقب محمد ابن كجوم ، في بلاد لامو . رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين

[١] بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك(١) ذو العلا والكبرياء تفرّد بالجلال وبالبقـــاء
وساوى الموت بين الخلق طراً فـكلهمُ رهائن للفنـــاء
[٢] ودنيانا - وإن ملنا إليها وطال بها المتاع - إلى انقضاء

---

(١) الأصل : أتبارك .

ألا إن الركون على [مرورٍ] إلى دار [الفناء] من العناء
وقاطنُها سريعُ الظعن [عنها] وإن كان الحريصَ على الثواء

حرف البـــاء

يحوَّل عن قريب من قصور مزخرفة إلى بيت التراب
[٣] ويُسلِّم فيه مهجوراً وحيداً أحاط به شحوب الإغتراب
وهول الحشر أفظع(١) كلَّ أمرٍ إذا دُعي ابن آدم [للحساب]
وألفى(٢) كلَّ صالحةٍ أتاها وسيئةٍ جناها في الكتاب
[٤] لقد آن التزوَّد لو عقلنــا وأخذُ الحظِّ من باقي الشباب

حرف التــاء

وعقبى كل شيء نحن [فيه] من الجمع الكثيف [إلى] الشتات
وما حُزناه من حلٍّ وحرمٍ [يوزَّع] في البنين وفي البنات
وفيمن لم يؤهِّلهم بفلسٍ وقيمةِ حبةٍ قبـــل المات
[٥] وتنسانا الأحبة بعد عشرٍ [وقد صرنا] عظاماً باليات
كأنّا لم نعاشرهم بـــودٍّ ولم يك فيهمُ [خيرُ اللدات]

حرف الثــاء

لمن يا أيها المغرور تحوي [من] المال الموفَّر والأثاث
[٦] ستمضي غيرَ محمودٍ فريداً(٣) [وتخلو من عرينك] بالتراث

(١) الأصل : أفضع . (٢) الأصل : وألفى .
(٣) في الأصل : فريدٍ .

وبخذلك الوصي [فلا وفاء] ولا إصلاح أمرٍ ذي انبثاث
لقد وقّرتَ وِزْراً مرجحناً يسدُّ عليك سُبْل الإنبعاث(١)
فما لك غيرَ تقوى الله حِرْزٌ ولا وَزَرٌ(٢) ومالك من غياث

[٧] حرف الجيم

تعالج بالتطبّب كل(٣) داءٍ وليس لداء ذنبك من علاج
سوى ضرعٍ إلى الرحمن[تدعو] بنيّة خائفٍ [ويقين راج]
وطول تهجّدٍ لطِلاب [عفوٍ] بليلٍ مدلهمّ الستر داج
[٨] وإظهار الندامة كلَّ وقت على ما كنت فيه من اعوجاج
لعلك أن تكون غداً حظيّاً ببُلْغة فائزٍ وسرور ناج

حرف الحاء

عليك بصرف نفسك عن هواها فلا شيءٌ ألذّ من الصلاح
تأهّبْ للمنية حين تغدو كأنك لاتعيش إلى الرّواح
[٩] فكم من رائحٍ فينا صحيحٍ نعَتْه نُعاتُه قبل الصباح
وبادرْ بالإنابة قبل فوتٍ على مافيك من [عظم الصّلاح]
فليس أخو الرزانة [من تجافى وجانب كل أسباب] الفلاح

[١٠] حرف الخاء

وإن صافيتَ أو خاللتَ خِلاً ففي الرحمن فاجعل من تؤاخي
[ولا] تعدلْ بتقوى[الله شيئاً] ودع عنك الملامة والتّراخي

---

(١) الوِزْر المرجحنّ : الحمل الثقيل .

(٢) الوَزَر : الملجأ والمعتصم . (٣) في الأصل : لكل .

فكيفَ تنالُ في الدنيا سروراً | وأيامُ الحياة إلى انسلاخ؟
وجلُّ سرورها ـ فيما عهدنا ـ | مشوبٌ بالبكاء وبالصراخ
[١١] لقد عَميَ ابنُ آدمَ أن يراها | عمىً أفضى إلى صمم الصِّماخ(١)

حرف الدال

أخي قد طال سعيك في الفساد | فبئس الزاد زادك [للمعاد]
صبا منك الفؤاد فلم تزَعْه | [وحِدْتَ] إلى متابعة الفؤاد
[١٢] وقادتك المعاصي حيث شاءت | فألفَتْك امرأً سَلِسَ القياد
لقد نوديتَ للترحال [فاسعى](٢) | ولا تتصامَمَنْ عن المنادي
كفاكَ مشيبُ رأسك من نذير | وغالبُ لونه لونُ السواد

حرف الذال

ودنياك التي غرَّتك منها | [زخارفُها] تصير إلى انجذاذ(٣)
[١٣] تزحزَحْ عن مهالكها بجهد | فما أصغى إليها ذو نفاذ
لقد مُزِجتْ حلاوتُها بسمٍّ | فما [للحذر](٤) فيها من ملاذ
عجبتُ لمعجَبٍ بنعيم دنيا | ومفتونٍ بأيام الالتذاذ
[١٤] ومؤثِرِ المُقامَ بأرضِ قفرٍ(٥) | على أرضٍ خصيبٍ ذي رذاذ

---

(١) الصماخ : الأذن نفسها ، أو القناة المفضية إلى طبلتها .
(٢) أثبتَ الألف لضرورة الوزن .
(٣) الانجذاذ : الانقطاع . (٤) الأصل : فما كان لحذر .
(٥) في الأصل : بأرض فقر .

حرف الــراء

[وما] الدنيا وما فيها جميعاً سوى ظلّ ٍ يزول مع النّهار
تفكّر أين أصحابُ السّرايا وأربابُ الصوافن والعشار(١)
وأين الأعظمون يداً وبأساً وأين السابقون لدى الفخار
[١٥] وأين القرن بعد القرن منهم من الخلفاء والشمّ الكبار
كأن لم يُخلقوا [أو] لم يكونوا وهل حيٌّ يصان عن [البوار]

حرف الــزاي

أيعتز الفتى بالمال [زهواً] وما فيها يفوت من اعتزاز
[١٦] ويطلب [دولة] الدنيا جنوناً ودولتُها محالفةُ(٢) المخازي
فنحن وكلّ من فيها كسَفْرٍ [دنا] منّا الرحيل على وِفاز(٣)
جهلْناها كأنْ لم نختبرْها على طول التهاني والتعازي
[ولم نعلَمْ بأنْ لا لُبثَ فيها](٤) ولا [تفريج] غير الاجتياز

[١٧] حرف السين

أفي السبخات يامغرور تبني وهل يُبقي السباخ(٥) على الأساس
ذنوبك جمّةٌ تترى عظاماً ودمعُك جامدٌ [والقلب] قاس

(١) أرباب الصوافن والعشار : أصحاب الخيول والنوق ، كناية عن الأغنياء .
(٢) الأصل : مخالفة ، ولا ينسجم مع السياق .
(٣) الوفاز : العجلة . (٤) الأصل : ولم تعلم أنها لابث فيها .
(٥) السباخ : ما لم يحرث من الأرض أو يعمر لملوحته .

وأياماً عصيت الله فيهـــا وقد حُفظت عليك وأنت ناس

[١٨] فكيف تطيق يومَ الدِّين حملاً لأوزارٍ كبارٍ كالرواسي

هـو اليوم الذي لاودّ فيـه ولا نسبٌ ولا أحدٌ يواسي

حـرف الشين

عظيمٌ هَوْلُه والناس فيه حيارى مثل مبثوث الفراش

بـه تتغيّر الألوان خوفاً [وتصطك] الفرائص بارتعاش

[١٩] هنالك كلُّ ماقدّمْتَ يبدو فعيبك ظاهرٌ والسرُّ فاش

تفقّدْ نقص نفسك كل يومٍ فقد أردى بها طلب [المعاش]

إلى كم تبتغي الشهوات طوراً وطوراً تكتسي لين الرياش

حرف الصـــاد [٢٠]

عليك من الأمور بما يؤدي إلى سنن السلامة والخلاص

[وما ترجو] النجاة به [وشيكاً] وفوزاً يوم أخـذٍ بالنواصي

فليس تنال عفـــو الله إلا بتطهير النفوس عن المعاصي

وبرّ الوالدين بكل عرفٍ ونصحٍ للأداني والأقاصي

[٢١] وإن تشددْ يداً في الخير تفلحْ وإن تعدلْ فما لك من مناص

حرف الضـاد

وأصل الحزم أن تضحي وتمسي(١) وربك عنك في الحالات راض

(١) في الأصل : يضحي ويمسي .

وإن [تعتض عن](١) التخليط [رشداً]
فإن [الرشد] من خير اعتياض

[٢٢] ودع عنك الذي يغوي ويُردي ويورث طول حزنٍ وارتماض
[وجُدْ] بالنفس [حرٍّ] النفس [واطرد]
عن العينين محبوب الغماض
فإن الغافلين ذوي التواني نظائرُ للبهائم في الغياض

حرف الطاء

كفى [بالمرء] عاراً أن تراه من الشان الرفيع إلى انحطاط
[٢٣] على المذموم من فعلٍ [حريصاً] عن الخيرات منقطعَ النشاط
يشير بكفّه أمراً ونهياً إلى الخدّام من [صدر] البساط
يرى أن المعازف والملاهي تمكّنه الجوازَ على الصراط
[٢٤] لقد خاب الشقيُّ وضلَّ عجزاً وزال القلب منه عن النياط

حرف الظاء

[إذا] الإنسان [خان النفس يوماً] فما يرجوه راجٍ للحفاظ
ولا ورعٌ لديه ولا وفاءٌ ولا أصغى لنحو الاتعاظ
وما زهد التقيِّ بحلق [رأس] ولا لبسٍ لأثواب غلاظ
[٢٥] ولكن بالهدى قولاً وفعلاً وإدمانِ التخشّع في اللحاظ

---

(١) الأصل : تعتظي بالتخليط .
(٢) الارتماض : شدة الحزن والقلق .

وَ الاَعْمالِ (١) التي تجي وتمي بوسم، والفرار من [الشواظ](٢)

حرف العين

لكلٌ تفرق الدنيا اجتماعٌ [وما بعد المنون] من اجتماع

[٢٦] فراقٌ فاصلٌ ونوى شَطون(٣) وشغل لا يلبّث للوداع

وكلّ أخوة لابدَّ يوماً وإن طال الوصال إلى انقطاع

وإنّ متاع [ذي]الدنيا قليلٌ وما يُجزي القليل من المتاع

وصار قليلها حرجاً عسيراً تشبّث بين أنياب السّباع

[٢٧] حرف الغين

ولم يطلب علوّ القدر فيها وعزّ النفس إلاّ كلّ طاغ

وإن نال النفيس من المعالي فليس لنيْلها طيبُ [المساغ]

إذا بلغ المراد علاً [وعزّاً] تولّى [عنه في يوم] البلاغ

[٢٨] كقصرٍ قد تهدّم(٤) حافتاه إذا صار البناء إلى الفراغ

أقول وقد رأيتُ ملوك عصرٍ لئلا يبغينّ الملكَ باغ

حرف الفاء

أأقصد باللامة قصد غيري (٥) وأمري كله بادي الخلاف

إذا عاش الفتى خمسين [عاماً] ولم [يرفل بأثواب] العفاف

[٢٩] فلا تستصحبنّ له رشاداً فقد أودى به سبب التجافي

---

(١) وصلت همزة القطع لضرورة الوزن .

(٢) الشواظ : لهيب النار .

(٣) شطون : بعيد . (٤) في الأصل : تهدّ .

(٥) في الأصل : غيره .

ولِمْ لا أبذل الإنصاف مني وأبلغ طاقتي في الإتّصاف
لِيَ الويلاتُ إن نفعتْ عظاتي سواي، وليس لي إلا القوافي!

[٣٠] حـــرف القاف

ألا إن السباقَ سباقُ زهد وما في غير ذلك من سباق
ويفنى ماحواه المرء [طرّاً] وفعْلُ الخير عند الله باق
ستبلغُك الندامةُ عن قريبٍ [وتُعقِبُ]حسرةَ يوم المساق
أتدري أيُّ يومٍ ذاك(١) فكّرْ [وأيقنْ أنه] يومُ الفراق
[٣١] فراقٌ ليس يشبهــه فراق قد انقطع الرجاء عن التلاقي

حـــرف الكاف

عجبتُ لذي التجارب كيف [يسـهو ويأتي]اللهوَ بعد الإحتناك (٢)
وموبقٍ نفسـه كسلًا وجهلًا [ومُوردِها]مَخُوفات الهلاك
[٣٢]ومرتهنٍ الفضائح والخطـايا يقصّر في اجتهادٍ للفكاك
بتجديد المـآثم كلَّ يومٍ وقصدٍ للمـحارم بانتهاك
سيعلم حين تفجؤه (٣) المنايا ويكثف حوله جمْع البواكي

حرف الـلام

بأنْ سرورَه أمسى غموماً وحلَّ بـه ملمّاتُ الزوال

(١) في الأصل : ذلك .
(٢) الاحتناك : التهذيب والحكمة .
(٣) في الأصل : يفجؤه .

[٣٣] وعُرّيَ عن ثيابٍ كان فيها وألبس بعدها ثوب انتقال
إلى قبرٍ يُغادَر فيه فرداً نأى عنه الأقارب [والموالي]
وبعد ركوبه الأفراسَ تيهاً يهادي بين أعناق الرجال
[٣٤] تخلّى عن مروّته وولّى ولم تحجبْ مآثره المعالي

حرف الميم

ويومُ بروزه يومٌ فظيع (١) أشدُّ عليه من يوم الحِمام
ويومُ الحشر أفظع(٢) منه هولاً إذا وقف الخلائق للمُقام
فكم من ظالمٍ يبقى ذليلاً ومظلومٍ تشدّد للخصام
[٣٥] وشخصٍ كان في الدنيا حقيراً تبوّأ منزلَ النُّجُب الكرام
وعفوُ الله أوسعُ كلّ شيءٍ تعالى [الله] خلاّق الأنام

حرف النون

إلهٌ لا إله لنا سواه [رؤوف] بالخلائق ذوامتنان
[٣٦] أوحّدُه بإخلاصٍ وحمدٍ وشكرٍ بالضمير وباللسان
وأسأله الرضى عني فإني ظلمتُ النفس في طلب الأمان
وأوتيت(٣) الحياة ولم أصنها وزُغْتُ إلى البطالة والتواني (٤)
إليك أثوب من ذنبي [وجرمي] وإسرافي وخلمي للعنان

---

(١) في الأصل : فصيح .
(٢) في الأصل : أفضح . (٣) في الأصل : وأتيت .
(٤) في الأصل : التراني .

حـــرف الواو (١)

[٣٧] فـــإن الله توابٌ رحيمٌ ولِيُّ قبول توبةِ كلِّ غاوِ (٢)
أؤمّل أن يعافيَني بعفوٍ ويسجنَ عين إبليس المناوي
وينفعَني بمـــوعظتي وقولي وينفعَ كلَّ مستمعٍ وراوِ
ذنوبي قد كوتْ جنبيَّ كيّاً ألا إن الذنوب هي المكاوي
[٣٨] وليس لمن كواه الذنب عمداً سوى عفو المهيمن من مُداوِ

حرف الهـــاء

وقعنـا في البلايا والخطـايا وفي زمن(٣) انتقاصٍ واشتباه
تفانى الخير والصلحاء زلّوا وعزّ بذلّهم أهلُ السفاه
وباد الآمرون بكل عُرفٍ فما عن منكَرٍ في الناس ناه
[٣٩] فهذا شغْله طمعٌ [وجمع] وهذا غافلٌ شبعانُ لاه
وصـار الحرُّ للمملوك عبداً فما للحرّ من قدرٍ وجـاه

حرف اللام ألف

يبـذّر مـــاجناه ولايبـالي [أسحتاً] كان ذلك أم حلالا
[٤٠] فلا تغترَّ بالدنيا وذَرْهـــا فما تَسْوى لك الدنيا ذبالا
أتبخلُ تائهاً شرَهاً بمـــالٍ يكون عليك بعد غدٍ وبالا
فلا كان الذي عقباه شؤم ولا كان النحيس لديه مالا (٤)

---

(١) في الأصل : حرف الياء ، خطأ .
(٢) في الأصل : عاوي .
(٣) في الأصل : زمان . (٤) كذا في الأصل .

[فَبَتَّ](1) من الأمور فعالَ خيرٍ وأكملها وأشرفها خصالا

[حرف الياء]

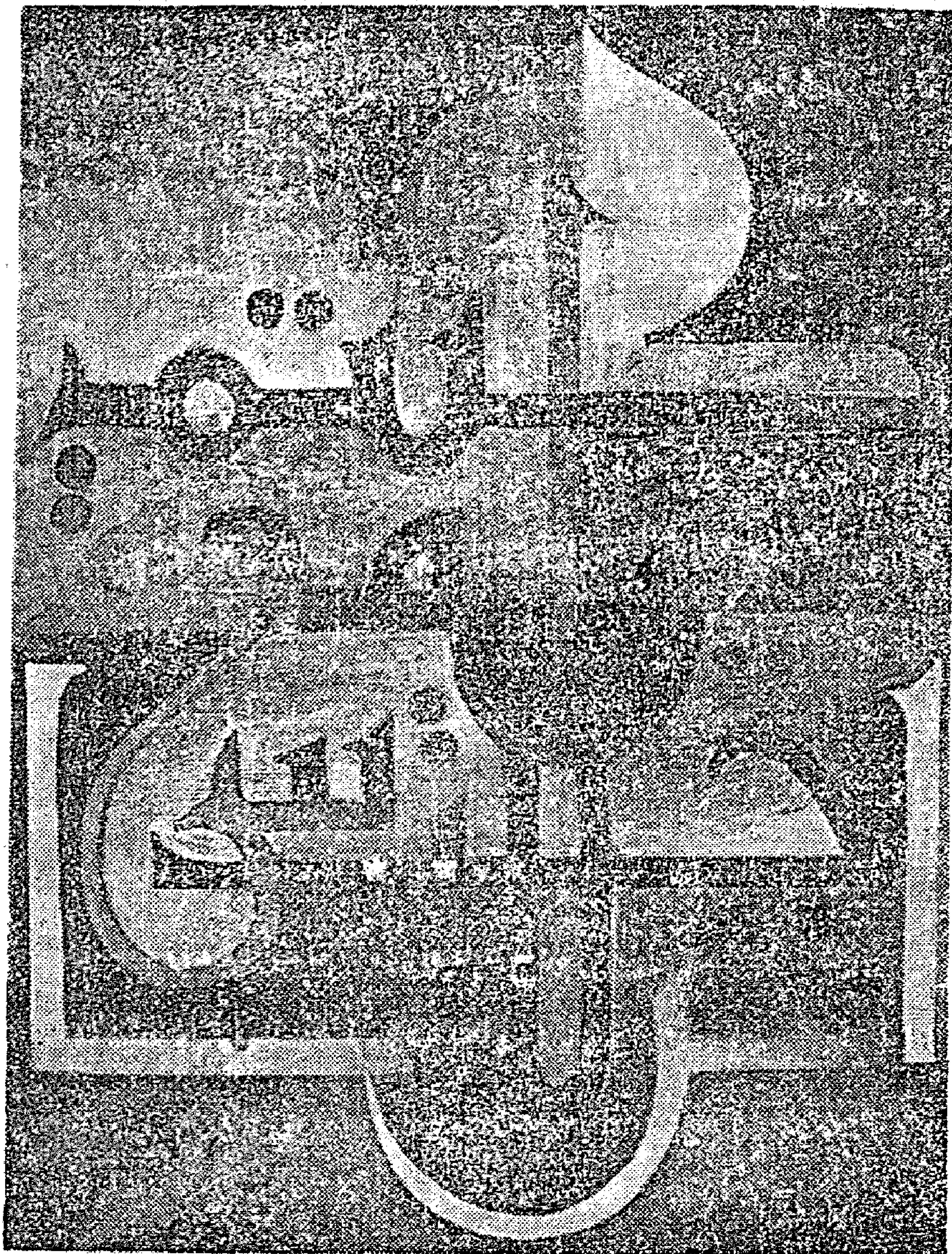
[٤١] وكن بشاً كريماً ذا انبساط وفيمن يرتجيك جميلَ رأي
وَصولاً غير محتشمٍ زكيّاً حميد السعي في إنجاز وَأْي (2)
مغيثاً للأرامل واليتامى أمين الجنب من قرب ونأي
بعيداً عن سبيل الشر سمحاً نقي [النفس] عن عيبٍ وثأي(3)
[٤٢] تلق مواعظي بقبول صدقٍ تفزْ بالأمن عند خلوْ لأي(4)

ملك الشريف حسن بن سيد علو بن قاسم الملا باعلوي .

تم (5) الكتاب بعون الملك الوهاب ، بقلم محمد بن أبي بكر بن عمر البكري ملقب محمد كجوم في بلد لامو . رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين ، بتاريخ ١٨ في رمضان سنة ١٣٣٧ . والذي بيّنها سيد منصب ابن عبد الرحمن الحسني عالم في بلاد لامو والسلام .

جامعة الملك عبد العزيز ـ مكة المكرمة عمر الأسعد

(1) في الأصل : تثق . (2) الوأي : الوعد .
(3) الثأي : الضعف .
(4) في الأصل : خلوي لأي . واللأي : الشدة والجهد .
(5) في الأصل : تمت ، حملها على محل « الكتابة » .



الإمام المحدّث عبد الحق الدّهلوي

ودوره في إحياء المجتمع الإسلامي في شبه القارة

الأستاذ محمود أحمد غازي

لا زال المجتمع الإسلامي في شبه القارة ممتازاً بصبغة صوفية عميقة ، وذلك لأن الإسلام في هذه المنطقة من الأرض شاع على أيدي كبار الصوفية ؛ فأول من رحل إلى الهند من الصوفية وقام بتبليغ الإسلام بين الوثنيين هو الشيخ علي الهجويري الذي نزل في لاهور ومكث أعواماً طوالاً يدعو الناس إلى ربهم ويبلغ إليهم رسالة الإسلام الخالدة ، حتى توفي إلى رحمة الله ، ودفن بلاهور ، وضريحه موجود حتى الآن يتبرك به العامة . ثم تلاه الشيخ معين الدين الاجميري الذي توطن مدينة من أهم مراكز الحكم الهندوكي والثقافة الهندوكية قبل الحكم الإسلامي ، وهي مدينة أجمير . والشيخ معين الدين الأجميري هو الذي أنشأ في الهند الطريقة الصوفية الجشتية التي لا زالت من أكبر الطرق الصوفية في شبه القارة وأعمقها تأثيراً . وخلف الشيخ معين الدين الأجميري جماعة كبيرة من تلامذته ومن الذين تأثروا به واعتنقوا الإسلام على يديه .

ولما أرسى السلطان قطب الدين الأيبك قواعد الحكم الإسلامي في

شبه القارة وجعل مدينة دهلي حاضرته توافدت إليه جماعات من العلماء والفقهاء وكان ذلك بطبيعة الحال ؛ فإن الصوفية وإن كانت جهودهم جبارة في تبليغ الدين ودعوة الإسلام ما كان من الممكن لهم القيام بمناصب قضائية وإدارية في جهاز الحكم الإسلامي وإنما وظيفة العلماء والفقهاء إقامة نظام القضاء والفتيا والاحتساب ، فلم تمض على قيام الدولة الإسلامية مدة طويلة حتى ظهرت بين الصوفية والعلماء المنافسة الطبيعية التي تظهر في مثل هذه الأحوال ، فنرى العلماء ينتقدون الصوفية لاستخفافهم بشأن الفقهاء وإهمالهم للأحكام الفقهية ، ونرى الصوفية ينتقدون العلماء لتشديدهم في أمور غير مهمة وتوكيدهم الزائد على ظاهر الدين وإهمالهم روحه وباطنه .

ولم تلبث هذه المنافسة والصراع بين العلماء والمتصوفة حتى رأت بواكير حركة جديدة بدأت تظهر للجمع بين الفقه والتصوف ، وذلك على يدي العلماء الذين تضلعوا من علوم الفقه والشريعة ثم علوا من مناهل التصوف والروحانية .

ولعل أول محدث يجدر بالذكر من علماء شبه القارة الذي عمل لنشر علم الحديث في هذه البقاع هو الإمام المحدث اللغوي حسن الصغاني اللاهوري مؤلف « مشارق الأنوار » في علم الحديث وهو صاحب « العباب الزاخر واللباب الفاخر » في اللغة - ولد في سنة ٥٧٧ هـ / ١١٨١ م في بدايون ولكنه لم يمكث في الهند مدة طويلة ، ورحل إلى بغداد حيث استقبله علماؤها وذووها بحفاوة بالغة وإجلال كبير ، ولا يحتاج الإمام الصغاني إلى أي تعريف فإنه شاع صيته في العالم الإسلامي بمؤلفاته الشهيرة التي أخذتها علماء كل العصور بالقبول . أخذ العلم عن علماء الهند وبلاد خراسان (أفغانستان الحالية وما جاورها) ثم رحل إلى البلاد العربية وتلمذ لعلماء العراق

والحرمين الشريفين ، ثم تردد إلى الهند مراراً ورجع إلى العراق حيث توفي ولكنه دفن في مكة المكرمة . قال الذهبي : إن اليه المنتهى في اللغة . وقال الدمياطي : إنه كان إماماً في اللغة والفقه والحديث . له مشارق الأنوار في الحديث ومصباح الدجى في الحديث أيضاً ومجمع البحرين في اللغة والنوادر ، وله شرح على صحيح البخاري وغير ذلك (١) .

ويروي لنا المؤرخ ضياء الدين البدايوني أن الشيخ شمس الدين ترك ، أحد كبار المحدثين في البلاد العربية أراد أن يقيم في الهند ويقف نفسه لنشر علم الحديث ، فغادر بلاده ورحل إلى الهند ومعه أربع مائة كتاب في علم الحديث ، ولكنه لما وصل إلى ملتان علم أن الماهل الهندي علاء الدين الخلجي يتكاسل في أداء الصلوات الخمس فقال : أنا لا أريد الإقامة في بلد يتكاسل حاكمه في أداء واجبات الدين ، ورجع إلى بلاده .

ولكن المحدث الذي يبدأ بـه العهد الزاهر في تاريخ علم الحديث في شبه القارة هـو المحدث الجليل على بن حسام الدين المتقي القادري (٨٨٥ هـ – ٩٧٥ هـ) الذي ولد في برهانبور ، وبعد أن حصل على العلوم بدرجة لابأس بها رحل إلى الحجاز حيث تلمذ لكبار علمائها وخاصة منهم الشيخ أبو الحسن البكري ، ومكث الشيخ على المتقي مشتغلاً في خدمة الحديث حتى آخر لحظة من حياته ، ولما راجع كتاب « جمع الجوامع » للعلامة السيوطي قال أستاذه الشيخ أبوالحسن البكري : إن للسيوطي منة على العالمين والمتقي منة عليه . ومن أهم تآليف الشيخ علي المتقي وأشهرها كتاب « كنز العمال » . وتوفي بمكة المكرمة .

---

(١) راجع لترجمته المفصلة : نزهة الخواطر ، ج ١ ص ١٣٧ ٤١

وأما شبه القارة فنراه خالياً بأسره من علم الحديث في القرن العاشر الهجري . ويروي لنا الأستاذ المؤرخ خليق أحمد النظامي أن هذا القرن لم يرَ إلا محدثين جديرين بالذكر في شبه القارة وهما :

١ — الحاج إبراهيم القادري

٢ — والشيخ اسماعيل اللاهوري .

أما الحاج إبراهيم القادري فولد في مانكبور وتوفي عام ١٠٠١ هـ وتعلم الحديث في بغداد حيث أقام ثلاث سنوات ثم رحل إلى مصر وقرأ الحديث على الشيخ شمس الدين العلقمي وحصل على الإجازة من الشيخ محمد بكري الشافعي ، ثم أتى مكة المكرمة وتلمذ لكبار المحدثين في رحاب بيت الله العتيق ، فمنهم الشيخ عبد الرحمن بن فهد المغربي والشيخ مسعود المغربي والمحدث الهندي الكبير الشيخ علي المتقي السالف الذكر ؛ فبعد أن حصل على حظ أوفر من علم الحديث رجع إلى مصر واشتغل في تدريس علم الحديث هناك لمدة أربع وعشرين سنة ، بعد ذلك غلبه الحنين إلى موطنه ومسقط رأسه فغادر مصر إلى الهند وأقام بأكره حيث اشتغل في خدمة الحديث وتوفي وهو يناهز التسعين من عمره(١) .

على الرغم من خلو شبه القارة من أي نشاط ملموس في خدمة الحديث كانت منطقة كجرات (على ساحل بحر العرب) عامرة بنشاط كبير واسع في خدمة علم الحديث حيث قام بها العلماء تدريساً وتأليفاً . ونذكر فيما يلي

---

(١) انظر ترجمته في المصادر الآتية :

١ — كلزار ابرار — طبع لاهور الترجمة الاردوية

٢ — منتخب التواريخ للبدايونى ج ٣ ص ١٣٩

٣ — حياة الشيخ عبد الحق للنظامي ص ٤٠ — ٤١

بعض ما قام به علماء كجرات من خدمة الحديث النبوي في القرن العاشر .

١ . أعد الشيخ مير سيد عبد الأول المتوفى ٩٦٨ ﻫ شرحاً على صحيح البخاري وأسماه بفيض الباري (١) .

٢ - وكتب الشيخ المحدث محمد بن طاهر الفتني شرحاً وافياً على أحاديث الكتب الصحيحة الستة باسم « مجمع بحار الأنوار » ، كما ألف رسالة في لغات المشكاة (٢) . والعلامة الفتني فاق أقرانه الهنديين وأعترف بفضله في علم الحديث علماء الشرق والغرب . ولد بفتن من بلاد كجرات سنة ٩١٣ ﻫ ونشأ بها وحفظ القرآن قبل أن يبلغ الحلم وتلمذ على كبار علماء كجرات حتى برع في عدة فنون وفاق أترابه في كثير منها ، ثم شد رحله إلى الحرمين الشريفين سنة ٩٤٤ ﻫ وهو ابن إحدى وثلاثين ، وأخذ العلم عن الشيخ أبي الحسن البكري والشيخ الشهاب أحمد بن حجر المكي والشيخ علي بن عراق والشيخ علي المتقي الذي لازمه كثيراً كما ذكره في مقدمة كتابه « مجمع بحار الأنوار » ورجع إلى الهند واشتغل بتدريس الحديث والتصنيف والتأليف .

وكان ممتازاً بصلاحه وورعه وعلمه ، ولم يبلغ أحد مبلغه من أقرانه في علم الحديث . وكان قد ورث من أبيه مالاً كثيراً فكان ينفقه على طلبة العلم ، وكان من عادته أن يختار للعلم صبياناً من الكتاتيب ويعلمهم وينفق عليهم من ماله ثم يأتي بعدهم بصبيان آخرين .وترك مجموعة كبيرة من مؤلفاته

(١) أخبار الأخيار (بالفارسية) للإمام عبد الحق الدهلوي — ص ٢٤٥

(٢) مصدر سابق ص ٢٧٢ - ٢٧٣ — كلزار ابرار ص ٣٢٢ ، حدائق الحنفية للعلامة الجهلمي ص ٣٨٥ — ٣٨٧

القيمة منها «مجمع بحار الأنوار»، و«لطائف الأخبار في غريب الحديث»، و«تذكرة الموضوعات»، و«المغني في أسماء الرجال». وكان رحمه الله من أشد المنتقدين للحركة المهدوية، فهجم عليه جمع منهم يوما وقتلوه، وذلك في سنة ٩٨٦ هـ - فدفن في مسقط رأسه فتن (١).

٣ - وألف الشيخ هبة الله الكجراتى المتوفى ١٠٠٥ هـ رسالة في أقسام الحديث. وكان الشيخ هبة الله الكجراتى الشيرازي من كبار العلماء ومن مواليد شيراز، وتلمذ على كبار علماء شيراز منهم الفيلسوف الإيراني الشهير بل إمام الفلاسفة الإيرانيين في عصره صدر الدين الشيرازي صاحب الأسفار الأربعة، وأخذ الحديث عن كبار محدثي شيراز، ثم أتى الهند ودخل كجرات سنة ثمان وتسعين وثمانمائة فحشد إليه الطلبة من جميع أكناف الهند، وله مؤلفات عديدة في الفلسفة والمنطق والتفسير وأصول الحديث والهيئة (٢).

٤ - وكتب الشيخ الطيب البرهانبوري حاشية على مشكاة المصابيح.

٥ - وكتب الشيخ عثمان الصديق تلميذ الشيخ وجيه الدين العلوي شرحاً على صحيح البخاري (٣).

٦ - وقرأ الشيخ عبد الملك العباسي علم الحديث عن أخيه الشيخ قطب الدين وهو عن الإمام السخاوي عن الحافظ ابن حجر العسقلاني. وكان الشيخ عبد الملك العباسي دائماً يكب على مطالعة صحيح البخاري

---

(١) نزهة الخواطر ج ١ ص ١٣٧ - ١٤١.

(٢) نزهة الخواطر - ج ٤ ص ٣٨٨ - ٣٨٩

(٣) حياة الشيخ عبد الحق (بالاردوية) للأستاذ خليق أحمد النظامي ص ٤١ - ٤٢

ودراسته حتى حفظه من أوله إلى آخره (١) . ومن ناحية أخرى نرى المؤرخ عبدالقادر البدايوني يقول : إن القرن العاشر الهجري شاهد كثيراً من الناس يطعنون في علوم الفقه والتفسير والحديث ويفضلون عليها علوم النجوم والفلسفة والطب والحساب والشعر والقصص وما إليها (٢) ، ولكننا نرى مع ذلك أن علماء الهند في القرن العاشر لم يغفلوا عن الاهتمام بعلم الفقه إهتماماً غير قليل ، والئن كان إسهامهم في هذا المجال مقتصراً على تأليف الحواشي وإعداد الشروح على المتون الفقهية القديمة إنه كان ، والحق يقال ، إسهاماً يجدر ذكره في تاريخ تطور العلوم . ونذكر فيما يلي بعض الكتب الفقهية التي ألفها فقهاء الهند في القرن العاشر الهجري (٣) :

١ - الشيخ معين الدين العمراني :

أ - حاشية على التلويح ب - حاشية على الحسامي

ج - حاشية على المنار د - حاشية على كنز الدقائق

٢ - مولانا أبو حفص سراج الدين عمر بن إسحاق :

أ - حاشية على المنار ب - شرح على الهداية المرغيناني

ج شرح الجامع الصغير د - شرح الجامع الكبير

هـ - شرح المختار

٣ - الشيخ سيد يوسف الملتاني :

أ - حاشية على المنار

---

(١) كلزار أبرار ص ٣١١ - النظامي : مصدر سابق .

(٢) منتخب التواريخ للبدايوني ج ٢ ص ٣٠٦ - ٣٠٧ .

(٣) خليق النظامي : مصدر سابق ص ٤٥ - ٤٦

٤ – القاضي حميد الدين الدهلوي :

أ – شرح الهداية

٥ – زين الدين بن عبد العزيز :

أ – قرة العين في الفقه الشافعي

وأما في الناحية السياسية فقد شاهد القرن العاشر الهجري تطورات هامة متعددة النواحي في شبه قارة الهند والباكستان ، فرأى انهيار حكم سلالات الأفاغنة وقيام الامبراطورية المغولية التي وصلت بالحكم الإسلامي في هذه البلاد إلى أرقى درجاته ، وكفى هذه السلالة فخراً أن كان بينها السلطان الصوفي العالم الفقيه أبو المظفر محيي الدين محمد أورنك زيب عالمكير بادشاه غازي الذي أعاد إلى شبه القارة مُثل الحكم الإسلامي العالية واختار تقاليد الخلفاء الراشدين في السياسة ونظام الحكم حتى عده البعض سادس الخلفاء الراشدين بعد الخلفاء الأربعة وسيدنا عمر بن عبد العزيز .

واتخذ حكام هذه الامبراطورية خطة التسامح جرياً على سنة سلفهم من الحكام المسلمين في شبه القارة ، وبلغ تسامحهم بادىء ذى بدء إلى أن أصهر الامبراطور جلال الدين إلى العائلات الهندوكية وبنى بعديد من الأميرات الهندوكيات حتى جاوز بتسامحه إلى مجاملة الهندوكيين وأرباب الديانات الوثنية الأخرى في شبه القارة حتى تعدى الأمر إلى ابتداع نحلة جديدة تضم المبادىء المختارة من جميع أديان شبه القارة وتذوب فيها جميع المعتقدات والأديان والملل والنحل الهندية لتؤدي هذه النحلة الجديدة بدورها إلى توحيد البلاد كلها . وكان معنى ذلك القضاء على المكانة الحكومية والاجتماعية التي كان الدين الإسلامي الحنيف يحتلها في الامبراطورية

الإسلامية . فإن الإسلام وغير الإسلام ضدان لايجتمعان ومحاولة الجمع بين الإسلام وغير الإسلام قضاء على الإسلام . ولكن الأمة الإسلامية في شبه القارة لم تتغافل عن هذه المؤامرات ، ولم يعد شبه القارة خالياً من زعماء عباقرة الفكر والعمل الذين نهضوا لمعارضة هذه الحركة الهدامة ؛ فقام رجال مؤمنون مجاهدون في جميع مجالات الحياة يكافحون ضد هذه الموجة الإلحادية ، وكان بين من نهض لهذه المهمة رجلان عبقريان يفتخر بهما تاريخ شبه القارة الإسلامي وهما : الإمام المجدد أحمد بن عبد الأحد السرهندي الفاروقي والإمام المحدث عبد الحق الدهـــلوي[1] . وألف كاتب هذه السطور كتاباً حافلاً عن تاريخ الإمام المجدد أحمد بن عبد الأحد الفاروقي استعرض فيه بالنقد ديانة أكبر الهدامة المعروفة بالدين الإلهي وبحث عن أسباب ظهور هذه الحركة الإلحادية وبسط فيه القول عن كفاح الإمام التاريخي وجهاده الأكبر للقضاء على القوى المضادة للإسلام وعن تأثيره العميق في المجتمع الإسلامي في شبه القارة . ولكن هذا الكتاب لم يطبع حتى الآن . وفي هذه المقالة الموجزة نأتي بلمحات عابرة عن حياة الإمام المحدث عبد الحق الدهلوي وجهوده الإصلاحية مع تعريف موجز بمؤلفاته القيمة في مختلف المواضيع الإسلامية .

ولد الإمام المحدث في شهر محرم ٩٥٨ هـ / ١٥٥١ م في مدينة دهلي وكان ذلك في عهد الامبرطور الأفغاني إسلام شاه السوري ، وهذا من العجب العجاب ومن أغرب المصادفات أن في الشهر نفسه وفي السنة نفسها ولد أبو الفضل ، ذلك الطاغوت الأكبر الذي كان من أئمة الموجة الإلحادية التي ظهرت في عهد امبراطور المغول جلال الدين محمد أكبر الذي ابتدع تلك

---

(١) انظر ترجمته في المصادر الآتية : ١ – كلزار أبرار – طبع لاهور الترجمة الاردية ٢ – منتخب التواريخ للبدايوني ج ٣ ص ١٣٩ ، حياة الشيخ عبد الحق للنظامي ص ٤٠ – ٤١

الخبيثة التي سماها بالدين الإلهي . وكان أبو الفضل من كبار مؤسسي هذه النحلة الهدامة .

وأول من أتى إلى الهند من أجداد الإمام المحدث هو آغا محمد البخاري الذي هاجر عن بلاده في القرن الثالث عشر من الميلاد بعد ما قام به المغول من حملات همجية وغارات عنيفة ضد الإسلام والإنسانية والمدينة والحضارة عبر القارة الآسيوية ، وأقام في الهند في عهد السلطان عـــلاء الدين الخلجي . ومن المعلوم أن السلطان علاء الدين الخلجي هو الذي بلغ المجتمع الإسلامي في عهده ذروة رقيه وقمة كماله علماً وثقافة وسياسة . ومكث أولاد آغا محمد البخاري وأحفاده أصحاب علم وثروة وجاه ومنزلة . وكان والد الإمام المحدث الشيخ سيف الدين بن سعد الله بن فيروز رجلاً عالماً شاعراً أديباً ؛ ولد ونشأ بدهلي وأخذ العلم عن الشيخ عبد الملك بن عبد الغفور والشيخ أمان الله الباني بتي وعن غيرهما من العلماء والمشايخ وصحبهم وأفاد منهم ، وأخذ الطريقة عن الشيخ أمان الله المتوفي ٩٥٧هـ / ١٥٥٠ م . وكان مغرماً بمطالعة الكتب . ورأى الأستاذ خليق النظامي نسخة خطية من كتاب « الكاشف في أسماء الرجال » للإمام الذهبي في المكتبة الخاصة الأستاذ حبيب الرحمن الطيبب في « داكا » ، وكانت هذه النسخة في ملك الشيخ سيف الدين ، وعليها عبارة بخطه . وله مؤلفات في التوحيد والتصوف ، وكان شاعراً مجيداً ، وترك قصائد ومقطوعات شعرية . مات لثلاث بقين من شعبان سنة تسعين وتسع مائة (١) .

(١) نزهة الخواطر ، ج ٤ ص ١٣١ — أخبار الأخيار .

في ظل هذا الأب الفاضل تربى الإمام المحدث عبد الحق ورباه والده تربية جميلة . وبدأ بتعليمه منذ صباه ، فكان ينبته نباتاً حسناً ويعلمه مكارم الأخلاق ومحاسن العادات وينصحه ألا ينازع أحداً في مناقشة علمية ، ولا يؤذي أحداً بقوله ولابفعله ، وأن يعترف بالحق أينما كان ومن أي كان ، وأول ما علمه والده الكريم هو القرآن المجيد الذي فرغ من قراءته وحفظه في مدة سنة واحدة ، ثم صرفه إلى تعلم الكتابة وحصل عليها في شهر واحد ، وبعد ذلك بدأ في قواعد اللغة العربية ، وقواعده كتب منها ميزان الصرف ومختصراً لكافية ابن الحاجب وما إليها حتى أتم جميع دراساته وهو ابن ثماني عشرة سنة .

وكان مكباً على مطالعة الكتب منذ صباه ، وكان يرغب عن الملاهي والملاعب مائلاً عن مصاحبة أترابه من الأطفال والصبيان ، ويقول هو نفسه إنه لم يأكل قط ملء البطن ولم يستوعب ليلاً كاملاً بالنوم[1] . حتى كان أبواه يلومانه على إفراطه في المطالعة والدراسة وينصحانه أن يعتني باستراحته وصحته . وعلى الرغم من ولوعه بمطالعة الكتب كان رحمه الله يرغب في العبادات والنوافل ، فيقوم من نصف الليل ويصلي صلاة التهجد ويتلو ماتيسر من آي الذكر الحكيم .

وبعد أن فرغ من تحصيل علوم اللغة العربية والكلام والمنطق وبرع بها تلمذ على علماء ماوراء النهر ، وتلقى منهم الفقه والحديث ، ثم اشتغل في تدريس شتى العلوم لبضع سنوات في مدارس دهلي قبل أن يشد رحله إلى الحجاز .

---

(١) أخبار الأخيار ص ٣٠٢ – ٣٠٣

كان من أمنية المدرس الشاب عبد الحق الدهلوي أن يتشرف بزيارة الحرمين الشريفين ويتلمذ لعلمائها ويقرأ منهم الحديث النبوي ، فلما كان ابن ثمان و ثلاثين تيسر له ذلك فغـادر موطنه ومسقط رأسه دهـلي في سنة ٩٦٦ هـ الموافق ١٥٨٧ م متوجهاً إلى الحجاز . ولكنه لمّا وصل إلى ميناء كجرات علم أن السفينة قد رحلت فمكث في كجرات سنة كاملة ينتظر رحيل سفينة أخرى ، وخلال إقامته بكجرات تشرف مراراً بزيارة الشيخ وجيه الدين العلوي الكجراتي أحد كبار علماء كجرات الذي مكث على تدريس العلوم الدينية حوالي سبعة عقود وذلك بالإضافة إلى تأليف عدة كتب .

فلما وصل الطالب الشاب عبد الحق إلى مكة المكرمة اقتنته حلقة درس المحدث الكبير الشيخ عبد الوهاب المتقي تلميذ الإمام المحدث علي المتقي صاحب « كنز العمال » السالف الذكر . وكان الشيخ عبد الوهاب المتقي وحيداً بين معاصريه بنظرته العميقة وبصيرتـه النافذة في علوم الحديث ، وكان مثله مثل قاموس حي وموسوعة متحركة للعلوم الإسلامية التي تجمع بين طياتها علوم الفقه والحديث والصرف والنحو والأدب (١) .

فلما انتهى طالبنا إلى الشيخ عبدالوهاب أخبره بالأسباب التي أدت به إلى الرحيل إلى مكة المكرمة قائلاً : « ياسيدي إني أمرؤ نشأت من صغري في الرياضة للتعلم والتعبد ، لم أعتد صحبة الناس والاختلاط بهم والدخول فيهم، فلما حصل لي بفضل

(١) أخبار الأخيار ص ٢٦٥

الله طرف صالح مما أريد ، وقضيت وطري وحاجتي مما هنالك دعاني بعض أهل الحقوق إلى الخروج إلى أرباب الدنيا ، فأدركت سلطان الوقت والأمراء فاعتنوا بشأني ، ورفعوا مكاني ، وأرادوا أن يكثروا بي سوادهم ، ويحكموا ويعدوا بهذا الضيف صورهم وموادهم ،فحماني الله ولم يتركني معهم ، وأوجد في قلب عبده جذبة هدته إلى هذا المقام الشريف [١] .

فقبله الشيخ عبد الوهاب المتقي في حلقة درسه واهتم بتدريسه وتعليمه اهتماماً خاصاً ، فقرأ عليه كتاب « المشكاة » للبغوي في علم الحديث قراءة شاملة ، وكتاب وقواعد الطريقة في الجمع بين الشريعة والحقيقة ، وبعد أن حصل على الإجازة من الشيخ عبد الوهاب التفت إلى علماء الحجاز الآخرين وقرأ عليهم جميع كتب الحديث والعلوم الدينية .

بعد فراغه من تحصيل علوم الحديث في الحجاز أراد الشيخ عبد الحق الدهلوي أن يختار الحرم المكي وطناً له ويستن بسنة أستاذه الشيخ عبد الوهاب المتقي وأستاذ أستاذه الشيخ علي المتقي ويقوم بخدمة العلوم الإسلامية وخاصة منها علم الحديث . ولكن أستاذه الشيخ عبد الوهاب أصر عليه أن يرجع إلى وطنه . بلاد الهند ، ويقوم بنشر تعاليم الإسلام الحنيفة السمحة السهلة ، ويبث نور الإسلام في ظلمات الهند . فلبّى طلب أستاذه ورجع إلى الهند حيث وصل في سنة ١٠٠٠ هـ .

واشتغل الشيخ عبد الحق بتدريس علم الحديث وأقام لهذا الغرض

(١) كتاب المكاتيب والرسائل للإمام المحدث عبد الحق الدهلوي ص ٢٧٩ نقلاً عن حياة الشيخ عبد الحق المحدث النظامي ص ٩٢

مدرسة في دهلي واختار لها منهجاً دراسياً يختلف عن المناهج الدراسية بالمدارس الهندية الأخرى اختلافاً جوهرياً هدفياً ، فكان كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم هما الأساسان اللذان بنى عليها بناء العلوم الأخرى والجهاز التعليمي والنظام الدراسي ، ولم تكن حالة الهند الدينية عند وصوله إلى وطنه كما كانت عند مغادرته إلى البلاد العربية بل أصبحت أسوأ منها بكثير .

ونقل إلينا المؤرخ عبد القادر البدايوني الكثير عن أحوال الهند في النواحي الدينة والثقافية والفكرية في العقود الأخيرة من القرن العاشر الهجري وفي مستهل القرن الحادي العشر ؛ فكان أمبراطور المغول جلال الدين محمد أكبر متربعاً على عرش الامبراطورية يدعو النـاس إلى نحلته الجديدة ويقرب الهنادكة والفرق الضالة إليه ، وكانت المتصوفة الزائغة تكدر مناهل الإسلام الصافية بأفكارها المستوردة ، فكان شبه القارة في حاجة إلى علماء وقادة فكر يكافحون للقضاء على الحركات الهدامة ولاحياء النظم الإسلامية الصحيحة ، لتتحول مسيرة الفكر الهندي من إلحاد إلى الإسلام .

عمل الإمام المحدث في جميع هذه الاتجاهات ، فحض كثيراً من أعيان الحكومة على إحياء السنة والقضاء على البدعات ، وكافح لتصحيح المفاهيم الإسلامية من التمويهات الضالة التي نشرها الصوفية الباطلة ، وأعلن بصراحة أن كل حقيقة ردت عليها الشريعة فهي زندقة (١) .

كتب لنيل هذا الهدف كتباً ورسائل وألقى محاضرات ودروساً ،

---

(١) كتاب المكاتيب والرسائل ص ٤٢

وقال في كتابه «مرج البحرين»:

«التصوف محتاج إلى الفقه أما الفقه فمستغن عن التصوف، ومهما كان التصوف أعلى وأرفع فإن الفقه أعم مصلحة وأسلم، ولذا قال بعضهم: كن فقيهاً صوفياً ولا تكن صوفياً فقيهاً، يعني الفقه والعمل بالشريعة يتقدم كل شيء»[١].

وكان يعتقد أن كل مايقوم به من نشر التعاليم الإسلامية الصحيحة هو بأمر من الله تبارك وتعالى، فقال: إن هذا العبد مأمور ألاّ يتكلم إلا في القضايا الدينية الهامة وشؤون الأمة التي هي باعث تنفيذ الشريعة وتجديدها وسبب المحافظة على عقيدة السنة النبوية وأحكامها، وألاّ يخرج عن دائرة الاعتدال والاحتياط ولو خطوة[٢].

وعلاوة على كل هذا كتب إلى كبار أعيان الدولة وحثهم على النهوض ضد التيار الإلحادي الذي هاجم شبه القارة في منتصف القرن العاشر أثارَ فيهم الغيرة على خيبة الإسلام وأهل الإسلام في ديار الهند، وكان بين من كتب إليهم الوزير المغولي عبد الرحيم خان خانان ونواب مرتضى خان وغيرهم. ولما توفي الامبراطور جلال الدين محمد أكبر كتب الإمام المحدث رسالة طويلة إلى الشيخ فريد وأوصاه أن يقدمها إلى الامبراطور الجديد نور الدين جهانكير ويقرأها عليه ويلخص له معانيها ومطالبها. وكان عنوان الرسالة: تنبيه الغافلين بفناء الدنيا وأربابها، وإغترار الجاهلين بزخارفها

(١) مرج البحرين للامام الدهلوي ص ٨٦ — ٨٧

(٢) كتاب المكاتيب والرسائل ص ٢

وأسبابها . ثم زار الامبراطور في السنة الرابعة عشرة من جلوسه على العرش ، فأجله الامبراطور واحترمه ؛ ولكن الأمبراطورة الشيعية نورجهان كانت تنفر منه وتبغضه .

كان الإمام المحدث عبد الحق الدهلوي من كبار قادة حركة نشر الحديث وتصحيح المفاهيم الإسلامية في شبه القارة ، ولم يسبقه في ذلك أحد من معاصريه سوى الإمام المجدد أحمد بن عبد الأحد الفاروقي السرهندي إلا أن الفضل الأكبر في نشر الحديث يرجع إلى الإمام عبد الحق ، فعكف على تدريس علوم الحديث أكثر من نصف قرن ، وقرأ عليه الحديث في هذه المدة آلاف وآلاف من طلبة الحديث من جميع أنحاء الهند وخارجها ، وألف بالإضافة إلى ذلك سلسلة من الكتب في علم الحديث باللغة الفارسية التي كانت اللغة السائدة في الدوائر العلمية . ونذكر فيما يلي بعض مؤلفاته في علم الحديث .

١ ــ لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح ، باللغة العربية . وله نسخ كثيرة خطية موجودة في كثير من المكتبات العلمية في شبه القارة . وطبع مجلدان منه في سنة ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م في مطبعة مكتبة المعارف العلمية بلاهور ، وستتلوه مجلدات أخرى ، إن شاء الله . ويقوم بتصحيح نسخ الكتاب ومقارنة مخطوطاته الأستاذ محمد عبيد الله المفتي مدير المدرسة الأشرفية بلاهور ، الذي أضاف إليه تعليقات موجزة في بعض المقامات ، وذيله بفهارس بسيطة عن موضوعات الكتاب وعن أسماء الرواة وعن الكلمات الأولى للأحاديث التي أخرجت في الكتاب .

٢ ــ أشعة اللمعات في شرح كتاب المشكاة ، باللغة الفارسية في أربع مجلدات ؛ طبع مراراً في الهند وباكستان طبعاً حجرياً ، وقدم

الإمام لهذا الكتاب مقدمة بسيطة في علم الحديث وأصوله وتراجم كبار المحدثين .

٣ ـ رسالة في أقسام الحديث ، باللغة العربية . طبع مراراً ، وطبعت ترجمته الأردوية .

٤ ـ ما ثبت بالسنة .

٥ ـ جامع البركات في شرح منتخب المشكاة ، باللغة العربية .

٦ ـ مطلع الأنوار البهية في الحلية النبوية . توجد منه نسخة خطية في مكتبة الجمعية الآسيوية البنغالية .

وبالإضافة إلى خدمة الحديث النبوي ألف كتباً أخرى لعبت دوراً هاماً في تصحيح المفاهيم الإسلامية ، وتصفية الأباطيل الفكرية الإلحادية .

١ ـ مدارج النبوة ، باللغة الفارسية . وهو أحسن كتاب ألف في السيرة النبوية في الهند ، ويحتل مكانة مرموقة في الأدب الإسلامي الذي قدمته شبه القارة خلال القرون ، ولعب هذا الكتاب دوراً هاماً في القضاء على الإلحاد الأكبري الذي كان يهدف إلى الحط من صلة مسلمي الهند بشخصية رسول الله ﷺ . طبع هذا الكتاب مراراً ، ونقل إلى اللغة الإردية ، وطبعت الترجمة الإردوية في كراتشي قبل عدة سنوات .

٢ ـ تحصيل التعرف فى معرفة الفقه والتصوف ، باللغة العربية . وفيه محاولة للجمع بين الفقه والتصوف .

٣ ـ الرسالة السلطانية : كتبها إلى الامبراطور المغولي نور الدين جهانكير لبيان قواعد الحكم ومبادئه في الإسلام ، وآداب الحكم والسياسة . وكان

الأمام المحدث من الذين ساعدوا الأمير جهانكير وآزروه على اعتلاء العرش الامبراطوري ضد أخيه الذي كان من أنصار الإلحاد الأكبري .

٤ ـ أخبار الأخيار في أحوال الأبرار ، باللغة الفارسية . طبع مراراً وترجم إلى اللغة الإردوية ، ويوجد كثير من نسخه الخطية في مكتبات الهند وباكستان واوربا . جاء المؤلف فيه بتراجم علماء الهند ومشايخها ابتداءاً من الخواجه معين الدين الجشتى الاجميري وانتهى إلى معاصريه . وهذا الكتاب من المصادر الموثوقة عن تاريخ شبه القارة الإسلامي وعن الحالة الدينية في العصور المختلفة .

٥ ـ آداب الصالحين ، باللغة الفارسية . وهو خلاصة كتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالي . طبع مراراً بالفارسية وترجم أيضاً إلى الإردوية .

٦ ـ آداب اللباس ، باللغة الفارسية . لم يطبع حتى الآن ، وتوجد منه نسخ خطية في عدد من مكتبات أوربا وباكستان والهند .

٧ ـ زبدة الآثار في تلخيص بهجة الآثار ، باللغة العربية ، في سيرة الصوفي الشهير عبد القادر الجيلاني . وبهجة الآثار هو من مؤلفات الشيخ نور الدين أبي الحسن على المتوفي ٧١٣

٨ ـ زاد المتقين . وهو في أحوال مكة المكرمة وفي سيرة علمائها ومشايخها ، وانطباعاته حول إقامته بمكة المكرمة . ونسخه الخطية في مكتبة المتحف البريطاني والمكتبة الآصفية بحيدر آباد .

٩ ـ التاريخ الحقي ، باللغة الفارسية . يبحث عن تاريخ الهند الإسلامي منذ ظهور الإسلام في شبه القارة وبدء الحكم الإسلامي حتى آخر القرن العاشر الهجري ، وهو كتاب مهم ومصدر موثوق به بين مصادر تاريخ الهند .

توجد منه نسخ خطية في عدد من مكتبات باكستان والهند وأوربا . ولم يطبع كامله بالأصل الفارسي ، وطبع جزء منه باللغة الانكلزية في مجموعة ايليوث .

١٠ – جذب القلوب إلى ديار المحبوب ، باللغة الفارسية . وفعلاً كتبه لجذب قلوب المسلمين في شبه القارة إلى ديار الحبيب ﷺ ، وهو يبحث عن تاريخ الحرم النبوي وفضائله وأخبار سكانه ، وحادثة الهجرة وكيفية مباني المدينة المنورة وفضائل المسجد النبوي وأماكن المدينة المنورة الأخرى . وكان لهذا الكتاب دور بارز في القضاء على المؤامرة الهندوكية ضد النبوة المحمدية على صاحبها ألف ألف صلاة وتحية .

١١ – تكميل الإيمان ، باللغة الفارسية . وهي رسالة في التوحيد والعقائد على طريقة أهل السنة والجماعة . طبعت مراراً في الأصل الفارسي وطبعت ترجمته الإردوية أيضاً أكثر من مرة .

١٢ – ويروي المؤرخون مؤلفاً له عن التفسير ، وهو كتاب « تعليق الحاوي على تفسير البيضاوي » . وكان باللغة العربية ولكن لاتوجد منه نسخة .

١٣ – زاد المتقين . وهو في أحوال مكة المكرمة ، وفي سيرة علمائها ومشايخها ، وفي انطباعاته ومشاهداته في إقامته بالبلد الحرام . وكتب هذا الكتاب لتشويق عامة المسلمين في شبه القارة إلى زيارة الحرمين الشريفين ولتوطيد الصلات الروحية والدينية بين الهند ومكة المكرمة . لم يطبع هذا الكتاب حتى الآن ، وأما نسخه الخطية فتوجد في المتحف البريطاني والمكتبة الآصفية بحيدر آباد الدكن بالهند .

١٤ – مطلع الأنوار البهية في الحلية النبوية . لعله يشتمل على

شمائل النبي ﷺ وعاداته الشريفة وحليته الكريمة . ولم يطبع حتى الآن وتوجد نسخة خطية منه في مكتبة الجمعية الآسيوية البنغالية .

هذه هي مؤلفات الإمام المحدث عبد الحق الدهلوي الذي أضاء في شبه القارة في حاضرة الإمبراطورية الإسلامية – دلهي – شمعة الحديث وبث أشعة النور النبوي في أنحاء الهند، واشتغل في تدريس علوم الحديث أكثر من نصف قرن ، وتوفي إلى رحمة الله في الواحد والعشرين من ربيع الأنور عام ١٠٥٢ ﻫ وهو إذ ذاك ابن أربع وتسعين . رحمه الله تعالى رحمة واسعة ورضي عنه وأرضاه .

إسلام آباد محمود أحمد غازي

التعريف والنقد

حركة الإحياء اللغوي
في بلاد الشام

الأستاذ شفيق جبري

من جلائل الموضوعات موضوع اللغة ، والسبب في جلالة هذا الموضوع منزلة اللغة في الأمم ، فاللغة إنما هي صورة الأمّة وتاريخها وحضارتها ، فإذا اغتبطنا بظهور كتاب يتصل باللغة على اختلاف أبوابها فغبطتنا في محلها ، وإذا ألمنا من استعمال الحرية في التصرف في أمور اللغة بحسب مشيئة المتصرفين وهواهم فلنا الحق في هذا الألم ، فقد يقع نظرنا في هذه الأيّام على بعض الانحراف عن الذوق في الأساليب ، أو على إخلال بالموسيقى في بعض التراكيب ؛ أو على توليد ألفاظ ما نظن أنّ بنا حاجة إلى توليدها، فلا يمرّ بنا يوم دون أن نسمع في دور الإذاعة ، أو نقرأ في الصحف ألفاظاً حديثة مثل : جدْولة الديون. أو عسْكرة القضية ، أو ما شابه ذلك ، فقد أصبح لكل واحدٍ منا حرية في اختراع اللفظة التي يراها مناسبة للإعراب عن فكرته ، فإذا كان الأمر على هذا الوجه فلا ندري كيف تكون اللغة بعد قليل من الزمن،

فقد أشار بعض علماء اللغة في الغرب إلى أن الأحفاد في طائفة من قبائل افريقية لا يفهمون لغة الأجداد لكثرة ما يولد من الألفاظ من حين إلى آخر. أمّا أن يولّد العصر ألفاظاً تشتد إليها الحاجة في أبواب العلم والاجتماع والاقتصاد وغير ذلك ويتمّ الاصطلاح عليها ويشيع استعمالها من دون البعد عن مقاييس اللغة وجوهرها فهذا أمر يخفّ الاعتراض عليه، وأمّا أن يخترع كل واحد منّا لفظاً لما يعنّ له من الأفكار فقد تصبح اللغة فوضى ويصيبنا ما أصاب الأحفاد في قبائل افريقية. إنّا نحرص على وحدة اللغة ونظامها حتى لا تصبح فوضى. ولست أدري أيكون هذا الرأي رأي علماء اللغة في عصرنا.

يجدر بي بعد الإفصاح عن هذه الفكرة الوجيزة أن أشير إلى كتاب: «حركة الإحياء اللغوي في بلاد الشام» للدكتورة نشأة ظبيان، فقد تضمّن الكتاب مقدّمة وفصولاً وأبواباً، أمّا المقدمة فلا سبيل إلى تلخيصها وحسبي التنويه بما اشتملت عليه من أفكار سديدة في منزلة اللغة في الأمم وإني لأكتفي بذكر السطر الأول من المقدمة لنعرف كيف تنظر المؤلفة إلى اللغة، فقد قالت: «الأمة لغتها، واللغة وعاء فكر الأمة ونبض فاعليتها، ففي حياة اللغة بقاء الأمة وفي خمولها موتها وتواريها». وقد أفاضت الدكتورة نشأة في مقدمتها في هذا المعنى على قدر ما يستحق من الإفاضة والعناية واستشهدت بأمور كثيرة للدلالة على منزلة اللغة وعلى الاعتناء بحفظها والحرص على حياتها من قبل العلماء في القديم والحديث فلا غنى عن الرجوع إلى هذه المقدمة الشافية الوافية لإدراك نظرة المؤلفة إلى جوهر اللغة وكيانها.

أمّا الأبواب التي تضمّنها الكتاب فهي ثلاثة أبواب وكل باب منها يشتمل على فصول كثيرة ؛ فقد سمّت الباب الأول : حركة الإحياء المعجمية، فتعرضت لمعجمات اللغة في القديم والحديث ، فتكلمت على ترتيبها وتنسيقها وعلى ما يتصل بهـــذا كله ، وعلى مناهجها في شرح الألفاظ وعلى الأطوار التي تقلّبت فيها معجماتنا في عصورها المختلفه ، ولم تنفل في بعض الحالات عن نقد بعض المعجمات في ردّ طائفة من الألفاظ إلى أصولها ، وفي هذا كله جهد غير يسير .

وليس هذا كلّه مانضّمنه فصل المعجمات اللغوية ، فقد انتقلت المؤلفة في الفصول التالية إلى الكلام على أطوار دلالة الموادّ اللغوية في المعجمات من حيث قصور التعريف والابهام والمقالة اللغوية ، وبعد الفراغ من هذا البحث تكلمت على الموسوعات ومعجمات الأعلام والتاريخ الأدبي ومعجمات المعاني ونوادر اللغة في بلاد الشام والتعريب . ولا تغني الإشارة إلى هذه المباحث عن الرجوع إليها وإطالة النظر فيها .

وأمّا الباب الثاني من الكتاب فقد جعل لعلوم اللغة كالنحو والصرف والبلاغة وفقه اللغة وعلمها والعروض والخط .

وقد اقتصرت في الباب الثالث على ذكر الخصائص العامة لحركة الإحياء اللغوي . ولم تخل الفصول كلها من نقد إذا احتاج الأمر إلى النقد ومن بيان رأي خاص إذا لزم هـذا البيان . وختمت المؤلفة أبواب الكتاب وفصوله بخاتمة ذكرت فيها أهمّ ما وصل إليه البحث في هذا السبيل .

لقد دلّ كتاب حركة الاحياء اللغوي في بلاد الشام على اطلاع صاحبته

الواسع في علوم اللغة وعلى تدقيقها في المراجع التي رجعت إليها وعلى فهمها لخصائص هذه المراجع وإدراكها لها وفطنتها إلى محاسنها ، كلّ هذا يدلّ على ميلها إلى علوم اللغة وعلى استعدادها للأخذ والرد في هذه العلوم. ولا شك في أن القارىء يشعر بالمجهود الذي بذلته المؤلفة في تأليف كتابها، وإذا كنت لا أرى مجالاً للتنويه بكل ما جاء في محتويات هذا الكتاب فإني لا أقصّر في أن أشكر للمؤلفة الفاضلة اهتمامها بموضوع اللغة وغيرتها على هذه اللغة التي هي عنوان تاريخنا وحضارتنا .

شفيق جبري

ولادة وأثرها في حياة ابن زيدون

تأليف : عبد الرزاق الهلالي

مطبعة المعارف — بغداد ١٩٧٦

الدكتور شكري فيصل

نشر الأستاذ عبد الرزاق الهلالي الأديب العراقي المعروف منذ مايزيد على ربع قرن (١٩٤٧ م) كتاباً بعنوان : ولادة وابن زيدون ، جاء أثراً لاهتمامه بهذه الشخصية الأدبية ، واتخذ هذا الاهتمام أشكالاً مختلفة (بين مقال ينشر ، وحديث يذاع ، وكتاب يصدر إلى الناس ص ٢٨) .

وقد أتاح المهرجان الذي دعت إليه وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية في المغرب بإشراف الوزير العالم الأديب الأستاذ محمد باحنيني فرصةً طيبة أمام المهتمين بالأدب الأندلسي من عرب ومستعربين لتعميق الدراسات حول ابن زيدون وإثارة الجديد فيها .

وكان من بين الأبحاث التي قدّمت للمهرجان بحث كتبه الأستاذ الهلالي بهذا العنوان : ولادة وأثرها في حياة ابن زيدون ، تناول فيه أثر ولادة في مظاهرَ ثلاثةٍ من حياته : أثرها في شعره ، وأثرها في حياته الاجتماعية ، وأثرها في سلوكه الذاتي . ثم أخرجه للناس في هذا الكتاب .

ولكن الكتاب لا ينطوي على هـذا البحث فحسب ، وإنما ينطوي كذلك على شيء من التأريخ الأدبي فقد عرض لحكايتين في تاريخ الأدب العربي : أولاهما حكاية معاصرة هي حكاية المهرجان وبعض الوثائق التي تتصل به ، من مثل الدعوة إليه ، والظروف التي أحاطت به .. والثانية قديمة — معاصرة هي الآراء الأدبية التي دارت حول ولادة .

أما الحكاية الأولى فقد ضمن المؤلف كتابه عرضاً موجزاً لفكرة المهرجان منذ البداية ، أي منذ ساورت الفكرة وزارة الدولة للشؤون الثقافية بمناسبة الذكرى الألفية لمولد ابن زيدون « ٣٩٤ - ١٣٩٤ » ثم لبعض المراحل التي مرت بها ، ثم لنص الدعوة المشتركة التي وجهها الوزير الأديب باحنيني والتي كانت نصاً أدبياً رائعاً ، ثم لتأجيل الموعد ، ثم لكلمة الافتتاح — التي كانت في ذات الوقت كلمة وداع ، والتي ألقاها السيد الوزير على الأعضاء المشاركين .

ولم يكن ذلك من شأن الكتاب ، ولكن المؤلف خشي ألا يصدر الكتاب التذكاري عن المهرجان ، أو يتأخر ، فأسرع إلى تسجيله بغية حفظه بين دفتي كتاب .

أما حكاية الآراء الأدبية حول ولادة ، فذلك أن المؤلف لاحظ أن كتاباً للأستاذ علي عبد العظيم - وكان في أصله رسالة ماجستير ص ٢٣ - صدر سنة ١٩٥٥ ، أفاد من بحثه هو ، الذي كان أصدره سنة ١٩٤٧ ، تشابهاً معه أو تطابقاً أو توافقاً ، دون أن يدل عليه أو يعرف به أو يصاحبه في شيء .

وقد حاول الأستاذ الهلالي أن يشير إلى ذلك في البداية ، وفي

المقدمة ، إشارةً لبقة « ص ٦ » كان هذا التلويحُ بها يغني عن التصريح . ولكن اعتزازه بما كان انتهى إليه من رأي في تفسير ســـلوك ولادة ، وموقف الأستاذ عبد العظيم في سكوته عن كتابه ، بَتاته التصريح بأنه لم يره « ص ٢٣ » ـ ذلك دفعه إلى أن يجاوز الإشارة في المقدمة إلى الافصاح الصريح في فقرات من الكتاب .

وقد اضطره الأمر أن يثبت مقالاً أنُفاً ـ كان أعدّه ولم ينشره ـ بعنوان : ولادة بين الهستريا والشذوذ الجنسي ، ضمنه شهادةً من الأستاذ الدكتور بدوي طبانه لبحثه الأول ص ١٤ ، وتلخيصاً لبعض ما كان قاله فيه ، وبخاصة في فصل : فتاة ساحرة ، ثم لما قاله بعده الأستاذ علي عبد العظيم في كتابه « ابن زيدون ، عصره ، حياته ، أدبه » في النقاط ذاتها ، هـــادفاً من ذلك إلى التأكيد — عن طريق المقارنة بين بعض الفقرات من هنا وبعضها من هناك ـ على متابعة الأستاذ عبد العظيم له وأخذه منه .

والواضح أن الأستاذ عبد العظيم لم يقتصر على الآراء التي وقف عندها الهلالي : عدم الزواج ص ١٧ ، الانحراف الجنسي والهستريا ص ١٨ وما بعدها ، ثم ص ٤٣ وما بعدها ، وإنما طرح فرضيات أخرى . مما قاد المؤلف إلى مناقشته فيها (السادية عند ولادة ص ٢٤ والماسوشية عند ابن عبدوس ص ٢٤ — ٢٥) وإنكارها .

وفي النفس كثير مما يلجأ إليه بعض الباحثين من اقتباس هـــذه النظريات النفسية المختلفة ، ثم تطبيقها على بعض شخصياتنا الأدبية ، فالأمر في ذلك يجب أن ينهض على عمق ودقة .

وليس الخوف ، في العادة ، من اتصال الآراء أو تلاحقها أو تلاقيها ..
وإنما الخوف أن تستبد بنا بعض الآراء استبداداً عنيفاً فتحملنا على التسليم بها
أو الانقياد إليها .

ذلك أننا لسنا أمام شخصية معاصرة نستطيع أن نتعرف إليها ، وإنما
هي شخصية غبرت عليها قرون ، ألف سنة .. ثم نحن لا نملك عنها إلا بعض
الأخبار وبعض الأشعار .

وتفسير الشخصية بالخبر أو الخبرين والبيت أو البيتين أمرٌ عسير
ولو تركنا الحبل على الغارب لكانت ولادة منحرفة وشاذة ، وهستيرية ،
وسادية .. وذلك شأن لا يتيح الاطمئنان .. وحسبنا أن نرى في هذه
الآراء أنها ملاحظات مثيرة ولكنها ليست حقائق قاطعة .

إن استخدام نظريات علم النفس على هذا النحو العريض يحتاج إلى
تعامل طويل مع المناهج النفسية المختلفة ، وواضح أن استثمار هذه المناهج في
دراسة ولادة سيكون صعباً جداً لتعذر تطبيق المنهج الاستبطاني (الذي
يقوم على ملاحظة الإنسانِ نفسَه) أو المنهج الموضوعي (الذي يقوم على
أن نلاحظ نحن سلوك الآخرين) أو المناهج الأخرى التي تتكامل منها .

وأياً كان تعدد الدوافع التي أدّت إلى إصدار هذا الكتاب
وتنوعها فمن المؤكد أن الأستاذ الهلالي شارك بجهد واضح في هذا المهرجان
على هذين النحويين : ما يتصل بابن زيدون أو بولادة نفسها (من هي
ولادة ص ٣٠ وما بعدها ، ثم أثرها في شعره وحياته الاجتماعية وسلوكه)
ثم ، ما يتصل بتطور الدراسات الأدبية المعاصرة في موضوع معين من نحو آخر .
ولعل مثل هذا البحث ينهض مثلاً واضحاً على هذا التطور ، حين يبدأ

باحث موضوعاً ينقّب فيه ليقـع على بعض الآراء ثم تُتناقل هذه الآراء بالمناقشة والتعميق والتنمية عقداً بعد عقد ، وباحثاً بعد باحث .

والأستاذ الهلالي في بعض أبحاثه ومقالاته الأدبيه أحد البارزين في جماعة أدبية توشك أن تكون في بعض خصائصها مدرسة متميزة .. نعنى بأن تربط دائماً في حديثها عن الفكرة أو الظاهرة ، بتسجيل بعض الأسماء التي تصاحب هذه الفكرة أو التي تشهد لها .. هذه المدرسة التي نجـــد أسمـاء لامعة من أسمائها في بريد مجلة الأديب بوجه خاص والتي تعتمد الرسائل الاخوانية بعضاً من قوالبها فيا يساورها من فكر أو تعليقات .. وإنه لمُعْتَمد ومُعَوَّلٌ ، يمازج بين الذات والموضوع أو بين الذوات والموضوعات على نحو مثير ، ويمنح ما تكتبه روحاً من روح العلائق والصداقات .

فهل يفسر هذا ما نجده في هذا البحث من أسماء معاصرة ؟

بقي أن أشير إلى بعض الملاحظات الخفيفة : فقد ورد اسم الكتاب مرتين (ص ٢٨ و ص ٣٠) على أنه « ولادة وابن زيدون » مخـالفاً لما على صفحة الغلاف . وعنوان الغلاف ألصق بالموضوع ، وأوضح دلالة عليه .

وورد في هامش ص ١٠ ، في صدر التعليق على كلمة « ازدياد » التي جاءت في رسالة الأستاذ الوزير باحنيني على أنه مصطلح مغربي ، وهو في الواقع مصطلح عربي، ثم هو قبل ذلك مصطلح قرآني مأخوذ من قوله تعالى في الآية الكريمة ﴿ اللهُ يَعلمُ ما تحملُ كلُّ أنثى وما تغيضُ الأرحامُ وما تزدادُ وكلُّ شيءٍ عندهُ بمقدار [1] ﴾ .

وورد بيت ولادة : « وأمكن عاشقي من صحن خدي » (ص ١٦

(١) سورة الرعد الآية ٨

وص ٣٢) وأفضّل أن تكون قراءته بالتضعيف وحذف حرف العطف :أمكّن .

والأستاذ الهلالي لايشير إلى أرقام الصفحات في بعض الهوامش التي يأخذ عنها (راجع مثلاً هوامش الصفحات ٤٠ – ٤٢ ، ٤٩ فيما أخذه عن الدكتور شوقي ضيف أو أحمد زكي باشا أو الذخيرة أو ..) .

تمنيت لو أن الأستاذ الهلالي استغنى في هذا الكتاب عن بعض ما كان يمكن أن يُستغنى عنه ، وبخاصة ما كان من تسجيله لحديث له صحفي في آخر الكتاب .. ذلك لأنه لايتضمن جديداً لم يسبق أن أشار إليه .

ومهما يكن من أمر ، فسيظل عنصر الإثارة الفكرية ومحاولة تعميق البحث عن هذه الشخصية الأديب بعض مايدفع إلى شكر المؤلف وتقديره على عمله في هذا الجزء اللطيف .

دمشق شكري فيصل

شعر مروان بن أبي حفصة

جمعه وحققه الدكتور حسين عطوان

دار المعارف ١٩٧٣ – ١٨٤ صفحة

الأستاذ محمد يحيى* زين الدين

حفلت كتب التراجم والتأريخ بذكر العديد من أشعار مروان ابن أبي حفصة ، أما الكتب الأخرى فلم ترو إلا بعض الأبيات اليسيرة منها ، ولم يتبقّ من قصائده المطولة سوى اثنتين ذكرهما ابن المعتز في كتابه طبقات الشعراء .

وقد عمد الدكتور حسين عطوان إلى جمع تلك الأشعار معتمداً على مصادر متعددة ، ولكنه غفل عن بعض الكتب المطبوعة مثل نثر النظم ، وغرر الخصائص ، وتاريخ الموصل . كما لم يتيسر له الاطلاع على بعض المخطوطات مثل عيون التواريخ ، والوافي بالوفيات . وثمة ملاحظات على صنيعه أذكرها فيما يلي :

ص/٢٠ :

بنو شُرَيكٍ هُمُ القومُ الذينَ لهُم   في كلّ يومِ رهانٌ يُحرِزُ القَصَبُ

وفي الحاشية : « رفع القصب وحقه في قياس النحو أن ينصب ». وهذا خطأ بيّن ، والصواب : « في كلّ يومِ رهانٍ يُحرَزُ القَصَبُ » بالبناء للمجهول ، والأبيات الثلاثة الأولى من هذه المقطعة هي من قطعة

أخرى في مدح المهدي ، وليس كما ذكر المحقق . انظر عيون التواريخ المجلد السادس حوادث « ١٦٤ » ، والمقطعة الثانية من هذا المقال في الصفحة التالية .

ص/٣٦

تذكّرنا أبصارُهـا مقلَ المها وأعناقها أدمُ الظّباءِ العواقدُ

والصواب : تذكرنا أبصارَها مقلُ المها ، تمشياً مع سياق الشطر الثاني

ص/٨٩

ثلاثٌ بأمثالِ الجبالِ حُبَاهُمُ وأحلامُهم منها لدى الوزنِ أثقلُ

والصواب : ثُلاثٌ بأمثال . . . وثلاث : تُقرن به الأمور وتُعقد .

ص/٩١

قاسيتُ شدّةَ أيّامي فما ظفرت يداي منها بصابٍ ولا عَسَلِ

والشطر الثاني مضطرب الوزن ، وصوابه كما في الإبانة عن سرقات المتنبي : ١٥٤ « لا ولا عسل » .

— ٢ —

كما غفل المحقق عن ذكر بعض أشعار مروان بن أبي حفصة ، وهي في مجموعها ٢٨ مقطعة ، عدد أبياتها ٩١ بيتاً ، وبعض هذه الأبيات تتمة لمقطعات الديوان ، وقد ألحقتُ بهذه الزيادات تخريجاً لها ، وهو تخريج مقتضب ، بيّنتُ فيه المصادر التي نقلتُ منها هذه المقطعات ، دون أن أبيّن عدد الأبيات أو نسبتها في كل مصدر منها :

١ ـ أفنى البكاءُ على الإمامِ محمّدٍ ماءَ العيونِ فأسعدَت بدمائها [١]

إنّ القبورَ قديمَها وحديثَها بصداكَ فاضلةٌ على أصدائها

(١) تاريخ الموصل ٢٥٥ ، وانظر ق ١

مـا حفرة أسنى وأكرم ساكناً ... من حفرة حدروك في أرجائها
إلاّ التي أمسى النبيّ محمّـد ... فيها فإن لتلك فضل سنائهـا

٢ ـ ما يلمع البرق إلاّ حنّ مغترب ... كأنّه مِن دواعي شوقه وصِب (١)
أهلاً بطيف لأمّ السِّمط أرّقنا ... ونحن لا صدد عنها ولا كثب
وُدّي على ما عهدتم في تجدّده ... لا القلب عنكم بطول النأي ينقلب
ما أنسَ لا أنسَ غيثاً طلّ وابله ... عليّ من راحة المهديّ ينسكب
يُمنا فما أخطأتنـا من مخايله ... سحابة صوبها الأوراق والذهب
صدّقت يا خير مأمول ومعتمد ... ظنّي بأضعاف ماقد كنت أحتسب
أعطيت سبعين ألفـاً غير متبعها ... منّـاً ولست بمنّان بما تهب
قد لاح للناس بالمهديّ نور هدى ... يضيء والصبح في الظلماء محتجب
خليفة طـاهر الأثواب معتصم ... بالحقّ ليس له في غيره أرب

٣ ـ له سحائب جود في أنـامله ... أمطارها الفضّة البيضاء والذهب (٢)
يقول في العسر إن أيسرت ثانية ... أقصرت عن بعض ما أعطي وما أهب
حتّى إذا عدن أيّام اليسـار له ... رأيت أمواله في النّاس تنتهب
كالشّمس نوراً ولكن ماله لهب ... كالغيث جوداً ولكن وبله ذهب

٤ ـ إذا ما حمام المرء حُمّ ببلدة ... دعته إليها حاجة وتطرّب (٣)

---

(١) عيون التواريخ المجلد السادس حوادث « ١٦٤ » وانظر ق ٤

(٢) غرر الخصائص ١٧٣ ، والبداية والنهاية ٩ / ٣٣٤ ، ونثر النظم ١٧ ، والمنتخب من ربيع الأبرار ١٠٤ ، ١١٨ ، والبيت الرابع في ديوان البستي ١٤ ضمن مقطعة في خمسة أبيات .

(٣) محاضرات الأدباء ٤ / ٤٩١ ، ٦١٤ ، وانظر ق ٢ .

٥ - يا مَن على الجودِ صاغَ اللهُ راحتَهُ ... فليسَ يعرفُ غيرَ البذلِ والجودِ (١)
عمّتْ عطاياكَ مَن في الأرضِ قاطبةً ... فأنتَ والجودُ منحوتانِ من عودِ
٦ - كفى لكَ فضلاً أنّ أفضلَ حرّةٍ ... غذتكَ بثديٍ والخليفةَ واحدِ (٢)
لقد زنتَ يحيى في المشاهدِ كلّها ... كما زانَ يحيى خالداً في المشاهدِ
٧ - زارَ ابنُ زائدةَ المقابرَ بعدَما ... ألقت إليهِ عرى الأمورِ نزارُ (٣)
إنّ القبـائلَ من نزارٍ أصبحت ... وقلوبُها أسفـاً عليكَ حِرارُ
ودّتْ ربيعةُ أنّهـا قُسِمت لهُ ... منها فعاشَ بشطرِها الأعمـارُ
فلأبكينّ فتى ربيعةَ ما دجـا ... ليلٌ بظلمتـهِ ولاحَ نهـارُ
لا زالَ قبرُ أبي الوليـدِ تجودُهُ ... بعِهادِها وبوبلِهـا الأمطـارُ
قبرٌ يضمُّ مـع الشجاعةِ والندى ... حلمـاً يخالطهُ تقىً ووقـارُ
إنّ الرزيّةَ من ربيعةَ هالكٌ ... تركَ العيـونَ دموعُهنّ غزارُ
رحبُ السُّرادقِ والضيـاءُ جبينهُ ... كالبـدرِ شقّ ضياءَهُ الإسفارُ
لهفاً عليك إذا الطعانُ بـارقٍ ... تركَ القنا وطوالهنّ قصـارُ
حتّى الأعنّةَ يومَ مـاتَ مشيّعٌ ... بطلُ اللقـاءِ مجرّبٌ مغـوارُ
يُمسي ويُصبحُ معلماً تذكى به ... نـارٌ بمعتركٍ وتخمدُ نـارُ
مهما يبرمْ فليسَ يرجو نقضَـهُ ... أحدٌ وليس لنقضـهِ إمرارُ

---

(١) نثر النظم ١٨ ، وهما في المحاسن والمساوىء ٣٤٩ ، والمحاسن والأضداد ١٠ لأبي وجزة السلمي .

(٢) وفيات الأعيان ٤ / ٢٧ ، والبداية والنهاية ١٠ / ٢١٠

(٣) العقد الفريد ٣ / ٢٢٠ ، والبيت الأخير منها في طبقات الشعراء ٢٢٠ لبكر بن النطاح .

لو كان خلفكَ أو أمامكَ هائباً ... أحداً سواكَ لهابكَ المقدارُ

٨ - لو مسَّ بالكفّ عوداً يابساً نخراً ... لاهتزَّ أخضرَ حتّى يطلع الثمرُ(١)

تركُ لا والقَني وارجع وسوفَ وعُدْ ... ما قالَ هذا وما فيه لهُ وطَرُ

لكنْ يقولُ نعَم وابشر وهاكَ وخُذْ ... هذا أقرَّ لهُ في فضلهِ البشرُ

لو أنَّ كتّابَ خلقِ الله كلّهم ... نعَمْ وحسّابهم جاؤوكَ فابتدروا

أن يحسبوا أو يخطّوا عُشرَ ما وهبت ... كفّاكَ يوماً من الأيّامِ ما قدروا

٩ - ولو لم يَقُمْ موسى عليها لرجَّعَتْ ... حنيناً كما حنَّ الصّفايا العشائرُ(٢)

١٠ - يتبعْنَ جاهِلَةَ الزّمامِ كأنّها ... إحدى القناطرِ وهي حرفٌ ضامرُ(٣)

١١ - يقولُ أناسٌ إنَّ مروَ بعيدةٌ ... وما بعُدَت مروٌ وفيها ابنُ طاهرِ(٤)

وأبعدُ من مروٍ رجالٌ أراهُمُ ... بحضرتنا معروفُهم غيرُ حاضرِ

عن الخيرِ موتى لا تبالي أزُرتَهم ... على طمعٍ أم زرتَ أهلَ المقابرِ

١٢ - إن ماتَ معنُ بني شريكٍ لم يزل ... لندًى إلى بلدٍ بغيرِ مُسافرِ(٥)

١٣ - بكى الشّامُ معناً يومَ خلّى مكانَهُ ... فكادت له أرضُ العراقَيْنِ ترجفُ(٦)

---

(١) نثر النظم ١٨

(٢) تاريخ الخلفاء ١١٠ ، وانظر ق ٢٩

(٣) التشبيهات لابن أبي عون ٦٨

(٤) البصائر والذخائر ١ / ٩١ ، وعيون التواريخ المجلد السابع حوادث « ٢٣٠ » ، والبيت الثالث في محاضرات الأدباء ٢ / ٥٩٦ لأبي هفان .

(٥) مطلع الفوائد ٨٤

(٦) العقد الفريد ٣ / ٢٢٠ - ٢٢١

ثوى القائدُ الميمونُ والذائدُ الذي ... به كانَ يُرمى الجانبُ المتخوّفُ
أتى الموتُ معناً وهو للعرضِ صائنٌ ... وللمجدِ مبتاعٌ وللمالِ متلفُ
وما ماتَ حتّى قلّدته أمورَها ... ربيعةُ والحيّانِ قيسٌ وخندفُ
وحتّى فشا في كلِّ شرقٍ ومغربٍ ... أيادٍ لهُ بالضرِّ والنفعِ تُعرفُ
وكم مِن يدٍ عندي لمعنٍ كريمةٍ ... سأشكرُها ما دامتِ العينُ تطرفُ
بكته الجيادُ الأعوجيّةُ إذ ثوى ... وحنّ مع النّبعِ الوشيجُ المثقفُ
وقد غنيت ريحُ الصّبا في حياتِهِ ... قبولاً فأمست وهي نكباءُ حرجفُ
١٤ ـ يا خيزرانُ هناكِ ثمَّ هناكِ ... أمسى يسوسُ العالمينَ ابناكِ (١)
١٥ ـ كلُّ فتاةٍ قصيرةٍ سمنت ... مسودةً لا ألذُّ نيكاها (٢)
١٦ ـ لكَ الفضلُ يا فضلُ بن يحيى بن خالدٍ ... وما كلُّ مَن يُدعى بفضلٍ له الفضلُ (٣)
رأى اللهُ فضلاً منكَ في الناسِ شائعاً ... فسمّاكَ فضلاً فالتقى الاسمُ والفعلُ
وزادكَ فضلاً أنّ أهلكَ في الورى ... كرامٌ إذا أزرى بذي الشرفِ الكهلُ
ولم يُبقِ فيكَ الجودُ للبخلِ موضعاً ... فأصبحَ يستعدي على جودِكِ البخلُ
إذا كذبت أسماءُ قومٍ عليهم ... فإسمكَ صدّيقٌ لهُ شاهدٌ عدلُ
١٧ ـ عُقِدت لموسى بالرّصافةِ بيعةٌ ... شدّ الإلهُ بها عرا الإسلامِ (٤)
موسى الذي عرفت قريشٌ فضلَهُ ... ولها فضيلتُها على الأقوامِ

(١) تاريخ الطبري ٨ / ٢٣٣ ، وتاريخ الخلفاء ١١١ ، وهو في تاريخ الموصل ٢٥٧ لأبي المعافى .

(٢) التشبيهات لابن أبي عون ٢٩٦

(٣) البداية والنهاية ١٠ / ٢١١ ، وغرر الخصائص ١٧١ . وانظر ق ٥٣

(٤) تاريخ الخلفاء ١٠٧

بمحمّدٍ بعدَ النبيِّ محمّدٍ ... حَيِيَ الحلالُ وماتَ كلُّ حرامِ
مهديُّ أمّتهِ الذي أمست بهِ ... للذلِّ آمنةً وللإعدامِ
موسى وليّ عهدَ الخلافةِ بعدَه ... جفَّت بذاكَ مواقعُ الأقلامِ
١٨ - يكادُ يخرجُ من ديباجِ أوجههم ... خوفَ المذلّةِ حتّى ينفطرنَ دَمَا(١)
١٩ - ومنهلٍ آجنٍ للعنكبوتِ به ... نسجٌ يُرى فوقَ طامي مائهِ الدِّمنِ (٢)
٢٠ - إني إلى كلِّ أرضٍ أنتَ ساكنُها ... صبٌّ وإن كنتُ عنها نازحَ الوطنِ (٣)
قلّدتني منكَ حبلاً فاعتصمتُ بهِ ... أسبابُه غيرُ رثّاتٍ ولا وُهُنِ
تضيقُ أعطانُ قومٍ إن هُمُ سُئلوا ... وأنتَ بالخيرِ سهلٌ واسعُ العطنِ
لو لم تكن للندى جاراً فتطلقَه ... ما انفكَّ والبخلُ مجموعَينِ في قَرَنِ
٢١ - أبا جعفرٍ صلّى عليكَ إلهُنا ... فرزؤكَ أمسى أعظمَ الحدثانِ (٤)
بكى الثقلانِ الإنسُ والجنُّ إذ ثوى ... ولم يبكِ ميتاً قبلكَ الثقلانِ
٢٢ - وأكرمُ قبرٍ بعدَ قبرِ محمّدٍ ... نبيِّ الهُدى قبرٌ بماسبذانِ (٥)
عجبتُ لأيدٍ هالتِ التربَ فوقَه ... ضحىً كيفَ لم ترجعْ بغيرِ بنانِ
٢٣ - إني أقولُ قصائداً جوّالةً ... أبداً تجولُ خوالعاً أرسانَها(٦)
من كلِّ قافيةٍ إذا جرّبتُها ... جمحَت فلم تملكْ يداي عنانَها

---

(١) محاضرات الأدباء ١ / ٢٨٤
(٢) شروح سقط الزند ٢ / ٨٢٠
(٣) المنازل والديار ٢١١ ، وانظر ق ٦٩
(٤) البدء والتاريخ ٦ / ٩٢ ، وتاريخ الموصل ٢٣٠
(٥) وفيات الأعيان ٢ / ٢١٠ ، ٥ / ٣٤١ ، والبدء والتاريخ ٦ / ٩٩
(٦) الأشباه والنظائر ٢ / ٢٦٦ ، وانظر ق ٧١

ساوت بيوتي في البـــلادِ فأمعنت وبيوتُ غيري لم تَرِمْ أوطانها

٢٤ - يُقيمُ الرجـالُ الموسرونَ بأرضهم وترمي النوى بالمقترينَ المراميا(١)

وما فارقوا أوطـــانَهم عن ملالةٍ ولكنْ حذاراً مِن شماتِ الأعاديا

٢٥ - أقبلَ ينقضُّ انقضاضَ الكوكبِ (٢)

كأنّهُ بازٍ هوى من مرقـــبِ

يطلبُ صيـــداً في فضاءٍ سبسبِ

لجـــائعٍ في وكرهِ مزغّـــبِ

٢٦ - إن تحبسوني فالكـــريمُ يُحبسُ(٣)

إني لسامي النـــاظرَينِ أشـــوسُ

مصـــابرٌ حتّى تجيشَ الأنفـــسُ

لا ســـاقطٌ علـــجٌ ولا مدنّسُ

عرضـــي نقـــيٌّ وأديمـــي أملسُ

٢٧ - إنَّ أميرَ المؤمنين المصطفى (٤)

قـــد تركَ الصفصافَ قاعاً صفصفا

٢٨ - هـــذا لعمري مجلسٌ دنيٌّ(٥)

(١) غرر الخصائص ٢١١

(٢) محاضرات الأدباء ٤ / ٥٠٠

(٣) البصائر والذخائر ٢ / ٤٥٣

(٤) تاريخ الطبري ٨ / ٢٦٨ ، وتاريخ الموصـــل ٢٩٠ ، وعيون التواريخ المجلد السادس حوادث « ١٨١ »

(٥) نور القبس ٢٩٥

ثلاثة كلهم دعي

— ٣ —

كما اختلفت بعض المصادر في نسبة العديد من المقطعات إلى مروان بن أبي حفصة . وقد وفّق الدكتور حسين عطوان إلى أن يميز عدداً كبيراً منها ، ولكنه غفل عن طائفة أخرى متنازع فيها فجعلها ضمن الصحيح من أشعاره ، وفيما يلي بيان ذلك :

١ – ق/٥ : ٢١

موفّقٌ لسبيلِ الرّشدِ متّبِعٌ يزينه كلُّ ما يأتي ويجتنبُ
تسمو العيونُ إليه كلَّما انفرجت للناسِ عن وجههِ الأبوابُ والحجبُ
له خلائقُ بيضٌ لا يغيّرُها صَرفُ الزمانِ كما لا يصدأ الذهبُ

ذكرها الباخرزي في دمية القصر ٢٩٨ ، ونسبها إلى أبي فارس حسين الأديب ، وفيه : « ولم يبلغني له شعر غير هذه الأبيات » . والأبيات الثلاثة في غرر الخصائص ١٠ غير منسوبة .

٢ – ق/٦ : ٢٢

يا أكرمَ النّاسِ من عُربٍ ومن عَجمٍ بعدَ الخليفةِ يا ضرغامةَ العربِ
أفنيتَ مالكَ تُعطيهِ وتُنهِبُهُ يا آفةَ الفضّةِ البيضاءِ والذّهبِ
إنَّ السّنانَ وحدَّ السيفِ لو نطقا لأخبرا عنكَ في الهيجاءِ بالعجبِ

والبيتان ٢ ، ٣ في غرر الخصائص ١٨٤ غير منسوبين ، وفيه : « وحكى أبو بكر الماردانى قال كنت أساير أبا الجيش خمارويه بن أحمد ابن طولون ، وكان قد خرج إلى الصيد بدمشق إذ تلقاه أعرابي فأخذ بعنان فرسه وقال : . . . . » . وهما في جمع الجواهر ٣١٦ غير منسوبين أيضاً .

أما المرزباني فقد ذكر البيت الثالث في معجم الشعراء ٣٩٨ ضمن مقطعة في أربعة أبيات ونسبها إلى مروان بن صرّد يمدح بها يزيد بن مزيد الشيباني ، ولكن الحصري ذكر في جمع الجواهر ٣١٦ أبيات مروان ابن صرّد دون أن يروي البيت الثالث فيها .

وإذا صحت رواية غرر الخصائص فالأبيات ليست لمروان بن أبي حفصة لأن وفاة خمارويه بن أحمد كانت في سنة ٢٨٢ .

٣ - ق/٢٢ : ٤١

لله درّكِ يا عقيلة جعفرٍ ماذا ولدتِ من العُلا والسؤددِ

إن الخلافةَ قد تبيّن نورُها للناظرينَ على جبينِ محمّدِ

أثبتها المحقق عن العقد الفريد ٢١٨/١ ، ولكنهما لم يُنسبا فيه إلى مروان بن أبي حفصة ، وإنما نُسبا إلى أبي الجنوب : « قال أبو الجنوب مروان بن أبي حفصة » . وأبو الجنوب هو عبد الله بن مروان بن أبي حفصة ، وعليه فإن صحة العبارة : « قال أبو الجنوب بن مروان بن أبي حفصة » . ويؤيد ذلك ماجاء في كتاب الورقة ٤٥ :

« قال أبو هفّان : وذكر ابن إدريس بن سليمان . . . أن هذه الأبيات لجبلة بن يحيى بعض آل أبي حفصة . قال : والحق عندنا أنها لعبد الله لأن ذلك لم يكن يحسن هذا الكلام » .

ويزاد فيها :

إني لأعلمُ إنّهُ لخليفةٌ إن بيعةٌ عُقدت وإن لم تُعقدِ

وانظر كذلك ديوان مروان بن أبي حفصة ص ٧ : ٤

٤ - ق/٣٠ : ٤٩

لو كنتَ أشبهتَ يحيى في مناكحِهِ   لما تنقّيتَ فحلًا جدُّهُ مَطَرُ
للهِ درُّ جيادٍ كنتَ سائسَها   ضيّعتها وبها التحجيلُ والغُرَرُ
نبّئتُ خولةَ قالت يومَ أنكحتَها   قد طالَ ما كنتُ منكَ العارَ أنتظرُ

أثبتها المحقق عن الأغاني ٩/٤٤ ، والصواب أن الأبيات للقُلاخ في هجاء مقاتل بن طَلَبَة . وهي في طبقات الشعراء ٤٤ ، والشعر والشعراء ٧٣٩/٢ ، والكامل ٢٧٢/١ ، وعيون الأخبار ١٦/٤ ، وفي طبقات الشعراء :

« ويقال إن أبا حفصة كان يهودياً فأسلم على يَدَيّ عثمان ، فأثرى وكثر ماله وتولى الحَزن لبني أمية ، وتزوج خولة بنت مقاتل بن طلبة .. فقال في ذلك القلاخ الشاعر يهجو مقاتل بن طلبة ... » .

وفي الشعر والشعراء ، والكامل ، وعيون الأخبار أن يحيى بن أبي حفصة هو الذي تزوج خولة بنت مقاتل . وللقلاخ ترجمة مقتضبة في الشعر والشعراء ٧٠٧/٢ ، والمؤتلف والمختلف ٢٥٣ ، والتكملة ٢ /١٦٩ مادة (قلخ) . ويزاد ضمن أبيات المقطعة :

أنكحتَ عبدَيْنِ ترجو فضلَ ماليهما   في فيكَ مّما رجوتَ التُّربُ والحجرُ

٥ - ق/٣١ : ٥٠

أتظنُّ يا إدريسُ أنّكَ مفلتٌ   كيدَ الخليفةِ أو يقيكَ فِرارُ
فليأتينّكَ أو تَحُلُّ ببلدةٍ   لا يهتدي فيها إليكَ نهارُ
إنّ السّيوفَ إذا انتضاها سخطةً   طالت وتقصرُ دونها الأعمارُ
ملكٌ كأنّ الموتَ يتبعُ أمرَهُ   حتّى يقالَ تُطيعهُ الأقدارُ

الأبيات الثلاثة الأولى لأشجع السلمي في شرح المقامات ٢٩٣/١ ، وزهر الآداب ١٦٦/٤ ، والبيتان ١ ، ٢ في الأشباه والنظائر ٢ / ٢٤٢ لبعض بني أبي حفصة ، والأبيات الأربعة في تاريخ الطبري ٨ / ١٩٩ ، وفيه : « فقال في ذلك بعض الشعراء أظنه الهنازي ... » ، والبيت الأخير منها في أشعار أبي الشيص الخزاعي ٦١ ، ومحاضرات الأدباء ١٦١/١ ، وفي مقاتل الطالبيين ٤٩٠ : « وقال رجل من أولياء بني العباس يذكر قتل إدريس بن عبد الله ... قال ابن عمار : وهذا الشعر عندي يشبه شعر أشجع بن عمرو السلمي وأظنه له . قال أبو الفرج الأصفهاني : وهذا الشعر لمروان بن أبي حفصة أنشدنيه علي بن سليمان الأخفش له » .

٦ — ق٤١/١ : ٦٢

بكتْ عنانُ مسبلٌ دمعُها ... كالدُّرِّ إذ يُسْلَكُ مِن خيطِهِ

والبيت مُتنازع فهو لأبي نواس في محاضرات الأدباء ٧٧/٣ ، وبدائع البدائه ٨٤/١ ، وديوانه ٨٠/١ ، ولبكر بن حمّاد الباهلي في العقد الفريد ٥٤/٧ . كما نسبته عدة مراجع أخرى إلى مروان بن أبي حفصة ومنها : نهاية الأرب ٧٦/٥ ، ونساء الخلفاء ٤٨ ، وكتاب الورقة ٤١ ، وعيون التواريخ المجلد السابع حوادث « ٢٣٠ » ، وانظر كذلك المحاسن والأضداد ١١١ ، وفي أغلب هذه الكتب أن عناناً قالت :

فليتَ من يضربُها ظالماً ... تجفُّ يمناهُ على سوطِهِ

٧ — ق٧٦/ : ١١٨

لعمري لنعمَ الغيثُ غيثٌ أصابنا ... ببغدادَ من أرضِ الجزيرةِ وابلُهْ

فكنّا كحيٍّ صبّحَ الغيثُ أهلَهُ ... ولم تَرتحِلْ أظعانُهُ ورواحلُهْ

البيتان في محاضرات الأدباء ٤/٥٨٣ وفيه :

« أنشد مروان بن أبي حفصة قول الشاعر :

إذا جئتُ أعطاني وإن أنا لم أجىء أتاني مِن جدواهُ ما كنتُ أرتجي

فقال مروان : قد قلتُ أحسنَ من هذا ، بعث إليَّ عبد الله بن طاهر عشرين ألفاً فقلتُ فيه ... » .

وهما لمروان أيضاً في ديوان المعاني ١/٦٥ ، ومعهما بيت آخر هو :

ونعمَ الفتى والبِّدُ بيني وبينهُ بعشرينَ ألفاً صبَّحتني رسائلُهْ

ونسبا في كتاب الورقة ٤٥ إلى عبد الله بن مروان بن أبي حفصة ، ولذلك جعلها المحقق ضمن الشعر المختلط ، والصواب أن البيتين لمروان . ويزاد فيها من كتاب الورقة :

أتى جودُ عبدِ اللهِ حتّى كفَتْ به رواحلَنا سيرَ الفلاةِ رواحلُهْ

— ٤ —

وقد رأيت أن أضيف بعض التخريجات لقصائد الديوان ومقطعاته دون تبيان عدد الأبيات أو نسبتها في كل مصدر .

ق/٨ : خزانة الأدب ٢١٠

ق/١٢ : شرح المقامات الحريرية ١/٣٧

ق/١٤ : الأشباه والنظائر ١/٢٢٠

ق/٢٤ : العقد الفريد ٢/٢٩٦

ق/٢٩ : تاريخ الخلفاء ١١٠

ق/٣٤ : عيون التواريخ المجلد السادس حوادث « ١٧٠ » والأشباه والنظائر ١/١٥٩

ق/٣٥ : الشعر والشعراء ٤٦٧/١ ، ومحاضرات الأدباء ٢٥٥/١ ، ونور القبس ١٨٥ ، وشروح سقط الزند ١٥٧٤/٤

ق/٣٧ : اللسان والتاج « زمل » ، والإبانة عن سرقات المتنبي : ٢٥٥ ، والمصون في الأدب ١١ ، ومقدمة الأعلم على شرح الدواوين الستة .

ق/٣٩ : عيون التواريخ المجلد السادس حوادث « ١٦٥ » ، وتاريخ الموصل ٢٤٦ ، والبدء والتاريخ ٩٦/٦ ، والبداية والنهاية ١٤٧/١٠

ق/٤٠ : التنبيه والإشراف ١٩٠ ، والبداية والنهاية ٢٠١/١٠

ق/٤٢ : ثمرات الأوراق ١٩٢

ق/٤٩ : محاضرات الأدباء ٣١٦/٣

ق/٥٠ : عيون التواريخ المجلد السادس حوادث « ١٥١ » ، والوافي بالوفيات المجلد الثالث ، ومحاضرات الأدباء ٥٢٥/٤ ، ونور القبس ١٣٨

ق/٥١ : عيون التواريخ المجلد السادس حوادث « ١٥١ » ، والوافي بالوفيات المجلد الثالث .

ق/٥٢ : البداية والنهاية ١٥٩/١٠

ق/٥٣ : تاريخ الموصل ٢٨١ ، وكتاب الورقة ٩٣

ق/٥٥ : عيون التواريخ المجلد السادس حوادث « ١٨٢ » ، والوافي بالوفيات المجلد الثالث ، وغرر الخصائص ١٥ ، ١٨ ، والمستطرف ١/ ١٤٨ ، ونهاية الأرب ١٤٧/٧ ، والأشباه والنظائر ٢١/١ ، ولباب الآداب ٣٦٥ ، ومحاضرات الأدباء ٢٦٦/١ ، وخزانة الأدب ٤٣٤

ق/٥٨ : تاريخ الموصل ٢٨١

ق/٦٠ : محاضرات الأدباء ٥٤٩/٢

ق/٦١ : عيون التواريخ المجلد السادس حوادث « ١٨٢ » ، والوافي

بالوفيات المجلد الثالث ، ووفيات الأعيان ٣/٣٥٧ ،وحلبة الكميت ١٨٨ ، ونور القبس : ١٣٩

ق/٦٤ : الرسالة الموضحة ١٥

ق/٦٥ : عيون التواريخ المجلد السادس حوادث « ١٧٦ » ، والبداية والنهاية ١٠/١٦٧

ق/٦٦ : عيون التواريخ المجلد السابع حوادث « ٢٢٠ » ، وتاريخ الموصل ٢٧٨

ق/٦٨ : عيون التواريخ المجلد السادس حوادث « ١٨٢ » ، والوافي بالوفيات المجلد الثالث ، وثمرات الأوراق ٢٠٦ ، والمستطرف ١/٦٤

ق/٦٩ : عيون التواريخ المجلد السادس حوادث « ١٨٢ »

ق/٧٣ : طبقات الشعراء ٦٢ ، والرسالة الموضحة ١٤٢

ق/٧٥ : البداية والنهاية ١٠/٢٧٦ ، وكتاب بغداد ٣١٣ ، والكامل في التاريخ ٥/٢٣٠ ، ومحاضرات الأدباء ٤/٤٠٥ ، وتاريخ الخلفاء ١٢٥

حلب محمد يحيى زين الدين

الأوائل لأبي هلال العسكري

تحقيق محمد المصري ووليد قصاب

طبع وزارة الثقافة بدمشق ١٩٧٥

الأستاذ إبراهيم صالح

هذا الكتاب حققه أستاذان فاضلان ينتميان إلى جيل عرف حق عربيته وواجبه في إحياء آثار سلفه، فعملا في تحقيق أصل قيّم من أصول تراثنا الزاهر، ناهيك عما في نفوس العلماء والأدباء لأبي هلال العسكري من منزلة رفيعة وتقدير عظيم.

وقد قام المحققان بهذا العمل وتكبدا مشقة تصحيحه وتخريجه بدافع الغيرة على هذا التراث بعد أن لم يرتضيا تحقيق الأستاذ محمد السيد الوكيل، وبذلا كل ما في وسعها لإخراج الكتاب في حلته القشيبة هذه. وإني لأستميحها عذراً في أن أضيف إلى عملها بعض الاستدراكات والتخريجات لا تعدو في مضمونها أن تكون اعترافاً بجميل صنعها، ولعلّ فيها بعض الفائدة. وكلنا يسعى نحو الأفضل، والكمال لله وحده.

الاستدراكات :

١ - يضاف إلى قائمة كتب الأوائل التي صنفت بعد أبي هلال ص ١٤ مايلي: ٩ - كتاب الأوائل لإسماعيل الموصلي المتوفي سنة ٦٢٩ وهو ينقل عن العسكري.

ذكره البغدادي في شرح أبيـات مغني اللبيب ٢ / ٢٧٩ ط دمشق ونقل منه وقال : « هذا ما ذكره الموصلي تبعاً للعسكري » ٢/٢٨٢

٢ – ص ١/١٢ : البيت : وبيعاً كعبة الرحمن جمعاً ...

قلت : في ثمار القلوب للثعالبي ١٠٦ ط ١٩٠٨ : حمقاً ، ولعله أصوب .

٣ - ص ١/٣٤ : نقل السيوطي نيران العرب ملخصاً عن العسكري في شرح شواهد المغني ٣٠٥ - ٣١٠ ط دمشق بتحقيق كوجان . وفيه من التصحيف ما لا يخفى .

وفي ثمار القلوب للثعالبي بحث واسع تحدث فيه عن أنواع النيران بما أربى على ما عند العسكري من ص ٤٥٤ - ٤٦٩

وفي شرح أبيات مغني اللبيب للبغدادي ٢/٢٧٩ بحث في نيران العرب نقله من كتاب الأوائل لإسماعيل الموصلي .

٤ – ص ١/٤٧ : البيت :

يشفون آبالهمُ بالنـــار والنار قد تشفي من الأوزار

قلت : كذا ! ولا يستقيم معنى البيت مع ما شرحه المؤلف بعد إنشاده ، وصواب روايته :

يسقون آبالهم بالنـــار والنار قد تشفي من الأوار

وقد نقله السيوطي ٣٠٩ و ٣١٦ بهذه الرواية وصرّح بنقله عن أوائل العسكري ، وبهذه الرواية عند البغدادي ٢/٣٠٠ وهو من أبيات النحويين .

٥ – ص ١/٧٠ : البيت .... وما بل بحر صوفة بنكاف

صوابه : بنطاف ، كما في الشرح بعده . وهذا لا شك خطأ مطبعي .

٦ – ص ١/٧٦ : س ١٩ ; فقال له أبو الحارث حمير . كذا

وصوابه جمين أو جميز . راجع عيون الأخبار ٣/٢٥٥ والحاشية .

٧ - ص ١/١٤٤ : البيت :

هوت بي إلى حبها نظرة هويّ الفراشـة للجـاحم

قلت : في ثمار القلوب ٣٩٩ : في الجاحم ، ولعله أصوب .

٨ - ص ١/١٥٠ : س ٤ : في أكنافم . صوابه : في أكنافهم . وهو خطأ مطبعي .

٩ - ص ١/١٩٥ : س ٤ : إلا كذابٌ فقيرٍ . صوابه : إلا كذابٌ مفترٍ . التصويب عن الطبري ٢/٣١٠ .

١٠- ص ١/٢٤٨ : ص ١٦ :فإني لهم وفر . صوابه : فأنّى لهم وفر ولسنا ذوي وفر ؟

١١ - ص ١/٣٢١ : س ٢١ الحاشية : وجعل قاعدة ملكه الشام . خطأ ، صوابه : المدينة المنورة .

١٢ - ص ١/٣٢٧ : س ١٢ : فاتبعه خالد بن خلي الكلابي فقتله . قلت : في الطبري ٥/٥٣٩ أن قاتل النعمان بن بشير هو عمرو بن الخلي الكلاعي .

١٣ - ص ١/٣٦٠ : س ٢ : بعد أبيه . صوابه : بعد ابنه . وراجع ص ١/١٤٢ ج ٤

* * *

اهتمام المحققين بالتخريج شجعني أن أضيف إلى عملها هذه التخريجات ولعلها لا تخلو من فائدة :

١ - ص ١/١١ : يضاف إلى الحاشية ٤ : وثمار القلوب ١٠٦ ، وشروح سقط الزند ٥/١٩٤٢ — ١٩٤٣ .

٢ - ص ١/٢٥ : يضاف إلى الحاشية ٣ : وثمار القلوب ٣٦٩ حيث فيه الكلام بكامله . والمعمرين ٦١

٣ - ص ١/٢٧ : يضاف إلى الحاشية ٢ : وثمار القلوب ٢٨٥

٤ - ص ١/٣٥ : يضاف إلى الحاشية ٤ : ورسالة النيروز لابن فارس ضمن نوادر المخطوطات ٢/١٩ ، وديوانه ٣٦ (بشير يموت) .

يضاف إلى الحاشية ٦ : ورسالة النيروز ٢/١٩ للورل الطائي ، وثمار القلوب ٤٦١ والسيوطي ٣٠٦ وفيها للودك الطائي .

يضاف إلى الحاشية ٩ : وثمار القلوب ٤٦١ والسيوطي ٣٠٥ والبغدادي ٢/٢٧٩

٥ - ص ١/٣٧ : يضاف إلى الحاشية ١ : وثمار القلوب ٤٥٩ ، وإلى الحاشية ٣ : وثمار القلوب ٤٥٩ (نار المسافر) .

٦ - ص ٣٨ : يضاف إلى الحاشية ٣ : وثمار القلوب ٤٦١ (نار الإنذار) .

يضاف إلى الحاشية ٦ : وثمار القلوب ٤٥٦ والمعارف ٦٢ والسيوطي ٣١٠ والبغدادي ٢/٢٨٠

٧ - ص ٤٠ : يضاف إلى الحاشية ٣ : البغدادي ٢/٢٨١ . ونار الصيد في ثمار القلوب ٤٦٢

٨ - ص ٤١ : يضاف إلى الحاشية ٢ : ونار الأسد في ثمار القلوب ٤٦٠ تحت عنوان : نار التهويل .

٩ - ص ٤٢ يضاف إلى الحاشية ٤ : وثمار القلوب ٤٦٢ - ٤٦٣ وشروح سقط الزند ٢/٥٠٦ - ٥٠٧

يضاف إلى الحاشية ٧ : وثمار القلوب ٤٦٣ برواية أخرى .

١٠ - ص ٤٣ : ونار القرى في ثمار القلوب ٤٥٧ والسيوطي والبغدادي .

١١ - ص ٤٥ : ونار الحرب في ثمار القلوب٤٥٨ والسيوطي والبغدادي.

١٢ - ص ٤٥ : يضاف إلى الحاشية ١١ : وكتاب العصا لأسامة ابن منقذ ضمن نوادر المخطوطات ٢٠٢/١ ، ولم يجد محققه الأستاذ عبد السلام هارون البيت في ديوان أبي طالب المخطوط بخط الشنقيطي .

١٣ - ص ٦٠ : يضاف إلى الحاشية ١ : وقطب السرور ١٨٧ وإلى الحاشية ٣ : وقطب السرور ١١٨ ١١٩ وأخبار الأذكياء لابن الجوزي ٤٠ (خولي) .

١٤ - ص ٦١ : الخبر في قطب السرور ١٥٨ — ١٥٩

١٥ - ص ٧١ : يضاف إلى الحاشية ١ : وثمار القلوب ١١٠

١٦ - ص ٨١ : يضاف إلى الحاشية ٦ : وثمار القلوب ٥١٥ مع آخر قبله ، وديوانه ١٩ (بشير يموت) .

١٧ - ص ٨٤ : خبر قس بن ساعدة ، نقله عن أبي هلال أسامة ابن منقذ في كتاب العصا . نوادر المخطوطات ١٨٥/١

يضاف إلى الحاشية ٢ : وثمار القلوب ٩٥

١٨ - ص ٨٥ : يضاف إلى الحاشية ٢ : وثمار القلوب ٩٥ ومعجم الشعراء ٢٣٢ والعصا ١٨٦/١ وإعجاز القرآن للباقلاني ١٥٢ .

١٩ - ص ٨٩ يضاف إلى الحاشية ٦ : والمعمرين ٥٧ ، وفيه اسم الجارية : خصيلة .

٢٠ - ص ٩٠ : يضاف إلى الحاشية ٣ : والمعمرين ٦٤

٢١ – ص ٩٤ : الخبر في رسائل الجاحظ ٢/١٣٢ — ١٣٣ بتحقيق عبد السلام هارون .

٢٢ – ص ١٠١ : يضاف إلى الحاشية ٥ : والمفضليات ٢٦٧ ومعجم الشعراء ٤٣٢ — ٤٣٣ والتنبيه والاشراف (مصورة الأوربية) ١٨٧ ، وثمار القلوب ١٤٣ ، والأول في عيون الأخبار ١/٢٧٤

يضاف إلى الحاشية ٦ : وديوان الهذليين ٢/١١٦ والأغاني ٢١/٢٢٢ (ط. هيئة) ، والأخير في ثمار القلوب ١٤٣

٢٣ — ص ١٠٢ : قصة الزباء وجذيمة الأبرش في : أسماء المغتالين لابن حبيب ضمن نوادر المخطوطات ٢/١١٢ — ١١٥

٢٤ — ص ١١٤ : المثل : شب عمرو عن الطوق . في ثمار القلوب ٥٠٥ والتنبيه والاشراف ١٨٧ ونسب قريش ١٠٠ والفاخر ٧٣ والمعارف ٦١٨ ، وغيرها كثير .

٢٥ – ص ١١٥ : عن أولية الكتابة العربية يراجع التنبيه على حدوث التصحيف لحمزة الأصفهاني ١٩ — ٢٠ (ط. المجمع) .

٢٦ — ص ١١٧ : يضاف إلى الحاشية ٣ : والأغاني ١٧/٣١٣ — ٣١٤ (ط. هيئة) .

٢٧ — ص ١٢٧ : يضاف إلى الحاشية ٢ : وكنى الشعراء لابن حبيب ضمن نوادر المخطوطات ٢/٢٨٨

٢٨ — ص ١٤٠ : الخبر في إحكام صنعة الكلام للكلاعي ٥٥ (ط. دار الثقافة) .

٢٩ — ص ٢٢٨ س ١١ : وذكروا أن عروة بن الزبير ... الخبر

في ثمار القلوب ٢٤٠ (عجائز الجنة) نقلاً عن الزبير بن بكار . ولم أقف عليه في الجزء المطبوع من جمهرة نسب قريش للزبير .

٣٠ - ص ٢٣٦ : يضاف إلى الحاشية ٢ : وقطب السرور (مرتين) ١٨٨ و ٥٠١ .

٣١ — ص ٣٦٤ : س ٣ : وذكر لبعض الخلفاء . قلت : هو المتوكل والخبر في أخبار الأذكياء لابن الجوزي ١٤٧ وأخبار الظراف ٨٦

٣٢ — ص ٣٦٦ : يراجع في أسباب النقمة على عثمان رضي الله عنه والرد عليها كتاب العواصم من القواصم لابن العربي ٥٣ - ١٠٩ ط التمدن الإسلامي بدمشق .

٣٣ - ص ٢٧٠ : س ١٤ : البيت في زجر النابح للمعري ٧٣ بلا عزو برواية : كليه وجريه جعار وأبشري ...

٣٤ - ص ٣٠٠ : يضاف إلى الحاشية ٣ : وطبقات فحول الشعراء لابن سلام ١/٣٠

٣٥ — ص ٣٢٤ : يضاف إلى الحاشية ٤ : وثمار القلوب ٩٩ وشروح سقط الزند ٢/٥٣٣ ومابعد . ويصحح في الحاشية نفسها : طاح وقمة .

٣٦ — ص ٣٨٦ : أبيات الرشيد ماعدا الأخير في كتاب الورقة لابن الجراح ١٩ يقولها في ماردة بنت شبيب أم أبي إسحاق .

٣٧ - ص ٢/٥٢ : يضاف إلى الحاشية ٦ : ونيمة الأشعث في ثمار القلوب ٦٩

٣٨ — ص ٢/٥٣ : يضاف إلى الحاشية ٣ : وثمار القلوب ٧٠ - ٧١ والكامل للمبرد ٣/٢٦٩

٣٩ — ص ٦٣ : يضاف إلى الحاشية ٣ : والمعارف ٤٤٥ - ٤٤٦

٤٠ — ص ٩٦ : في قطب السرور ٦٢ قصة تشبه هذه .

٤١ — ص ٩٨ : يضاف إلى الحاشية ٥ : وثمار القلوب ١٤٢

٤٢ — ص ١١٥ : يضاف إلى الحاشية ٢ : وفي المعارف ٤٣٠ ملخصاً ، وأخبار الأذكياء ٦٦

٤٣ — ص ١٢٩ : يضاف إلى الحاشية ١ : وإنباه الرواة ١/٤ ومابعد ، والمحكم في نقط المصاحف الداني ٣

٤٤ — ص ١٣٠ : يضاف إلى الحاشية ٦ : وإنباه الرواة ١/٥ والمحكم ٤ و ٦

٤٥ — ص ١٣١ : يضاف إلى الحاشية ٢ : وعيون الأخبار ٢/١٦٤

يضاف إلى الحاشية ٣ : وإنباه الرواة ١/٢٢ وأمالي القالي ٢/١٤ (بولاق).

٤٦ — ص ١٣٢ : يضاف إلى الحاشية ٥ : وأخبار النحويين البصريين ٢٠ (كرنكو) .

٤٧ — ص ١٣٣ : يضاف إلى الحاشية ٢ : والكلام بنصه منقول عن المعارف ٤٩٨ - ٤٩٩

٤٨ — ص ١٤٧ : يضاف إلى الحاشية ٣ : وثمار القلوب ٤٦٤ لأحمد بن أبي طاهر (ابن طيفور) .

٤٩ — ص ١٥٩ : يضاف إلى الحاشية ٤ : والمعارف ٦٣٢ والميداني ١/١١٤ ، وثمار القلوب ٢٤٠ ، والمستقصى ١/١٨ ، والاختيارين ٢٧٣ ، والبغدادي ٢/٤٧

٥٠ – ص ١٦٠ : س ٤ : قد أتتكم الشجر وأتتكم حمير : صوابه : أو أتتكم حمير .

٥١ – ص ١٦١ : س ٦ : شؤم طويس : في ثمار القلوب ١١٤

٥٢ – ص ١٧٤ : يضاف إلى الحاشية ٣ : والأبيات الثلاثة في ثمار القلوب ٢٥٢

٥٣ – ص ١٧٥ : يضاف إلى الحاشية ٥ : والأول في التنبيه والإشراف ٢٨٦ لعطارد ، والثلاثة في ثمار القلوب ٢٥٢ لقيس بن عاصم .

٥٤ – ص ١٩٢ : يضاف إلى الحاشية ٤ : والخبر في المعارف ٦٦٠

٥٥ – ص ٢٢٠ : يضاف إلى الحاشية ٤ : والأرجوزة بكاملها في الطرائف الأدبية للميمني ٥٧ – ٧١ ومجلة المجمع العلمي العربي مج ٨ عام ١٩٢٨

دمشق إبراهيم صالح

آراء وأنباء

الفقيد الأستاذ الشيخ محمد بهجة البيطار

في يوم السبت ٣٠ جمادى الأولى ١٣٩٦ هـ ، ٢٩ أيار ١٩٧٦ انتقل إلى جوار ربه الأستاذ الشيخ محمد بهجة البيطار عضو مجمع اللغة العربية في دمشق بعد حياة مباركة مديدة قضاها في رعاية الثقافة العربية والدراسات الإسلامية في المساجد والمدارس ، والكليات والمجامع .

ولد محمد بهجة بن محمد بهاء الدين البيطار في دمشق سنة ١٣١١ هـ ١٨٩٤ م من أسرة معروفة بالعلم والفضل ، وتلقى علومه الأولية في مدارسها ، حتى إذا كانت مرحلة التعليم العالي شملته رعاية لفيف من كبار علماء دمشق ومحدثيها منهم : والده المرحوم بهاء الدين البيطار وجده الشيخ عبد الرزاق البيطار صاحب كتاب « حلية البشر » .

بدأ عمله في دمشق مدرساً للعلوم الدينية واللغة العربية والفرنسية ثم شارك في المؤتمر الإسلامي العام الذي عقد في السعودية سنة ١٣٤٤ هـ وهناك استبقاه جلالة الملك عبد العزيز آل سعود في الحجاز فمكث من ١٣٤٤ — ١٣٥٠ أدار خلالها المعهد العلمي السعودي خمس سنين وانيطت به كذلك أعمال أخرى إدارية وشرعية بتكليف من جلالة الملك .

وبعد عودته من السعودية عمل في سنة ١٣٥٤ مدرساً للعلوم الدينية والعربية والفقهية في دمشق وبيروت ، حتى إذا كان عام ١٣٦٣ استدعي مرة أخرى لإنشاء دار التوحيد في مدينة الطائف فمكث ثلاث سنوات عاد بعدها إلى دمشق فانتدب للتدريس في كليتي الآداب والشريعة .

انتخب عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق تقديراً لمكانته العلمية عام ١٣٤٠ هـ - ١٩٢٢ م ، ثم انتخب كذلك عضواً في المجمع العراقي سنة ١٩٥٤ م . وبعد توحيد مجمعي دمشق والقاهرة في سنة ١٩٦٠ م اعتبر عضواً في المجمع الجديد .

طوف في أكثر البلدان العربية والإسلامية وزار العالمين الشرقي والغربي وكان الدافع إلى رحلاته الكثيرة تثبيت دعائم الفصحى وتوطيد أواصر القربى بين أبنائها ، ونشر العقيدة الإسلامية والدفاع عنها ، والتنويه بالإسلام وحضارته .

ولعل أكثر رحلاته مشقة وأحفلها بالمخاطر والأهوال رحلته إلى الحجاز ونجد سنة ١٣٣٨ هـ بتكليف من جلالة الملك فيصل بن الحسين بغية عقد اتفاق عام بين أفراد الجزيرة ، ودفعاً للعدوان الأجنبي على البلاد العربية والإسلامية .

وكما كانت حياة فقيد المجمع حافلة بالنشاط والعمل كذلك كانت زاخرة بالنتاج ، فقد ألف عدداً كبيراً من الكتب منها : نقد عين الميزان ، والثقافتان الصفراء والبيضاء وكتاب حياة شيخ الإسلام ابن تيمية . ومن الكتب التي حققها : كتاب حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر . كما نشر الكثير من المقالات في مجلة المجمع وفي مجلة التمدن الإسلامي وفي غيرهما .

أما في حياته الخاصة فقد كان مثالاً للتواضع والزهادة ، وصورة صادقة للجود والكرم .

رحم الله محدث الشام وأستاذ الجيلين فيها وجزاه الله لقاء عمله في الدنيا حسن ثواب الآخرة .

الفقيد الاستاذ أمين نخلة

في ١٤ أيار من عام ١٩٧٦ اخترمت يد المنون في بيروت دعامة من دعائم الفصحى وصوتاً طالما غنى الضاد ببيان مشرق ، ودافع عنها بعبارات صلبة ، قاطعاً الطريق على أعدائها من أنصار الحرف اللاتيني واللغة العامية .

في أيار من هذا العام صمت الرجل الكبير الذي أقعدته العلة في بيته سنوات عدة وعملت على قطع الصلة بينه وبين الماضي فكاد لا يذكر منه شيئاً ...

ولد الفقيد عام ١٩٠١ ، في بلدة « مجدل معوش » في قضاء الشوف حيث كان والده « رشيد نخلة » مديراً لتلك المنطقة .

ونشأ في أسرة ذات حظ من نعمة وجاه وثقافة وأدب ، فسهر والده على تربيته وتعليمه ورعى موهبته التي بدأت تتفتح مبكرة ، وللوراثة فيها حظ كبير ؛ فأرسله في صغره إلى « مدرسة الاخوة المريميين » في « دير القمر » انتقل بعدها إلى « الكلية البطريركية في بيروت » وتتلمذ على يد العالم اللغوي المعروف الشيخ عبد الله البستاني ، وبقي فيها حتى نهاية المرحلة الثانوية ، ثم انتقل إلى دمشق حيث نال شهادة

الإجازة في الحقوق ، عاد بعدها إلى بـيروت وتابع دراسته في العلوم الإدارية في الجامعة اليسوعية في بيروت فنال فيها أيضاً شهادة « الليسانس » .

تقلب في مناصب سياسية هامة ، وعمل في الصحافة والمحاماة فكان له فيها مواقف مشرفة .

انتخب الفقيد عضواً مراسلاً في مجمع اللغة العربية بدمشق عام ١٩٦٦. ألف في الأدب والاجتماع والتاريخ والنقد . من مؤلفاته : « المفكرة الريفية » و « ذات العماد » و « الحركة اللغوية في لبنان » .

أما نتاجه الشعري فقد ظهر في أربعة دواوين : « الديوان الجديد » و « ليالي الرقمتين » و « في الهواء الطلق » و « دفتر الغزل » .

كان أمين نخلة اتباعياً في شعره إبداعياً في نثره ، ولكن الابداعية عنده لم تكن هرباً من الواقع وميلاً إلى التفرد والعزلة ، كانت هرباً من المدينة وحباً للريف .. حباً للطبيعة ومن فيها وما فيها ، وكرهاً لكل مظاهر الحضارة وبهارجها .

رحم الله فقيد العربية الغالي وعوض مجمعها عنه خيراً .

حفل استقبال الزميل محمد هيثم الخياط

انتخب مجلس مجمع اللغة العربية في جلسته السابعة من دورته المجمعية (١٩٧٥ ١٩٧٦) التي عقدها بتاريخ الرابع من ذي الحجة ١٣٩٦ الموافق للسابع من كانون الأول ١٩٧٥ ، الأستاذ الدكتور محمد هيثم الخياط عضواً عاملاً في المجمع للكرسي الذي شغر بوفاة الأستاذ الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي . وقد صدر بذلك المرسوم ذو الرقم ١١١ والتاريخ ١٩٧٦/٢/٢٤ .

واحتفل المجمع باستقبال الزميل الجديد في جلسة علنية عقدها في بناء المجمع « قاعة المرحوم الأستاذ الرئيس محمد كرد علي » بتاريخ ٢٩ ربيع الثاني ١٣٩٦ الموافق ٢٩ نيسان ١٩٧٦ ، دُعي إليها نخبة من رجال الفكر والثقافة .

وافتتح الحفل الأستاذ الرئيس حسني سبح بكلمة أشاد فيها بالعضو الجديد وكفاءته مشيداً بعلمه وخلقه وفضل أبيه الجامعي الكبير الدكتور حمدي الخياط على العربية ، متمنياً أن يفيد المجمع من مواهبه ونشاطه .

ثم ألقى الأستاذ الدكتور شكري فيصل خطاب الاستقبال تحدث فيه عن الزميل المجمعي الجديد .

ثم ألقى الدكتور محمد هيثم الخياط خطابه الذي تحدث فيه عن سلفه المرحوم الكواكبي .

ونشر فيما يلي نص الخطابين :

خطاب الدكتور شكري فيصل

في حفل استقبال الدكتور محمد هيثم الخياط

حين نأخذ أنفسنا بالتفكير في تاريخنا الحديث منذ بدأنا حركة النهضة فإن جملةً من الأحداث الضخمة، وطائفةً من الظواهر البارزة، تتلامح لأعيننا ثم تقترب منا، ثم تقف لنا كما تقف الأعلام والصُّوى على الطريق الذي قطعته حياتنا العربية المعاصرة.

وحين نمضي نتعقب هذه الأحداث أو نستجلي هذه الظواهر، بعيداً عما يكون رافقها أو يرافقها من الضجات المصطنعة، بعيداً عما أهيل أو يهال عليها من الأضواء الملونة، حين نفعل ذلك نغمض أعيننا عن البريق الخاطف ونصمّ آذاننا عن الصوت المصطنع ونتجاوز الأحداث المجوفة — فإن واحدة من هذه الظواهر الجوهرية الخالدة لا تلبث أن تستأثر بانتباهنا ثم لا تلبث أن تستبدّ بنا، بما امتدّ من أبعادها، وانتشر من مآثرها، وخلّد من آثارها.

هذه الظاهرة التي عنيتُ والتي ترتفع لأعيننا في الأفق العربي كما ترتفع نجمة القطب مضيئةً وهادية، هي التي ارتسمت منذ خمسين سنة أو يزيد على سماء دمشق، على أفقها الغربي وعلى أفقها الشرقي. فأما الأفق الغربي فقد كان ذلك حين أخذت الجامعة السورية طريقها الجديد لتكون الجامعةَ

العربية الأولى لغة وروحاً ، فوصلت بذلك ما بين العرب وبين ما انقطع من ثقافتهم منذ نحو سبعة قرون .. وأما على الأفق الشرقي فقد كان ذلك حين تأسس المجمع العلمي العربي ليكون أبا المجامع العربية المرتقبة ،فوصل بذلك ما بين العرب وبين تراثهم كله في الجاهلية والإسلام ، وفجّر دفقة الحياة في المسيرة الحضارية الطويلة التي كانت تغالب القرون وتصارع الزمان وتستعلي على النكبات ، شامخة تنشد إذاعة المعرفة ونشر العلم وتؤكد أسس الحضارة العربية الإسلامية العريقة .

لقد كانت تلك لحظات فاصلة في تاريخنا المعاصر الذي تعوّدنا أن ننظر إليه ، أكثر ما ننظر ، من جوانبه السياسية دون أن نذكر أن جهاده الثقافي ، في اللغة والفكر والعلم ، كان أصل الأصول في نهضته كلها .. وإلا فماذا كان يكون حال الفكر العربي والثقافة العربية والأصالة العربية اليوم لو لم تطلع في سماء هذا الوطن هاتان النجمتان المضيئتان في أفق دمشق الغربي وفي أفقها الشرقي .

من الجامعة ومن المجمع نستطيع أن نرصد مساحة واسعة — لعلها أوسع المساحات وأعمقها وأبعدها أثراً — من تاريخنا المعاصر في أكثر أقطارنا العربية . فعلى مقاعد الجامعة كان هذا اللقاء والتعارف والتمازج بين مثقفي العرب وكان إحياء هذه الثقافة ، ومن ردهات المجمع وأبهائه كانت تنبعث أولى حركات التأصيل للوجود العربي عن طريق تأصيل الوجود اللغوي وبالتالي عن طريق تأصيل الوجود الأدبي والوجود الفكري .

وكان هناك دائماً هذا النبض المشترك بين الجامعة والمجمع .. ومن رفيف هاتين النجمتين المضيئتين ومن ألقها كان يتكون هذا المشهد الرائع المتحرك الذي كان يشق الدروب أمام الفكر العربي مرة وأمام الوحدة

العربية مرة أخرى ، إذ كان عمله مزدوجاً .. كان عملاً علمياً في أحد وجوهه ، وكان عملاً قومياً في وجهه الآخر .

هذا التكامل بين الجامعة والمجمع على طول مسار النهضة الحديثة لبس أردية مختلفة وتمثل على أشكال متعددات ، كان أبرزها هذا المصطلح العلمي الذي التقى عليه جامعيون ومجمعيون في مقر الجامعة أو في مقر المجمع، سعياً وراء الخروج بلغتنا العربية من إطارها الأدبي الذي تجمدت فيه في فترة من الزمن إلى إطارها الفكري والعلمي الذي يبيح لها أن تكون أداة طيعة خصبة في خدمة الحضارة العربية واستئناف دورتها .

وليس بيننا من يجهل هذه الأسماء البارزة التي كانت تعمل في الجامعة والمجمع معاً ، أو كانت تعمل في الجامعة وحدها أو في المجمع وحده . إن مثل أسماء الأساتيذ الطيبي الذكر الحميدي السيرة : كرد علي ، والمغربي ، والخاني ، ومرشد خاطر ، والبزم ، والتنوخي ، وصلاح الدين الكواكبي ستظل دائماً ملء أسماعنا وأبصارنا ، وستظل آثارها الخالدة ملء قلوبنا ، وستظل أسماؤها مشرقة لامعة في مجالات الحياة العلمية والحياة اللغوية كلها ، تثير عندنا العزائم وتقوّي الأمل وتضرب أروع الأمثلة على العمل العلمي الذي يرتبط دائماً بالمبدأ الأسمى ويعود إليه .

* * *

أحسبني من هنا أيها الصديق الكريم الذي نجتمع اليوم لاستقباله قد وقعت على الخيط الأول والأصيل من نسيج حياتك العلمية . . فقد كان والدك الأستاذ الجليل ، أستاذنا ووالدنا كذلك ، أحمد حمدي الخياط — مدّ الله في عمره — أحد هؤلاء الأساطين الذين قادوا سفينة الجامعة في هذا المحيط .. وإني لأتمنى هنا — في رغبة جامحة أحاول أن أكفكف من غربها — لو تحدثت عن هؤلاء العلماء الذين انقطعوا للعلم . . ولكنهم

آمنوا بأن هذا العلم يجب أن يكون بلغتهم وبمصطلحاتهم وألفاظهم . لم يريدوه بلغة غيرهم ولو أرادوه لكان ذلك ، في حساب المشقات والجهد ، أيسر وأدنى ؛ ورفضوا أن يكون بواحدة من هذه اللغات الأجنبية التي كانت تلقي بظلها الثقيل هنا وهناك على الحياة العربية الناشئة في الشام أو في العراق أو في غيرهما من الأقطار العربية في الشمال الافريقي ، واتجهوا به شطر العربية حتى يزاوجوا بين اللغة والفكر وحتى يُجنّبوا الأجيال الناشئة شرَّ هذا التمزق بين لغةٍ نتحدث بها ولغة نفكر فيها ، وحتى يتفوّا للمُثُل التي صدروا عنها ، والإيمان الذي التزموا به . . ولذلك آلوا على أنفسهم أن تكون العربية أداتهم التي بها يكتبون حين يكتبون، ويفكرون حين يفكرون ، ويعلِّمون حين يعلمون .. وتجاوز عالمٌ من أولي العزم من هؤلاء العلمـــاء هو المرحوم محمد جميل الخاني — الذي لم يلق حظه من التكريم — تجاوز اللفظ والمصطلح إلى الرمز العلمي ذاته ، فحرص على أن تكون الرموز والمعادلات بالعربية كذلك . ولكنه لم يجد من يقاسمه هذا الحمل الثقيل أو يدفع معه على هذه الطريق الصعبة .

أبوك أيها الزميل الجديد كان واحـداً من هؤلاء الأعلام .. كان يعمل بإيمانٍ مؤمن ، وصدقٍ صادق ، وإخلاص طاهر ، وتعفف نبيل .. وكنتَ أنت تشهده في مخبره في الجامعة أو في مكتبته في البيت لا يكاد يرفع عينيه عن كتاب ينظر فيه أو لفظة ينقّر عنها أو مصطلح قـديم يجاوزه ، أو كتابٍ هو حصيلة ذلك كله يصنفه ثم يضعه بين أيدي أبنائه وطلابه .

ألا يكون لي إذن أن أقول إنك مدين ، منذ نشأتك الأولى لهذا المثل الكريم الذي عشت في ظلاله ، ولهذه الأشياء التي كانت تشيع من حولك فتتقلب بينها في بيتك : كتاباً ومكتبة وعملاً وبحثاً وتمحيصاً .

* * *

ولكنك لم تكن ابن بيئتك الصغيرة هذه وحدها ، وإنما كنت كذلك ابناً لهذه البيئة الكبرى التي كانت تحتاطك من حولك .. إن الجيل العربي الذي فتح أعينه على الحياة في الثلاثينيات ، في أواخرها ، وواجه قضايا وطنه المستقل في الاربعينيات : بدأ يحسّ بها ، ثم بدأ يتعرف إليها ، ثم بدأ يمارسها بعد ذلك في أعقاب الجلاء .. وما من حادثة أخرى – فيما أقدّر – في حياة الوطن هي أضخم من حادثة الجلاء هذه .. لقد كانت نقلة عريضة واسعة ، وكانت ثورة حقة في كل ما يتصل بحياتنا الفردية أو حياتنا الاجتماعية أو حياتنا القومية .. ولا أزال أذكر – وكأن كل شيء من ذلك هو أمامي الآن – هذه اللحظات الخالدات التي ارتفع فيها علم الوطن فوق ثكنات الجامعة . لقد خرجنا من هذا الاحتفال ودموع الفرح ملء مآقينا .. كانت قلوبنا تجيب في صدورنا وجيب المستقبل وتخفق له .. كنا نحس أننا خرجنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر .. ولقد غابت عن أعينكم أنتم ساعات هذا الجهاد الصغير كما غابت عنكم ساحاته ، لتفتحوا أعينكم على مسؤوليات الوطن وجهاده الأكبر .

ومن هنا افترق ما بينكم وبين الجيل الذي سبقكم في أمور كثيرة وفي الحياة اللغوية بوجه خاص ، فقد حُمِل الذين مَن قبلكم على أن يقاطعوا اللغة الأجنبية ، لا إنكاراً لما يكون من عائدتها ، وإنما إمعاناً في إثبات الذات والتأبي على الغالبين في معركة لم يكن يملك الناس فيها إلا هذه السبل ، وقطعاً للطريق على غزوات الفكر والعقيدة ، وهي الغزوات التي تأتي مع القوي من خلال لغاته ، أو من خلال مغرياته .. وإنما أصاب منهم من أصاب من حظوظها عن طريق الجهد الشخصي والدأب الذاتي والدرس الخاص .. أما أنتم فقد كان عليكم أن تفتحوا أسماعكم وأبصاركم

وصدوركم لهذه اللغات الأجنبية ، لا على أنها لغات غازية ولكن على أنها أداة من أدوات المعرفة وطريق من طرق الغنى الثقافي ، وعلى أنها لغات رافدة ، وعلى أنها سبيل للمعرفة، وعلى أنها محققة للدعوة التي كان دعا بها نبي الإسلام – بأبي هو وأمي – منذ أمد بعيد حين فرض أن يكون من بين المؤمنين به جمهرة تعي لغات الناس والعالم، تمهيداً للتلاقي بين اللغة العربية وبين هذه اللغات وإحاطة بثقافتها واحتواء لها .

* * *

أحسب ، أيها الزميل الكريم ، أني وضعت يدي على هاتين البيئتين الدائرتين من حولك : بيئتك الكبرى في وطنك وبيئتك الصغرى في بيتك . ولكني أشعر بقصور كبير نحوك إن أنا توقفت عند هذه الجذور الأولى التي ستبتعث عندك في المستقبل ملامح حياتك الثقافية والفكرية . . ذلك أن الذي تحدثتُ به إنما كان جملةً من البذور التي غرستها البيئة ، أو جملة من الدوافع التي استثارتها .. غير أن في حياتك مواقف كثيرة تقتضي أن أقف عندها أو عند بعض تفاصيلها .. فلقد أخذتَ منذ نشأتك الأولى بنوع من التربية لم يؤخذ به غيرك .. أبوك – أمتع الله به – لم يكن عالماً فحسب ، ولا طبيباً فحسب ، ولا محباً للغة العربية فحسب .. ولكن كان قبل ذلك وفوق ذلك تضطرم أعماقه بنزعة إصلاحية ظل يحمل همومها ، وتطلع ببصير إلى المستقبل ، كأنما كان يريد أن يشارك في صياغته .. ومن هنا كان إيمانه بأن التربية هي طريق هذا الإصلاح وهي سبيل المشاركة في صياغة المستقبل . ومن هنا كان إنكاره لكثير مما يخالط التربية من فضول أو انحراف في المدارس آنذاك . . ولهذا أشرف هو بالذات على تربيتك واقتضاه ذلك جهداً من حُرِّ الجهد ووقتاً من ثمين الوقت . حتى إذا أحسّ أن عودك بدأ يصلب ويستقيم ، واطمأنّ إلى أنك على شيء من القدرة في

تميز ما بين الحق والباطل عاد بك إلى بعض المدارس . ولكنه آثر أكثر الوقت أن تكون في هذه المدارس الخاصة ، حتى يكون حظه من النصح أكبر ونصيبه من الرقابة أوفى .

لقد أتاح لك ذلك كله أمرين بارزين في حياتك الدراسية ، ما أحسب أنهما اجتمعا إلا عند قليل : أولهما حرصك على ألوان من المعرفة وضروب من التثقيف لم تكن لتتاح لك لو قدّر لك أن تقبع في إطار الدراسة الرسمية وأن تقصر جهدك عليها .. والآخر تطاولك المشرئب لاكتساب لغتين من هذه اللغات الأجنبية. وعملك الدائب في هذا السبيل .

فهل من عجب إذن أن تكون سيرتك المدرسية كلها ، في مراحل التعليم كلها ، مقترنةً بهذا الألق المضيء الذي يجمع بين اسمك وبين المرتبة الأولى على طول حياتك الثانوية والجامعية .

* * *

أيها السادة :

لم يخالف زميلنا الذي نستقبل في حياته بعد الجامعة معيداً ومدرساً وأستاذاً ، عن سيرته في حياته خلالها طالباً .. إن الكثرة الكاثرة من الجامعيين تستقطبهم الشهادات التي يحصلون عليها .. كلُّ آمالهم التي تنبت في رؤوسهم وهم يزرعون حدائق الجامعة أو أرصفتها ، يهمس بها بعضهم إلى بعض همساً ويتحدث بها بعضهم إلى بعض جهاراً ـ كلُّ هذه الآمال تلفها هذه الورقة السحرية التي يحملونها سنة التخرج .. ثم تجف الآمال في نفوسهم لتنموَ مرة أخرى في صدور الذين يأتون وراءهم .. ولست أدري ، وإنكم لا تدرون معي ، أهي آمال تجفُّ أم هي آمال يحرقها شُواظ الحياة التي لا يستقيم ميزانها ولا تعتدل سيرتها ولا تعرف النَّصَفة ولا تتيح التكافؤ .. وأياً كانت الأسباب ، أكانت في نفوسنا أم كانت من حولنا ، فإن قلةً قليلة من

شبابنا يتابعون ما بعد الجامعة سيرتهم العلمية خلالها .. أما أنت أيها الزميل الكريم فقد تابعت ، تستنبت الورد وتضفر الأكاليل في حياةٍ ما بعد الجامعة .. فعُنيت ، على نحو ما عنيت من قبلُ ، بالتحصيل والتثقيف ، وعنيت بالتجربة والبحث .. لم يغرّك أنك قطعت خلال عشر سنوات رحلة طويلة من معيدٍ في الجامعة في أعقاب التخرج سنة ١٩٥٩ - وأنت على رأس السنة الثانية والعشرين - إلى رئيس لقسم الطب المخبري في الجامعة التي أنشأتك ، بعد عشر سنين أخَر ، على رأس الثانية والثلاثين من عمرك .. حيث لاتزال تشغل هذه الرئاسة حتى هذا اليوم .. لم يغررك ذلك ولم يخدعك عن نفسك ، ولم يصرفك عن سيرتك .

* * *

هل عليّ من حرج إن أنا سقتُ طرفاً من هذه السيرة !. دعني إذن أذكرك بلوحتين : إحداهما في ميدان ثقافتك العامة ، والأخرى في ميدان ثقافتك الخاصة ..

أحسب أنك لم تنس ترددك أمداً على هذا الحي القديم من أحياء دمشق ، تهبط إليه من أرفع بيت من بيوت المهاجرين ، حيث تسكن ، حتى تصل إلى ساحة الشهداء ، ثم تتعرج بك السبل تضيق حيناً وتتسع حيناً ولكنها تتعذر في كل الأحايين ضيقة أو متسعة ، في الشتاء إذا كان الوحل وفي الصيف إذا كان غبار الصيف وحفره .. فإذا أنت تطرق باب الشيخ الفقيه شيخ القراء في وقته ، والعالم العامل الثقة الديّن الشيخ عبد الوهاب دبس وزيت الذي كان لا يفوق علمه في الفقـــه الحنفي والقراءات علمٌ أو لا يكاد ، ولا يعدل إيناسه ولطفه وتواضعه تواضع .. فتدخل تبسط لك الملائكة أجنحتها على حدّ قول الرسول ﷺ - بأبي هو وأمي - تقرأ عليه الفقه في يوم من أيام الاسبوع ، وتقرأ عليه التجويد

في يوم آخر ، وتدأب على ذلك سنوات .. حتى تطمئن إلى أنك وفيت حق الله وأديت حق العربية ، وعقدت ما بينك وبين تراثك وأصولك أوثق ما يكون العقد في كتاب الله وفي أحاديث رسوله ﷺ وأحكام هذه الأحاديث . تفعل ذلك على مشاغلك كلها ، لا تمل ؛ ويكون لك من الإقبال عليه في آخر المرحلة فوق الإقبال الذي كان في أولها .. لقد كان عملك ذاك بعض مظاهر حرصك على التحصيل والتثقيف ، بل كان الشاهد من سيرة حياتك على حياتك وكان الشاهد من ذاتك على ذاتك .. وكان الدليل الذي لا يتخلف على ما أحب أن أقول عنه إنه أصالتك التي تتميز بها وتراثك الذي تؤمن أنه بعض العدة إلى مسالك المستقبل .

وعلى نحو من ذلك كان عملك العلمي بعد تخرجك من الجامعة ، لقد أردت أن تبدأ مرحلة جديدة من حياتك العلميــــة من حيث يظن الآخرون أنهـا انتهت .. وأياً كانت الأسباب التي تئد عبقريات خريجينا وشبابنا إذ يواجهون الحياة فإنك آثرت أنت أن تكون حياتك بعد الجامعة استمراراً لحياتك فيها .. أن تكون كذلك فيضاً من التحصيل والطلب ، وأن تكون بحثاً أو سعياً وراء البحث .. ولهذا لم تكد تتاح لك الفرصة بين عامي ٦٦ ٦٩ وهي الفرصة التي يسّر الله لك أن تحيل نارها ماءً ، حتى عكفت على تجاربك وبحوثك وكتبت فيها هذه السلسلة من المقالات العلمية ـ بشاركك بعض زملائك ـ في المجلات الأجنبية ، كان بعضها باللغة الفرنسية وكان بعضها باللغة الانكليزية ثم كان بعضها باللغة الألمانية التي قدّر لك كذلك أن تقبل عليها وأن تتعلمها .

وفي فمي بعد ، أيها السادة ، ماء ، ولكنكم تحتملون هذه الملاحظة العابرة .. ذلك أن الأبحاث التي تتابعت بين ٦٦ - ٦٩ في بلجيكا قد

توقفت أو أوشكت على التوقف حين عدتّ إلى دمشق - فهل يستطيع أحدٌ من الذين يسمعونني هنا أن يجيب عن السؤال الذي يغالب الشفة : لماذا ؟ لماذا نقبل على البحث العلمي وننتج فيه حين نكون خارج عملنا في الجامعة ، ثم لماذا ننقطع عنه إذ نعود ؟

لعلنا نتقبل ذلك على أنه ضريبة هذه المرحلة من مراحل الحركة التعليمية ونموها .. وما من تفسير آخر يرضي ضمائرنا غير هذا التفسير ، نرتضيه إلى أن يستطيع هذا الوطن أن يزاوج بين الحركة التعليمية وبين الحركة العلمية ..

* * *

أيها السادة : لنقل هنا كما كان يقول الشعراء الجاهليون : فعدّ عما ترى ، ولننظر في بقية هذه الطريق الطويلة التي قادت زميلنا في مرحلته الجديدة بين الجامعة والمجمع وارتقت به إلى صفوف الخالدين .

وإني لموقن أني لا أخطىء التقدير حين أزعم أن مرحلة نيّرة من مراحل حياتك الجامعية كانت بعض ما أضاء لك الطريق إلى هذا المجمع العتيد .. ذلك أنك شهدت ميلاد أول معجم طبي تعاونت عليه وتعاورته هذه الأيدي المخلصة .. أيدي الأساتذة : حمدي الخياط ومرشد خاطر وصلاح الدين الكواكبي ، فقد كان من جهدهم الدائب في ميدان العلم والعربية أن صدر معجم « كليرفيل » مترجماً عن الفرنسية .. ولا أشك في أنك أفدت من ذلك أكبر الفائدة .. شهدت ولادة الكلمات والمصطلحات وشهدت النقاش الذي يدور حولها ، واستمعت إلى وجهة النظر هذه أو تلك ، وسفَرْت بين والدك وزميليه ، وحملت الأوراق من هنا إلى هناك .. ولعلك أطلت النظر حيناً في مسوّدات الطبع ، ولعلك أدمت هذا النظر واستحليته .. وإذا كان عسيراً أن نستبين ، على وجه محدد ودقيق ، ما كان

من آثار ذلك في حياتك اللغوية مع المصطلح العلمي فإن من اليسير أن نتبين جملة هذا الأثر الذي تفجر في هذا الشكل الجديد الذي اتخذه المعجم حين صدر الجزء الأول منه باسم معجم العلوم الطبية .. لقد أضفت إليه هذه الإضافات القيمة الغنية : أثبتّ تعريف اللفظ الأجنبي ، وتعريفُ اللفظ أدق المراحل في إيجاد البديل العربي وضعاً أو نقلاً أو تعريباً ، وأضفت المقابل الانكليزي ، فجمع المعجمُ في صورته الجديدة بين هذه اللغات الثلاث ليكون عاملاً مساعداً ، إن لم أقل عاملاً رئيساً ، على تعريب التدريس في الجامعات التي تصطنع الانكليزية أو تلك التي تصطنع الفرنسية لغةً في تعليم الطب .

أفلا يحقّ لي إذن أن أقول هنا ، ونحن نستقبلك اليوم ، إن بدايتك المجمعية ترتد إلى وراء ، إلى تلك السنوات التي رافقت ظهور المعجم الأول ، ثم إلى السنوات التي تلتها حين اختارك الأستاذ الرئيس الدكتور حسني سبح وصديقك الدكتور مروان محاسني رفيقين له في لجنة المصطلحات الطبية لاتحاد الأطباء العرب والتي كان من ثمارها : المعجم الطبي الموحد(١)

* * *

لقد تحدث والدك الجليل عن معجم العلوم الطبية الذي تبنته وزارة التعليم العالي ، والذي صدر الجزء الأول منه في جملة منشوراتها العلمية القيمة ، حديثاً رائعاً حقاً .. إني أتمنى لكل الذين يستمعون إليّ الآن أن يمضوا وراء هذه المقدمة يقرؤونها إذا كانوا لم يقرؤوها بعد ، وأن يعيدوا قراءتها إذا كان قد سبق لهم أن فعلوا .

---

(١) نشر هذا المعجم اتحاد الأطباء العرب ، وصدر عن مطبعة المجمع العلمي العراقي في بغداد سنة ١٩٧٣ ، ورأس تحريره الدكتور محمود الجليلي ، وأشير على غلافه أنه طبعة خاصة .

ولو كان يمكن لحياة علمية نقية أن تتجسد في مثال ، وكان يمكن لهذا المثال أن يتحقق فعالاً ، وكان يمكن لهذا الفعال أن يذوب ثم أن يرتسم كلمات وحروفاً ، وكان يمكن لهذه الكلمات والحروف أن تحتبس في هالاتها وأن تحمل في إيحاءاتها كلّ هذه المثل والفعال ، إذن لكانت هذه المقدمة هي ذلك كله .. إنها تركز إيمان صاحبها وتقـاه وجهده ورحلته العلمية الطويلة مدّ الله في عمره - على الطريق الدمثة والطريق الوعثة .. بل إنها ، وهذا ما أريد أن أدلّ عليه الساعة ، تمثل خلقاً أضحى من الأخلاق النادرة ، هو تواضع العلماء .. واسمعوا إن شئتم كيف يقول في المقدمة في مثل عزوف الزهاد وحياة المتقين وصدق الصادقين : « جاء هذا المعجم يضم جهود أساتذة كلية الطب في جامعة دمشق ، وما نشروه في مجلة المعهد الطبي العربي ، وما كتبوه فيما ألفوه من تصانيف لا تزال تشهد لهم بالجدّ والدأب والعمل المخلص الهادىء الهادف الطويل النفس .. بالإضافة إلى ما كان وضعه أطباء العرب الأقدمون ، ثم ما وضعه الأساتذة الترك يوم كانت مصطلحاتهم كلها عربية أو تكاد ، وما وضعه أساتذة القصر العيني في القاهرة والكلية الأمريكية في بيروت قبل أن يقلب الاستعمار لغة التعليم فيها من العربية إلى الانكليزية » .

واسمعوا كذلك كيف يتحدث في المقدمة عن أولئك الذين استفاد من نقدهم . لقد صدر معجم كليرفيل سنة ١٩٥٦ على حد ماوصفه الدكتور حمدي الخياط : « ترجمة أفاد منها الناس فيما نظن ونرجو ، ولكنها كانت سريعة وغير كافية » .

ذلك دعا بعض زملاء الدكتور حمدي الخياط إلى نقده . وكان الدكتور حسني سبح هو الذي تولى أكثر هذا النقد فأخذ ينشر منذ ذلك

الحين مقالاته متسلسلة في كل عدد من أعداد مجلة المجمع تقريباً ، يصوّب فيها ما يصوب ويقترح البديل الذي يقترح، مستنداً إلى شواهد اللغة ودلالة المصطلح تحت عنوان : نظرة في معجم المصطلحات الطبية .

ولا أنكركم أن الذين يقرؤون هـــذه المقالات من هذا الجيل المعاصر كانوا يسألونني : هل تعبّر هذه المقالات ـ التي استمرت منذ عام ١٩٥٩ ولا تزال ـ عن خلاف أو هل تنبيء عن خصومة ؟

وكنت أعجب للسائل وأؤكد أنها نتاج طبيعي لجهود العقود من السنين التي تعاون فيها هذا السلف الصالح على أن تكون العربية والتأليف فيها وما يقتضيه التأليف من تعريب المصطلح العلمي آكد همه وغاية جهده . . نتاج صاغه الدكتور حمدي الخياط في معجمه واستعمله في كتبه ، ونتاج آخر صاغه الدكتور سبح في نقده واستعمله كذلك في سلسلة كتبه الموسوعية عن الأمراض الداخلية والعصبية .

ولكن كثيرين من الناس لايفهمون النقد على أنه تكاملٌ بين الناقد والمنقود وتآزرٌ بينهما .. فاسمحوا لي إذن أن اقرأ عليكم بعض ما كتب الدكتور حمدي الخياط في ذلك في مقدمة معجمه الجديد : « فعهدنا إلى ولدنا الدكتور محمد هيثم الخياط أن يقوم بذلك ، مستفيداً مما نقد به الناقدون ترجمةَ معجم كليرفيل ، وبخاصة سلسلة البحوث القيمة التي كتبها الصديق الكريم الأستاذ الجليل الدكتور حسني سبح رئيس مجمع اللغة العربية في مجلة المجمع » .

لاأشك أيها الصديق الكريم أنك استفدت من مقالات الأستاذ الرئيس فيما أصدرت من معجم العلوم الطبية وبما اتخذ من نقد ، وستستفيد منها فيما ستصدر من أجزاء المعجم وفيما يتابع من نقد .. ونسأل الله إن يكون لنا جميعاً من روح العلم وخلقه مايبيح لنا أن نكون دائماً متعلمين وأن

يباعد مابين سلوكنا وبين الكبرياء ، وأن يتيح لنا أن نتحلى دائماً بقولة الشعبي : زين العلم حلم أهله .

لقد لازم هذا التواضع والدك الجليل كما أقدر أن سيظل يلازمك في مواقف أخرى كثيرة من حياتك .. ألم يختره المجمع عضواً فيه منذ حين طويل ! ... ولكنه آثر أن يعمل على طريقته وأسلوبه ، فزُيّن له أن قدْر المجمع عظيم وأنه لايبلغ هو هذا القدر .. وما كان ذلك حقاً من الحق ، وإنما كان تواضعاً من التواضع ، وحياء هو شعبة من شعب الايمان ، وخلقاً مسرفا في مراقبة ذاته ، مسرفاً في تجاوز الأضواء والشهرة أو ما يخيل إليه أنه من الأضواء والشهرة . ولكن الله الذي قدر لوالدك الجليل أن ينفع الناس بعلمه في الإطار الذي آثر ، هو الذي قدّر كذلك أن يكون النفع بك إن شاء الله في إطار هذا الجهد المشترك .. فليبارك الله في حياة أبيك وعمله متفرداً ، وليبارك عليك في حيـــاتك وعملك بين زملائك وإخوانك .

* * *

أيها السادة :

إنكم تشاركوننا احتفاءنا باستقبال الزميل الدكتور الخياط في ظروف لغوية هي أدقّ الظروف وأدعاها إلى التعاون والتساند وإلى اليقظة والحذر .. ذلك أنّ اللغة العربية ـ ولا أتردد في هذا الوصف ـ تعاني نوعاً مـــن الحصار اللغوي .. إن هناك جداراً غير مرئي ، هو أشبه بأسوار السجن ، يحتاط لغتنا العربية العلمية في القطر ويحول بينها وبين حرية الانطلاق والذيوع .

أريد أن أقول إن جامعاتنا العربية كلها ، على كثرتها واختلاف أعمارها ، لاتستخدم اللغة العربية في فروعها العلمية أو لاتكاد ،

حقاً إنها تستخدم العربية في الدراسات الإنسانية .. ولكن من ذا الذي يستطيع أن يفصل في وطن واحد أو في مجتمع واحد بين اللغة في الدراسات الإنسانية وبين اللغة في الدراسات العلمية ؟ من ذا الذي يستطيع أن يطمئن إلى هذا الفصل ؟ ثم ماهو مصير هذا الفصل في مستقبل قريب حين تستحكم هذه الازدواجية بين الذين يعنون بالدراسات الإنسانية وبين الذين يعنون بالدراسات العلمية ، فإذا هؤلاء على لغة ، وأولئك على لغة ، وإذا ضمير الجماعات المثقفة موزّع بينها ، وإذا حياة الناس منقسمة هذا الانقسام الشنيع .

لقد آن أن تسقط كل هذه الأوضاع وأن ينتسخ من الوجود العربي اللغوي كل هذا الواقع المريض وهذه الخطى المتعثرة التي لا تكاد تخرج من تجربة تتخبط فيها عقداً من سنين حتى تنتقل بعدُ إلى تجربة جديدة تقتضيها عقوداً أخرى .

اللغة العربية إذن في المجالات العلمية تعاني هذا الحصار الذي تفرضه الأوضاع في الجامعات الأخرى .. وما أشد ما يخشى المرء أن يقود هذا الحصار إلى أن يضيق المحاربون والمرابطون بالظروف والأوضاع من حولهم ، وأن تتغلب كثرة الباطل على قلة الحق .. ولهذا فإن أمام العربية في هذه المرحلة أن تحاول ، ماوسعها ذلك ، الخروجَ من هذا الحصار .

* * *

معنى هذا أيها الزميل الكريم جسامة المسؤولية التي تواجهنا ، وثقل الأمانة التي نحتمل على أكتافنا .. وفي تقديري أنه لا يعيننا على أن نجاوز هذا الحصار المفروض مثل أمرين اثنين لا أزال أدعو لهما وألح عليهما :

أولهما : أن نخرج بالعمل المجمعي في نطاق المصطلح العلمي عن المنهج

المألوف إلى نهج جديد أحسب أننا جميعاً مقتنعون به وأننا آخذون له أهبته. فقد درجت مجامعنا العربية على أن تعمد إلى جملة من المصطلحات في هذا الفرع أو ذاك من فروع المعرفة فتجد لها المقابل العربي ثم تنشر هذه المصطلحات على أنها مجموعة من القوائم في علم من العلوم.

وتلك كانت خطوة لاشك لابد منها على هذا الطريق الطويل .. غير أن ظروف الحيـاة العلمية والقومية، من مثل تكاثر الجامعات وتنوع المعارف والتوالد المستمر والخصب في المصطلحات، أضحى يقتضينا أسلوباً آخر هو تطوير طبيعي لهذا الاسـلوب الذي نأخذ به الآن في المجامع والجامعات.

الاسلوب الجديد يحتم أن نتجـاوز مرحلة الأعمال الفردية والقوائم المشتتة الخاصة التي ينفرد بها أناس بأعيانهم، إلى مرحلة العمل الجماعي يبدأ باختيار مجموعة من المعاجم المعتمدة في اللغات الأخرى ثم يكثف الجهود اللغوية لوضع البديل لألفاظها ومصطلحاتها . . وذلك بغيـة أن يكون بين يدي الجامعيين العرب في مختلف الأقطـار مجموعة كاملة من المعاجم العلمية المعتمدة، مترجمة إلى العربية ومقرّة في مجامعها ومقررة في جامعاتها.

كثيرون أولئك الذين يتطلعون في الجامعات العربية الأخرى - وبعضها على بعد ساعة أو ساعتين من دمشق في عمان أو بغداد - إلى استخدام العربية .. ولكنهم يسألونك دائماً أين هو المعجم العربي في هـذا العلم أو ذاك الذي نستطيـع أن نضعه بين أيدي أساتذتنا وطلابنا.

فقدان هذه المعاجم المرتقبة هو الحجة البالغة التي يتذرع بها خصوم العربية، ووجود هذه المعاجم هو الأمل المضيء الذي يتراءى دائماً لأنصار

العربية والمؤمنين بها ، ولقد غبرت سنوات لعلها لم تكن تساعد على الأخذ بهذا الاتجاه .. ولكن ماذا نقول اليوم لآلاف آلاف الطلاب المتكاثرين في طول البلاد وعرضها حين يسألوننا عن المعجم العربي في الفيزياء أو في الكيمياء أو في الرياضيات أو غيرها .

هل سنظل نحتج بالمعجم الطبي وحده ، أو بالمؤلفات العلمية العربية وحدها ؟.

ولماذا لا نستفيد من هذه التجربة التي تحققت في المعجم العسكري حين صحّ العزم فأصبح بين أيدينا معجم عسكري معتمد في اللغات الأجنبية ، ومنقول إلى اللغة العربية بمقابليه الانجليزي والافرنسي ؟!.

إن هذا الاتجاه نحو إعداد المعاجم أضحى أسلوباً في العمل اللغوي لا بدّ منه ولا غنى عنه : التطورُ يفرضه ، والحاجة تلح عليه ، والمنطق السليم يقضي بالأخذ به ، حتى لا تتكرر التجارب ولا تتعدد المعاجم ولا يشتد الخلاف بين المصطلح العلمي الذي نريده موحداً ليكون دليلاً على قوة اللغة العربية وشهادةً على صلاحيتها ، ولا نريده مشتتاً يستخدمه أعداء العربية برهاناً على صعوبة الاحتكام إليها والاقتصار عليها .

لقد أخذنا بهذا الاتجاه في مرحلة التعليم الثانوي في مؤتمر التعريب الذي عقد في الجزائر أواخر سنة ١٩٧٣ .. وإذن فقد أضحى حتماً أن نأخذ به في المرحلة التالية .

هذا هو أحد هذين الأمرين في طريقنا إلى الإفلات من هذا الحصار اللغوي ، وإنه لأصعب الأمرين . أما الأمر الآخر – وهو أيسرهما

لأنه فرع منه — فذلك أن يتفرغ عديدٌ من الجامعين والمجمعين على السواء لمثل هذا العمل المرجو .. إنه لايكفي في تقديري أن يتفرغ للعمل المجمعي ثلاثة من أعضائه في الجانب الاداري من العمل المجمعي هم الرئيس ونائب الرئيس والأمين العـام ، فذلك أقلّ ما يمكن أن يقوم به كيان المجمع .. وإنما يحتاج الأمر كذلك أن ينضاف إليه تفرغ لبعض الأعضاء ، أو لكثرة منهم ، يؤثرون هم هذا التفرغ وينهضون بحقوقه ويتكامل عملهم في ذلك مع زملائهم من الجامعيين ، حتى نستطيع أن نحقق أهدافنا أو بعض أهدافنا التي نتطلع إليها .

ولا أشك في أن التفرغ الجامعي - وبخاصة حين تكتمل صورته وتتحقق أبعاده في نطاق البحث العلمي — خطوة رائدة في هذا المجال ، يُسهّل الطريق إلى التفرغ المجمعي الذي ندعو له .

* * *

أيها الزميل الكريم :

إننا نستقبلك في مثل هذه الظروف التي تقتضي منا جهداً لا ينتهي وتعاوناً لا يتوقف وصفاءً تفنى فيه الشهوات والرغبات .. إنها ظروف قاسية تطارد فيها رائحة الدم كلَّ وشائج القربى وتغيب في ساحة العربية العقيدةُ الجامعة ، ويُنسَى التاريخ المشترك ، وتغطي العيونَ غشاواتٌ من الأهواء تحول بينها وبين رؤية المصير الأليم الذي نتزلق فيه أو نوشك .

لم يبق من نسيج الحياة العربية الموحدة إلا هذه الخيوط من اللغة ، وما تقود إليه وحدة اللغة من وحدة الفكر والتطلع ..

وحتى هذه اللغة يحتاطها كثيرون من الذين لايؤمنون بها ، والذين يكيدون لها ، والذين يجهلون أو يتجاهلون الأبعاد البعيدة لآثارها ,

لم يبق إذن في ساحات العمل المثمر – في هذه الثمرات – إلا هؤلاء الذين يؤمنون بلغتهم على أنها المعبر الوحيد للإيمان بالوجود العربي والحفاظ عليه والدفاع عنه .. وإني لأرحب بك هنا باسم زملائنا نصيراً على هذه الغايات وعاملاً في سبيلها .

فليهنك ، أيها الأخ الزميل ، مكانُك الذي تتبوأ وأنت على مشارف الكهولة ، محتفظاً بالزاهر من شبابك ؛ وليكن وجودك بيننا وجوداً معنا محتفظين جميعاً بالمخضرّ من آمالنا وآمالك خيراً وتوفيقاً ، وليكن وجودك جهداً وتعاوناً وتكاملاً ..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

شكري فيصل

خطاب الدكتور محمد هيثم الخياط في حفل استقباله

بسم الله الرحمن الرحيم

(يُسَبِّحُ للهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ، المَلِكِ القُدُّوسِ العَزِيزِ الحكيم . هُوَ الَّذي بَعَثَ في الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ ، يَتْلُو عَلَيْهِمْ آياتِهِ ، وَيُزَكِّيهِمْ ، ويُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ والحِكْمَةَ ، وإنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِيْن . وآخرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ ، وهُوَ العَزِيزُ الحكيم .. ذلكَ فضْلُ اللهِ يُؤتيهِ مَنْ يَشَاءُ ، واللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيْمِ . مَثَلُ الذينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الحِمارِ يَحْمِلُ أسْفَاراً .. بِئْسَ مَثَلُ القَوْمِ الَّذينَ كَذَّبُوا بآياتِ اللهِ ، واللهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالمِيْن) .

يومَ شاءَ الله - ولَهُ الحمد - لهذه اللغة الشريفة أن تكون لغةَ الشريعةِ والثقافةِ والحضارة : تُتْلى بها الآيات ، ويُزَكّى بها الناس ، ويُعَلَّم بها الأمّيون الكتاب والحكمة .. كان ذلك - في الوقت نفسه - إيذاناً بحروبٍ شعواء ، لن تقف ، على هذا اللسان المبين .. كيف لا ، وهذه اللغة هي الرباط المتين الذي يشد بعض أبنائها إلى بعض ، ويَصِلُ

مشرقَ هذه الأمة بمغربها ، وحاضرَها بماضيها ومستقبلها ، وبها يُعلَنُ الجهاد في سبيل الله والمستضعفين ، وبها يُتحدَّى الطواغيت ويُحافَظ على كيان الأمة إذا شاء عدوُّها لها أن تذوب وتضمحل .

ألم يأتِكم نبأ الأخ الجزائري — كلِّ جزائري — يوم تنبَّه الاستعمار على موطن القوة لديه ، فعمل ما استطاع على إضعافه ، وتوصل إلى أن يكبت منه اللسان فلم يعد يقوى على أن ينطق بالعربية .. ولكنه ظل يبكي بالعربية .. وظل قلبه يخفق ويعشق بالعربية .. وظل كيانُه كلُّه يُقدِّس لربه بالعربية .. واستطاعت كتائبَ جمعية العلماء أن تحفظ على القوم لسانهم بفضل القرآن ،وتجمع الأمة ما تشعَّث من شأنها بالعربية.. واستطاع القوم أن يغيِّروا ما بأنفسهم فيغيِّروا الدنيا .. وأخذنا نتلو في سجل الجهاد آياتٍ خالدات ليس كمثلها شيء وليس لها نظير .. وكان ذلك برهاناً جديداً مشرقاً ومشرِّفاً على أصالة هذه اللغة وحصانتها ، وعلى ينابيع لا تنفذ فيها للقوة والثبات .. حتى لكأنَّ سُوَيْدَ بن أبي كاهل اليَشكُري يعنيها حين يقول :

مَعْقِلٌ يأمن مَنْ كان به ... غَلَبَتْ مَنْ قَبْلَه أن تُقْتَلَعْ
غلبت عاداً ومَنْ بعدهمُ ... فأبَتْ بعدُ فليست تُتَّضَعْ
لا يراها الناس إلا فوقهم ... فهي تأتي كيف شاءت وتَدَعْ
وهو يرميها ولن يبلغها ... رِعةَ الجاهل يرضى ما صَنَعْ
كَمِهَتْ عيناه حتى ابيضَّتا ... فهو يَلْحَى نفسه لمَّا نَزَعْ
إذ رأى أنْ لم يَضِرْها جَهْدُهُ ... ورأى خلقاءَ ما فيها طَمَعْ
تَعْضِبُ القرنَ إذا ناطحها ... وإذا صاب بها المِرْدَى انجزَعْ

وإذا ما رامها أعابيه قلةُ العُدّة قِدْماً والجَدَعْ

من أجل ذلك أيِس أعداؤها من قراعها وجهاً لوجه ، فراحوا يحتالون لذلك ومكروا مكراً كُبّاراً ، وحاولوا أن ينفذوا إلى قلوب الناس وعقولهم بتهاويل أثاروا حولها نَقْعاً من الضوضاء : طوراً بالدعوة إلى إفساد اللغة باسم الاصلاح ، وتارة بالدعوة إلى أميّة اللغة باسم التبسيط ، وثالثة بالدعوة إلى تهجين اللغة باسم التطور والنهضة .. وانتظر الناس أن يبصروا بعد ذلك كله شيئاً من أمارات الاصلاح المزعوم .. ثم نظروا ، فإذا أقوال هؤلاء الأعداء وأعمالهم كسرابٍ بقيعةٍ .. يحسبه الظمآن ماء ، حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً .. ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً .. ولا جرم ! فمثلُ كلمةٍ خبيثة كشجرة خبيثة اجتُثّتْ من فوق الأرض ما لها من قرار !.

ولن تزال هذه العربية هدفاً يُزاول عديُّها ما وَسِعه أن يرميه :

مُقْعِياً يَرْدِي صَفاةً لم تُرَمْ في ذُرَى أعْيَطَ وَعْرِ المُطَّلَعْ

وستظل هذه العربية ظاهرة عَلِيّةً إن شاء الله ، وإن رَغِمتْ لذلك آنافٌ وآناف ، ولن يزال في هذه الأمة طائفةٌ ينافحون عن لغة القرآن لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون .

ومن أجل ذلك أيها السادة قام هذا المجمع المبارك .

من أجل أن يدافع عن ثقافة أمةٍ برُمّتها ، يحاول أعداؤها أن يحققوا للثقافات المعادية كل الغلبة عليها .

وإنما أعني بالثقافة ذلك الجو الاجتماعي الذي تتنامى فيه شخصية الفرد وطباعُه ، وهو جوٌ يتألف من قيم وأفكار وأخلاق وأسلوب للحياة ،

ويشارك كل فرد من أفراد المجتمع في إغنائه .

ولقد تنبه أعداء هذه الثقافة على أنها لا تُؤتَى كِفاحاً وإنما تُتَنَقَّصُ من أطرافها ، فعمدوا إلى التسلّل من هنا وهنالك إلى مكامن القوة في هذه الأمة ، وجعلوا من العَبَث بالكلمة ديدناً لهم وسبباً إلى ما يريدون .

وسنظل نسمع بين يوم وآخر دعوة إلى استعمال العامية في المسرح والسينما وتنفيذاً لهذه الدعوة على نطاق واسع ..

وسنظل نرى انخفاضاً في مستوى التعليم الجامعي يؤدي بأساتذة الجامعة إلى أن يلقوا دروسهم ومحاضراتهم بالعامية ، ويتخرج تلامذتهم ليعلموا أطفالنا وفتياننا بالعامية ، فتصبح لغة الأمة لغة أجنبية تثقل على نفوس الناشئة ويحسُّون بغربتها ، ثم لا يكاد يطول بها زمن حتى تصبح غريبة على أبنائها وأهلها .

وسنظل نرى حيلولة بين اللسان العربي وبين تعليم العلوم في الجامعات، وفجوة بين التعليم ولغة التعليم ، ونبصر أناساً من بني جلدتنا ، يلبسون لباسنا ويهزؤون بنا حين ندعو إلى التعليم بالعربية .

هذه حرب دائرة لن تقف !

ولكن المؤمنين من أبناء هذه العربية بها والمخلصين لها وهم كُثُر ، سيعملون مع هذا المجمع الأصيل على هتك الستر عن هذا العدو الماكر الخبيث ، وعلى الوقوف في وجه هذه الخطط الباغية ، وعلى فتح أعين أبناء أمتنا الذين هم هدف التدمير والتمزيق والنسف على أن ميدان الثقافة هو أخطر ميادين هذه الحرب ، وعلى أن معارك الثقافة مُتَرَاحِبَةٌ لا تحدُّ بحدود ، وعلى أن أكثرها – كما يقول الأستاذ الجليل محمود محمد

شاكر (*) - يأتي موقتاً توقيتاً دقيقاً : إما قُبَيْل حركات النهضة والاحياء ، وإما معها ، وإما في أعقابها ، وعلى أن أمضى سلاح في يد عدوّنا هو سلاح الكلمة الذي يحمله رجال من أنفسنا ، وينبثّون في كل ناحية ويعملون في كل ميدان وينفثون سمومهم بكل وسيلة ، ولو أن بعض هؤلاء الرجال يأتون ما يأتون عن علم ، وبعضهم قد أُخِذَ من غفلته فهو ماض في طريقه على غير بيّنة .

وإذن ، فعمل المجمع ليس مقتصراً على وضع المصطلح ، وإن يكن وضع المصطلح كبيرَ الشأن في عصرنا هذا : عصر العلم والثقافة ..

ولكن عمل المجمع أن يقود ركب التوعية والتنبيه .. وأن يلفت النظر إلى كل مكر خفي يهدف إلى قطع صلة هذه الأمة بلغتها وثقافتها الأصيلة .. وأن يبذل جهده الصادق الواعي الفاهم ليجعل من الفصحى لغة التخاطب العامة ، وإن بقي للعامية آثار قليلة متفرقة في طبقات الناس بعدَ ذلك .. وأن يقول كلمته واضحة صريحة لا يَتَلَجْلَجُ ولا يُجَمْجِم : في لغة التعليم ، ولغة التوجيه ، ولغة التثقيف .

وأن يُعَرِّفَ أبناء هذه الأمة بتراثهم لا من أجل أن يَتَنَفَّجُوا بهذا التراث ، ولكن من أجل أن ينطلقوا منه انطلاقاً مبدعاً ويتعلموا من سَلَفهم كيف يكون الاخلاص للعلم ، وكيف يكون المنهج العلمي الصحيح ، وكيف ينطلق الفكر المُكَبَّل من كل إسار يجعله يُخْلِدُ إلى الأرض ..

وإنه لواجبٌ - لو تعلمون - عظيم !

★ ★ ★

(*) في كتابه النفيس « أباطيل وأسمار » ، وهو عرض صريح واعٍ مستوفٍ للهجمة الشرسة على العربية ، وبيان الكثير الكثير من خفايا المعركة .

أيها السادة المجمعيون :

كان شرفاً عظيماً أضفيتموه عليَّ أنْ شئتم لي أن أكون بينكم. وما كان ينبغي لمثلي أن يحتل هذا المقام ويقف هذا الموقف ، وأنا ما زلت فتىً لم يَطَأ بعدُ عتبة الأربعين ، وإن كان المشيب قد وَخَط فَوْدَيَّ .

ولقد كان أبي ـ أطال الله بقاءه ـ أحْصَفَ مني وأحْزَمَ ، يوم رأى نفسه ـ قبل لِوَاذِ أربعين سنة ـ دُون أن ينضمَّ إلى موكبكم الكريم فاستقالكم .

ولكني أريتُ ـ والحرب على العربية قد شبَّ أوَارُها ـ أنَّ حقاً عليَّ واجباً ألا أحجم ولا أتقاعس عن النهوض بأمرٍ أحسنتم الظنَّ بي فحسبتموني له أهلاً ، وإن كنت أعلم من نفسي أني أعجَزُ من أن أستقلَّ به ، وأدنى بكثير من أن أحشر في رَكْبِ المُجلّين .

فمعذرةً إلى أبي وأستاذي الشيخ الجليل الطبيب الجراثيمي أحمد حمدي الخياط أنْ لم أقفُ خُطاه .

ومعذرةً إليكم أيها السادة المجمعيون أن لبيت دعوتكم ، فألحقتُ بذلك بكم امرءاً لم يجئكم إلا ببضاعة مُزْجاة .

وتالله لقد أحسنتم الظن بي أيها الأستاذ الرئيس حتى لأكادُ أحسن الظنَّ بنفسي . وما أنا ـ يعلم الله ـ بذاك ، ولكن إن يكُ فيَّ خيرٌ فمن أشياخي ـ وأنتَ منهم ـ قبستُه .. عليكَ قرأتُ الطب في كلية الطب قبل عشرين سنة ، ومعكَ عملت في لجنة توحيد مصطلح الطب نحواً من عشر سنين ، وأفدت من علمك الكثير الكثير ..

أما الصديق الكريم الدكتور شكري فيصل فقد قطعَ عنقي بثنائه ،

وأسبغ عليَّ من حُلَل المديح ما لست له بأهل . وائن رابـــه بعضُ تباطؤ في عملي في البحث العلمي ، لقد كان ذلك إعداداً للعُدَّة وتهيئة لأسباب البحث ، وهذه مناسبة أنتهزها لأشكر إخوتي في وزارة التعليم العـــالي والجامعة (*) ، الذين لم يألوا جهداً في سبيل إنجاح مسعاي هذا .

وبعد ، فكيف لا أشعر بأن الرداء الذي أسبغتموه عليَّ — أيها السادة — فضفاض ، وأن السِّربال الذي ألبستمونيه عريض ، وأنا أخلف في مقامي هذا عَلَمين شامخين من أعلام اللغة والعلم في بلدكم هـذا في عصركم هذا ؟.

أما أولهما . الجميلُ الخانيُّ فكان أمة وحدَه في جِدِّه وجَلَده وصِدقه وإخلاصه . لما رُغِبَ إليه أن يدرس الفيزياء وهو أستاذ في كلية الطب ، أبت عليه طبيعة العالِم الحق أن يُعَلِّم إلا ما يجيد ، فشد الرِّحال إلى باريس وعكف على طلب هـذا العلم حتى أتقنه ، وتجاوز ذلك إلى أن صَنَّف فيه سفراً في مجلدتين ، أفاد منها الناس وما يزالون ، وتجلى فيها تمكُّنه من أعِنَّة اللغة فوقَ تمكُّنه من أزِمَّة العلم ، ووضع فيها من مصطلح الفيزياء عديداً من الكلِم ، لا نزال نرتاح إليه ونسعَد باستعماله .

ولم يكن - طيَّب الله ثراه - بالذي يضيع من وقته لحظة في غيرما

(*) منهم في وزارة التعليم العالي : زميل الدراسة الدكتور محمد علي هاشم ، ومن قبله الصديق الكريم الدكتور شاكر الفحام ، وفي الجامعة رؤساؤها المتعاقبون الدكتور مدني الخيمي والدكتور عبد الرزاق قدورة والدكتور محمد الفاضل ، ووكيلاها الدكتور محمد خير فارس والدكتور إبراهيم حداد ، وفي كلية الطب عميداها الدكتور إبراهيم حقي والدكتور منير البيطار .

عمل مُجْدٍ وسعي مشكور . ولقد أكبَّ في أخريات أيامه على عمل جليل - بدأه من قبل - في معجمٍ لألفاظ العلوم لم يُتَحْ له أن ينشر . وإني ليحزُنني أن يبقى هذا المخطوط حبيس القِرْطاس ، ويُسْعِدني - إن شاء آلهُ الأبرار - أن أعمل في إخراجه ونشره ، فإن فعلت ، إني إذن لمن القائمين بنصيب من حق هذا الرجل الذي لم يُوَفَّ حقه من التكريم ، ولم يُصِبْ من الوفاء ما كان ينبغي له أن يصيب .

وأما ثاني الرجلين - وهو الصلاح الكواكبي - فكم يطيب لي أن أتحدث عنه . فتحتُ عينيَّ وأنا بعد صغيرٌ صغير على بيت الكواكبي ، وكان صلاح الدين تلميذ أبي الأثيرَ وصفيَّه .. ورتعتُ في بيته ما شاء الله لي أن أرتع . وكانت بُنَيَّاته - رحمَ الله كُبْراهُنَّ وحفِظَ أختيها وشقيقهنَّ - أخواتٍ لي ، نعِمْتُ بأخُوَّتهن دهراً . وكنت أرى في الصلاح الكواكبي - منذ فتحتُ عيني عليه - إنساناً عجباً ليس له نظير ! وما أشد ما كان يدهشني أن أراه يعمد إلى قطعة من الخشب أو الحطب مما يوقدون عليه في النار ، ثم يأتي بسكين أو شفرة فيبريها بها ، فيحسن بريها ونحتها ، ثم يغمسها في دواة عتيقة بها مِدادٌ لعله من صنعه ، ثم يكتب بها من جميل الخط والزخرفة ما شاء .. وأسأله أن يكتب اسمي فيصنع شكلاً هندسياً مُنَمَّقاً في بضع ثوان .. ثم يلقي به إليَّ في عجل ، ليفرغ إلى عنوان يكتبه لبعض كتبه .

وكنت أنسلُّ أحياناً إلى خلوته المفضلة في العُلِّيَّة الغربية حيثُ مكتبتُه ، فألفيه قد عمد إلى كتاب عتيق يؤزره ، يستخرج من مكنونه أشياء يودعها جُذاذات وكنانيش ، ثم علمت - بعد أن كبرت - أن هذا الكتاب

يقال له « القاموس المحيط » ، وأن هذه الكراريس تحوي من فوائد الكلم نفائسَ ألفاها تقابل بعض مصطلح العلم الحديث .

وُلد صلاح الدين الكواكبي في مدينة حلب في السنة الأولى من سني هذا القرن . ودرس العلوم الابتدائية في الآستانة ونال شهادتها بدرجة ممتازة ، ثم درس العلوم الرشدية في بشكطاش في المدرسة الرشدية الرسمية في الآستانة . وانتقل منها إلى الرشدية الملكية التركية بحلب ونال شهادتها بدرجة ممتازة . ودرس من بعد ذلك العلوم السلطانية في المكتب السلطاني بحلب حتى السنة الحادية عشرة من سَني الدراسة ثم أكمل تحصيله في هذه المدرسة نفسها بعد أنْ تحولت إلى مدرسة التجهيز العربية ونال شهادتها بدرجة ممتازة في شهر تموز من سنة عشرين . وقد كان يحب حلب حباً جماً ويحن إليها كثيراً وكأنه يتمثل بقول الشاعر :

ألا هل إلى أبيات سَمْح بذي اللِّوى أو الرمل من قبل الممات مَعَادُ
بلادٌ بها كُنَّا .. وكُنَّا نُحِبها إذ الناسُ ناسٌ والبلادُ بــلادُ

وفي سنة إحدى وعشرين دخل المعهــد الطبي العربي في دمشق ليَدْرس الصيدلة فيه ثلاث سنين وينال إجازتها الرسمية بنجاح باهر سنة أربع وعشرين . وكان لهذه السنوات الثلاث أثر فيه كبير .. فقد كان المعهد الطبي العربي موئلَ العربية ودرعَها الحصين ، وفيه كانت تُدَرَّس العلوم بالعربية على رغم مُرَاد الفِرَنْجَة . ولئن كانت إرادة العلوج المستعمرين قد أفلحت في التحوُّل بلغة التعليم عن العربية في مصر ، بعد سبعين سنة من التعليم بالعربية ، وأفلحت كذلك في التحوُّل بألباب المُدرِّسين ثَمَّةَ - إلا قليلاً ممن عصم ربك - إلى مرتبة من الاستخذاء للغةِ هذه الأعاجم ،

تتجلى اليوم في إبائهم العودة إلى التعليم بالعربية . . ولئن كانت حقيقة الغرض من إنشاء المدرسة الانجيلية السورية التي أصبحت تعرف بالجامعة الأمريكية في بيروت ، قد تبدّت بعد سنوات من بدء التدريس بها ، فأصبحت تُدرِّس بلغة أجنبية .. لقد ظلت الجامعة السورية ومعهدها الطبي العربي قلعة شامخة ترفع راية التعليم بالعربية ، ولم تَثْنِها عن ذلك مكايد الفرنجة ، حتى كانوا في محاولتهم صرفها عما وطنت العزم عليه :

كناطحٍ صخرةً يوماً ليُوهِنَها فلم يَضِرْها وأوهى قَرْنَه الوَعِلُ

في هذا الجو تعلم الكواكبي ، وإليه عاد بعد أربعة أعوام قضى معظمها في الاختصاص في بلاد القوم ، يدرس في الصّربون الفيزياء والكيمياء ، وفي مؤسسة الطب الشرعي علمَ السموم ، وفي معهد الصيدلة الكيمياءَ الحيوية .. وينشر في غضون ذلك بحوثاً يحتفي بها القوم ويُثْبِتونها في مُدَوَّناتهم ويرجع بشهادات تَنِمُّ على طول باعه في هذه الفنون .

ويوم فاء إلى المعهد الطبي العربي من بعد ذلك سنة ثمان وعشرين ، عُيِّن في دار الجراثيم ولبث فيها ثماني سنين دأباً ، يعاون الأستاذ الجراثيمي أحمد حمدي الخياط في مختبرات التدريس والتشخيص ، ويخطو عنده خطواته الأولى في التأليف العلمي بالعربية .

وقد كانت هذه الأعوام الثمانية غنية بالانتاج العلمي . ألف في مطالعها سلسلة مُجَوَّدة أسماها « الدروس الكيمياوية لتلاميذ المدارس الثانوية » ، وجعلها في خمسة أجزاء : خصَّ كلّاً منها بسنة من سنوات الدراسة الثانوية الخمس . وكان ذلك ما بين سنتي ثمانية وعشرين وثلاثين . وكان لهذه الكتب شأن كبير فقد سدت حاجة كانت إذ ذاك مُلِحّة ، ووضعت في يد الطالب

مراجع سهلة المتناول يسيرة اللغة جميلة المصطلحات .. فكانت هذه التجربة الأولى غاية في النجاح ومفتاحاً لأسفار أخرى اتصفت جميعاً بالجودة والاتقان فصدر سنة اثنتين وثلاثين كتابه في « الحُبابات الدوائية » ، وسنة ثلاث وثلاثين كتابه « الحموضة والقلوية في نظرية الشوارد » ، وسنة أربع وثلاثين كتابه في « صناعة حمض الليمون » ، وسنة خمس وثلاثين كتابه في « الكيمياء الحديثة » ، وسنة سبع وثلاثين كتابه في « الدوتيريوم أو الهدرجين الثقيل» .

وكان من جميل الاتفاق أن قرن الكواكبي القول بالعمل . فحين انشأ كتابه في الحُبابات الدوائية أنشأ يصنع مستحضرات صيدلانية هي حُبابات دوائية تحوي أدوية نافعة تُزْرَق للمرضى علاجاً ناجعاً لهم . وذلك جانبٌ مهم من شخصية الكواكبي يكشف عن نفس خيّرة معطاء ، لا تكتفي بنشر العلم يفيد منه الدارسون ، وإنما تتعدى ذلك إلى الدواء يفيد منه المرَاض . ولعل ما صنع كان من أوائل ما وجد من صناعة صيدلانية في هذه البلاد .

وفي عام سبعة وثلاثين استدعته حكومة العراق استاذا لتدريس الكيمياء الحيوية والتحليلية في كلية الصيدلة الملكية العراقية ببغداد ، وبقي فيها ثلاث سنين أخر . لقي في غضونهن الترحيب كله والتقدير كله ، وكان فيهن منتجاً كذلك غزير الانتاج ، فقد طفق يؤلف لطلابه المراجع التي تلزمهم بالعربية – غير َهيَّاب – فصنع كتاباً لطلبة طب الأسنان أسماه « الموجز في الكيمياء الحيوية » ، وكتاباً عن « الحيويات (الفيتامينات) » سنة سبع وثلاثين ثم صنع كتاباً في ثلاثة أجزاء لطلبة الصيدلة يتناول « الكيمياء الحيوية الطبية العملية » ، وذلك عام ثمانية وثلاثين ثم أصدر – مع

الصيدلي الكيمياوي عبد الفتاح الملاح – « التطبيقات العملية للكيمياء الحيوية » سنة تسع وثلاثين .

ثم حنّ إلى دمشق ومعهدها الطبي العربي فعاد إليه سنة أربعين وتدرج في مراتب التدريس فيه حتى أصبح أستاذاً ذا كرسي عام سبعة وأربعين فعهد إليه الأستاذ الجراثيمي الخياط – وكان وقتئذ ينهض بأعباء عمادة كلية الطب – بتدريس الكيمياء العضوية لطلاب الصيدلة . فلبّى صلاح الدين طلبته ، وهو كما يقول « أستاذه وله عنده منزلة الأخ الأكبر » ، وصنع كتاباً من أنفس ما ألف في « الكيمياء العضوية » وكان قد نشر قبله كتاباً عن « الحالات في الكيمياء الحيوية » سنة إحدى وأربعين . ثم أنشأ من بعد ذلك كتباً كثاراً أشهرها سفر في « الكيمياء الحيوية » وآخر في « علم السموم » ، وكتابان في التطبيقات العملية أحدهما للكيمياء الحيوية والثاني للكيمياء التحليلية ، وكتيّب عن « النظائر في الكيمياء الحيوية » . ولبث يعمل في التدريس والتأليف في الجامعة حتى غادرها سنة إحدى وستين يوم بلغ سن التقاعد .

وكان طبيعياً أن يتصدى الكواكبي لوضع المصطلح منذ بدأ يزاول التأليف ، والحق أنه قد نذر للمصطلح عمره كلّه ووقف عليه حياته ؛ فهو يقول – يحدّثنا عن نفسه : « منذ ما أولعت – عن رغبة ملحة في نفسي – بمطالعة كتب اللغة العربية ، كان القاموس المحيط للفيروزابادي هو الوحيد على منضدتي خلال الدراسة التجهيزية في عهد العثمانيين ، وما بعدها منذ التحرر العربي ، فكنت أقلب صفحاته وأطالع سطورها بإمعان وشوق لأطلع من أعماق هذا المحيط بالدرر الغوالي أفيد منها للمصطلحات العلمية ،

بالاضافة إلى ما كان يرشدني إليه والدي[1] رحمه الله وأجزل ثوابه ».

وقد وضع من المصطلحات بضع مئات استعملها في كتبه ، ونشر بعضها في مجلة المعهد الطبي العربي تباعاً منذ سنة ست وثلاثين ، ونشر بعضاً في مجلة هذا المجمع الموقر ، وما انفك يكتب لهذه المجلة حتى آخر نفس من حياته (٢).

على أن أجلّ كتبه وأبقاها كتابان اثنان . أما أولها فهو « مصطلحات علمية » كان ينشرها ، ثم يردّد النظر فيها ويضيف إليها ويصدرها في طبعة جديدة حتى بلغ ما طبعه من الكتاب ثماني طبعات . وفي هذا الكتاب نجد خلاصة أفكار الكواكبي وتتلمّس أصول مذهبه . وأما الثاني « فمعجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات » الذي شارك فيه أستاذين من الرعيل الأول في المعهد الطبي العربي وفي وضع المصطلح ، وكان بمثابة التطبيق العملي لأصول مذهبه في مصطلح الكيمياء .

ولعله يحسن بنا الآن أن نتطرق إلى ملامح المنهج الذي سلكه الكواكبي وأحبّه لمن بعده . ومعلوم أن العربية قد نمت بالاشتقاق والمجاز والنحت والتعريب ، وهي الطرائق التي سلكها المتقدمون من العلماء والنقلة عندما وضعوا آلاف المصطلحات في مختلف العلوم ما ابتدعوه منها وما نقلوه عن فارس ويونان الهند وغيرها من الأمم . وهذه الطرائق هي التي نتخذها في زمننا هذا لنقل العلوم الحديثة إلى لغتنا الضادية . ولكن

---

(١) والده القاضي الفاضل مسعود أبو السعود الكواكبي ، عضو محكمة التمييز وعضو المجمع .

(٢) ناهز ما نشر له في مجلة المجمع ثلاثين بحثاً .

الكواكبي كان تشيقا يثيره إحجام قومه عن التوسع في اللجوء إلى القياس بلا حرج ، ويسوؤه – كما يقول – « أن نبقى محصورين في حجرة ضيقة لا ندري كيف النجاة منها وتكاد تقضي علينا لضيقها ، ولدينا ألوف من الكلمات الأجنبية لعلوم ومكتشفات شتى تحتاج إلى ما يقابلهـــا في لغتنا الشريفة » .

ونعَمْ ، إن القياس – كما يقول أبو الفتح عثمان بن جنيّ (١) – « موضع شريف ، وأكثر الناس يضعف عن احتماله لغموضه ولطفه ، والمنفعة به عامة ، والتساند إليه مقوٍّ مُجْدٍ ، وقد نص أبو عثمان عليه فقال : ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب ، ألا ترى أنك لم تسمع أنت ولا غيرك اسم كل فاعل ولا مفعول ، وإنما سمعت البعض فقست عليه غيره » .

وكذلك قال له أبو علي يوم سأله : أفترتجل اللغة ارتجالاً ؟. قال : « ليس بارتجال ، لكنه مَقيسٌ على كلامهم ، فهو إذن من كلامهم » .

ولكن الكواكبي كان يرى الاتساع في هذا الباب بلا تحرّج ويقول : « فما نطق به العرب يقاس عليه ولو كانت كلمة واحدة » (٢) .

وكذلك قال لكم في موقفه الذي وقفه في هذا المكان قبل بضع وعشرين سنة يوم استقبلتموه رصيفاً لكم في هذا المجمع المُبَجّل .

---

(١) الخصائص لابن جني ، الجزء الأول ، الصفحة ٣٥٧ ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٧١ هـ .

(٢) مصطلحات علمية للكواكبي ، الصفحة ٨ ، الطبعة الثامنة ، مطبعة جامعة دمشق ١٣٧٨ هـ .

« والقياس ما أوسع حدوده ! لماذا نكتفي بوضع كلمات معدودات على وزن فَعَل : (رَمَد ، كَلَب) فنجعل الدائرة ضيقة لا تتعدى حدودها دفتي القواميس ، ولا نحب توسيعها بالقياس كما هي عليه المقاييس فنقول : (فَتَل ، زَرَق) ، أو نكتفي بكلمتين على وزن مفعول : (مكبود ، مَمْشُون) فلا نقول قياساً : (مزهور ، مسكور) ، أو بكلمتين على وزن فُعَال : « جُذَام ، بُوَال » فلا نقيس به (نُهَام ، رُحَام) ؟ ألأنه لم يسمع عن العرب أكثر من هاتين الكلمتين ، أم لأنه لم يدوّن في المعاجم غيرهما ؟.

« فلماذا اتخذت المقاييس إذن ؟ أليست للقياس على الاطلاق دون قصر أو حصر ؟ ما نفع (المتر) إذا اقتصر استخدامه على ثوب الحرير ولم يعمّ أثواب القطن والصوف والكتان ؟ وما فائدة (اللتر) إذا حصر عمله لكيل الماء ولم يستخدم لكيل الموائع كافة من زيوت وأغوال وألبان ؟.

« سادتي ! لو أن العربي القديم بعث اليوم حياً من لحده ، وشاهد هذا التقدم العلمي الهائل بفروعه الجمّة التي لم تكن في عهده ، لما تردد لحظة في وضع ما جرى عليه العربي الحديث نهجاً على ما سار عليه القديم سليقةً ، يوم كان حياً في زمنه الغابر » .

وقال في مقدمة مصطلحاته العلمية (*) :

« وماذا يراد بكلمة (شاذ) ؟ ألم ينطق بكلمة (شاذة) من هذه

(*) مصطلحات علمية للكواكبي ، الصفحتان ٦ و ٧ ، الطبعة الثانية ، مطبعة جامعة دمشق ١٣٧٨ هـ .

الشواذ عربيٌّ صميم العروبة في الزمن الغابر .. فما المانع من القياس عليها ؟ ألِأنَّه لم يُسْمَع عنه غيرها أم لأنه لم يُدَوَّن في المعاجم سواها » ؟

« .. لِمَ نجعل الباب موصداً وهو واسع ؟ فلنُبْقِهِ مفتوحاً على مصراعيه لننفذ منه إلى مجال فسيح نَصُول فيه ونجول » .

« . . فإذا كنا راغبين حقاً في اقتحام العقبة في سبيل المصطلحات العلمية علينا بالتساهل دون قيد ولا شرط :

١ – في القياس على الأوزان العربية إطلاقاً .

٢ – في القياس على بعض القواعد العربية .

٣ – في الأخذ بالنحت والاشتقاق .

٤ – بالتنازل عن الأنانية والكف عن الحمية الجاهلية ، لقبول الأصح والأصلح من بين المصطلحات الجديدة » .

هذا ما كان من أمر القياس فأما النحت فالحديث عنه في كلام الكواكبي يكاد يكون أبْيَن وأظْهَر لأنه كان فيما نعلم السبَّاق إلى الاتساع فيه والدعوة الحرة إليه .

كان فَنّاناً يتحسَّس الجمال حيث كان ، فيستشعر أن في قطعة الخشب الملقاة مقدرة على أن تكون أداة لرسم الحروف وتنميق الزخارف ، فلا يدعها حتى يستخرج منها مكامن الجمال . . ومن أجل ذلك كان يقول:

« ما الذي أكسب الحجر الصلد قيمته في الهيكل ؟ هل غير النحت من قبل الحُذَّاق...وما قيمة التمثال الحجري لولا نحته على أيدي مهرة ؟! »(*).

(*) مصطلحات علمية ؛ حاشية الصفحة السابعة .

وكأني به كان يقف الموقف نفسه من الكَلِم .. كان يعيشُ كلَّ كلمةٍ على حدة .. ثم يتنأى به الخيال فتتمثل له الكلمات شاخصة .. ثم ينحتها في تَوَهُّمِه نحتَ الخبير الحاذق ويتأملها بباصر فكره فيعجب لها ويرتاح اليها ، ويرى فيما نحت من مكامن الجمال مالا يستطيع غيره أن يبصر .. ومن أجل ذلك كان النحت قطعة من كيانه ، وفيئاً يرتاح إليه كما يرتاح المهاجر بعد السفر الطويل في ظل الدوحة الوارفة ..

وتَعَمْ ، لقد أكثر من النحت وبالغ فيه ، ولكنه كان يزوال علماً لايصلح له إلا النحت .. علم الكيمياء .. ونحن نحاول اليوم في لجـــان مصطلح الكيمياء أن تتنأى عن النحت مااستطعنا فإذا بنا نعود إلى مانحت .. وصحيحٌ أن جملة قد تكون أبلغ من كلمة ، ولكن الكيمياء التي استعصت على أفهام الاولين والآخرين ، تأبى أن تُسَوَّى بغيرهـــا ، وتثبت أن الكلمة الواحدة المنحوتة خير من كلمتين ، وأن التوسع في النحت الذي سنه الكواكبي له مايُسَوِّغه إلا أنه لايقوم به إلا كلُّ حاذق خبير ..

هذا شيء عن مذهب الكواكبي في المصطلح .. فأما الكواكبي الانسان فقد كنت من أعرف الناس به وكان عَزُوفاً عن الناس يطمئن إلى عدد من صحبه الأدنين وخُلَّصه ، ويجد نفسه غريباً في الآخرين حتى لكأنه يتمثل دائماً قول ابن هَرْمَة :

ليتَ السباعَ لنا كانت مُجاورة   وأننا لانرى مِمَّن نرى أحدا
إن السباع لَتَهْدَا عن فرائسها   والناس ليس بهادٍ شرُّهم أبدا

ولكن الناس كانوا يحبون أن يستمعوا إليه ، وسلوا إن شئتم طُلاَّبه الكُثْر في الشام والعراق وغيرهما ، فقد كان له منطق – كما قال ذو الرُّمَّة – رخيم الحواشي لاهُرَاء ولانَزْر ..

أو كما قال ابن الرومي في حديث من أحبَّ :

وحديثها السحرُ الحلال لو انه لم يَجْنِ قتلَ المسلم المتحرّزِ
إن طال لم يُملَلْ وإن هي أوجزَتْ وَدَّ المُحدَّثُ أنها لم تُوجِزِ
شَرَكُ القلوب ، وفتنة ما مِثلُها للمطمئن ، وعُقْلَةُ المُسْتَوفِزِ

ولقد لقي صلاح الدين وجه ربه ولَحِقَ بموكب الغابرين من الرجال الأماجد .. الذين بنوا هذا المجمع المبارك فأحسنوا البنيان .. وأبْلَوا في الذود عن لغة الكتاب العزيز فأحسنوا البلاء .. وعَبَّدوا الطريق لاحِباً لمن جاء بعدهم .. وصدقوا ماعاهدوا الله عليه ..

وها أنا ذا أنظر في شأني وشأنهم فتصاغر إليَّ نفسي ، حتى أحس بها في جنبهم ذرة من عَدَم .. وأردد في خاطري قول جَذِيمة الوضّاح :

رُبَّما أوفيتُ في عَلَمٍ تَرْفَعَنْ ثوبي شَمَالاتُ
في فُتُوٍّ أنا كالِئُهُمْ في بلايا غَزْوَةٍ باتُوا
ثم أُبْنا غانمِينَ معاً وأُناسٌ بعدنا ماتُوا
نحن كُنّا في مَتَرّهِمُ اذ مَتَرُّ القوم خَتَوَاتُ
ليتَ شِعْري ما أماتَهُمُ نحن أدْلجْنَا وهُمْ باتُوا

محمد هيثم الخياط

الكتب المهداة لمكتبة مجمع اللغة العربية

خلال الربع الثاني من عام ١٩٧٦

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
تاريخ إيليا برشينايا	تعريب الدكتور يوسف حبي	بغداد ١٩٧٥
تاريخ مدينة سامراء (الجزء الثالث)	يونس الشيخ إبراهيم السامرائي	« ١٩٧٣
الحمامة « مختصر في ترويض النساك »	ابن العبري حققه وعربه المطران زكا عيواص	« ١٩٧٤
حول « بغداد في سنة ١٨٥٣ »	حميد مجيد هدو	« ١٩٧٥
شعراء أمويون (القسم الأول)	الدكتور نوري حمودي القيسي	« ١٩٧٦
اللقاءات الأدبية في الجاهلية والاسلام	عدنان عبد النبي البلداوي	« «
مخطوطات عربية من صنعاء	حميد مجيد هدو	« ١٩٧٤
المستدرك على دليل الصحافة العراقية	« « «	« ١٩٧٣
مؤلفات الفارابي	الدكتور حسين علي محفوظ والدكتور جعفر آل ياسين	« ١٩٧٥
ترجمة معاني القرآن الكريم « إلى اللغة الفرنسية »	د . ماسون . مراجعة الدكتور صبحي الصالح	بيروت ١٩٧٥

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
ترجمة معاني القرآن الكريم « إلى اللغة الانكليزية »		بيروت ١٩٧٥
ليبيا في التاريخ	المؤتمر التاريخي	« ١٩٦٨
المعجم الحديث «عبري–عربي»	الدكتور ربحي كمال	« ١٩٧٥
الإدارة المالية	الدكتور محمد الناشد	حلب ١٩٧٦
أساسيات إنتاج المحاصيل الحقلية	الدكتور محمد نذير سنكري	« ١٩٧٥
أساسيات صناعة الألبان ومنتجاتها	الدكتور محسن سليمان عيسى	« «
أساسيات علم الحراج	الدكتور إبراهيم نحال	« «
بساتين الفاكهة	الدكتور نزال الديري	« «
بعض التجارب العملية في الألبان ومشتقاتها	الدكتو محسن سليمان عيسى	« «
تاريخ الطب العربي في رسوم	الدكتور سلمان قطاية	« ١٩٧٦
تجارب مخبرية في الكيمياء الفيزيائية	الدكتور جرجس شحود	« ١٩٧٥
التحليل الكيميائي الوصفي	الدكتور نزار حمضمض	« «
التخطيط الزراعي	الدكتور خالد الحامض	« ١٩٧٦
خواص المواد (١ – ٣)	الدكتور عبدالكريم الحلبي	حلب ١٩٧٥
الرياضيات	الدكتور أدهم سقاف	« «
السكك الحديدية (١ – ٢)	الدكتور عبدالكريم الحلبي	« «
مبادىء أولية في الكيمياء العضوية	الدكتور عبد الحامدحداد	« ١٩٧٦

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
مبادىء الفيزياء الحديثة (الجزء الرابـع)	الدكتور موسيل داغر	حلب ١٩٧٥
المحاصيل الحقلية (الجزء الأول)	الدكتوررامي كف الغزال	» »
محاضرات في الكيمياء العامة	الدكتور نزار حمضمض	» »
مصادر التراث العربي	الدكتور عمر الدقاق	» »
المطارات	الدكتور عبدالكريم الحلبي	» »
ميكانيك التربة	الدكتور محمد نبيل سالم	» »
الهندسة الآلية	الدكتور أحمد فيصل العمر	» »
الهندسة الصحية والبلديات	الدكتور أحمد فيصل أصفري	» »
الهندسة الكهربائية	الدكتور نبيل ميخائيل عيد	» »
غرة الزيجات	بجيانند، نقله أبو الريحان البيروني	حيدر اباد ١٩٧٣
أبو الطيب المتنبي	د. بلاشير ترجمة الدكتور إبراهيم الكيلاني	دمشق ١٩٧٥
إحصاء انتاج الدخل الوطني وتطبيقاته في القطر العربي السوري	الدكتور عز الدين جوني	» ١٩٧٦
إحصاءات التعليم العالي	وزارة التعليم العالي	» ١٩٧٦
أدب الحرب	حنا مينة والدكتـورة نجاح العطار	» »
أرض الميعاد	يوري كوليسنيكوف ترجمة سعيد أحمد	» ١٩٧٥

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
الأسرة المقدسة	كارل ماركس وفريدريك انجلز ترجمة الدكتور رزق الله هيلان	دمشق ١٩٧٥
أصول علم المواريث (قسم التركة)	أحمد عبد الجواد ـ تحقيق محمد سعيد حنبلي	» »
الأوائل «القسم الثاني»	أبو هلال العسكري تحقيق محمد المصري والدكتور وليد قصاب	» ١٩٧٦
بنية الدول الاشتراكية	الدكتور كمال الغالي	» ١٩٧٥
ثلاثة روائيين فلسفيين	جوزف بريتان ترجمة هاني الراهب	» »
التضخم العالمي والشركات المتعددة الجنسيات	شارلس ليفنسون ترجمة د. سهام الشريف	» ١٩٧٦
الثورة الصناعية	جان بيرديو ترجمة إبراهيم خوري	» ١٩٧٥
الحضارة على مفترق الطرق	رادو فان ريشته ترجمة يحيى علي أديب	» »
السماء تمطر خرافاً	دلال حاتم	» ١٩٧٦
سياسة المنتجات الأساسية والطاقة	د. عبد المنعم زنابيلي	» ١٩٧٥
سينما الأمس وسينما اليوم	رينيه كلير، ترجمة الدكتور مصطفى صالح	» ١٩٧٦
الطيور البيض تسافر صوب الشمس	مروان صقر	» »

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
الفن في القرن العشرين	جوزيف اميل مولر ترجمة مهاة فرح الخوري	دمشق ١٩٧٦
في الحرب عند العرب	إبراهيم مصطفى المحمود	» ١٩٧٥
القادة الألمان في عهد هتلر وبعده	ل . أ . بيزيـنسكي ترجمة عبد القادر الضللي	» »
الكليات ـ (القسم الثالث والرابع)	الكفوي ـ تحقيق د. عدنان درويش ومحمد المصري	» ٧٥ و ٧٦
المجتمع والعنف	فريق من الاختصاصين ترجمة الياس زحلاوي	» ١٩٧٦
المرأة في التاريخ العربي	د. ليلى صباغ	» ١٩٧٥
المصادفة والضرورة	جورج مـــونو ترجمة د . حافظ الجمالي	» »
معجم النحو	عبد الغني الدقر وباشراف أحمد عبيد	» »
معنى الأمة	ألبرتيني وعدد من الباحثين ترجمة أديب العاقل	» ١٩٧٦
مقهى الباشورة	خليل السواحري	» ١٩٧٥
منارات	سان جون بيرس ترجمة أدونيس	» ١٩٧٦
ألفاظ الإسعافية	أحمد الأخضر غزال	الرباط ١٩٧٥
كتاب الفرق	ثابت بن أبي ثابت تحقيق محمد الفاسي	» ١٩٧٤
في قضايا اللغة العربية ومستوى التعليم العربي	أحمد الأخضر غزال	» ١٩٦٧

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
القضية اللغوية في حركة « راء » المشتركة	أحمد الأخضر غزال	الرباط ١٩٧٣
وحيش المغرب « الطيور »	أحمد الأخضر غزال	« ١٩٧٥
دليل دور الوثائق ومراكز التوثيق في الوطن العربي	جامعة الدول العربية	القاهرة ١٩٧٣
الدوريات العربية	جامعة الدول العربية	« «
روضة المدارس	محمد عبد الغني حسن ، د عبد العزيز الدسوقي	« ١٩٧٥
فهرس المخطوطات العربية في الطب والصيدلة المحفوظة في المكتبة البريطانية	سامي خلف حمارنة	« «
تاج العروس الجزء الرابع عشر	المرتضى الزبيدي تحقيق عبد العليم الطحاوي	الكويت ١٩٧٤
البيان المفيد في رسم خط القرآن المجيد	أحمر عزة البغدادي تحقيق عبد الرحيم محمد علي	النجف ١٩٧٥

تصويبات الأخطاء المطبعية

الصفحة	السطر	الصواب
٤٦٣	١	مغبرَّة
٤٦٧	١١	الزُّمَّعان (٢)
٤٧١	١٣	بَزْلٌ
٤٧٤	٨	مؤتِّر
٤٨١		تحت عنوان المقال يضاف الرقم (٢) إشارة إلى أن المقالة هي الثانية
٤٨١	١٢	بزاوية تمكروت أيضاً
٤٨٤	٧	والثاني :
٥٠٠	١٤	تحذف لفظة حديث
٥٠٠	٢٠	مج ٤١
٥٠١	٧	« الضحاك
٥٠١	٨	« النعمان
٥٠١	٩	« أبي هريرة
٥٠٣	١١	٢٣٣
٥٠٦	١٢	استدركتها
٥٠٦	١٨	وجاء في الحاشية
٥٠٧	١٤	وكذلك البال ،

الصفحة	السطر	الصواب
٥٠٨	١٣	أيوب السختياني (١)
٥١٠	٦	بن أبي الحسن
٥١٤	١٢	قال
٥١٤	١٩	قاسم بن ثابت بن حزم
٥١٦	٣	بن ثابت بن حزم
٥١٧	١٩	الصفار
٥١٩	١٤	بصُرة
٥٢٦	١٤	حكى
٥٢٧	١٧	الياء واواً
٥٨٤	٨	أودى
٥٨٧	١٠	لفظة يسهو ، كلها في الشطر الأول
٥٩١		تذييل اللوحة بالجملة التالية : انموذج من عمل الفنان محمد أنور شريف
٦٢١	١٠	الأدبية
٦٣٣	١٥	٧٩/٥

(١) كذا جاء اسم أيوب السختياني في النسخة بين الصحابة وهو من تابعي التابعين توفي سنة ١٣١ هـ ولعل السبب أنه يروي عن ابن سيرين حديثاً لأبي بكر الصديق رضي الله عنه .

فهرس الجزء الثالث من المجلد الحادي والخمسين

المقـــالات

ص		
٤٦١	بقايا الفصاح	الأستاذ شفيق جبري
٤٦٥	نظرة في معجم المصطلحات الطبية . . . (٣١)	الدكتور حسني سبح
٤٨١	كتاب الدلائل في غريب الحديث	الدكتور شاكر الفحام
٥١٨	نظرة في ماأخذه ابن الشجري على مكي . . .	الدكتور أحمد حسن فرحات
٥٣٧	نص مستدرك من كتاب العبر	الأستاذ رياض عبد الحميد مراد
٥٧٤	قصيدة من إفريقية	الدكتور عمر الأسعد
٥٩٢	الإمام المحدث عبد الحق الدهلوي	الأستاذ محمود أحمد غازي

التعريف والنقد

٦١٢	حركة الإحياء اللغوي في بلاد الشام . .	الأستاذ شفيق جبري
٦١٦	ولادة وأثرها في حياة ابن زيدون . .	الدكتور شكري فيصل
٦٢٢	شعر مروان بن أبي حفصة	الأستاذ محمد يحيى زين الدين
٦٣٧	الأوائل لأبي هلال العسكري	الأستاذ إبراهيم صالح

آراء وأنبـــاء

٦٤٦ الفقيد الأستاذ الشيخ محمد بهجة البيطار .

٦٤٨ الفقيد الأستاذ أمين نخلة . . . .

٦٥٠ حفل استقبال الزميل محمد هيثم الخياط :

٦٥١ خطاب الدكتور شكري فيصل . . . .

٦٧٠ خطاب الدكتور محمد هيثم الخياط . .

٦٨٨ الكتب المهداة . . . .

٦٩٤ تصويبات الأخطاء المطبعية . . . . . .


مجمع اللغة العربية
ذكرى مرور مائة عام على ميلاد
الأستاذ الرئيس
محمد كرد علي
مؤسس
المجمع العلمي العربي
١٢٩٣ - ١٣٩٦ هـ
١٨٧٦ - ١٩٧٦ م

الجزء الرابع		المجلد الحادي والخمسون

مجلة
مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »



شوال سنة ١٣٩٦ هـ

تشرين الاول « اكتوبر » سنة ١٩٧٦ م

الحياة
في كتاب الأغاني

الأستاذ شفيق جبري

إذا كنّا ننظر إلى كتاب الأغاني من ناحية ما قاله صاحبه في مقدّمته من أنه جمع فيه ما حضره وأمكنه جمعه من الأغاني العربية، قديمها وحديثها، فإنّا نظلم أبا الفرج لأنه جمع فيه ما هو أجلّ قدراً من ذلك؛ وإذا كنّا ننظر إلى هذا الكتاب العظيم من ناحية ما جمعه صاحبه فيه من آثار وأخبار، وسيرٍ وأشعارٍ متصلة بأيام العرب المشهورة وأخبارها المأثورة وقصص الملوك في الجاهلية والخلفاء في الإسلام، فإنّا نظلم أنفسنا لأن وراء هذا كلّه حياة اجتماعية كامنة لا ينبغي لنا أن نغفل عنها.

إن الذين قالوا: لقد وقع الاتفاق على أن كتاب الأغاني لم يعمل في بابه مثله لم ينحرفوا عن الحق في قولهم، ولست في حاجةٍ إلى ذكر ما قاله القدماء في قيمة هذا الكتاب أمثال الصاحب بن عبّاد وعضد الدولة والوزير المهلبي وعبد العزيز بن يوسف والثعالبي وياقوت وابن خلدون.

أما الأغاني التي جمعها أبو الفرج وأما المصطلحات التي استعملها أمثال قوله: الثقيل الأول وخفيفه الثقيل الثاني وغير ذلك من هذه المصطلحات،

أما هذا كله فقد ينفرد بمعرفته رجال الموسيقى ، ولست منهم في شيء ، والذي سمعته أنهم في عصرنا قد أحاط علمهم بكل هذه الرموز وأصبحوا يعرفون ما يراد بالثقيل الأول والثقيل الثاني وغير ذلك ، فهذا لا يعنينا أمره في هذا المقال ، وكما أنني لا أعنى بالأغاني ومصطلحاتها في كتاب الأغاني فكذلك لا أعنى في هذا المقال بالأدب المستفيض في هذا الكتاب ، إنّ هذا الأدب إنما هو كنز لا يفنى مع الإنفاق ، وهذا التعبير اقتبسته من ابن المقفع لأنه وحده يليق بالافصاح عن منزلة كتاب الأغاني ؛ فإذا كنّا لا نقرأ هذا الكتاب إلا للانتفاع بأدبه فقد يتم لنا من هذا الانتفاع شيء كثير نصفّي به ذوقنا وننمّي به معرفتنا ونقف على طبقات كثيرة من الشعر على اختلاف عصوره وأطواره . ولكن كتاب الأغاني ينبغي لنا أن نقرأه لأسباب ثانية .

وسنطّلع في هذه القراءة على فوائد لا تقل عن الفوائد الأدبية ، ستتمتّع بالوقوف على الحياة بحذافيرها في بعض المواضي من عصورنا ، لقد ذهبت عنّا أخبار كثيرة من هذه الحياة فإذا افتقرنا إلى شيء فإنا نفتقر إلى الإحاطة بمظاهر تلك الحياة فلا نعرف مثلًا أين كان تدريس الطلاب ولا كيف كانت معاملة المعلمين للطلاب ولا كيف كانت مجالس الطلاب وأساليب دراستهم وطبيعة هزلهم . غير أن الحياة لا تقتصر على حياة الطلاب وحدهم فإنها تمتد إلى آفاقٍ أبعد ، إلى اللهو والشراب والزينة ، إلى داخل الدور وما تشتمل عليه هذه الدور من الأواني والفرش والثياب .

هذا بعض ما نحتاج إليه من معرفة الحياة الاجتماعية في تاريخنا ، ولا سيا حياة العامّة ، فإن أدبنا في القديم قد حُبس على الخاصة وأهمل أكثره معرفة أمور العامّة .

وفي كتاب الأغاني أشياء غير قليلة من هذه المعرفة ، غير أن حياة

الخاصة ، ولا سيما حياة الخلفاء ، كانت أظهر في كتاب الأغاني فقد نقف فيه على أمورٍ كثيرة من قصور الخلفاء وفنّ البناء في الحجاز والشام والعراق.

ماذا أحصي من مظاهر الحياة الاجتماعية في كتاب الأغاني ، أفلا يهمنا أن نعرف أندية تلك العصور ومطاعمها وخاناتها وقصّاصها وأفراحها وأحزانها ؟ وأما المرأة وحياتها فقد كانت سراً من الأسرار ، إلا أن أبا الفرج قد كشف لنا عن هذا السرّ بكلامه على حرية المرأة في الزواج وتفكيرها في حرية الطلاق وتحدّثها إلى الرجال وحجابها وسفورها ، ونحن في أشدّ الحاجة إلى مثل هذا الكشف ولو كان قليلاً .

هذا بعض ما نهتدي إليه في كتاب الأغاني ، دع عنك أشياء ثانية تتصل بالغناء في القصور وبمواكب الحج وغير ذلك ، والذي نستغربه كل الاستغراب إنما هو أمر اللهو والتبذير ، وحسبنا بيتان قيلا في التبذير وردا في كتاب الأغاني .

وحلّةٍ تنشر ثمّ تُطوى وطيلسانٍ يُشترى فيُغلى
لعبد عبدٍ أو لمولى مولى يا ويح بيت المال ماذا يَلقى

ليس هذا كل ما يحتوي عليه كتاب الأغاني الخالد على تعاقب العصور ولكني أكتفي بالإشارة إلى بعض محتوياته حتى نعلم أن هذا الكتاب ليس مجرد ذكر الأغاني العربية ،وذكر آثار وأخبار وسيرٍ وأشعار ،ولكنه صورة حياةٍ اجتماعية بجذافيرها تمرّ في تضاعيف سطوره بطائفةٍ من أسرار هذه الحياة بما لا تمرّ في غيره بأشباهها فإذا نحن جمعنا هذه الآثار والأخبار والسير ، ونسّقناها في كتاب خاص حصلت لنا بذلك صورة الحياة الاجتماعية في بعض أيامها .

قد نستغرب هذا الأمر فنقول : لماذا لم ينسّق أبو الفرج كتابه على

الشكل الذي يصوِّر لنا الحياة أوضح تصوير ؟! إنه قد فطن إلى هذا التنسيق ولم يذهب عنه ، ولكنه اعتقد أن في طباع البشر محبة الانتقال من شيء إلى شيء ، والاستراحة من معهود إلى مستجدّ ، وكل مُنْتَقَلٍ إليه أشهى إلى النفس من المُنْتَقَل منه ، والمنتظر أغلب على القلب من الموجود .

غير أنا في هذا العصر نميل إلى التنسيق وإلى الاختصاص ، فإذا تفرَّغنا لموضوع فإنا نحب أن نتفرغ له بشيء كثير من التبويب والتنسيق ، وهكذا نجد أن أساليب التأليف تختلف من عصر إلى عصر وأن الأذواق تتباين من دهر إلى دهر . وكيف كان الأمر فإذا وجدنا في كتاب الأغاني ذخيرة لأدبنا وصورة لكثير من أشعارنا على اختلاف أيامها نصفّي بها أذواقنا في الشعر ، ومظهراً من مظاهر النقد الأدبي نهتدي به إلى المحاسن والمساوىء ، إذا وجدنا هذا كله فقد آن لنا أن نجد في كتاب الأغاني صورة حياتنا الاجتماعية في كثير من أنماطها ، وأن نملأ قلوبنا وعقولنا من هذه الصورة فنخرج من هذا كله بنتيجتين :

علوُّ منزلة أبي الفرج في الأدب والذوق .

وعلوُّ منزلته في تصوير الحياة .

وهذا ما يدخله في جنّات الخالدين .

شفيق جبري

نظرة في معجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات

للدكتور أ. ل. كليرفيل
نقله إلى العربية الأساتذة مرشد خاطر
وأحمد حمدي الخياط ومحمد صلاح الدين الكواكبي

- ٣٢ -

الدكتور حسني سبح

١٠٧٥٦ جَروع رِيفَيير — 10756 potion de rivière

وأفضل شراب رِيفيير لما تقدم من السبب آنفاً

١٠٧٦٠ إبهامٌ مُنْشَق ، مُنْشَطِر — 10760 pouce bifide

وأفضل إبهام مشطور (إلى شطرين) كما جاء في الترجمة الألمانية من المعجم الأصلي[1]

١٠٧٦١ ذَرّ ، رشّ المسحوق أو الذَّرور — 10761 Poudrage

وأفضل ذر الذَّرور أو المسحوق دون الرّش[2] وكذلك تغبير وتعفير كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[3]

١٠٧٦٣ ذَرور مُلْتَصِق — 10763 poudre adhérente

وأرجع ذَرور لاصِق

---

(١) (zweigeteilter Daumen) .

(٢) في لسان العرب : الرّش للماء والدّم والدّمع والرش رشّك البيت بالماء وقد رشَشْتُ المكانَ رشاً.

(٣) (inspersion, powdering, dusting) .

10764 poudre en boite, poudre conditionnée

١٠٧٦٤ ذَرُورٌ في عُلْبة ، ذَرور مُحْكم ، مُسْتَوفي الشروط
وأفضل ذرور مُعَلَّب ، ذَرور مُهيَّأ

10767 poudre gazogène laxative

١٠٧٦٧ مَسْحوقٌ مُولِّد الغــاز مُلَيِّن
مَسْحوق مُلين فَوّار ، وذَرور سَتْليج ، كما جاء في الترجمة
الانكليزية من المعجم الأصلي(١)

10770 poudre à souh poudres ١٠٧٧٠ مَسْحوق للذَّر ، للرَّش
مسحوق أو ذَرور لِلذَر أو التَعْفير كما جاء في الترجمة
الانكليزية من المعجم الأصلي(٢) الرش

10775 pouls alternant ١٠٧٧٥ نَبْضٌ مُتَنايِر ، مُتَناوب
النَبْض المُتَناوب فقط

10776 pouls bigéminé ou géminé ١٠٧٧٦ نبض مُضاعَف أو مُزْدَوَج
وأفضل نبض ثُنائي أو مُزْدَوَج

10777 pouls bondissant ou capricant

١٠٧٧٧ نَبْض قافِــز أو قافِص
وأرجح نبض قافِز أو مُرَنّج ، كما جاء في الترجمة الانكليزية
من المعجم الأصلي(٣) ولا أرى لفظة قافص تعني ذلك(٤)

---

(١) (Seidlitz powder) .

(٢) (dusting powder) .

(٣) (jerky pulse, goat leap, caprizant pulse, bonding pulse)

(٤) في لسان العرب : القَفْص الخفة والنشاط أو الوثب ، قَفَصَ يقفصُ قفْصاً فهو قَفِص والقَفْص نحوه والقَفِص النشيط إلى أن قال : قَفِص قَفصاً فهو قَفِص تقبَّض وتشنَّج من البرد .

10778 pouls capillaire (insuffisance aortique)

١٠٧٧٨ نَبْضٌ شَعْرِي (قُصُور الوَتين)

وأرجح نَبْضٌ شَعْرِي (قُصُور الأبهر)[١]

10780 pouls dans la conpression cérébrale aiguë

١٠٧٨٠ نَبْضٌ في انضِغاط الدِّماغ الحادّ

وأرجح النبْض البطيء الخاص بفرط الضغْط داخل الجمجمة كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[٢]

10781 pouls de Corrigan (bondissant et bref)

١٠٧٨١ نَبْضُ كُورِيغان (قافز ووجيز)

وأفضل نبض قوريغان (قافز وقصير)

10783 pouls en fil de fer tendu

١٠٧٨٣ نَبْضٌ كسِلْك من حَديدٍ مُوَتَّرٍ

وأفضل نَبْضٌ كَسِلْكٍ حَديدٍ مَشدودٍ ، أو نَبْضٌ كَسِلْك الحديد ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[٣]

10785 pouls instable

١٠٧٨٥ نَبْضٌ غيْرَ ثابتٍ

وأرجح النبْض المتغيّر

---

(١) سبقت الملاحظة على هذه اللفظة ،وأن مجمع اللغة العربية في القاهرة عرّب اللفظة بالأورطى (الصفحة ٧٣ من المجلد الثامن والثلاثين من هذه المجلة) .

(٢) (slow pulse caracteristic of intracranial pressure).

(٣) (wiry pulse) .

10786 pouls myure

١٠٧٨٦ نَبْضٌ نَازِعٌ (أي تضعف دقاته تدريجياً ثم تتلاشى)
وأفضل النبض المتلاشي (١) والنبض المقتضب والنبض
على هيئة ذنبِ الفأر ، كما جاء في الترجمة الانكليزية
من المعجم الأصلي (٢)

10787 pouls paradoxal

١٠٧٨٧ نَبْضٌ غريبٌ ، مُسْتَغْرَبٌ
وأرجح النبض العَجيب أو المتفارِق

10795 poumon d'acier

١٠٧٩٥ رئةٌ فولاذيّة
وكذلك مُتَنفِّسَةُ درِنكر أو كمَّامته ، كما جاء في الترجمة
الانكليزية من المعجم الأصلي (٣)

10796 pouponière

١٠٧٩٦ دار حضانة ، قاعة حضانة
وأفضل دار حضانة الأطفال النّهاريّة

10797 Pourpre rétinien

١٠٧٩٧ فُرْفيرٌ شبكي
وأرجح فُرْفير الشبكية أو الطبقة الشبكية والفرفير
البَصَري ورودبسين ، كما جاء في الترجمة الانكليزية
من المعجم الأصلي (٤)

10798 pourri, ie, putrèfié, ée

١٠٧٩٨ ثَجوِر ، مُتَفَسِّخ ، مُتدعِّص

(١) في تاج العروس : لشا خَسَّ بعدَ رِفعة ، تلاشى الشيء اضمحل .

(٢) (decurtate, myurous or mouse - tail pulse) .

(٣) (Drinker respirator) .

(٤) (visual pourple, rhopodsin) .

10799 Pourriture, putréfaction, décomposition cadavérique

١٠٧٩٩ جَوًى ، تَفَسُّخ ، تَدَعُّص ، تَجَزُّؤ جِيفِي

وأرجح فاسِد ومُتَفَسِّخ في الأولى ، وفَساد وتَفَسُّخ وتَجَيُّف وتَدَعُّص(١) في الثانية

وللفظة جَوى معاني أخرى تُوقِع الالتباس(٢)

10800 pourriture d'hôpital, mal d'hôpital, gangrène nosocomiale d'hôpital, diphtérie des plaies, ulcère putride ou gangréneux

١٠٨٠٠ جَوى المُستشفى داء المستشفى مَوات المستشفى ، غِشائيَّة الجروح ، قَرْحة عَفِنة أو مَواتية

(١) في لسان العرب : وقد جافت الجيفة واجتافت انتنت وأرْوَحت .
وفيه أيضاً : وتَدَعَّص اللحم تَهرأ من فسادِه والمُتدعِّص الميت إذا تفسخ شبه بالدِعْص (قدر من الرمل مجتمع) لوَرمه وضَعْفه. وجيفت الجيفة تجييفاً إذا اصلَّت .

(٢) في تاج العروس: الجوَى هوىً باطن كما في المحكم وأيضاً الحزن ، والماء النتْن المتغير ، وفي الصحاح الحُرْقة وشِدة الوَجْد من عِشْق أو حُزْن ، والجوَى السل وتَطاول المَرَض وقيل داء يأخذ في الصدر، وقيل كلُّ داءٍ يأخذ في الباطن لا يُستمرأ معه الطعام، وقد جَوِي كرَضي جوًى فهو جَوٍ بالتخفيف وجَوِيّ وَصْف بالمصدر وامرأة جَوِية وجَوِيّة كرضيّة واجتواه كرهه .

وأرجح نَتانة المستشفى(١) أذى المستشفى(٢) ، غنغرينا(٣) التمريض (وقد أهملتها اللجنة) أو غنغرينا المُستشفى ، دِفتريا(٤) الجروح ، والدِفتريا الجراحية ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(٥)، والقرحة النتنة أو الغنغرينية

10802 poussée nouvelle, rechute, récidive, récurrence

١٠٨٠٢ هَجْمة جديدة ، ارتدادُ نكس ، تكرر

ودرجت على ترجمة اللفظة الثانية (rechute) بالمعاودة والثالثة (récidive) بالنُكس وأفضل ترجمة (récurrence) بالرُجوع

10804 poussier de motte, tourbe pulvérisée

١٠٨٠٤ دُقّ مَدَر الفحم ، طُورْب مَسْحوق

وأفضل دَقيق الخُثّ أو مَسْحُوقه أو دُقاقه(٦) وكذلك

---

(١) الصفحة ٦٥٢ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) إن لفظة (mal) تعني الضرر والأذى لا الداء حصراً وهو المقصود هنا .

(٣) الصفحة ٨٤٤ من المجلد الأربعين من هذه المجلة .

(٤) الصفحة ٢٩٣ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

(٥) (wound or surgical diphteria) .

(٦) في لسان العرب : الخُثّ غُثاء السَّيْل إذا خلفه ونَضَب عَنْه حتى يجف وكذلك الطُحلُب إذا يبس (لعل هذا هو المقصود) .

في لسان العرب : والدُقاقة والدُقاق ماندق من الشيء وهو التراب اللين الذي كسحته الريح من الأرض ، ودُقَقُ الترابِ دُقاقه واحدتها دُقة ، والدُقاق فُتاتُ كل شيء .

الغزْي الخثي والفِراش الخثّي ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[١] إذ يبدو أن المقصود من مدلول هذه اللفظة غير الطبية مايضاف إلى الجِبْس من مَسْحوق من أصل نَباتي ليحول دون انتفاخه بعد جَبْله بالماء ووضع الضِّماد الجِبْسي ، في تثبيت أحد أجزاء الأطراف وليس لألفاظ الدِّق والمدَر والطُّورب هذه الدلالة[٢]

١٠٨٠٥ غُبار 10805 Poussière

ومَسْحُوق أو ذَرور ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[٣]

10806 Poussif, emphysémateux, euse, asthmatique (vét.)

١٠٨٠٦ زِلِيٌّ، مُنْتَفِخ الرِّئة ، رَبْوي (بيطرة)

وأرجح كرَيري أو مُصاب بالكرَيرة[٤] أو بالزُّلّة[٥] (بالضم) ومُنْتَفِخ الرِّئة ورَبْوي ، ومُنْقَطِع النَّفَس كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[٦]

---

(١) (peat gauze , peat - litter) .

(٢) المدَر قِطع الطين اليابس وقيل الطين العِلْك الذي لارمل فيه واحدته مَدَرة،هذا ويبدو أن لفظة طورب (ولعلَّ الأفضل أن ترسم بدون واو طُرْب) هي من تعريب اللجنة .

(٣) (dust, powder) .

(٤) في لسان العرب : الكَرير صوت في الصدْر مثل الحَشْرَجة وليس بها وكذلك هو من الخيل في صدورها كَرَّ يَكِرُّ بالكسْر كريراً مثل كرير المختنق.

(٥) في تاج العروس : والزُّلة بالضم ضِيق النَّفَس .

(٦) (asthmatical, pursy, broken- winded, chest - foundered)

١٠٨٠٧ قُدْرَةٌ دَابِقة 10807 Pouvoir adhésif

وأرجح قُدْرَة لاصِقة ، وسبق للجنة أن ترجمت (adhésion) بالتزاق والتصاق وتثبيت (اللفظة ٣٢٧)

10810 pouvoir définissant d'une lentille

١٠٨١٠ قُدْرة مُحَدِّدَة (للعدسة)

وأرجح القُدْرة المُوَضِّحة أو المُبَيِّنة (لإحدى العدسات) لأن المقصود من هذا المصطلح قدرة احدى العدسات على إظهار الأشياء اظهاراً بغاية الوضوح ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(١)

١٠٨١١ قُدْرَة التَمْيِيز 10811 pouvoir de discrimination

والتفريق كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(٢)

١٠٨١٢ قُوَّةٌ مُسَبِّخَة 10812 Pouvoir floculant

وأرجح قوة مُنْدِفة(٣) لأن للتسبيخ معاني طبية أخرى(٤) وسبقت للجنة أن ترجمت (léthargie) بسَبْخ وسُبات (اللفظة ٧٨٢٦) ثم عدلت عن السَبْخ

---

(١) (power of lens to give sharp picture of objects) .

(٢) (power of discernment, of discrimination) .

(٣) في لسان العرب : النَدْف طرق القطن بالمِنْدَف ، نَدَفَ القُطْنَ يَندِفُه ندفاً ضربه بالمِندف فهو ندِيف .

(٤) في لسان العرب: التسبيخ التخفيف إلى أن قال والتسبيخ أيضاً التسكين والسكون ، والسبْخ والتسْبيخ النوم الشديد .

10813 pouvoir pénétrant (d'un objectif)

١٠٨١٣ قُدْرَة نافِذة (العدسية جُرْمية)

وأفضل قُدْرَة النُّفوذ (لعدسة شيئية) كما أقرها مجمع اللغة العربية في القاهرة

10817 pouvoir séparateur ou résolvant (d'une lentille)

١٠٨١٧ قُوَّةٌ عازِلة أو مُحلِّلة (العدسية)

وأفضل القدرة المفرقة أو المُحلِّلة (للعدسة)

10820 Praticabilté

١٠٨٢٠ سَلوكِيَّة ، قابِلِيَّة السُّلوك

وأفضل قابليه الإجراء والعَمل والسلوك

10822 Praxie

١٠٨٢٢ تَنْسيق الحَركات

وأفضل إحكام العَمَل ، لأن ماتَعنيه اللفظة اداء العمل الذي تعلَّمه الانسان إداءً صحيحاً بالإتيان بجملة حَرَكات متتابعة وبانتظـام

10830 précipitation en flocons, flocutation

١٠٨٣٠ تَرسَّبٌ سَبائِخ ، تَسبُّخٌ

وأفضل تَرسُّب على هَيْئة نَدائِف[1] وتَنَدُّف

10832 Précipité, ée

١٠٨٣٢ مُرسَّبٌ ، مُتَرَسِّب

وأفضل مُرَسَّبٌ ومرَسَّبة

10839 préconiser

١٠٨٣٩ أطْنَب ، أطْرأ

والصحيـــح أوْصى أو أقْتَرَح استعمال عـــلاج (précosniser un médicament) وهو المقصود من هذه اللفظة في هذا المعجم الطبي

(١) الهامش الثالث من الصفحة السابقة

١٠٨٤٠ قَبْل الشُّعُور — 10840 Préconscient

وأرجح مَا قَبل الوَعي أي مايبدأ أن يَشعُر به فاقد الوعي ، وكما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(١)

١٠٨٤١ أمام القَلْب — 10841 Précordial, le

ومُقدَّم الصَّدر

١٠٨٤٣ هَضْمٌ سابق بَدْء الهَضْم — 10843 Prédigestion

وأفضل طليعة الهضم أو بدؤه

١٠٨٤٤ مُؤَهِّب — 10814 prédisposant, te

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة : مُهيِّىء ، وجاء في الشرح أي شيء يؤثر في الجسم فيجعله قابلاً لتأثير المهيج

10845 Prédisposition au développement d'une tumeur

١٠٨٤٥ تأهُّب لنُمو ورمٍ

وأفضل تأهب لتكوُّن ورم أو تكوينه

١٠٨٤٨ قَبْضٌ ، تَناوُل — 10848 Préhension

وأرجح الإمساك أو الالتقاط ، لأن أكثر ماتستعمل اللفظة في المنعكس الذي يحمل هذا الاسم (refl. de préhension) ويغلب ظهوره في أورام الفَص الجَبْهي

١٠٨٤٩ أخذ ، أخيذَة للتجربة — 10849 prélèvement, prise d'essai

وأفضل إختزاع أو أخذ في اللفظة الأولى حسب المادة المختزعة أو المأخوذة ، فإذا كانت دماً قبل أخذ الدم وإذا

---

(١) (the fore - conscious)

كانت قطعة من نسيج قبل إختزاع خزاعة من النسيج
أو من الورم ، ثم أخذ للاختبار في الثانية

١٠٨٥٠ أخذُ نماذج — 10850 prélèvement (faire un) d'échantillons

وأفضل أخذ عيّنة أو عيّنات كما أقرها مجمع اللغة العربية في القاهرة ، وأخذ عيّنة لأجل الفحص أو الدراسة كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(١)

١٠٨٥٤ إسعافٌ أول — 10854 premier secours

وأرجح الاسعاف الأوّلي

١٠٨٥٦ المياه الأولى (قبالة) — 10856 premières eaux (obs.)

ولعلها السابياء(٢)

١٠٨٦٣ بَرُدَ وأصيبَ ببَرْد — 10863 prendre froid

وأرجح بَرُدَ وتبَرّدَ . هذا وإن مجمع اللغة العربية في القاهرة قد أقر لفظة البرد ترجمة لِ (cold) الانكليزية ، ويُعرف بالزكام (وهو الصحيح) وجاء في الشرح : نَزْلة تصيب أغشية الجهاز التنفسي المخاطية .

١٠٨٦٥ مَشغول ، قَلِق — 10865 Préoccupé, ée

وأرجح مُنْشَغِل تاركاً مشغول ترجمة لِ (occoupé) وقَلِق لِ (anxieux) .

١٠٨٦٧ مُجَهِّز ، مُعِدّ — 10867 Préparant, te

(١) (taking a specimen or sample for examination)

(٢) في لسان العرب : والسابياء الماء الكثير الذي يخرج على رأس الولد .

وأفضل مُهَيِّىء ، مُحَضِّر ، وكذلك إعدادي كما جاء في
الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(١)

10868 Préopératoire ١٠٨٦٨ قَبْل البَضْع
وأفضل قبلَ الجراحة أو قَبْل التوسُّط الجراحي أو
المداخلة الجراحية

10870 préparation culinaire ١٠٨٧٠ مُحَضَّر طَبْخي
والصحيح تحضير للطبخ ، وكما جاء في الترجمة الانكليزية
من المعجم الأصلي(٢)

10872 préparation à l'état frais ou préparation fraiche
١٠٨٧٢ مُحَضَّر عَبيط أو طَري
وأرجح التحضير بالحالة الطازَجة ومُحضَّر طازَج أو تحضير
بالحالة الطبيعية ، كما جاء في الترجمة الألمانية من المعجم الأصلي(٣)

10873 préparation par impression ١٠٨٧٣ مُحَضَّر بالانْطِباع
وأفضل تَحْضير بالطَّبْع وبالضَّغْط مع التماس ، كما جاء
في الترجمة الألمانية من المعجم الأصلي(٤)

10877 Préparation remplaçant le sang, produit de subs - titution ou succédané du sang
١٠٨٧٧ مُهيِّأ يقوم مقامَ الدَّم ، مادة تعيض عن الدم

---

(١) (preparatory) .
(٢) (preparation, cooking of food) .
(٣) (Nature präparat) .
(٤) (Abklatsch - Klatsch - Kontaktpreparation) .

وأرجح مُحَضَّر عِوَض من الدم ، مُنْتَج بديل عن الدم أو بديـل الدم ، كما جاء في الترجمـة الانكليزية من المعجم الأصلي(١)

10878 Préparation sèche ou à sec

١٠٨٧٨ مُحضَّر جافٌ

وأفضل مُحَضَّر جافٌ وَحضَّر بالتجْفيف (بلا ماء) ، وكما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(٢)

10880 Préparer, distribuer, et administrer des médicaments

١٠٨٨٠ حَضَّر وَوزَّع وأعطى أدْوِية

وأفضل هيَّأ الأدوية ووزَّعها وأوصى بها للمريض

10881 préparer un milieu de culture

١٠٨٨١ حَضَّر بيئةً للزَرْع جَهَّز مُسْتَنْبَتاً

وأفضل حضر أو هيأ مستنبتاً الزرع

10882 Prépondérant , ante , prévalent, ante, d'impor - tance exagérée

١٠٨٨٢ راجِحٌ ، غالِبٌ ، ذو شأن عظيم

وأفضل مُرَجَّح ، مُتفوِّق ، ذو شأن مُبالغ فيه

10886 Presbyacousie

١٠٨٨٦ وَقْر الشَيْخوخة

يُستدل من اشتقاق اللفظة إنها تعني سَمْع الشيخوخة ، وجاء التعريف في معجم دُرلاند(٣) حالة خاصة في الشيوخ

(١) (blood substitute) .

(٢) (dry, dried preperation) .

(٣) لفظة (presbyacusia) في معجـم (Dorland's Illustrated Medical Dictionary) .

بحيث ينقل السمع من الأذنين معاً وتدريجياً وبازدياد مطرد . لذا أرجح حالة السمْع الشيْخي

١٠٨٨٧ قُصْر البصر 10887 Presbyopie, presbytie

سبقت الملاحظة على هذه اللفظة(١) وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ترجمتها أيضاً بالابصار الشيْخوخي ، وجاء في التعريب : ضَعْف في إبصار المَرْئيات القريبة ، سببه تغير شيخوخي في قدرة العدسة على التكيف

١٠٨٨٨ قاصي البصر 10888 Presbiopique

وأرجح ذو إبصار شَيْخوخي

١٠٨٩٢ ثَبات الجَنان ، بَديهة 10892 présence d'esprit

وأرجح سُرْعة الخاطر

١٠٩٠٤ يَتْن (مَجيء بالقدمين) 10904 présentation des pieds

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة اليتن للجيئة بالمعقدة وجاء في الشرح : خروج مقعدة الحميل من الرحم قبل رأسه والصحيح ماذكرته اللجنة(٢)

١٠٩٠٦ مَجيء بالقُمة 10906 présentation du sommet

والمجيء الجمجمي والرأسي ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(٣)

(١) الصفحة ٢٩٧ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) في تاج العروس : اليتن أن تخرج رجلا المولود قبل يديه ورأسه، وتكره الولادة إذا كانت كذلك وقد خرج يتناً .

(٣) (cranial presentation, head presentation) .

10912 Presseur, hypertenseuse

١٠٩١٢ ضَاغِطٌ موتّر ، زائِـد الضغط

وأفضل ضاغط ، مُزِيد التوتّر أو رافِـع التوتّر

10914 pression d'une ampoule à gaz

١٠٩١٤ ضَغْطُ حُبابة غازٍ

والصّحيح الضغْط في أنبُوب ذي غاز أو ضغط الغاز في أنبوب الأشعّة السينية ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(١)

10917 pression dans l'axe du fœtus

١٠٩١٧ ضَغْطٌ بِحسب مِحْوَر الجنين

ضَغْط مِحْوَر الجنين أو الحَمل (مجمع اللغة العربية في القاهـرة) ، وكما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٢)

10918 pression critique

١٠٩١٨ ضَغْط مُجْراني

والصحيح الضغْط الحَرِج كما جاء في معجم وبستر (٣)

10918 pression des muscles de la paroi abdominale

١٠٩١٨ ضَغْط عضلات الجِدار البطني

وأرجح ضَغْط عضل جِدار البَطن أو عضلاتِه

10919 pression partielle

١٠٩١٩ ضَغْطٌ قِسْمي

وأفضل ضَغْط جُزْئي

---

(١) (pressure of the gas in a x - ray tube) .

(٢) (fœtal - axis pressure)

(٣) لفظة (critical) في معجم وبستر (Webster's Third New International Dictionary) .

١٠٩٢٠ مَصبٌّ هيروفيلَ 10920 pressoire d'Herophile

وأفضل مُلْتقى هيروفيلوس (وهو الاسم المعروف به عند العرب) وملتقى الجيوب (conflent sinus) أيضاً وثمة غلط مطبعي في (برسوار) إذ وردت بدون e

١٠٩٢١ حاسٌّ بالضغْط 10921 Pressoréceptif, ive, pressosensitif, ve

وأفضل مُسْتقْبل بالضغْط في اللفظة الأولى (وقد أهملتها اللجنة) مُدْرِكٌ بالضغط

١٠٩٢٢ مُشْعِر بالضغط 10922 Pressorécepteur

وأفضل مُسْتقْبِل بالضغْط

١٠٩٢٥ دارُ الوقاية ، مَوْقى 10925 Préventorium

وأفضل مُنْتَجع الوقاية

١٠٩٢٩ قساحة ، كثرةُ النُّعوظ 10929 Priapisme

وأرجح القُساح أو النُّعوظ المُستمِر أو الدائم وهو الناجم عن حالة مرضية لا عن فرط الشهوة الجنسية

١٠٩٣٣ عامِلٌ مُؤثِّر ، جَوْهَر مؤثِّر 10933 Principe actif

وأرجح الجَوْهر المؤثر السريع كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[1]

١٠٩٣٤ عامِل كَبَدي صائن 10934 principe hépatique protecteur

مادة كبدية واقيةٌ أو حامية كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي[2]

تاركاً عامل ترجمة لِـ (facteur) (اللفظة ٥٥٢١) للبحث صلة

(١) (active component , active quick principle) .

(٢) (protective hepatic substance) .

مزاعم بناء اللغة على التوهم (*)

الأستاذ محمد بهجة الأثري

- ١ -

هل بُني في اللغة العربية شيء من الألفاظ المشتقات على التوهّم ؟

بناء اللغة على التوهم ، أو الخطأ ، يعني انحراف السّلائق عن قانونها النفسي الذي يحكمها ، وتجري عليه صورها الاشتقاقية اطّراداً على نَسَق متعيّن .

وفي حدود ما أعلمه وأطمئن إليه أستطيع أن أدّعي أن اللغة العربية ، بأساليبها الكثيرة الدقيقة ومناحيها المختلفة في الاشتقاق وتنويع الصّور الكلامية ، هي أقرب إلى النظام الطبيعي والتزامه سجيّةً وسليقة — من هذه اللغات الواسعة الانتشار ، التي نعرف بعضها معرفة تكاد تضارع معرفة أهلها المتميزين بها ، أو نلم بها إلماماً غير قاصر نفقه معه طبيعتها ، أو يصف لنا علماء اللغات أحوالها وخصائصها فنستشف منها نظامها العام في التأصيل والاشتقاق .

(*) بحث ألقي في مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٩٧٦

ولكن هذا النظام الطبيعي ، الذي تتميز به العربية ، قد يبدو بعض جوانبه في كتب النحو وعليه سِمات من الاختلال اليسير ، كما تُلْمَحُ في هذا الاضطراب الذي تجده في تأصيل بعض ما أصّله النُّحاة واللغويون ، رحمهم الله ، من الضوابط ، وفي هذا الاختلاف بينهم في مسائل السّماع والقياس ، وما يتصل بها من القول بالشّذوذ والندرة والبناء على التّوهم ونحو ذلك من أقوالٍ .

وحدوث مثل هذا الاضطراب والاختلاف في تقرير مسائل اللغة العربية ، أمر طبيعي ومعهود في كل لغة أخرى . ومردُّه في اللغة العربية إلى جملة عوامل ، اعتملت فيها في تاريخها المديد ، فألقت ظِلالها على أذهان اللغويين والنُّحاة وعلى بعض ما استنبطوه من ضوابطها وقواعدها العامة .

وحالة اللغات جمعاء ، هي كذلك أيضاً .. تخضع لأمثال ما خضعت له العربية ، من حيث هي كوائن حيّة ، يعتورها عادة ما يعتور الأحياء من تغيُّر وتطوُّر ، وكون وفساد ، ونموّ وضمور ، فينعكس ذلك كله على ضوابطها المستنبطة منها وما يقال فيها أحياناً من الشذوذ ونحوه .

وأكثر ما نرى ذلك يعرض لأبنية اللغات الكبيرة ، التي تقادمت عهودها وكانت لها جذور تاريخية وتكلمت بها شعوب كثيرة في بقاع شتى وأزمان متطاولة .

واللغة العربية ، كما نعلم ، لغة عريقة قديمة ممعنة في القِدم ، ضاربة في أعماق التاريخ البعيد . وقد عايشت حضارات أخصبت في الحجاز واليمن وحَضْرَمَوْتَ وعُمان والبحرين ، بل أخصبت في قلب الجزيرة أيضاً ، كما دلّ على ذلك التنقيب عن الآثار وشهره الباحثون في العصر الحديث . واتصلت بالأمم التي تجاورها في البرّ من فُرس وروم ، وبالأمم التي تسكن وراء

بحارها من الشرق والغرب والجنوب . وعايشت كذلك البداوة في العصر الجاهلي ، الذي اتصل به ظهور الإسلام وقدرت مدته بمئتي سنة . فعرفت بفضل هذه المعايشات المختلفة ، ألواناً شتى من ألوان الحياة في صعودها وهبوطها ، وفي حضارتها وبداوتها في مختلف الأحوال المادية والمعنوية ، وزخرت بذلك مادتها زخوراً منقطع المثال في تاريخ اللغات ، وحملت من ألفاظ الحضارة والبداوة معاً ما ننعم به من مادتها الثرة وثرائها الوافي .

ونحن نعلم أنها في عصورها الحضارية القديمة كانت لغة متعددة اللهجات والسمات ، ولكنه التعدد الذي لا يطغى على الأصل الجامع . وكذلك ظلت بعد اندثار تلك الحضارات ، واضطرار العرب بسبب ذلك إلى الانتشار في البوادي ما بين فيافي الحجاز وتهامة ، ومتاهه الأحقاف واليمامة ، وفي أطراف الجزيرة وحواشيها من أسياف البحر وتخوم البر .. فتوزعوا فيها قبائل وبطوناً وأفخاذاً ، وعاشوا رُحَّلاً جوَّابين ، يتنقلون في جزيرتهم من أرض إلى أرض ، يسعون في انتجاع المراعي ومساقط الأمطار ، وقلما كانوا يلتقون إلا متنازعين على موارد العيش .. هكذا تباعد بعضهم عن بعض ، فاستتبع تباعدهم هذا على مرور الزمن تباعد لهجاتهم في أشياء غير قليلة ، ولكنه لم ينَلْ من الأصل العام الذي ظل محتفظاً بنفسه ومستقراً في النحائز والسلائق .

وبهذه القبائل والبطون والأفخاذ العربية المتبدية ، وتلك كانت حالة اللغة من الانتشار وتعدد اللهجات .. اتصل رواة العربية ، بعد أن نجمَ الإسلام وانبثقت الثورة العلمية التي رافقت دعوته بدءاً بنشر الكتابة والقراءة في الأميين ، وانتهاءً بالتدوين والتأليف ووضع النحو وصُنع المعجم العربي .

أخذوها منهم وهي لغـــات قبائل ، لا لغة قبيلة واحدة بعينها ، ودونوها جميعاً ولكن من غير أن يصنّفوها بحسب كل قبيلة ، وإن لم يفتهم أن يشيروا في أثنـاء ذلك إلى اختلاف اللهجات . هذا إلى أن ما دوّنوه منها ، على عِظَمه وغزارته ، لم يكن كلَّ ما تكلمت به العرب ، وإنما كان قليلاً من كثير درَسَ وذهب بذهاب أهله كما أجمع على ذلك المؤرّخون .

ثم كانت هذه الأصول ، وهي على هذه الحال ، هي عمدةَ اللغويين والنّحاة في تأصيل ضوابط العربية التي استنبطوها ابتداء وابتداعاً فأحسنوا ، رحمهم الله ، الإحسان كلّه . وكان طبيعياً جداً أن يجتهدوا فيما استنبطوه وأصّلوه ، أو في أشياء مما أصّلوه ، اجتهاداً متغـايراً ، وأنْ ينشأ بينهم اختلاف في الآراء ، وتعدُّد في المذاهب ، وأن يقرر هذا غير ما يقرره ذاك ، وأن يحدث القول بالشذوذ ، أو النُّدرة ، أو البناء على التوهم .

على أن هذا كله ، ليس بالقدر الذي يخل بجملة نظام اللغة ، ولا هو بالذي يستعصي على التصحيح لمن أراده ، لا أعني تصحيح اللغـة ، ولكن تصحيح ما تشعّث من بعض ضوابطها التي بنيت على الاستقراء الناقص عند بعض النّحاة ، وعلى الفكر المتزمت عند آخرين .

ولقد اهتدت الدراسات الحديثة المتعمقة ، التي قامت في هذا العصر على التحرر من قيود المتابعة العمياء ، إلى أشياء من هـــذا التصحيح ، أصابت فيها حظوظاً من التوفيق في إبراز عبقرية العربية وتبديد ما ران عليها من بعض القواعد الضاغطة ، من مظاهر العسر والجمود ، وكان لها أثر محمود في الدلالة على حيويتها ، وفي النظرة إلى يُسرها وطواعيتها . ومن ذلك ما تهدّى إليه هذا « المجمع » الجليل موفّقاً منذ أول نشأته ، وما يزال

دائباً في طريقه ، وإنه لمرجوٌّ أن تراعي دراساته الحسنتين : أصالة العربية ، وملاحظة مطالب الحياة في ضوء هذه الأصالة .

وكنت قد عرضت ، في بحث سابق ، لقيود اشتقاق اسم الآلة ، وحصر النحاة لها في أوزان ثلاثة ، وتحجيرهم بذلك الواسع من تصرف العربية في هذا الباب الخطير الذي إليه المفزع في هذا العصر الآلي الذي يتقاضانا في كل يوم مئينَ من ألفاظ الأجهزة والأدوات والآلات في غير تلبُّث ولا وناء ، فدللت به على طواعية هذه اللغة وقدرتها على الاستجابة إلى ما يراد منها .

كما عرضت من بعده لمزاعم الشذوذ في المشتقات ، فرددت كل لفظ من المشتقات الموصوفة بالشذوذ في بابَي اسم الفاعل واسم المفعول خاصةً إلى قانون اللغة النفسي الذي تجري عليه هذه العربية سليقةً وتَجْراً .

وأعرض اليوم لمزاعم البناء على التوهم ، وأنا أرجو أن أستشرف من اجتهادي في تبديد هذا التوهم وإبطاله إلى ما أطمح إليه من التوفيق إن شاء الله .

- ٢ -

أصبت في أقوال النحاة واللغويين في كبار كتب النحو ودواوين اللغة أنواعاً من مزاعم التوهم نسبوها إلى العربية ، أنا ذاكرها بحسب ما انتهى إليها علمي ومفنّدها واحدة فواحدة ، وهي :

١ - توهم حذف الحرف الزائد .

٢ - توهم حذف الحرف الأصلي .

٣ - توهم التغيير .

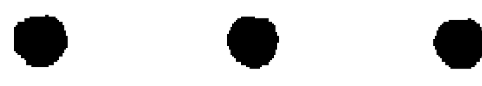
٤ - توهم زيادة الحرف الأصلي .

٥ - توهم أصالة الحرف المتحول .

٦ - توهم أصالة الحرف الزائد .

٧ - العطف على التوهم .

وأفرغ الآن للأنواع الستة ، وأرجىء بحث النوع السابع إلى وقت آخر أعالجه فيه . . .



١ - توهم حذف الحرف الزائد :

ويسميه بعض أهل اللغة « شاذاً » وهو كل ما ورد في كلام فصحاء العرب من المشتقات على « فَعيل» أو « مفعول »، ولم يسمعوا فعله الثلاثي، وإنما سمعوا منه الفعل الرباعي الذي يبنى اسم المفعول منه على « مُفْعَل » ليس غيرُ ، فيخرّجونه على أنه مبني على توهم حذف الحرف الزائد من فعله ، أو على أنه جاء على خلاف القياس .

ومن أمثلته : (ذَهيب) بمعنى (مُذْهَب) في قول حُمَيْد بن ثور من مخضرمي الجاهلية والإسلام :

موشّحة الأقراب : أمّا سَرَاتُها فمُلْسٌ، وأما جلدُها فَ(ذَهيبُ)(١)

قال أبو منصور : « أراه على توهم حذف الزيادة ، أراد الشاعر المُذْهَب ، فتوهم (ذَهَبَهُ) ، وبناه عليه » .

(١) هذه رواية « تهذيب اللغة » ، نقلها « لسان العرب » و « تاج العروس » . ورواية ديوان الشاعر :

بوحشيّة : أمّا ضواحي مُتونها فمُلْسٌ ، وأما خَلْقُها فتليبُ

فلا شاهد فيه .

والذي حمل أبا منصور على هذا القول أنه سمع الفعل الرباعي : أذهبه ، إذا طلاه بالذَّهَب ، ولم يسمع ذَهَبَه ، فأرسل حكمه على (ذَهيب) بأنه على توهم حذف الزيادة . وليس ذلك بصواب كما سأوضحه .

ومنها : (منبوت) في رَجَز غامض مجهول قائله ، وربما حكي (مثبوت) بالثاء المثلثة في موضع النون ، وهو :

وبلد يُغضِي على النُّعوتِ يُغضي كإغضاء الرَّوَى المنبوت

قال ابن سيدَهْ الأندلسي : « أراد (المُنْبَت) ، فتوهم (نَبَتَه) كما قال الآخر (المُسَرّ) وأراد (المسرور) ، فتوهم (أسَرَّه) بمعنى (سَرَّه) » . قال : « وقد ورد هذا اللفظ في مَثَل قديم ، وهو : « كلّ مُجْرٍ في الخلاء مُسَرّ » ، أي : مسرور . هكذا حكاه أفثار بن لقيط »[1] .

ومنها : (مبروز) في قول لبيد بن ربيعة العامري :

أو مُذْهَب جَدَدٌ ، على ألواحِهِ الناطق (المبروز) والمختومُ

وقد أنكر أبو حاتم (المبروز) ، وقال : « لعله (المزبور) ، وهو المكتوب » . ذلك لأنه سمع (أبرزه) ، ولم يسمع (بَرَزَه) ، وقال غيره : « كتاب مبروز ، أي : منشور ، على غير قياس » يعني أن الشاعر توهم حذف الزيادة .

وغير هذه الأمثلة كثير في الكلام الوارد عن فصحاء العرب ،

---

(١) هو أبو مهدية الأعرابي . رجل من « باهلة » دخل الحواضر ، واستفاد الناس منه اللغة . وكان به عارض من مس . وترجمته في : فهرست ابن النديم ، وطبقات النحويين واللغويين للزبيدي ، وإنباه الرواة .

مما لا يجوز أن ينسب كله إلى توهم حذف الزيادة ، ويوقف عنده ، ولا تبحث الأسباب .

وقد أوردت طائفة من ذلك في بحثي : « تحرير المشتقات من مزاعم الشذوذ » ، فلا أحاول إعادتها هنا ، وحسبي منها التمثيل ببعضها لما زُعم أنه مبني على توهم الحرف الزائد من أفعال الألفاظ المشتقات .

والحق أن هذه المشتقات ، التي جاءت على « فَعيل » أو « مفعول » ، وظن أبو منصور وابن سِيدَه وأبو حاتم وآخرون غيرهم أنها بنيت على توهم حذف الحرف الزائد ، إنما هي مشتقات من أفعال ثلاثية ، سمعها غيرهم ولم يسمعوها هم ، وثبتت عن قبيل من العرب تعتز العربية بفصاحتهم ، وتتناقل الناس أشعار شعرائهم ، ويحتج أهل اللغة بكلامهم . وهؤلاء هم (بنو عامر) ، وهم قوم حُمَيْد بن ثور ، ولبيد بن ربيعة ، صاحبي البيتين اللذين أسلفتها ، فلا جَرَمَ أنهما — ومثلَهما غيرهما لم أذكرهم — إنما تكلموا بلغة قومهم ، ولم يتوهموا في شيء مما بنوه عليها من كلام .

وقد ذكر بعض أهل اللغة أن أبا حاتم لما أنكر (المبروز) في قول لَبيد :

أو مُذْهَبٌ جِدَد ، على ألواحِهِ ألنّاطقُ (المبروزُ) والمختومُ

استظهروا عليه بأن لَبيداً قال في كلمة أخرى له :

كما لاح عُنوانُ (مبروزة) يلوح مع الكف عُنوانُها

وقالوا : « فهذا يدل على أنه لغته ، والرواة كلهم على هـذا ، فلا معنى لإنكاره » .

ومعنى « أنه لغته » : أنه لغة قومه (بني عامر) ، ومقتضاه أن

ماورد عن فصحاء العرب ، وصحت روايته من مثل هذه المشتقات ، يجب أن يردّ إلى لغة (بني عامر) ، وبنو عامر يقولون : ذهَبَه فهو ذَهيب ، ونبته الله فهو منبوت ، وبرزه فهو مبروز . . الخ ، وغيرهم يقولون : أذهبه وذهَّبه فهو مُذْهَب ومُذَهَّب ،وأنبته الله فهو مُنْبَت ، وأبرزه فهو مُبرَز . .الخ . على أنه ربما وافق (بنو عامر) غيرهم أيضاً فقالوا : أذهبه فهو مُذْهَب ، كما قالوا : ذهبه فهو ذَهيب ، كما جاء في قول لبيد المتقدم :

أو (مُذْهَبٌ) جدَدَ ، على ألواحِهِ ألنَّاطقُ (المبروزُ) والمختومُ

فقد جمع لبيد في هذا البيت بين اللغتين .

وبهذا تسقط دعوى بناء أمثال هذه المشتقات على التوهُّم : توهُّمِ حذف الحرف الزائد ، إذ لا توهُّمَ في ذلك ، لأنها مبنية على أصول ثلاثية ، هي فروع منها ، ولا يمكن أن تكون فروعٌ من غير أصول . وقد لحظ أبو علي الفارسي وصاحبه ابن جِنّي ذلك ، فاتخذا الاستهداء بالوصف على فعله أصلاً معتمداً ، وقالا : « إذا صحّت الصِّفة فالفعل حاصل في الكفّ » . وهو قول سديد ، فيه فتح طريق لاحبة ، يزداد بها بيان اللغة سَعةً على سَعَتِه ، وتطّرد مقاييسها ، وينتفي عنها كثير مما يضاف إليها من الشذوذ والبناء على التوهم .

٢ — توهم حذف الحرف الأصلي :

وذلك في مثل قول العرب : أرَضُون في جمع أرض ، ودُهَيْدِهُونَ في جمع دَهْداه — وهي القِطعة من الإبل ، وفُتَكْرُونَ في جمع فُتَكْر ، وأُبَيْكِرُونَ في جمع أُبَيْكِر تصغير أبكر ، والبَرْحُونَ في جمع البَرْح ، والأقْوَرُونَ في جمع أقور . . وفُتَكْر ، والبَرْح ، والأقْوَر ، قالوا : إنها أسماء الدَّواهي .

وقد ذكر هذه الألْفاظ ، على هذا النحو ، أحمد بن عبد النور المالقي الأندلسي المتوفى سنة ٧٠٢ هـ في « وصف المباني في شرح حروف المعاني »[١] ، وقال : « إنما جمعت بالواو والنون ، دلالة على أنها قد حذف منها شيء (توهماً) ، وهو التاء التي تدل على التأنيث ، فأرض مؤنثة ، فحقها أن تكون بتاء التأنيث ، فلما استُعملت بغير التاء ، بقيت التاء (متوهمة) فيها في التقدير ، فجعلت الواو تدل عليها ، وجرت التاء في ذلك مجرى اللام المحذوفة[٢] ؛ لأن بين تاء التأنيث ولام الكلمة مناسبة من جهات . . » . ثم قال : « وأما أبَيْكِرُونَ ، فجمع أبَيْكِر ، تصغير أبكر . وكان حقه أن يقول : أبكرة ، كأشْدِيَة ، وأجْرِيَة ، جمع جَرْو ، فيؤنث على معنى القطعة . فلما تُوهِّم ذلك ، جمع بالواو والنون ، دلالة على ذلك ، وأما فتكْرُونَ ، والبُرَحُونَ ، والأقوَرُونَ ، فكل واحد منهم (؟) جمع ما هو في معنى الداهية ، والداهية مؤنثة ، وكذلك ما في معناها . فلما (توهموا) ذلك ، جعلوا الجمع بالواو والنون دلالة على ذلك ، وجمع ذلك كله على معنى التكثير في الأمر الداهي ، واختلاف أنواعه » .

وقد فهمت ما حكاه ، وتفلسف فيه ، وما هو بشيء ! إن لم أقل فيه غير هذا !.

---

(١) طبعه مجمع اللغة العربية بدمشق (المجمع العلمي العربي - سابقاً) ، سنة ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م ، وقد حققه أحمد محمد الخراط .

(٢) يعني قول العرب : « مِئُونَ في جمع مِئَة ، وثُبُونَ في جمع ثُبَة ، وظُبُونَ في جمع ظُبَة .. إلخ » .

وهذه ألفاظ سمعت من بعض العرب على هذا النحو ، ولحظ النحاة الخالفون الذين بالغوا في التعليل الواوَ والنونَ في أواخرهـــا ، وشاؤوا إخضاعها لما أصّلوه من قصر الجمع بالواو والنون على المذكر العاقل ، فطفقوا يلفقون لها أمثال هذه العلل الباردة التي لم تمرُّ بخواطر العرب ، ولاجالت منهم في وهم ولا في خيال .

والمالقيُّ ، قد ناقض نفسه ، وجمع بين الضبِّ والنُّون ، حين نسب إلى العرب التَّوهمَ والدِّراية في وقت معاً ، وذلك قوله : « إن العرب قد حذفت من هذه الألفـاظ حروفاً معينة (توهماً) ، ثم جمعتها بالواو والنون (لتدل على المحذوف) . وهذا كلام متناقض ، يجمع بين التوهم والقصد ، وهما نقيضان لايجتمعان .

وأقرب شيء إلى العقل ، وأقومه في المنطق ، أن يقال في هذا : إن العرب إنما جمعت الأرض جمع مذكر سالماً إنزالاً لها منزلة العاقل ، وعلى ذلك جاءت الآية الكريمة : ﴿ والشَّمْسَ والقمرَ رأيتُهم لي ساجِدِين ﴾ .

ومثله يقال في كل ماجاء على هذه الوتيرة من الألفاظ ، كالدُّهَيْدِهين والأبَيْكِرين – وقد وردت هذه مجموعة جمع مؤنث سالماً أيضاً في رَجَز في « الأصمعيات » :

قد رَوِيَتْ إلّا دُهَيْدِهينا أُبَيكراتٍ وأبَيْكِرينـــا

الفُتَكْرِين ، والبَرْحِين ، والأقوَرِين ، وقد قالوا في هذه الثلاثة : جمعت بالواو والنون ، ولم يستعملوا فيها الإفراد فيقولوا : فُتَكْر ،وبَرْح وأقور ، من حيث كانوا يصفون الدواهي بالكثرة والعموم والاشتمال والغلبة ، ولم يقضوا بما قضى به المالقي عليها من جمعها بالواو والنون على التوهم والتعويض .

وفي العربية غير ما ذكره المالقي ألفاظ أخرى من هذا القبيل ، جمعت بالواو والنون ، ولم يتوفر فيها شرط قاعدة جمع المذكر السالم .

منها : عِلِّيون ، جمع عِلِّيٍّ ، في قوله تعالى : ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ . ووابِلُونَ في قول الشاعر :

فأصبحت المذاهب قد أذاعت بها الإعصار ، بعدَ الوابِلِينا

أراد المطر بعد المطر . ومَرَقُون ، وقد قال بعض رواة العربية : سمعت العرب تقول : « أطعمنا مَرَقَه مَرَقِين » ، تريد اللحمان إذا طبخت بماء واحد ، وأنشد :

قد رَوِيت إلاَّ دُهَيْدِهِينا أبيكرات وأبيكرينا

وما أدرانا أن هذا الجمع بالواو والنون كان هو الأصل في العربية القديمة المعرقة في القدم ، ثم جرى التطور فيها في صيغته ، فتعددت صوره على النحو المعروف ، وبقيت هذه الألفاظ شواهد على ذلك الأصل القديم الذي لم يميز بين تذكير وتأنيث ، ولا بين عاقل وغير عاقل !

٣ ـ توهم التغيير :

ذكر أحمد بن عبد النور المالقي في « رصف المباني » من هذا النوع ثلاثة ألفاظ ، قال : إنها غُيِّرت (توهماً) ، وجمعت جمع مذكر سالماً للدلالة على هذا التغيير .

وهي : إوَزُّونَ ، وإحَرُّون ، وحَرُّون .

أما (إوَزُّونَ) ، فقد وردت في قول النابغة الذبياني يصف امرأة بدوية قد تحضَّرت ، وهو في « لسان العرب » (و/ز/ز) :

تَلْقَى الإِوَزِّينَ في أكناف دارتها فَوْضَى، وبين يديها التِّينُ منثورُ (١)

قال في تفسيره : إن هذه المرأة تحضّرت ، فالإوزّ في دارتها تأكل التين ، وإنما جعل ذلك دلالة على التحضر لأن التين إنما يكون في الأرياف ، وهناك تأكله الاوزة .

وأما (إحَرُّونَ) فقد وردت في قول زيد بن عتاهية التَّميميّ :

لاخَمْسَ إلا جَنْدَلُ (الأحَرِّينْ) والخَمْسُ قد أجشمك (الأمَرِّينْ)

جَمْزاً إلى الكوفة من قِنَّسْرِينْ

وأما (حَرُّون) فقد وردت في رجز غير منسوب ، وهو (٢) :

لكنْ حَيّـاً نزلوا بــذي بينْ فما حوت « تُقْدَةٌ » ذات (حِرِّينْ)

أو « ذات الحِرِّين » .

قال المالَقيُّ في « رصف المباني » : هذه الألفاظ غُيِّرت (توهماً)، فدلت الواو على ذلك .. وكان الأصل : إوَزَزَة ، وإحْرَرَة ، وحَرَرَة في معنى أحرَّة ، فجرت مجراها ، فلما نُقلت حركة الزاي الأولى ، والراء الأولى إلى الواو والحاء ، لاجتماع المثلين ، سُكّنتا ، فاندغمتا فيما بعدهما ، فجعل الجمع بالواو والنون عوضاً عن التغيير المذكور ، ولا يقاس على شيء

---

(١) وروايته في الديوان (ص ٩٤) :

تلقي الإوَزِّينَ في أكناف دارتها بَيْضاً ، وبين يديها التِّبْنُ منثورُ

كذا رسم فيه (التبن) بالباء الموحدة !

(٢) ذكره ابن يعيش في شرح المفصل ، وياقوت في « حرة تُقْدَة » من معجم البلدان ، واقتصر المالقي على الثاني . وتقدة ، بالتاء المثناة الفوقية ، وتروى : نقدة ، بالنون : موضع .

منها غيرها ، وإنما عُلِّل من ذلك ما عُلِّل بعد السماع ، لأنه ليس باباً يُبنى عليه » .

وأقول : إن تعليل المالقي جمع هذه الألفاظ بالواو والنون بأنه عوض عن تغييرها المتوهَّم ، فاسد ، لأنه غير معقول ، ومتناقض ، لأنه يجمع بين التوهُّم والدراية .

وقد عللها غيره بما عللها به ، ولم يذكروا هذا (التوهم) ، فقالوا في تعليل جمع (الإوَزَّة) : « إن قال قائل : ما بالهم قالوا في جمع إوَزَّة : (إوَزُّونَ) بالواو والنون ، وإنما يفعل ذلك في المحذوف ، نحو : ظُبَة وظُبُون وثُبَة وثُبُون ، وليست إوَزَّة مما حذف شيء من أصوله ، ولا هو بمنزلة (أرض) في أنه بغير هاء ؟ فالجواب : أن الأصل في : إوَزَّة ، إوْزَزَة ، إفْعَلَة ؛ ثم إنهم كرهوا اجتماع حرفين متحركين من جنس واحد ، فأسكنوا الأول منها ، ونقلوا حركته إلى ما قبله ، وأدغموه في الذي بعده . فلما دخل الكلمة هذا الإعلال والتوهين ، عوضوها منه بالواو والنون ، فقالوا : إوَزُّون » .

وفي (إحَرِّينَ) و (حَرِّينَ) ، قال سيبويه : « زعم يونس أنهم يقولون : حَرَّة وحَرُّون ، جمعوا بالواو ، يشبهونه بقولهم : أرض وأَرَضُون ، لأنها مؤنثة مثلها » ، قال : « وزعم يونس أيضاً أنهم يقولون : حَرَّة وإحَرُّون ، يعني الحِرار ، كأنه جمع إحَرَّة ، ولكن لا يتكلم بها » .

وقال بعض النُّحاة : « إن قال قائل : ما بالهم قالوا في جمع حَرَّة وإحَرَّة : حَرُّون وإحَرُّون ، وإنما يفعل ذلك في المحذوف ، نحو ظُبَة

وظُبُون وثبَة وثبُون . وليست حرّة ولا إحرّة مما حذف منه شيء من أصوله ، ولا هو بمنزلة (أرض) في أنه مؤنث بغير هاء ؟ فالجواب : أن الأصل في إحرّة : إحْرَرَة ، وهي إفْعَلة . . إلى آخر ما تقدم مثله في إوَزَّة . قال : ولما فعلوا ذلك في إحرّة ، أجروا عليها حرّة فقالوا : حرّون ، وإن لم يكن لحقها تغيير ولا حذف ، لأنها أخت إحرّة من لفظها ومعناها . قال : وإن شئت ، قلتَ : إنهم قد أدغموا عين حرّة في لامها ، وذلك ضرب من الإعلال لحقها » .

وقال ثعلب : « إنما هو « الأحرّين » ، جاء به على « أحرّ » وكأنه أراد هذا الموضع الأحرّ ، أي الذي هو أحرّ من غيره ، فصيره كالأكرمين والأرحمين » .

قلت : عنى ثعلب أنه أنزل منزلة العقلاء ، فجمع جمعَ مذكر سالماً.

فالقول بـ (توهم التغيير) في هذه الألفاظ ، وتعويضه عند الجمع بالواو والنون ، بحسب زعم المالقي ، لم يرد في كلام الأوائل . وما قاله ثعلب هو المقبول السائغ . على أن هذه الجموع ربما كانت من بقايا صيغة الجمع في العربية القديمة قبل تطورها ، وحدوثِ تعدُّد صوره كما قلت من قبل .

٤ ـ توهم زيادة الحرف الأصلي :

القول بتوهم زيادة الحرف الأصلي ، قول حديث .. توهمه صديقنا العلاّمة عبد القادر المغربي ، عليه رحمة الله ، فطفق يلهَجُ به ، ويذيعه في بحوثه ، محاولاً أن يتخذه قاعدة جديدة في العربية يُعمل بها ويقاس عليها . وقد تكلف لها طلب الشواهد ، فلم يظفر — بعد جهد ومعاناة

بحث – بغير سبعة ألفاظ ، رآها تسعفه في تقرير ما يريد تقريره من هذه القاعدة الجديدة ، وتعسَّفَ في تخريجها وتكلف ما شاء ، وليس في شيء منها غَناء .

هذه الألفاظ السبعة ، هي :

١ – أشياء . ٢ – بُراء جمع بريء .

٣ – أملاك جمع َملَك . ٤ – منائر جمع منارة .

٥ – طحّان ، مُسَمّىً به . ٦ – فينان .

٧ – تملت لُغاتاً .

وقد ذهب إلى أن في كل لفظ من هذه الألفاظ حرفاً أصلياً (توهمته) العرب زائداً ، وقال : إنه يؤسس قاعدته هذه : « قاعدة توهم الحرف الأصلي زائداً » على تعليل الكسائي « منع صرف (أشياء) أن العرب (اشتبه) عليهم أمر همز هذه الكلمة ، لوقوعها بعد الألف ، فظنوها زائدة كهمزة : حمراء ، مع أنها أصلية كهمزةِ : أفياء ، ومنعوها من الصَّرف ، بناء على هذا (الاشتباه) ، بل هذا (التوهم) ».

هكذا عزا هذا التعليل بألفاظه إلى الكسائي .

والكسائي ، فيما علل به منع صرف (أشياء) ، لم ينسب إلى العرب (الاشتباه) ، ولا (التوهم) في أمر همز هذه الكلمة ، وإنما ذكر (التشبيه) ، والتشبيه هو غير الاشتباه والتوهم بداهةً .

وعبارته ، في « لسان العرب » . وقد وردت فيه في صورتين ، َخلتا من الاشتباه والتوهم .

أما الصورة الأولى ، فقد نقلها عنه أبو إسحاق الزجّاج ، قال – وهو يسرد أقوال أهل اللغة في تعليل منع (أشياء) من الصرف – :

« وقال الكسائي : « (أشبه) آخرُها آخرَ حمراء ، وكثر استعمالهم لها فلم تصرف » .

وأما الصورة الثانية في « لسان العرب » ، فهي :

« وقال الكسائي : « (أشياء) ، أفعال ، مثل : فرْخ وأفراخ ، وإنما تركوا صرفها لكثرة استعمالهم لها ، لأنها (شُبّهت) بفَعْلاء » .

فأين (الاشتباه) و (التوهم) في كلام الكسائي ؟

على أن الزجّاج قد قرر أن البصريين وأكثر الكوفيين ، أجمعوا على أن قول الكسائي خطأ في هذا ، وألزموه أن لا يصرف (أبناء) و (أسماء) .

وقال مؤسس النحو الحقيقي (الخليل بن أحمد الفراهيدي) ، رحمه الله : « إن (أشياء) اسم للجمع ، كان أصله فَعْلاء ، شيئاء ، فاستثقل الهمزتان ، فقلبوا الهمزة الأولى إلى أول الكلمة ، فجعلت لفعاء ، كما قلبوا أنْوُقاً ، فقالوا : أيْنُقاً ؛ وكما قلبوا قوُوساً ، فقالوا : قِسِيّاً » .

قالوا : « وتصديق قول الخليل ، جمعهم أشياء : أشاوَى وأشايا » .

قالوا : « وقول الخليل ، هو مذهب سيبويه والمازني وجميع البصريين إلا الزّيادي منهم »[1] .

(١) يرى أحد الفضلاء الباحثين المعاصرين ، وهو : د. رمضان عبد التواب غير هذه الآراء في المسألة ، وأوافقه فيما يذهب إليه ، إذ يقول (مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ٣٣/١١٩) :

فما أسسه عليه العلامة المغربي من هذه القاعدة ، إنما أسسه على شفا جُرُف هارٍ ، ولم يسلم له الدليل الذي استعان به ، لا لأنه تصرف في عبارة الكسائي فصيّر (التشبيه) : (اشتباهاً) ، حسبُ ، بل لأن الكسائي لم يصب في تعليله منع صرف (أشياء) مشاكلة الصواب أيضاً .

وأما شاهده الثاني ، وهو (بُراء) — على وزن غُراب — في جمع بريءٍ ، الذي منع صرفه ، فقد قال فيه : « إن قوماً منعوه من الصرف ، مع أن همزته أصلية لا زائدة » . ثم ساق ما علّل النحاة به منعه من الصرف ، ولم يرتضه ، وزعمه تعسّفاً وفرطَ تكلف ، وقال : « والأولى أن نخرّجه تخريج الكسائي لمنع الصرف في (أشياء) ، استناداً إلى (قاعدة توهم الزيادة) ! » .

قال ، وأضاف (التوهم) إلى نفسه وإلى من ظنه معه : « فإننا (توهمنا) زيادة همزة (بُراء) ، مع أنها أصلية ، ومستندنا في هذا (التوهم) رأي الكسائي في تخريج منع صرف أشياء ، وأنها منعت (لمشابهتها) لحمراء ! » . وهذا ، أعني قوله (لمشابهتها) ، هو لفظ الكسائي جاء به هنا مطابقاً لأصله ، وهو يبطل (الاشتباه) أو (التوهم) الذي نسبه قبلُ إلى الكسائي مرّةً ، وإلى نفسه مرة .

= « ولعل المسؤول عن منع كلمة (أشياء) من الصرف ، وقوعها في القرآن الكريم ، في سياق تتوالى فيه الأمثال لو صرفت ، في قوله تعالى (لاتسألوا عن أشياء إن تبــد لكم تسؤكم) « سورة المائدة ٥/١٠١ » إذ لو صرفت لقيل : (عن أشياءٍ إن) ، ولايخفى ما فيه من تكرار المقطع : (إن) . وليست العربية بدعاً في سلوك طريق الحذف ، للتخلص من توالي الأمثال » .

على أن (بُراء) ، بوزن (غُراب) ، لا يعدو أن يكون تسهيل (بُرَآء) ، روعي أصله فأبقي ممنوعاً من الصرف . وقال ابن جني : « يجمع بريء على أربعة من الجموع .. ورابعها : بريء وبُراء ، مثل ما جاء من الجموع على فُعال ، نحو : تُؤام ورُباب ، في جمع : تَوْأم ورُبّى » . فهذا هو ، واللغة نقل وسماع ، وليست تعليلاً وأهواء .

وأما شاهده الثالث (أملاك جمع مَلك) ، فقد قال : إنه « ليس في هذا الشاهد منع صرف ، وإنما فيه جمع (مَلَك) على (أملاك) . ووجه الغرابة والشذوذ في هذا الجمع أن (مَلك) (؟) أحد ملائكة السماء ، مشتق من الألُوكة ، وهي الرِّسالة .. » .

وتكلم على أصل هذه الكلمة ، وتصرُّف العرب فيها ، ثم قال: « وسَواء أقلنا : إن أصل مَلَك : مألك ، أو مَلأك ، أو ملاك ، فإن همزته أصلية لا زائدة . وإذ كانت الجموع ترد الأشياء إلى أصولها ، فيكون جمع مَلَك ، إنما هو : مَلائك ، وملائكة بالهمزة الأصلية . لكننا سمعناهم يجمعونها أيضاً على أملاك ، كأفراس جمعاً لفرس . وقد أشبهت أملاك التي هي جمع مَلك السماء ، أملاك التي هي جمع المِلك المكسور اللام : أحد ملوك الأرض ، فهما : أملاك وأملاك جمعان متفقان لفظاً ، مختلفان معنى وتخريجاً » .

وانتهى من هذا إلى أن اللغويين يعدون ذلك شاذاً ، ويراه (هو) مُخرَّجاً على (قاعدة توهم الزيادة) ! « أي زيادة الهمزة في : مَألك ومَلأك ، مع أنها أصلية .. غير أن العرب — على حد قوله · (توهموا) الهمزة في مَألك ومَلأك زائدة ، وأن وزن ملك المخفف منها هو فَعَل ،

بالتحريك ، وفعل يجمع على أفعال ، فقالوا ، بناء على هذا (التوهم): أملاك ، كما قالوا : ملائكة ، على الأصل » .

هذا ما قرره ، ولم أجد أحداً غيره قاله .

والذي في دواوين اللغة ، هو : أن أملاكاً جمع ملِك ، بكسر اللام ، أحد ملوك الأرض ، ليس غيرُ ، أما المَلَك ، بفتح اللام ، فجمعه فيها ملائك وملائكة ، ولا ثالث لهما .

ففي « لسان العرب » وغيره ، واللفظ له في (م/ل/ك) :

« والمَلْك ، والملِك ، والمليك ، والمالك : ذو الملك . ومَلْك ، ومَلِك ، مثال : فَخْـذ ، وفَخِذ ، كأن المَلْك مخفف من ملِك ، والملِك مقصور من مالك أو من مليك ، وجمع المَلْك ملوك ، وجمع الملِك أملاك ، وجمع المليك مُلَكاء ، وجمع المالك مُلَّك ومُلّاك . والأُمْلُوك اسم للجمع . ورجل مليك ، وثلاثة أملاك إلى العشرة ، والكثير ملوك » .

وفي (أ/ل/ك) :

« والمَلَكُ ، مشتق منه [أي من : ألك] .. والجمع ملائكة ، دخلت فيها الهاء ، لا لعُجمة ولا لنَسَب ، ولكن على حد دخولها في القَشاعمة والصَّياقلة ، وقد قالوا : الملائك » . ولم يَزِدْ .

وفي (ل/أ/ك) :

« والمَلأك : المَلَك ، لأنه يبلِّغ الرسالة عن الله ، عز وجل ، فحذفت الهمزة ، وألقيت حركتها على الساكن قبلها ، والجمع ملائكة ، جمعوه مُتَمِّماً ، وزادوا الهاء للتأنيث .. » .

وبهذا سقط شاهده الثالث أيضاً .

وأما شاهده الرابع ، وهو (منائر) بالهمزة في جمع منارة ، فقد قال فيه : « إن ألف منارة أصلية ، لا زائدة . . لكنهم (توهموها) زائدة ، وقد ظهر أثر هذا (التوهم) في الجمع فقالوا : منائر ، بالهمزة ، والقياس : مناير ، بالياء ، إذ القاعدة في ذلك أن الواو والياء ، إذا وقعتا في فعائل جمعاً بعد ألف تهمزان إذا كانتا زائدتين ، كياء فضيلة الزائدة ، يقال فيها : فضائل : وتبقيان على حالتيها إذا كانتا أصليتين ، كواو منارة ومغارة ،فيقال في جمعها : مناور ومغاور ، لكنهم في مناور قالوا : منائر ، بالهمز ، ولا يمنع أن يقال فيه : مناور ، بالواو أيضاً كما هو القياس » .

وقد أجاب بعضهم عن هذا بأنه تطور جديد للكلمة ، فلايخضع للتوهم.

والجواب الصحيح أنه لغة من لغات العرب ، جرى أهلها في أمثال هذا على همزه ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وجَعَلْنا لكم فيها مَعائِشَ ﴾ « سورة الأعراف ٧/١٠ » في بعض القراءات المروية في الآية ، فلا توهم في ذلك ، ولا تطوّر !

وأما شاهده الخامس ، وهو (طَحّان) عَلَماً لرجل ، فقد قرّر أن العرب (توهموه) كسكران ، فأجروه مُجراه ، ومنعوه من الصرف .

أما علماء العربية ، فقد ذهبوا في هذا وأشباهه مذهباً آخرَ غير (التوهّم) ، وقرروا أن العرب (يشبّهون) النون الأصلية في (طحّان) مثلاً بالنون الزائدة في مثل (سكران) ، فيمنعونه من الصرف ، وذلك إذا سمّوا به .

قال الفرّاء : « وهذا عند أهل الكوفة أسوغ منه عند البصريين ».

وإنه لرأي سديد للكوفيين والبصريين ، على الاختلاف اليسير بينهما ، يضيف إلى ما اشترطوه في منع الكلمة من الصرف ، إذا زيد في آخرها الألف والنون ، ما يُشبهها في ذلك ، وإن كان أحد هذين الحرفين أصلياً ، ويجرونه مُجراه إذا كان علماً ، طرداً للباب ، وتوحيداً للنظائر . وفي هذا توسعة لقاعدة موانع الصرف ، وتخفيف لبعض القيود .

وقد اهتدى الأستاذ المغربي إلى هذا النص في « كتاب عبث الوليد» لأبي العلاء المعري ، ولكنه لم يرتضه ، وأبى إلا مخالفته ، وإن كان قد أطبق عليه نحاة المِصْرَيْن ؛ وهم بُناة النحو العربي ، وأصرّ على القول ببناء ذلك على (التوهم) ! ، ليستقيم له ما يريده ، وهيهات !

وأما شاهده السادس (فَيْنانُ) ، فإنه نقل فيه قول أبي العلاء المعري في « عبث الوليد » شارحاً بيت البُحتري :

أتت بركات الأرض من كل وجهة

وأصبح غصن العيش (فينانَ) أخضرا

قال أبو العلاء : « شعر فَيْنان ، وغصن فَيْنان : من التفنّن ، فوزنه فَيْعال[1] . لكن يترك صرفه كأنه على وزن فعلان » .

قال المغربي : « وإذا كان على وزن فعلان ، كانت نونه زائدة ، كنون (سكران) ، فيمنع من الصرف . فقول المعري : « لكن يترك صرف (فينانِ) كأنه على وزن « فعلان » ، لا معنى له إلا كون

(١) قال المغربي : « أي فتكون نونه أصلية ، لازائدة ، فلا يمنع من الصرف » .

وزنه على فعلان الزائد النون أمراً مفروضاً فرضاً ، أو معتبراً اعتباراً ، أو (متوهماً توهماً) ، وهو التعبير الصحيح الشائع على ألسنة اللغويين ».

وأقول : إن ما قرّره المعري في هذا اللفظ ، هو المذهب الذي سنّه النحاة واللغويون قبله بأزمان متطاولة ، تبدأ بأوائل العهد بنضج النحو على يد الخليل ويونس وسيبويه وغيرهم من الأئمة . وهم قد بنَوْا رأيهم في أمثال هذا اللفظ على معنى اللفظ ومادته الاشتقاقية ، فأداروا الكلام عليها وفاقاً لمنطق اللغة والاشتقاق والمعنى ليس غيرُ . وهذا هو السبيل ، ولا مناص من سلوكه . وليس في المسألة « أمر مفروض فرضاً ، أو معتبر اعتباراً ، أو (متوهم توهماً) » ، ولم يَرِد فيما قرروه من ذلك هذا (التوهم) الذي يحلو الأستاذ المغربي ترديده ، وليس هو بـ « التعبير الصحيح » ، ولا هو بـ « الشائع على ألسنة اللغويين » على النحو الذي يتخيله ، أو يتعمد تخيّله !

وإنما الصحيح هو ما ذكرته من مذهبهم ، الذي تابعهم المعري عليه لأنه منطق المعنى والاشتقاق ، وقد قال هؤلاء في لفظ (الفينان) نفسه ، ولاحظوا فيما قالوه مادته الاشتقاقية ومعناه ، ما أرويه بحروفه ، وأبدأ بسيبويه . قال : « شعر فينان : معناه أن له فنوناً كفنون الشجر ، ولذلك صُرِف ، ورجل فينان وامرأة فينانة » ؛ قال ابن سيده : « وهذا هو القياس ، لأن المذكّر فينان مصروف مشتق من أفنان الشجر » .

وقال أبو منصور : « فينان ، فَيْعال ، من الفَنَن ، والياء زائدة » . وفي التهذيب : « وإن أخذت قولهم « شعر فينان » من الفَنَن وهو الغصن صرفته في حالي النكرة والمعرفة ، وإن أخذته من

القَيْنة وهو الوقت من الزمان ألحقته بباب فعلان وفعلانة فصرفته في النكرة ، ولم تصرفه في المعرفة » (١) .

وهكذا يقولون في أمثاله ، ومن ذلك (حَسّان) اسم رجل ، قالوا : « إن جعلته فَعّالاً من الحُسْن أجريته ، أي صرفته ، لأن النون حينئذٍ أصلية ، وإن جعلته فَعْلانَ من الحَس وهو القتل ، أو الحِس بالشيء ، لم تجْرِه » (٢) .

فالصرف والمنع عندهم تابعان للاشتقاق والمعنى ليس غيرُ، ولاوجود (للتوهم) في المسألة .

وأما شاهده السابع ، وهو باعترافه عاثر بين توهم الأصالة وتوهم الزيادة ! ، فقد قال : « إنه نوع من التوهم غريب : لا هو من توهم الأصالة ، ولا هو من توهم الزيادة ، وإنما هو من توهم الحرف الزائد حرفاً زائداً آخَرَ » ! وذكر مثاله فقال : « مثاله لغات جمع لغة ، فإنه جمع مؤنث ينصب بالكسرة ، تقول : سمعت لغاتِ العرب ، لكن حكى الجوهري في « صحاحه » : أن العرب (يتوهمون) تاء جمع التأنيث زائدة ، كالتاء التي يوقف عليها هاءً في نحوِ : قُضاة ورُواة ، فكما يقولون : رأيت قُضاةَ البلد ، بفتح تاء قضاة ، يقولون : سمعت لغاتَ العرب ، بفتح تاء التأنيث » .

ثم استدرك بأن « الجوهري عبّر عن هذا (التوهم) بـ (التشبيه)،

---

(١) ينظر لسان العرب (ف/ن/ن) .

(٢) الصحاح ، ولسان العرب (ح/س/س) و (ح/س/ن) .

فقال : إنهم (شبّهوا) تاء لغات بتاء قضاة » ، وحكى عبارته ، ونصّها: « وجمعها ، أي جمع لغة : لُغىً ولغات أيضاً ، وقال بعضهم : سمعت لغاتَهم ، بفتح التاء ، و (شبّهها) بالتاء التي يوقف عليها » انتهى .

فأين الشاهد على (التوهم)في تعليل الجوهري فتح تاء جمع المؤنث السالم ، وهو لم يذكر غير (التشبيه)؟ فهل عرف من معاني (التشبيه) في كلام العرب : (التوهم) ، ليصح الاحتجاج به ؟

على أنني أرفض تعليل الجوهري ، إذ لا أرى للتشبيه الذي يذكره وجهاً .. فإن فتح تاء جمع المؤنث السالم إنما هو لغة قوم بعينهم من العرب ، انفردوا بها ، وجروا عليها قياساً متبعاً في كلامهم . ولو كان ما يقوله الجوهري في لغة قبيلة واحدة لجاز حمل شيء منها على شيء آخر . ولكن الأمر ليس كذلك . وفتح تاء جمع المؤنث السالم ، هو لغة بني عَدِيّ كما يؤخذ من رواية راويها عنهم . و « بنو عَدِي » يطلق على بطون كثيرة من القحطانيين ومن العدنانيين أيضاً . والراوي لهذه اللغة عنهم هو واحد منهم ، وهو أبو خَيْرَةَ نَهْشَل بن زيد العدوي ، ولم يذكر من أيهم هو ؟ وهو أعرابي بدوي ، دخل الحاضرة ، وأفاد ، وأخذ الناس اللغة عنه ، وصنّف في الغريب كتباً ، منها : كتاب « الحشرات » . وقد روي عنه هـذا الخبر ، وفيه « لغاتهم » مرة ، و « إراتهم » و « عِرْقاتهم » مرة أخرى ، وكلتا الروايتين يرويها ثعلب أحمد بن يحيى اللغوي المشهور في مسألة بعينها ، هي فتح تاء جمع المؤنث السالم .

قال : « قـال أبو عمرو بن العلاء لأبي خيرة : كيف تقول :

حفرتُ إراتِكَ (١) ؟ فقال : حفرت إراتَكَ ، قال : فكيف تقول : استأصل الله عرْقاتِهم (٢) ؟ فقال أبو خَيْرَة : استأصل الله عرقاتَهم ، فلم يعرفها أبو عمرو ، وقال : لانَ جلدك (٣) ، يا أبا خَيْرَة ! يقول : أخطأتَ » .

لكن ثعلباً أقر أبا خيرة على ما قال ، واعتذر عن أبي عمرو بأنه لم تبلغه هذه اللغة .

وقال ابن جني : « سأل أبو عمرو أبا خيرة عن قولهم : استأصل الله عرْقاتهم ، فنصب أبو خيرة التاء من عرْقاتهم ، فقال له أبو عمرو : هيهات ، أبا خَيْرة ، لانَ جلدك ! وذلك أن أبا عمرو استضعف النَّصب ، بعدما كان سمعها منه (؟) بالجر ، قال : ثم رواها أبو عمرو فيما بعد بالجر والنصب ، فإما أن يكون سمع النصب من غير أبي خيرة ممن تُرضى عربيته ، وإما أن يكون قد قوي في نفسه ما سمعه من أبي خَيْرَة بالنصب ، ويجوز أيضاً أن يكون أقام الضعف في نفسه فحكى النصب على اعتقاده ضعفه ، قال : وذلك لأن الأعرابي ينطيق بالكلمة يعتقد أن غيرها أقوى في نفسه منها .. » .

وليس يعنيني من كلام ابن جني إلا ما يذكره من رواية أبي عمرو ابن العلاء ، فيما بعد ، الفتحَ والجرَّ في نصب جمع المؤنث السالم ، والوجه

(١) الإرات : جمع الإرَة ، وهي الحفرة التي توقد فيها النار .

(٢) العرقات : جمع عِرق وعِرقة ، وعرق الشيء أصله وأرومته .

(٣) وفي رواية : « ياأبا خيرة ، أريد أكثف منك جلداً ، جلدك قد رق » يعني أنه لابس الحضارة وعاشر أهلها ، ففسدت لغته .

الأول الذي عللها به ، وهو سماعه الفتح من غير أبي خيرة ممّن تُرضَى عربيته ، وهو أقوى الوجوه الثلاثة التي ذكرها .

٥ – توهم أصالة الحرف المتحول :

ويعني القائلون بهذا التوهم الناحية الخاصة بالواو والياء ، وهي باب عظيم في العربية ، تدخل فيه صور شتى من كلام العرب ، ولكل صورة منها نظام مطّرد تخضع له .

ومن هذه الصور ، إيثار بعض القبائل الياء على الواو ، وإيثار غيرهم العكس . ويحسبه الذين لا يلحظون ذلك تحوّلاً من حرف إلى حرف ، ويزعمون ذلك (توهماً) . ولو كان ذلك صادراً من قبيلة واحدة لجاز هذا الحكم .

فأهل الحجاز ، يُؤثرون الياء ، فيقولون مثلاً : صيّام ، وقيّام ، وصيّاغ .

وغيرهم يقولون : صوّام ، وقوّام ، وصوّاغ .

والقائلون بتوهم أصالة الحرف المتحوّل ، يجعلون الأصل في ذلك الواو . وما جاء على الياء من الألفاظ مخالفاً للأصل الواوي الذي أصّلوه ، يعدونه مبنياً على (التوهم) ، وليس الأمر ما يذهبون إليه .

ومن هذه الصور أيضاً ، ما حُوّلت واوه ياءً ، لأثر لغوي يقتضي تحويل صيغته ، فتبدل الواو ياءً ، وذلك في مثل : غصن متريح ، وماء

مَشيب . وقد بُنيا على : دريعَ ، وشِيبَ . ونظام اسم المفعول في منطق العربية إنما يتبع الفعل المبني للمجهول . لا الاسم . ويأبى من يقول بالتوهم إلا تخريج مثل هذا على (التوهم) .

ومن هذه الصور أيضاً ، ما اقتضى التطور الاجتماعي وغيره استحداثه في اللغة من أصل واوي ، فنقلوه إلى الياء ، وألزموه إياها ، وجعلوه أصلاً ثانياً ، وتصرّفوا في الاشتقاق منه ، للدلالة على المعاني المستحدثة .

وذلك مثل (العيد) . فإن أصل يائه الواو لا جَرَمَ ، وصيغة هذا الأصل : العِوْد ، فلما سكّنت الواو وكسر ما قبلها ، صارت ياء . أو تقول : قلبوا الواو ياءً ، ليفرقوا بين الاسم الحقيقي والاسم المصدري ، وألزموا الياء في الواحد ، فصار أصلًا جديداً في بناء مادته ، وجمعوه على (أعياد) ليفرّقوا بذلك بينها وبين (أعواد) الخشب ، كما قالوا في تصغيره : (عُيَيْد) ليفرّقوا بينه وبين (العُوَيْد) تصغير (العُود).

وأمثال هذا اللفظ كثير في العربية ، وقد بنتها العرب على هذا التأصيل لأداء معان جديدة في صيغ جديدة اقتضاها التطور ، واستجابت له مرونة اللغة وطواعيتها من غير تمحّل ولا تكلف ولا اقتسار ، وجرى فيها من ذلك ما جرى عن وعي وإرادة وقصد ، لا عن غفلة وتوهم . ومن ذهبوا غير هذا المذهب ، وقالوا بالتوهم ، فقد أعربوا ، عن غفلة ، عن طبيعة هذه اللغة وقوانينها الدقيقة العجيبة .

٦ ـ توهم أصالة الحرف الزائد :

وفي العربية نظام آخر في التأصيل مَرِن ودقيق ، يأذن في حدود

منطقها ببناء تأصيل لاحق على تأصيل سابق ، وذلك بإعطاء الحروف المزيدة حكم الحروف الأصلية ، لأنها إنما زيدت لزيادة المعاني ، فلا بد أن ترعى حرمة الزائد في الكلمة ، ويجري الاشتقاق منه لإفادة المعاني المستحدثة التي تفرضها سنّة التطور ودواعي الحياة المتجددة .

وقد فطن قدامى اللغويين والنحاة لهذا النظام في العربية ، ولما أستطيع أن أسميه التأصيل الثاني ، وعقلوا ما أرادت العرب من زيادة الحروف على الأصول ، وما يجري في كلامهم من الاشتقاق من المزيد ورعاية حرمة الحرف الزائد ، تنويعاً لصور الألفاظ بحسب الدلالات ، ومدّاً لأديم اللغة من جنس منطقها وأصولها .. فأقروه قانوناً من قوانين العربية ، ونبّهوا على آثاره ودلالاته كما سأوضحه .

ولكن جمهرة النحاة الخالفون ، أو قلة منهم ، هذا القانون ، فقرروا الاشتقاق من الحروف الأصول وحدها ، ومنعوا الاشتقاق من الزوائد ، وحكموا على كل ما وقعوا عليه من ألفاظ وردت عن فصحاء العرب مشتقة من الزوائد بالتوهم والخروج عن القياس .

وهذا النوع من الألفاظ في العربية كثير ، وأكثره يبدأ بالميم ، فلم يعرض لهم شيء منها حيث يعرض إلا وصفوه بالتوهم ، لأنه يخالف قاعدتهم في تأصيل الحروف الأصلية والاشتقاق منها وحدها .

وقد تأثر صديقنا العلاّمة المغربي ، طيّب الله ذكراه ، بهذا المذهب ، وآمن إيماناً عميقاً بالأول (بتوهم) أصالة الحرف الزائد ، وأبدأ فيه وأعاد

ما شاء داعياً إلى اتخاذه قاعدة مقررة مقيسة ، ونقل دعوته إلى هذا المجمع الموقر ، حتى انعكست آثارها على مقرراته في شيء من التحفظ . فجاء في « كتاب : في أصول اللغة » (ص ٤٤) :

« ٧ - توهم الحرف الزائد أصلياً : رأت اللجنة في ضوء ما أثر عن اللغويين أن توهم أصالة الحرف الزائد، أو المتحول ، لم يبلغ درجة القاعدة العامة . غير أن هذا التوهم ضرب من ظاهرة لغوية فطن إليها المتقدمون ودعمها المحدثون ، ولهذا ترى اللجنة أن في وسع المجمع أن يقبل نظائر الأمثلة الواردة على (توهم أصالة الحرف الزائد أو المتحول) مما يستعمله المُحْدَثون ، إذا اشتهرت ودعت إليها الحاجة » .

وجاء في الحاشية :

أ - « صدر القرار في ج ٨ مؤتمر د ٣١ سنة ١٩٦٥ » .

ب - « في ج ١١ دورة ١٤ (المؤتمر) عرض الشيخ عبد القادر المغربي على المؤتمر بحثاً له بعنوان (بين اللغة والنحو) ، أشار فيه إلى موضوعين : توهم أصالة الحرف الزائد ، وتوهم زيادة الحرف الأصلي. وبعد المناقشة فيه ، وافق المؤتمر على (توهم أصالة الحروف) في بعض الكلمات ، وجاء في تلخيص أعمال المؤتمر : (الموافقة على جواز توهم أصالة الحروف في بعض الكلمات العربية) » .

وليس الشأن في المسألة كذلك .

فإن ما فطن له المتقدمون من هذه الظاهرة اللغوية ، هو غير هذا الذي جاء في قرار لجنة الأصول في المجمع ، وهو حرمة الزائد في الكلمة عند العرب ، وإقراره إقرار الأصول على سبيل القصد والإرادة والتأصيل ،

لا على سبيل الغفلة والتوهم والاعتباط ، وهو في جملته يقوم على التفريق بين الأسماء وملاحظة اختلاف المسميات في الصفات . وهذا المذهب هو الأشبه بطبيعة عبقرية العربية وقانونها العام .

ومن أمثلته الموضحة :

تنطّق وتمنطق ، وتدرّع وتمدرع ، وأسلم وتمسلم ، وتولى وتمولى ، وترفق وتمرفق ، وتكحّل وتمكحل ، وتسكّن وتمسكن . . ونحو ذلك من هذه الألفاظ المبدوءة بالميم ، وهي أكثر ما يجيء في هذا الباب .

فإن كل لفظ من هذه الألفاظ ، ما اشتق منها من الحروف الأصلية وما اشتق من الحروف الزوائد التي اتخذت أصلاً ثانياً للاشتقاق ، له دلالة خاصة غير دلالة صاحبه :

فتنطّق ، أو انتطق : لبس أو اتخذ النِّطاق ، وتمنطق : لبس أو اتخذ المِنْطقة . ولكل من هذين اللفظين : النِّطاق والمنطقة ، صفة عند العرب ، تلحظها وتراعيها فتخالف بينها فيما تشتقه لها من الأفعال .

وادّرع ، وتدرّع : اشتقتا من الدِّرع ، لبوس الحرب المعروف ، وقميص المرأة ، والثوب الصغير تلبسه الجارية الصغيرة في بيتها . وتمدرع : اشتُقّ من المِدْرَعة ، وهي ضرب آخر من القمصان ، ولا تكون إلا من الصوف خاصة . ففرّقوا بين الدِّرع والمِدْرَعة ، لاختلافهما في الصفة واللفظ .

وأسلم : دخل في الإسلام مؤمناً به ، وتمسلم : تسمّى « مسلماً » ، وحكى الرُّؤاسي : كان فلان يسمّى « محمداً » ، ثم تمسلم ، أي : تسمّى « مسلماً » .

وتولاّه : اتخذه وليّاً ، وتمولى : تشبّه بالموالي ، وفي فلان مولويّة : إذا كان شبيهاً بالمولى ، وهو يتمولى علينا : أي يتشبّه بالموالي ، وما كنت بمولى وقد تموليت .

وترفّق : توكأ على المِرفقة ، وتمرفق : إذا أخذ مِرفقة .

وتكحّل : وضع الكحل في عينيه ، وتمكحل : أخذ مُكْحُلة .

وتسكّن : اشتقّ من السكون ، وتمسكن : اشتق من المسكين على معنى التشبيه به في زيه وحاله ، وتمسكن لله : تضرّع لله ، وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال للمصلي : « تبأسْ وتمسكنْ وتقنّع بيديك » .

وهكذا ما لم أذكره ، وهو كثير .

فحال الاشتقاق من الزوائد ، هو كحال الاشتقاق من الحروف الأصلية في عرف العربية ، وكل منها يراد لدلالته الخاصة ، ويقصد إليه قصداً للتفريق بين دلالة ودلالة أخرى ، فلا توهم في شيء من ذلك . وإنما التوهم قائم في أنفس القائلين به .

وقد قلت إن قدامى اللغويين والنحاة قد فطنوا لهذه الظاهرة اللغوية ، فرعوا حرمة الزوائد ، وقرروا الاشتقاق منها ، وهو أمر يقتضيه التطور والتوسع ، وتستجيب له طبيعة العربية المرنة ولا تستعصي عليه .

وإذ قد بلغت بالمسألة هذه الغاية من الإبانة عما أردته ، فلأذكرْ كلام إمام النحاة الأوائل فيها ، الإمام العبقري العربي المفكّر (الخليل ابن أحمد الفراهيدي) ، رحمه الله ، و « كل الصيد في جوف الفرا » .

وقد ألفيت نصه في « لسان العرب » وهو غير معزوٍّ إليه ، كأنه من كلام مؤلفه ابن منظور . لكن دل عليه العلامة السيد محمد مرتضى الزَّبيديّ في « تاج العروس » ، فردّ حقه إليه . ولعَزْو الأقوال إلى أربابها شأن خطير في الدراسات ، يهدي إلى مناشىء الآراء وتطورها ، ويحدد زمن ظهور الرأي ، فتوضع القضايا في نُصُبها الصحيحة ، وتجنب الزيغ والفساد .

قال (الزَّبيديّ) ، رحمه الله في « تاج العروس » (د/ر/ع) :

« وقال (الخليل) : فرَّقوا بين أسماء الدِّرع ، والدُّرَّاعة ، والمِدْرعة ، لاختلافها في الصفة ، إرادة إيجاز في المنطق . وتدرّع مِدْرعته ، وادّرَعها ، وتمدرعها . تحملوا ما في تبقية الزائد مع الأصل في حال الاشتقاق ، توفية للمعنى ، وحراسةً له ، ودلالةً عليه . ألا ترى أنهم إذا قالوا : تدرَّع،وإن كانت أقوى اللغتين ، فقد عرضوا أنفسهم لئلا يعرف غرضهم : أمِن الدرع هو ، أم من المِدْرعةَ ؟ وهذا دليل على حرمة الزائد في الكلمة عندهم ، حتى أقروه إقرار الأصول ، ومثله : تَمَسْكَنَ ، وتمسلم » .

و « قطعت جَهيزة قول كل خطيب » .

هذا هو قانون العربية في حرمة الزائد في الكلمة والاشتقاق منه عن وعي وقصد وإرادة .. تهدّى إليه إمام النحاة (الخليل) بفطنته وزكانته وفقهه وذكائه النافذ ، وإليه يجب أن يصار في تحرير جملة ما توصم به العربية العبقرية العظيمة من هذه الوصمة الشنعاء : وصمة البناء على التوهم ، وتبرئتها منها جملة وتفصيلاً ، وذلك ما قصدت إليه في تدوين هذا البحث .

فالعربية إنما تجري سليقتها على قانونها النفسي الذي يحكمها ، ومنه تستمد صورها الاشتقاقية اطراداً لا توقف فيه ، وعلى نسق متعين قويم ، على ما قررت في صدر البحث .

وهذا القانون النفسي يظلُّ دائماً هو المرجع المعترف بأصالته وسلامته ، وإليه يصار ويحتكم في قضايا اللغة ، أصولها وفروعها ، وبه تتعين السلامة كما يتعين الوهم الذي يتورط فيه الخاطئون والواهمون .

وفقنا الله للصواب ، وجنّبنا الزلل والوهم ، وأعاننا على السمو بهذه العربية العروبية : لسان الوحي والفُرقان ، ولغة العلم والحضارة والعمران ، إلى مقامها الكريم ، وأوجها الرفيع .

بغداد ١٣٩٦/٣/٤ — ١٩٧٦/٣/٦ محمد بهجة الأثري

عِبَرُ التّاريخ

الدكتور محمد كامل عياد

من السهل جداً أن نذم التاريخ . فقد لاحظ الناس منذ القديم أن الأخبار التي يرويها المؤرخون لا يمكن الوثوق بصحتها : يختلط فيها الصدق بالكذب ويعتريهـا التشويه والتحريف والتزوير . ووصف بعضهم كتب التاريخ بأنها ليست سوى سجل لجرائم البشر وحماقاتهم وللمصائب التي جرتها عليهم مطامعهم ومنازعاتهم .

قيل للإمام البخاري : « إن بعض الناس ينقمون عليك اشتغالك بالتاريخ » يقولون : « فيه اغتياب الناس » . فقال البخاري : « إنما روينا ذلك ولم نقله من عند أنفسنا » . وكان البخاري زائد التوقي ، بليغ التحري ، أكثر ما يقول عند ذكر رواة الحديث : هذا سكتوا عنه وذاك فيه نظر أو تركوه . وقلّ أن يقول : كذاب أو وضاع وإنما يقول : رمـاه فلان بالكذب .

وكتب المؤرخ المشهور ابن الأثير يقول : « رأيت جماعة ممن يدعي المعرفة والدراية ويظن بنفسه التبحر في العلم والرواية يحتقر التواريـخ

ويزدريها ، ويعرض عنها ويلغيها ، ظناً منه أن غاية فائدتها إنما القصص والأخبار ، ونهاية معرفتها الأحاديث والأسمار » . وهو بعد أن يعدد فوائد علم التاريخ ، الذي يكسب الانسان تجربة ومعرفة ، ويزيده ادراكاً وعقلاً يقول : « ولهذه الحكمة وردت القصص في القرآن المجيد . قال الله تعالى : « فاقصص القصص لعلهم يتفكرون » كما قال : « لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب » . ثم يضيف ابن الأثير قائلاً : « ومن ظن أن الله تعالى أراد بذكر الحكايات الأسمار فقد تمسك بآراء أهل الزيغ الذين قالوا : « أساطير الأولين ، اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً » .

بل إن (شمس الدين السخاوي) « ٨١٣ — ٩٠٢ هـ » ، من علماء القرن الخامس عشر الميلادي ، قد اضطر إلى تأليف كتاب خاص في هذا الموضوع عنوانه : « الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ » .

ومازال بعض الباحثين يدعون أن التاريخ ليس علماً بالمرة لأنه لايكشف عن حقائق وقوانين عامة ولا يصدر أحكاماً يقينية ، برهانية ، بل يقتصر على سرد وقائع فردية وحوادث جزئية ، محدودة يشك غالبا في صحة الروايات المتناقلة عنها . وتساهل آخرون فقالوا : إنه لايمكن اعتبار التاريخ علماً إلا من حيث طرائق بحثه فقط ، أما من ناحية الموضوع والنتائج فهو أقرب إلى الفنون الأدبية ، وإن كان لايبلغ مستواها في الإبداع والتأثير..

ويتساءل الكثيرون : ما الفائدة من الاشتغال بالتاريخ والرجوع إلى الماضي في هذا العصر الذي يسيطر عليه القلق وأخذت فيه الأمم تتسابق نحو المستقبل ؟ ماذا ينفعنا أن نعود إلى حوادث الماضي التي انقضى عهدها ولا يمكن أن تتكرر ؟ لقد تبدلت أوضاع العالم وأحوال البشر ، فهل

يجوز لنا أن نشغل أنفسنا بأمور وقعت في ظروف تختلف كل الاختلاف عن ظروفنا العصرية المتجددة بسرعة مدهشة ؟

كان (هنري فورد) ، صاحب معامل السيارات المشهورة ، قد زار في سنة (١٩٢٧) مدينة (اكسفورد) . ولما دعي إلى مشاهدة الأماكن الأثرية اعتذر ، ولم يرغب في زيارة سوى معمل للسيارات . ثم صرح بهذه المناسبة أن التاريخ كله عبارة عن هراء وسخف . ولم يستغرب الناس هذا القول ، الذي يدل على تفكير صبياني ، سطحي ، من رجل أمريكي ليس لبلاده في الماضي تاريخ يذكر ..

كان المستر (فورد) يعتقد إذ ذاك بأنه قد اكتشف الدواء الناجع لحل المشكلة الاقتصادية في هذا العصر وهو دواء بسيط يتلخص في دفع أجور أعلى إلى العمال ليزداد بذلك الاستهلاك والطلب وتستمر حركة الانتاج وتتسع - ولم يكن المستر (فورد) يعرف شيئاً عن تاريخ الأزمات الاقتصادية الدورية التي رافقت تطور النظام الرأسمالي ، وكأن هذا التاريخ أراد أن ينتقم من المستر (فورد) ويلقنه درساً ، فلم تمض سنتان حتى حدث الانهيار الاقتصادي الهائل في سنة ١٩٢٩ وتعرضت الولايات الامريكية المتحدة قبل غيرها إلى أزمة اقتصادية خطيرة زعزعت أركانها ولم تنتعش منها إلا بعد سنوات عديدة وجهود كبيرة بذلها (روزفلت) بعد انتخابه لرئاسة الجمهورية واعلانه « البرنامج الجديد » في سنة ١٩٣٣ ..

وقد هاجم الفيلسوف الألماني (نيتشه) التاريخ مدعياً بأن الالتفات إلى الماضي يحرم البشر من التمتع بحياتهم الحاضرة ويشل فعاليتهم ويمنعهم من الخلق والإبداع . وكان (نيتشه) يغبط الحيوانات لأنها تعيش في

الحاضر فقط .. فهي سعيدة ، حسب رأيه ، لأنها لاتتذكر الماضي ولا تفكر في المستقبل ..

إنه من السهل حقاً أن نطعن في التاريخ . ولكن من الصعب جداً أن نتحرر منه ونستغني عنه .

فقد عني الناس منذ أقدم العصور بجمع أخبار الأجيال السابقة ورواية الحوادث الماضية ، وكانوا دوماً يتناقلون الأساطير القديمة . إنهم كانوا ومازالوا يشعرون بحاجة إلى ترديد ذكريات الماضي . وقد بدأ الناس منذ القديم يسجلون الحوادث الهامة على جدران المعابد والأبنية العامة والمنشآت التذكارية ويحفظون الوثائق والآثار . ثم أخذوا يؤلفون الكتب التي تبحث في تاريخ البشرية وأصبح التاريخ من أهم العلوم الانسانية يدرسه الناشئون ويعتني بمطالعته المثقفون وقادة الجيوش ورجال السياسة والأدب ، وصار يعتبر من أقوى دعائم الثقافة العامة وأسس التربية الوطنية ..

إن التاريخ يقوم لدى الشعوب مقام الذاكرة عند أفراد البشر . والذاكرة التي تحفظ التجارب الماضية لها شأن كبير في تكوين شخصية الانسان إذ اليها يرجع الفضل في شعور الشخص بذاته وهويته ، كما إنه يستند إليها في التفكير وفي اتخاذ القرارات الهامة . فالتفكير إنما يعني الرجوع إلى الذاكرة ومقارنة المشاكل التي تجابهنا بما يشبهها من تجاربنا السابقة .

وهناك ذكريات تعيسة ، مؤلمة كثيراً ما نكبتها ونتناساها ، ولكنها تبقى في أعماق الشعور وتؤثر في سلوكنا . وقد كشف علماء التحليل النفسي عن خطورة هذه الذكريات المكبوتة . وردت في مذكرات السياسي الفرنسي (تاليران) العبارة التالية : « أقول هنا ، للمرة الأولى وعلى أمل أن

لاأعود وأفكر في ذلك أبداً ، إنني ربما كنت الشخص الوحيد من أسرة نبيلة الذي لم يتمتع بالعيش تحت سقف واحد مع أبويه ولو لمدة أسبوع فقط من حياته » . في هذه الكلمة تتجلى المرارة واللوعة اللتان كان (تاليران) لايزال يشعر بها وهو يكتب في الستين من عمره وكان يتمنى لو استطاع نسيانها ... وقد استدل المؤرخون من ذلك أن (تاليران) عاش مهملاً من أبويه يتولى تربيته الخدم والأتباع ، فاعتاد معاشرة من هم دونه ونقم على الطبقة الارستقراطية التي يمثلهـــا أبواه ولم يكترث بسقوط هذه الطبقة بعد الثورة الفرنسية بل أسرع إلى التعاون مع رجال تلك الثورة ثم مع نابليون وأخيراً مع أسرة (بوربون) .

تختلف أهمية الذاكرة باختلاف مراحل حيـــاة الأفراد . فالشاب الناشىء ليس لديه تجارب كثيرة يمكن ان يتذكرها وأن تؤثر في تكوين شخصيته . لذلك نراه يتجه بخياله إلى المستقبل ويندفع مع الأحلام . ولاشك في أن تصور المثل الأعلى لدى الشباب كثيراً ما يعبر عن استعداداتهم وإمكانياتهم ومطامحهم ويساعد على انكشاف مواهبهم وقدراتهم – على شرط أن يكون هذا التصور واقعياً ومدعوماً بجهود إرادية ، متواصلة . مثل هؤلاء الشبان يستحقون أحياناً من الاحترام والتقدير أكثر مما نبديه تجاه شخص بلغ القمة من سيرته فأصبح وزيراً أو قائداً ؛ ذلك لأن الشاب الناشىء قد يصبح أيضاً وزيراً أو قائداً . ولكن ربما يبلغ أكثر من ذلك فيصير مخترعاً أو فناناً كبيراً .

كلما تقدم الانسان في الحياة تزداد أهمية الذكريات والتجارب السابقة في تكوين شخصيته ونرى سلوكه في الحاضر يتأثر بسيرته الماضية ، فإذا

سبق له أن تمسك بالنزاهة والصراحة والإخلاص ، يصعب عليه بعد ذلك أن يتنكر لعقائده ومبـــادئه وآرائه السابقة ، والشخص الذي يخطىء ويرتكب جريمة ، من العسير عليه التخلص من الشعور بالذنب ومن تأنيب الضمير كما أنه يكاد يستحيل عليه بعد ذلك نيل ثقة الناس واحتلال مكانة في المجتمع .

خلافاً للشبان الذين يحلمون بالمستقبل يعيش أكثر الشيوخ في الماضي . فتطغى الذكريات على نفوسهم وتفصلهم عن الحاضر . هكذا كان الأمر مثلاً مع (أميل اوليفيه) ، الذي تولى رئاسة الوزارة الفرنسية مدة ستة أشهر في سنة (١٨٧٠) ، فقد ظل طوال عشرين عاماً حتى وفاته لا يتحدث إلا عن ذكريات رئاسته .

لا يمكن للفرد أن يتمتع بذاكرة جيدة يستفاد منها في التفكير وكسب المعرفة إلا إذا استطاع جمع المعلومات اللازمة واختزانهـــا ثم استذكارها عند الحاجة إليها . وهذا يتوقف على حسن انتقاء المواد التي يجب عليه حفظها من مشاهداته ومسموعاته ومطالعاته . ولا سبيل إلى حفظ كل شيء عدا أنه لا فائدة في ذلك ، وقد قيل بحق إن شرط التذكر الصحيح هو النسيان . ونحن لا يمكننا أن نسترجع الذكريات المطلوبة إلا إذا نسينا أكثر الأحداث والأقوال التافهة التي نمر بها . كذلك لا بد من تصنيف الذكريات المهمة وترتيبها وربط بعضها ببعض حتى يسهل استحضارها .

وهكذا التاريخ بالنسبة إلى الشعوب : فإنه لا مجال إلى تدوين كافة الأحداث التي تمر بها في مجرى حياتها ولا نفع في استقصاء كل الأمور وذكر الأسماء ووصف الحروب والفتن ، إنه لا بد من عمليـــة اصطفاء لإبراز

الحوادث الخطيرة والمواقف الحاسمة ، والإشادة بالأمجاد القومية ، وانتقاد الأخطاء ، وبيان أسباب النكبات والنكسات لاستخلاص العبر منها ، وكم لدينا من تقاليد وعادات بالية ، وكم من نعرات وعنعنات مستهجنة وكم من عصبيات ومنازعات سخيفة انتقلت إلينا من الماضي ولا بد لنا من نسيانها والتخلص منها إذا أردنا السير في طريق التقدم . وهناك عقائد وخرافات ومخلفات لغوية ورواسب اجتماعية من مختلف العهود البائدة — كلها تؤلف عبئاً ثقيلاً يعرقل مسيرتنا ومن الواجب التحرر منها أو تطوير ما يصلح منها لتلائم حاجات العصر .

إن موقف الشعوب من تاريخها يشبه موقف الأفراد من ذكرياتهم الماضية . فالشعوب الفتية لا تهتم إلا بالمستقبل وتنصرف في الحاضر إلى تكوين ذاتها وبناء حضارة جديدة . وحين تتوقف هذه الشعوب عن النمو والتوسع والإبداع تتجه إلى الماضي ، تتغنى بأمجاده أو تدعو إلى إحيائه والرجعة إليه .. ثم عندما تهرم هذه الشعوب وتشعر بأن حضارتها صارت مهددة بالانهيار والزوال — حينئذ تبدأ في دراسة تاريخها وتبحث في أسباب التقدم والتأخر ، ولذلك يعتبر (الوعي التاريخي) دليلاً على الهرم ونذيراً بالانقراض . وقد قال بعضهم : « ما أسعد الشعب الذي ليس له تاريخ » !.

على أن الذين ابتلوا بالوعي التاريخي لا يستطيعون فقدان هذا الوعي مهما حاولوا . وأكثر تعاسة من هؤلاء هم أولئك الذين لا يعرفون إلا القليل من التاريخ لأن المعرفة المشوهة والثقافة الناقصة أكثر الأمور خطراً وفساداً . فمن الأفضل أن نسعى إلى الوعي التام ، الواضح وأن ندرس التاريخ لنعرف : من نحن ؟ إلى أي مرحلة من التطور وصلنا وفي أي طريق نسير ؟.

هناك شبان يرغبون في التحرر من الماضي والتحول إلى الحاضر والمستقبل ويعتبرون دراسة التاريخ لهواً وعبثاً وهروباً من مجابهة المشاكل الحالية . إنهم يصرخون قائلين : نريد أن نعيش الحياة الحاضرة ، حياة عصرنا ؛ ولا يهمنا الماضي الميت . ولا اعتراض على ذلك . فمن واجب كل جيل أن يهتم بحياته الحاضرة وبمستقبل الأمة القريب والبعيد . ولكن ما هو الحاضر ؟ هل نعني به اللحظة المباشرة التي نعيش فيها والتي لا تلبث إلا قليلاً حتى تصبح من الماضي . إن الحاضر ليس سوى امتداد الماضي ونحن لا يمكننا أن نفهم أوضاعنا ومشاكلنا الحاضرة وأن نعالجها معالجة صحيحة ، ناجعة وأن نرسم الطريق إلى المستقبل إلا بالرجوع إلى الماضي وإدراك الأسباب الفاعلة والعوامل المؤثرة التي أدت إلى خلق تلك المشاكل . فالعراقيل التي تعترضنا ، والعيوب التي نشكو منها ، والصعوبات التي تجابهنا كلها لها جذورها وأصولها في التراث الذي تسلمناه من الأجيال السابقة . وكما ورثنا عن الماضي المشاكل كذلك نكتسب منه تجربة وحكمة . وقد قال (شيشرون) قبل أكثر من ألفي سنة : « إن الذي يجهل ما حدث قبل ولادته – يبقى دوماً طفلاً » . وقال فيلسوف حديث : « الذي لا يعرف التاريخ مكتوب عليه أن يعيده » .

إن حياة البشر ، سواء كانوا أفراداً أو جماعات أو شعوباً ، ليست سوى سلسلة متصلة الحلقات يتبع بعضها بعضاً . ولا سبيل إلى تعليل الحوادث في أي مرحلة إلا بالرجوع إلى المراحل السابقة وربط الأسباب بالمسببات والعلل بالنتائج . إننا في التاريخ ندرس كيف كانت المجتمعات البشرية في الماضي ثم كيف تطورت تدريجياً حتى أصبحت على ما هي عليه اليوم .

وبذلك نتوصل إلى معرفة العوامل التي أثرت في هذا التطور واكتشاف التيارات والقوى التي دفعت إليه وما زالت تدفع كما نطلع على البواعث والحوافز والاختلافات والتناقضات التي أسهمت وتسهم في تكييف الحوادث . وبدون هذه الدراسة يتعذر علينا أن نفهم الشؤون السياسية والاجتماعية عامة وأن ندرك مشاكل عصرنا واتجاهاته . إن العالم الذي يحيط بنا يظل لغزاً إذا لم نعرف كيف تكوّن . ولا بد أن نشعر بأننا غرباء ضمن المجتمع الذي نعيش فيه إذا جهلنا منشأ العادات والتقاليد والعقائد والمؤسسات والنظم والقوانين السائدة فيه والتي ليست جميعها سوى محصول ظروف تاريخية معينة ونتيجة التطور خلال العصور المتعاقبة ، بل إننا لا نستطيع حتى فهم آرائنا الشخصية والأحكام المسبقة التي نتمسك بها وردود الفعل العاطفية التي نجابه بها الأحداث إذا لم نعرف الميراث الذي ورثناه عن أسلافنا . وإذا تساءلنا لماذا يختلف موقف العربي عن موقف الانكليزي مثلاً أو الفرنسي في الظروف الخاصة أو العامة فإن التاريخ وحده يعطينا الجواب .

مثلما أن التاريخ ضروري لفهم الحاضر فهو كذلك لا بد منه للاعتياد على التفكير الواقعي . وبينما نتعلق في العلوم الطبيعية والرياضية بالمفاهيم المجردة والأحكام المطلقة فإننا في التاريخ نبحث الموضوعات الانسانية المعقدة بصورة مشخصة وضمن شروط زمنية ومكانية معينة ونتعلم بذلك معنى النظرة النسبية ، إذ نرى كيف أن جميع الأحداث يرتبط بعضها ببعض ويؤثر أحدها في الآخر ، وأن أحوال البشر في تطور دائم ، وأن كل حالة ليست سوى مرحلة في طريق لا تنتهي ، وأنه لا يمكن الوصول إلى الحقيقة الموضوعية المطلقة ومعرفة الأحداث التاريخية كما جرت فعلاً وإنما نحكم عليها من وجهة نظر محدودة وبالنسبة إلى الظروف المتقلبة .

ما زال الكثيرون في عصرنا النفعي يتساءلون : ماذا يفيدنا التاريخ ؟ لا يكفي ، في نظرهم ، لتبرير دراسة التاريخ أن تكون له طريقة علمية موثوقة وأن يلبي كثيراً من حاجاتنا الفكرية وأن يثقف أذهاننا ويصقل عقولنا ويجعلنا أقل غباوة عند البحث في شؤون البشر والنظر في مشاكلهم السياسية والاجتماعية الحاضرة . إنهم يريدون أن يعرفوا : ما هي فائدته في حياتنا العملية ؟ هل هو عبارة عن ترف فكري ، أم إنه ينفعنا في تحقيق أهدافنا ؟.

لقد اعتقد الناس في جميع العصور بأنه من الممكن استخلاص عبر ودروس من التاريخ يسترشدون بها في أعمالهم .

وإذا كان (هيرودوت) ، أبو التاريخ ، لم يفكر عند تأليف كتابه عن « الحروب الميدية » إلا في تلبية رغبة الآثينيين في المعرفة وتقديم أخبار غريبة وقصص ممتعة إليهم ، فإن (توكيديديس) ، الذي تبعه بعد جيل واحد ، قد ذهب إلى أن التاريخ يتضمن دروساً عملية . وهو يصرح بأن كتابه عن (الحروب البيلوبونيزية) يهدف إلى رسم صورة واضحة ، حقيقية عن الماضي وحوادثه التي يمكن أن تتكرر في المستقبل وأنه يريد استخلاص العبرة العملية التي قد تفيدنا في أوضاع سياسية مماثلة وذلك ، كما يقول ، لأن طبيعة البشر واحدة ، ولأن أعمالهم تتشابه .

وتتجلى النزعة العملية بصورة أوضح عند مؤرخ يوناني آخر ظهر في القرن الثاني قبل الميلاد وعاش تحت حكم الرومان أعني به (بوليبيوس) الذي مارس السياسة وكان على معرفة واسعة بأحوال اليونان والرومان على السواء ، وكان خلال مدة طويلة على صلة وثيقة بالزعماء السياسيين في

الشرق والغرب ورافق قادة الجيوش وعرف أساليب الحرب وقام برحلات طويلة في البر والبحر وطاف في مختلف البلدان واطلع على أحوالها . وقد امتاز (بوليبيوس) بروح الإنصاف والتسامح ، وكان يتمسك بالحقيقة المطلقة ، ولا يتحزب في أحكامه على الأشخاص والأحداث ، وكانت له نظرة ثاقبة تكتشف الشخصيات الكبيرة وتميز الوقائع الهامة وتقدر المواقف الحاسمة . وكان يكره كرهاً شديداً الأساليب الخطابية والألعاب اللفظية والمظاهر الشكلية . إنه يعد ، بحق ، من أكبر المؤرخين القدماء .

كان (بوليبيوس) يحرص على معرفة الوقائع التاريخية الحقيقية لأن هذه وحدها تصلح لإرشادنا في الحياة العملية وفي إدارة الشؤون العامة .

إن الموضوع الأساسي في كتابه عن (التاريخ العام) هو : كيف استطاعت (روما) في مدة لا تزيد عن خمسين عاماً أن تستولي على حوض البحر الأبيض المتوسط وتبسط سيطرتها على العالم المعمور إذ ذاك ؟

كان اليونانيون يعزون انتصارات (روما) إلى الحظ وليس إلى كفاءة الرومان ومزايا جمهوريتهم . فقام (بوليبيوس) ، الذي كان يمتاز بالحكمة والتفكير الفلسفي ، وألف كتابه القيم ليبدد أوهام مواطنيه ويكشف لهم عن الأسس المتينة التي قامت عليها عظمة (روما) . وفي مقدمة الأمور التي اهتم بها من هذه الوجهة تعليل الاستقرار الذي اتصف به نظام الحكم في (روما) ، على عكس ما كان سائداً بين اليونانيين من اضطراب وتقلب فقال : إن استقرار دولة (روما) يرجع إلى مزجها بين أشكال الحكم المختلفة وجمعها بين العناصر الجوهرية لكل من هذه الأشكال وتحقيق التوازن بينها . ذلك أن حكومة الجمهورية الرومانية

كانت تقوم أولاً : على القناصل الذين يمثلون الحكم الفردي ، وثانياً : على مجلس الشيوخ الذي يمثل سلطة النخبة الارستوقراطية ، وثالثاً : على المجالس الشعبية التي تمثل النزعة الديموقراطية .

يقول (بوليبيوس) : « إن معرفة أحداث الماضي هي أفضل وسيلة لإصلاح الطبيعة البشرية . وأكثر المؤرخين كانوا يهدفون إلى هذه الغاية عند تأليف كتبهم ، فتراهم يصفون دروس التاريخ بأنها مدرسة للتربية الوطنية والتدريب الاجتماعي والإعداد للحياة السياسية . وهم يقولون : إن دراسة عيوب الآخرين وأخطائهم هي الطريقة الوحيدة لتكوين الشخصية التي تستطيع مجابهة الأحداث وتقلباتها . ولذلك كان (بوليبيوس) يلح على الذين يؤلفون كتب التاريخ أو الذين يطالعونها بأن يركزوا اهتمامهم ليس على سرد الوقائع ورواية الأخبار بل على كشف الأسباب وملاحظة الظروف المحيطة ومعرفة النتائج ؛ وهو يتساءل أخيراً : « ماذا يفيد القارىء أن يعرف وصف الحروب والمعارك وحصار المدن واستعباد الشعوب واستثمارها إذا هو لم يتوصل إلى إدراك الأسباب التي ساعدت جماعة على النجاح وأدت بأخرى إلى الفشل في ظروف مماثلة » ؟.

وبين المؤرخين القدماء المشهورين الذين أرادوا استخلاص العبر من التاريخ نذكر (ديودوروس الصقلي) الذي عاش في القرن الأول قبل الميلاد . وقد جاء في كتابه « مكتبة التاريخ العام » قوله : « إننا نعرف قيمة التاريخ من ثمراته ، فهو داعية إلى الحق يفضح الشر ويمدح الخير ؛ إنه يقدم إلى الدارسين خلاصة التجارب البشرية والحكمة الإنسانية » . ويدعي (ديودوروس) أن التاريخ قادر على تعليمنا دون أن نتعرض

إلى الأخطار والآلام فيقول : « إنها لنعمة كبرى أن تتهيأ لنا الفرصة لإصلاح أنفسنا وتحسين أوضاعنا عن طريق الاطلاع على عيوب الآخرين وأخطائهم فنحذر منها ونسعى إلى اجتناب أمثالها . وما أجمل أن نكون أحراراً في هذه الحياة الفانية ، المليئة بالحظوظ والتقلبات فنتبع أساليب النجاح الماضية عوضاً عن أن نضطر إلى القيام بتجارب جديدة مؤلمة ! إنه ، بفضل دراسة التاريخ ، يتوصل الشبان إلى فهم الأجيال السابقة ويجدون في تجارب المتقدمين حوافز تدفعهم إلى السعي وراء الشهرة الخالدة كما أن الأشراف يجدون في التاريخ رادعاً ينذرهم بالخزي الأبدي إذا هم اندفعوا مع أصواتهم الخبيثة ، وبصورة عامة فإن أمجاد التاريخ تثير التقدير والإعجاب ومن شأنها أن تدفع الكثيرين إلى الإقدام على أعمال عظيمة من تأسيس الممالك أو سن قوانين تضمن سلامة الأمة أو الوصول إلى اكتشافات علمية أو اختراعات عملية تستفيد منها البشرية جمعاء .

وإذا انتقلنا الآن إلى المؤرخين العرب نرى أن أكثرهم كانوا يقصدون من دراسة التاريخ قبل كل شيء استخلاص العبر التي تفيد في الحياة العملية .

تبرز النزعة السياسية العملية بشكل واضح عند (مسكويه) في القرن الخامس الهجري « القرن الحادي عشر الميلادي » . لقد اشتغل (مسكويه) بالفلسفة والأخلاق والفقه والأدب والتاريخ ، وجمع في كتابه « تجارب الأمم » مادة جيدة ، ولا سيما فيما يتعلق بالحياة الاجتماعية والاقتصادية في العصر العباسي . وكان تفكيره الفلسفي يدفعه إلى البحث في أسباب الحوادث ونتائجها . ويدل عنوان كتابه على أنه اعتبر التاريخ خلاصة لتجارب الشعوب في العصور السابقة واعتقد أنه يمكن للأجيال اللاحقة أن تستفيد من هذه التجارب .

ولعله من المفيد أن نستعرض أقواله في مقدمة كتابه حيث يشرح فائدة علم التاريخ ويأتي بكثير من الآراء الطريفة والقيمة .

يقول (مسكويه) : « إني لمّا تصفحت أخبار الأمم وسير الملوك وقرأت كتب التاريخ وجدت فيها ما تستفاد منه تجربة في أمور لا يزال يتكرر مثلها وينتظر حدوث شبيهها كذكر مبادىء الدول ودخول الخلل فيها بعد ذلك وتلافي من تلافاه ، إلى أن عادت إلى أحسن حال وإغفال من أغفله فآل الأمر إلى الاضمحلال والزوال ، وذكر ما يتصل بذلك من سياسات الوزراء وأصحاب الجيوش . ولما كانت أمور الدنيا متشابهة وأحوالها متناسبة صار جميع ما يحفظه الانسان من أحداث التاريخ كأنه تجارب له وكأنه عاش الزمن كله ، فيعد لكل شيء عدته . وشتان بين من كان بهذه الصورة وبين من كان غراً غمراً لا يتبين الأمر إلا بعد وقوعه ولا يلاحظه إلا بعين الغريب عنه ، يحيره كل خطب يستقبله ، ويدهشه كل أمر يتجدد له » .

يجدر بنا أن نتأمل في هذه الكلمات التي تعبر عن اعتقاد (مسكويه) بوجود حالات متشابهة في حياة البشر تؤدي فيها الأسباب نفسها إلى نتائج مماثلة . وهو يشير إلى موقف الجهلة الأغرار الذين لم يحصلوا على ثقافة تاريخية فيعيشون غرباء في خضم أحداث هذا العالم تستولي عليهم الدهشة تجاه الانقلابات ويحتارون عند المصائب والأزمات . ويختم (مسكويه) مقدمته بانتقاد المؤرخين الذين يجمعون الأخبار التي تجري مجرى الأسمار والخرافات والتي لافائدة فيها غير استجلاب النوم بها . ثم يقول إنه لذلك ألف كتابه ولم يتعرض لذكر معجزات الأنبياء (صلوات الله عليهم) وما تم لهم من

السياسات بها لأن أهل زماننا لا يستفيدون منه تجربة فيما يستقبلونه من أمورهم اللهم إلا ما كان منها تدبيراً بشرياً لا يقترن بالإعجاز .

ولعل أشهر نموذج للمؤلفات العربية التي تنظر إلى التاريخ كمدرسة للسياسة العملية هو كتاب « الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية » . ومؤلف الكتاب (ابن الطِّقْطَقي) « ٦٦٠ - ٧٩٠ هـ » من رجال أواخر القرن الثالث عشر الميلادي إنما يهدف إلى الكشف عن أسرار السياسة وأساليب الحكم وقواعد الإدارة عن طريق دراسة التاريخ الإسلامي وتحليل حوادثه واستخلاص العبر من هذه الحوادث ليستفيد منها والي الموصل (فخر الدين عيسى بن إبراهيم) الذي أهداه كتابه ، ويقول (ابن الطقطقي) عن مؤلفه : « إنه ليفيد العقل قوة والذهن حدة والبصيرة نوراً . وهو للخاطر الذكي بمنزلة المسن الجيد للفولاذ » .

وأكتفي بنقل المقطع التالي من الكتاب : « كان الوزراء قديماً يكرهون أن يقف الملوك على شيء من السير والتاريخ خوفاً من أن يتفطنوا إلى أشياء لا يحب الوزراء إطلاعهم عليها .. طلب الخليفة (المكتفي) من وزيره كتباً يلهو بها ويقطع بمطالعتها وقته . فتقدم الوزير إلى نوابه بتحصيل ذلك وعرضه عليه قبل حمله إلى الخليفة . فحصلوا على بعض كتب التاريخ وفيها شيء مما جرى في الأيام السالفة من وقائع الملوك وأخبار الوزراء ومعرفة التحيل في استخراج الأموال . فلما رأى الوزير ذلك قال لنوابه : والله إنكم أشد الناس عداوة لي ! أنا قلت لكم حصلوا له كتباً يلهو بها عني وعن غيري . وقد حصلتم له ما يعرِّفه مصارع الوزراء ويرشده إلى الطريق لاستخراج المال ويبين له خراب البلاد من عمارتها . .

ردّوها وحصلوا له كتباً فيها حكايات تلهيه وأسمار تطربه ». وهذا كلام لا يحتاج إلى شرح أو تعليق !.

ولا بد من أن نذكر بين المؤرخين العرب في القرن الرابع عشر (ابن خلدون) الذي أراد أن يجعل من التاريخ علماً بالمعنى الصحيح بل فرعاً من فروع الفلسفة يقوم على دراسة العمران والاجتماع البشري ومعرفة قوانين التطور . ولا مجال هنا للبحث في نظرية (ابن خلدون) في التاريخ والاجتماع فأكتفي بالإشارة إلى أنه كان هو أيضاً ، مثل المؤرخين السابقين ، يعتقد بأن للتاريخ فائدة عملية وهي الاقتداء بالأنبياء في سيرهم والأمم في أخلاقهم والملوك في سياساتهم كما نلاحظ ذلك حتى في عنوان تاريخه الذي سماه « كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر » .

إلا أن (ابن خلدون) كان يطالب بملاحظة تبدل الأحوال في الأمم والأجيال مع مرور الأيام واختلاف الأخلاق والعوائد والمذاهب من عصر إلى عصر . وكان يدعو إلى المقارنة بين الحوادث لمعرفة ما بينها من تشابه أو تباين وتعليل ذلك ، ويحذر من أن نحكم على أخبار الماضين حسب أوضاعنا دون أن نتفطن لما جرى من تغيرات وانقلابات . كذلك يجدر بنا أن لا ننسى نظرية (ابن خلدون) في حتمية التطور التاريخي ، هذه النظرية التي تذهب إلى أن كل مجتمع يجتاز في تطوره أدواراً معينة تتكرر بانتظام وتشبه مراحل نمو الكائنات الحية وفنائها . وهو يدعي بأن هناك قوانين تاريخية مثل القوانين الطبيعية لا تتغير . لذلك ليس هناك في التاريخ من مجال للمصادفات أو المعجزات . وفي سبيل تأييد رأيه يقول

(ابن خلدون) : « جاء في الحديث : ما بعث الله نبياً إلا في منعة من قومه . وإذا كان هذا صحيحاً في الأنبياء وهم أولى الناس بخرق العوائد فما ظنك بغيرهم ألا تخرق له العادة في الغلب بغير عصبية » . وهو بعد أن استشهد بغزوة (أحد) ختم كلامه قائلاً : « وهكذا حال الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) في دعوتهم إلى الله بالعشائر والعصائب وهم المؤيدون من الله بالكون كله لو شاء ، لكنه إنما أجرى الأمور على مستقر العادة » .

وقد بين (ابن خلدون) في مقدمته المشهورة كيف أن الحوادث التاريخية أيضاً تخضع لقانون السببية والحتمية . ومن الواضح أنه لا سبيل إلى الاستفادة عملياً من عبر التاريخ إذا لم نؤمن بأن لكل حادث سبباً وبأن الأسباب نفسها لا بد أن تؤدي إلى النتائج ذاتها .

أما في أوروبا فقد اتجه الاهتمام منذ عهد النهضة إلى دراسة التراث اليوناني والروماني القديم وعلى الأخص المؤلفات التاريخية التي أخذ الكتاب ينهلون منها ويعلقون عليها وينسجون على منوالها . وكانوا جميعاً يريدون استخلاص العبر واستنباط الدروس من التاريخ كما نرى ذلك بالدرجة الأولى لدى (ماكيافيللي) الذي سعى إلى تأسيس علم السياسة بالاستناد إلى تجارب التاريخ ودروسه فاستقى معظم تعاليمه السياسية من كتاب المؤرخ الروماني (ليفيوس) .

وكان رجال السياسة والقادة العسكريون في الغرب منذ القديم ينصرفون في أوقات فراغهم إلى مطالعة كتب التاريخ للاستفادة منها ، بل إن الكثيرين منهم مثل (يوليوس قيصر) حتى (ونستون تشرشل) قد

أقدموا على تدوين تجاربهم وآرائهم وخلفوا لنا مؤلفات تاريخية قيمة تتضمن كثيراً من الدروس المفيدة .

إننا جميعاً نستند إلى ذكرياتنا وتجاربنا السابقة لمعرفة ما يمكننا توقعه من حوادث في مواقف معينة يبدو لنا أنها تشبه الظروف الماضية : عندما زحفت الجيوش الهتارية على (بولندا) في سنة ١٩٣٩ كان بين الغزاة جندي ألماني سبق له أن وجد في العاصمة (فرصوفيا) سنة ١٩١٨ ، فالتفت إلى رفيق بجانبه قائلاً : « في المرة الماضية تولت امرأة غسالة تجريدي من سلاحي . يا ترى من سوف يقوم بذلك هذه المرة ؟ » إن هذا الجندي المسكين قد تعلم من دروس الماضي فكان يتوقع هزيمة ألمانيا المعتدية مرة أخرى كما في سنة (١٩١٨) . وذكرى تلك الهزيمة هي التي كانت في سنة ١٩٤٠ ، بعد انتصارات (هيتلر) السريعة ، تشجع الحلفاء على الصمود وتدعم الروح المعنوية لدى الانكليز والفرنسيين « الأحرار » .

على أن الاعتقاد العام بإمكان الإفادة من عبر التاريخ أخذ يتزعزع منذ أوائل القرن التاسع عشر . فقد كتب الفيلسوف الألماني (هيغل) في ذلك الوقت يقول : « الشيء الوحيد الذي نتعلمه من التاريخ هو أن لا أحد قد يتعلم من دروس التاريخ شيئاً » . إن هذا القول الذي قصد صاحبه أن يصوغه في قالب متناقض ربما لا يخلو من المبالغة والالتباس ولكنه ينطبق على الواقع إلى حد بعيد . فالتاريخ يذكر لنا أمثلة كثيرة عن العاقبة الفجيعة التي ينتهي إليها الظلم والطغيان ولكن ذلك لم يصبح رادعاً للطغاة المستبدين الذين ما زالوا يطمعون في الاستئثار بالحكم وخنق حرية الشعوب . وقد أثبت التاريخ خطيئة (نابليون) الفاحشة في اعتدائه

على روسيا وزحفه على (موسكو) في سنة ١٨١٢ . ونرى (بسمارك) في مناسبات عديدة ، يحذر الألمان من الاشتباك في حروب مع الروس والدول الغربية في وقت واحد . وكان (هيتلر) ، الذي لا تنكر عبقريته على الرغم من نقص ثقافته وعدم اتزانه وغروره ، قد اطلع على رأي (بسمارك) وتعليقات الخبراء العسكريين عليه وأعلن مراراً بأنه لن يرتكب مثل هذا الخطأ . ولكنه سرعان ما وقع فيه فاستعجل بذلك خاتمته الفجيعة وجر بلاده إلى أعظم نكبة أصابتها .

وكان القائد (فون قلاوزيفيتس) في كتابه المشهور (عن الحرب)، الذي ظل منذ سنة ١٨٣٠ حتى اليوم المرجع المعتمد في النظريات الستراتيجية ، قد بين أنه عندما يكون هناك عدو واحد ينبغي توجيه الهجوم رأساً إلى عاصمته . أما إذا كان هناك أكثر من عدو فيجب السعي أولاً إلى قطع خطوط المواصلات بين الخصوم . وكان الألمان قد خالفوا هذه القاعدة في سنة ١٩١٤ ولكنهم تحاشوا هذا الخطأ في سنة ١٩٤٠ إذ اندفعوا منذ البداية إلى مرافىء بحر (المانش) وقطعوا الطريق على الانكليز الذين انسحبوا من (دونكرك) وبذلك سهل على الألمان الزحف على باريس واحتلالها . على أن (هيتلر) الذي نسي نصيحة (بسمارك) وهاجم روسيا في سنة (١٩٤١) لم يتبع أيضاً قول (قلاوزيفيتس) فطمع في الاستيلاء على (موسكو) عوضاً عن أن يوجه جيوشه أولاً إلى القفقاس لقطع الطريق على نجدات الحلفاء إلى روسيا . ولا شك في أن الانتصارات السريعة التي أحرزها الألمان بادىء الأمر قد خدعت (هيتلر) ونفخت فيه الغرور وجعلته يهمل القواعد العسكرية ولا يعبأ بآراء مستشاريه المجربين .

إذا أمعنا النظر في كلمة (هيغل) يتضح لنا أنها لا تعني أنه يستحيل استخلاص العبر من التاريخ ولكنها تعلن أن البشر ، أفراداً وشعوباً وحكومات ، لا يستفيدون من هذه العبر إما لجهلهم أو طيشهم أو ضعف إرادتهم وانقيادهم للأنانية وما يتفرع عنها من طمع وحسد وخوف وحقد.

للاستفادة من دروس التاريخ يجب أن تكون لدينا معرفة جيدة ، دقيقة للحوادث وأن نحسن تفسيرها ونلاحظ اختلاف الظروف التي وقعت فيها بالنسبة إلى الأوضاع الجديدة .

بعد حرب (القرم) « ١٨٥٤ — ١٨٥٦ » قام أحد الضباط الفرنسيين اسمه (فروسار) ، الذي كان استاذاً في كلية الأركان ،فوضع نظرية استخلصها من التجارب في ساحة تلك الحرب المحدودة ، تعتمد على مبدأ الدفاع المنظم في الخنادق . فلما نشبت الحرب في سنة (١٨٧٠) تمسك الفرنسيون بهذه النظرية بينما أقدم رئيس الأركان الألماني (فون مولتكه) ، الذي درس بإمعان معارك نابوليون ، فوضع خطة الحرب الخاطفة والحركة السريعة وحقق بذلك نصراً باهراً . وعلى أثر ذلك تخلى المخططون الفرنسيون عن نظرية (فروسار) ومالوا إلى طريقة الهجوم المتواصل ولكن الخسائر الفادحة التي تكبدتها فرنسا في الحرب العامة بين ١٩١٤ — ١٩١٨ أدت إلى ظهور عقدة خط (ماجينو) لدى السياسيين والعسكريين الفرنسيين . وقد برهنت الحرب العالمية الثانية على أن هذا الخط لم يكن متناسباً مع تقدم الفنون الحربية الحديثة .

عندما انفجرت الثورة البلشفية في سنة ١٩١٧ انبرى بعض الكتاب والسياسيين يتنبؤون بأن الجيوش الروسية سوف تندفع إلى القتال بروح جديدة وحماسة ثورية وكانوا يستشهدون بما حدث بعد الثورة الفرنسية .

إلا أنهم نسوا أن حرب سنة ١٧٩٢ قد نشبت في السنة الثالثة بعد الثورة في حين أن ثورة ١٩١٧ حدثت في السنة الثالثة بعد الحرب وبذلك غفلوا عن ملاحظة الفرق الأساسي بين الحالتين وهو أن الفلاح – الجندي الفرنسي إنما أسرع سنة ١٧٩٢ إلى القتال للدفاع عن الأرض التي كان انتزعها من الاقطاعيين في حين أن الفلاح الروسي المجند قد انسحب سنة ١٩١٧ من جبهة الحرب للاستيلاء على الأرض .

وعندما وقّع (تشمبرلين) في سنة ١٩٣٨ على اتفاقية (مونيخ) وأعلن قبوله لمبدأ الاستيلاء على الأراضي في أوروبا الوسطى على شرط أن يتم ذلك عن طريق اتفاقيات « معقولة » وليس باستخدام القوة – أثبت أنه كان يتهرب من مواجهة الواقع وأنه كان ينقصه التفكير التاريخي الصحيح ، إذ لا يذكر لنا التاريخ أن أي شعب أوروبي قد تخلى عن الأرض دون أن يتعرض إلى العنف » .

إن كلمة (هيغل) قد أثارت العلماء ودفعتهم إلى البحث في ماهية المعرفة التاريخية وإلى دراسة العوامل المؤثرة في تطور المجتمعات البشرية . وارتفعت أصوات كثيرة تؤكد على أن أهم درس نتعلمه من التاريخ هو أنه لا يعيد نفسه وأن الصفة المميزة للحادث التاريخي هي أنه فريد ومقيد بمكان معين وزمان محدود وظروف خاصة وأنه لا يتكرر أبداً بالشكل ذاته وعلى الصورة نفسها وبجميع التفصيلات . وقد أنكر قسم من العلماء أن تكون هناك قوانين تاريخية ثابتة مثل القوانين الطبيعية وحجتهم في ذلك هي أن الحوادث التاريخية معقدة ، تؤثر فيها عوامل متعددة ، مختلفة من طبيعية ونفسية واجتماعية لا يمكن الاحاطة بها . كما أن المصادفات لها دور

كبير في حياة البشر . وقبل كل شيء يستند هؤلاء العلماء إلى مبدأ حرية الإرادة فيقولون إن البشر هم الذين يصنعون تاريخهم وأن الشخصيات التي ترسم الخطط وتتخذ القرارات وتوجه الأعمال تتصف بحرية الاختيار عدا أن بعض زعماء الشعوب كثيراً ما يتبعون الأهواء ويتقلبون مع الظروف ويناقضون أنفسهم ، فكيف نستطيع في هذه الحالات معرفة اتجاه الحوادث واستنتاج قواعد أو وضع قوانين يمكن الاستناد إليها في المستقبل ؟ وإذا كانت حوادث التاريخ لا تتكرر ولا تجري تبعاً لقوانين ثابتة ، بل تخضع للمصادفات وتنبعث من إرادة الأفراد الشخصية وتتكيف حسب رغباتهم وآرائهم الذاتية فكيف يمكن أن نستخلص منها الدروس والعبر ؟.

لا مجال هنا للبحث في مشكلة حرية الإرادة من الوجهة الفلسفية . ويكفي أن نشير إلى اجتهادات علماء الكلام المسلمين ثم إلى دراسات علماء النفس الغربيين الذين يتفقون على أن الإنسان في أعماله يشعر بأنه يتمتع بحرية الاختيار أي أنه يستطيع أن يفعل هذا الشيء إذا شاء أو لا يفعله وأن يقرر أمراً ثم يرجع عنه متى أراد . ولكن هذا الشعور لا يعني أن أعمال البشر في جملتها لا تخضع لقانون السببية والحتمية ولا تتبع نظاماً معيناً .

يقول الفيلسوف الألماني (كنط) : « مهما كان رأينا في حرية الإرادة من وجهة نظر ما بعد الطبيعة فإن مظاهر هذه الحرية أي الأعمال البشرية مقيدة مثل سائر الحوادث الطبيعية بقوانين عامة . وعلم التاريخ الذي يروي لنا هذه الأعمال البشرية يبين لنا أنها في مجموعها ، على الرغم من خفاء أسبابها ، تتبع سيراً منتظماً وتخضع لقوانين معينة . وهكذا بينما تبدو أعمال الأفراد معقدة ، فوضى ومتناقضة فإننا إذا نظرنا إلى الجنس

البشري كله نراه يسير باستمرار ، ولو بصورة بطيئة ، في طريق التطور المطرد » . ثم يأتي (كنط) بمثال من علم الإحصاء فيقول : « إن عقود الزواج التي تخضع لإرادة الأفراد ورغباتهم الشخصية وحوادث المواليد والوفيات التي تتأثر بعوامل كثيرة — هذه كلها يبدو أن ليس لها من قاعدة معينة تساعد على حسابها مسبقاً ، ولكن على الرغم من ذلك فإن الإحصائيات السنوية في البلدان الكبيرة تثبت لنا أنها تتبع قوانين طبيعية ، ثابتة ؛ وأنه في استطاعتنا التنبؤ بها ورسم خط بياني يحدد اتجاهاتها ، تماماً كما هو الأمر مع تقلبات الطقس التي يصعب تحديد مظاهرها الجزئية ولكنها لا تخلو في جملتها من نظام معين ثابت » .

إننا في التاريخ نتحدث عن أفراد البشر بصفتهم كائنات اجتماعية ومن وجهة نظر علاقاتهم بعضهم ببعض . ومن المعروف أن شخصية كل فرد إنما تتكون تدريجياً ضمن مجتمع معين وفي عصر محدد ، وهذه الشخصية تتألف من عناصر عديدة وراثية ومكتسبة كالغرائز والأمزجة والاستعدادات والمواهب التي تؤثر كلها في سلوك الفرد بالإضافة إلى الدوافع العاطفية والحوافز العقلية . ونحن جميعاً نسعى إلى ملاحظة ودراسة شخصيات الأفراد الذين نعيش ونتعامل معهم لنعرف كيف سيكون سلوكهم في مختلف المواقف وماذا يمكننا أن نتوقع منهم في كل ظرف من الظروف . وكثيراً ما نحكم على بعضهم بالاستناد إلى أقوالهم حيناً وإلى أفعالهم مرة أخرى ونفترض أن هذه الأقوال والأفعال تعبر بصدق عن أفكارهم وآرائهم وتعكس المصالح التي يسعون اليها .

على أن الدراسات النفسية الحديثة قد علمتنا أن أفراد البشر لا يتبعون

دوماً صوت العقل ولا يدركون في الغالب مصالحهم الحقيقية وقلما يلتزمون بالصدق بل إنما يندفعون مع الأهواء والنزعات والنزوات ويخضعون لعوامل لا شعورية ويتأثرون بالأوهام والخرافات . . ثم إن كل فرد يتلقى من مجتمعه ومن البيئات المختلفة حوله وسائل التفكير والتعبير ويقتبس كثيراً من العقائد والتقاليد والعادات التي يتأثر بها إيجابياً عندما يخضع لها وسلبياً عندما يثور عليها ويرفضها .

والتاريخ إنما يصنعه الملايين من هؤلاء الأفراد الذين تجمع بينهم روابط كثيرة ويتكتلون تحت تأثير عوامل مختلفة اقتصادية وسياسية وعاطفية شعورية أو لا شعورية . وإذا كانت الجماهير لا تتحرك ولا تفعل شيئاً إلا إذا تولى تنظيمها وتوجيهها قادة قلائل فإن هؤلاء القادة بدورهم يحتاجون إلى الجماهير .

وقد أشار (تولستوي) إلى أن بعض المؤرخين يبالغون في تقدير أثر الشخصيات الكبيرة في التاريخ ، واستطاع في روايته المشهورة « الحرب والسلم » أن يبرهن على أن « منطق الأحداث » في حرب ١٨١٢ كان أقوى من مخططات (نابليون) و (اسكندر الأول) و (كوتوزوف) وأن النصر كان من صنع الأفراد غير المعروفين الذين لا حصر لهم والذين خاضوا غمار المعارك وحرقوا (موسكو) واخترعوا حرب الأنصار وراء خطوط العدو .

ولعل أحسن وصف للشخصية التاريخية العظيمة هو ، كما قال (هيغل) ، الفرد الذي يستطيع أن يتبين ما هي إرادة عصره فيعبر عنها بكلمات واضحة ويحققها بالفعل . إنه هو الذي يكشف عن روح عصره ويجسده

ويبعث فيه الحياة والحركة ؛ وبعبارة أخرى : إن الشخصية العظيمة ليست سوى الفرد البارز في المجتمع والذي هو محصول الأحداث التاريخية وفي الوقت نفسه صانع هذه الأحداث والمؤثر في توجيهها .

كتب مرة المفكر الفرنسي الشهير (باسكال) في القرن السابع عشر العبارة الساخرة التالية : « لو كان أنف كليوباترا أقصر لتبدل مجرى أحداث العالم » . ولم يفهم بعضهم المقصود من هذه الكلمة فتساءل : « ما شأن أنف كليوباترا في التاريخ » . ومن الواضح أن (باسكال) لم يقصد ذلك وإنما أراد الإشارة إلى أن (كليوباترا) ما كانت لتتصف بجمالها المشهور لو أن أنفها مثلاً كان أقصر أو أطول وبالتالي ما كان القائد الروماني (آنطونيوس) ليقع في غرامها وينهزم في معركة (آكسيوم) ويستولي خصمه (أوقتاويوس) على مصر وخزائنها ويؤسس الامبراطورية الرومانية . ونرى بعض المؤرخين الحديثين ، الذين يعارضون مبدأ الحتمية في التاريخ ، يكثرون من الاستشهاد بهذه الكلمة ليبرهنوا على أن حوادث التاريخ ليست سوى مجموعة من المصادفات التي ترجع إلى أسباب عرضية ، تافهة في الغالب .

ومثال آخر للمصادفات ما يرويه (تشرشل) في مذكراته عن ملك اليونان اسكندر الذي كان يوماً يداعب قرداً صغيراً فعضه القرد وأدى تسمم الجرح إلى موت الملك في خريف سنة (١٩٢٠) . ويضيف (تشرشل) قائلاً : « بسبب هذه العضة مات ربع مليون من البشر » ذلك لأن اليونانيين أعادوا إلى الحكم الملك قسطنطين الذي كان يحلم بإحياء الامبراطورية البزنطية فاستأنف الحرب ضد الأتراك التي سقط فيها ذلك العدد من القتلى وانتهت بهزيمة اليونان .

لا يمكن أن ننكر أثر المصادفة والحظ في التاريخ ولكن لا بد من الملاحظة أن المصادفة لا تتنافى مع قانون السببية والحتمية . فإن عشق (انطونيوس) لكليوباترا كانت له أسباب حتمية ، لأن (كليوباترا) كانت جميلة حقاً ولأن من الطبيعي أن يفتتن الرجال بالجمال الرائع . كذلك هزيمة (انطونيوس) في المعركة كانت لها أسبابها الموجبة . والمشكلة إنما نشأت من اصطدام هاتين السلسلتين من الأسباب اللتين لا صلة حتمية بينها .

وهذا هو معنى المصادفة . والمؤرخ الذي يريد الاستفادة من تجارب الماضي لا يتساءل : كيف كانت ستجري الأمور لو لم ينهزم (انطونيوس) فهو إنما يدرس ما حدث بالفعل ويسعى إلى تعليله ومعرفة الأسباب التي قد تتكور ويمكن أن يستخلص منها قاعدة عامة . أما حادث التقاء (أنطونيوس) مصادفة بكليوباترا فلا يمكن أن يستنتج منه أن قادة الجيوش عامة يخسرون المعارك إذا هم وقعوا في غرام ملكات جميلات .

وقد أشار (كارل ماركس) إلى أن المصادفات والحظوظ نادرة في تاريخ العالم وأنه ليس لها من أهمية كبيرة ولا تؤثر في مجرى التاريخ واتجاهاته العامة . ونحن إنما نطلقها في الغالب على بعض الأحداث التي نجهل أسبابها ..

هل نستنتج من كل هذا أننا لا نستطيع استخلاص عبر ودروس من التاريخ تفيدنا في حياتنا العملية ؟ كلا . إن التاريخ يمكن أن يكون مرشداً لنا في أوضاعنا الحاضرة وفي طريقنا إلى المستقبل إذا فهمنا الدروس التي يتضمنها وعرفنا كيف نقارن بين الحاضر والماضي وندرك وجوه التشابه والاختلاف ونعتبر بالتجارب السابقة ، ثم إذا كانت لدينا الإرادة الصادقة والقدرة الكافية لاتباع إرشاداته .

صحيح إن التاريخ لا يعيد نفسه ، كما يقولون ، ولكن هذا لا يعني أن ليس هناك في تاريخ الشعوب أوضاع متشابهة قد تؤدي إلى نتائج مماثلة إذا عولجت بالأسلوب ذاته . وقد لاحظ المؤرخون بعد دراسة مختلف الثورات مثل الثورة الانكليزية سنة (١٦٤٠) والثورة الفرنسية (١٧٨٩) والثورة البلشفية (١٩١٧) أنهـــا جميعاً كانت تبدأ بأزمات متشابهة ثم تجتاز مراحل متماثلة . ومن المعروف عن رجال الثورة البلشفية أنهم قاموا بدراسات واسعة عن الثورة الفرنسية ثم الثورات الأوروبية (سنة ١٨٤٨) وعن حكومة اللجنة الثورية (قومون) في باريس سنة ١٨٧٠ للاستفادة منها في أعمالهم . وكان البلاشفة يخشون أن تنتهي ثورتهم كما انتهت الثورة الفرنسية التي تمخضت عن (نابليون) . لذلك كانت تساورهم الشكوك تجاه (تروتسكي) الذي كان أكثرهم شبهاً بنابليون فلم يثقوا به وعملوا على إقصائه من صفوفهم .

على أننا نخطىء كثيراً إذا اعتقدنا بأن التاريخ يزودنا بمجموعة من الأمثولات يمكن أن نستخدمها في الوقت الحاضر فنقلدها أو نتجنبها حسب الحاجة . ومن المؤسف أننا نرى الكثيرين من الكتاب والخطباء يشيرون إلى دروس التاريخ ويتحدثون عن « حتمية التاريخ » دون أن يأتوا بأمثلة واقعية يقومون بتحليلها وبيان وجوه الشبه بينها وبين الأوضـــاع الحاضرة ومدى إمكانيات الاستفادة منها .

إن التاريخ لا يقدم لنـا وصفات جاهزة وحلولاً كاملة . فهو إنمـا يروي لنا كيف تطورت المجتمعات البشرية لنعرف ما هي العوامل التي تؤثر في هذا التطور وما هي القوى والتيارات التي تدفع الشعوب إلى الأمام أو

تعرقل سيرها . وكما أن التجارب التي تمر على الفرد في حياته يمكن أن توسع آفاق فكره وتزيده نضجاً وحكمة إذا تذكرها وعرف كيف يستفيد منها، كذلك التاريخ فهو ذاكرة البشرية ويروي لنا خلاصة تجارب الشعوب على مر العصور . وفي استطاعتنا ، إذا أحسنا دراسة هذه التجارب وقمنا بتحليلها أن نستوحي منها كثيراً من الآراء والملاحظات التي تساعدنا على فهم الحوادث الحاضرة . إن تجارب التاريخ ليست نماذج نقتدي بها ونقلدها ، بل هي مادة للتأمل والتفكير والمقارنة .

نتعلم من التاريخ أن أحوال البشر في تطور دائم وأن الشعوب التي تريد الحياة لا بد لها من مجاراة الزمن في سيره واللحاق بركب الحضارة . كذلك يعلمنا التاريخ كيف نفكر تفكيراً واقعياً انتقادياً ، ويحررنا بذلك من الأوهام والأضاليل والأساطير ويبين لنا أن مقدرات الأمم مرتبطة بإدراكها للعوامل التاريخية التي نشأت عنها أوضاعها الحاضرة وبمعرفتها للرواسب التي انتقلت إليها من الماضي ، وأن نجاحها يتوقف على ما تتصف به من وعي وقوة إرادة وحزم وثبات . على أننا لا نستطيع الاستفادة من عبر التاريخ إلا إذا نظرنا إليه نظرة موضوعية مستنيرة . يجب أن نسعى قبل كل شيء إلى معرفة الحقائق الواقعية ، كما يجب في تاريخنا القومي أن نربط بين أمجادنا وتقاليدنا الماضية وبين حاضرنا فلا يجوز أن نغرق في الماضي ونستسلم إلى سحره وننسى واقعنا ومتطلبات عصرنا . إن الانغماس في الماضي قد يورث الضعف بدلاً من القوة ويشل الإرادة عوضاً أن يدفعنا إلى النهوض وبذلك قد يصبح الماضي عبئاً ثقيلاً يمنع تقدمنا لا مصدر إلهام وقوة حافزة .

كان قادة النهضة العربية في القرن التاسع عشر وأوائل هذا القرن على حق في اعتقادهم بأن الجيل العربي الجديد يجب أن ينكب على دراسة الحركات القومية الحديثة ولا سيما تاريخ الوحدتين الألمانية والإيطالية لأنه يستطيع أن يتعلم من ذلك الشيء الكثير .

وكم من العبر يمكننا أن نستخلص من دراسة تاريخ اليونان مثلاً . فترى كيف أن اليونانيين القدماء لم ينجحوا في صد الغارات الفارسية إلا بفضل ما أظهره سكان (أثينة) وحدها دون سائر المدن اليونانية من وعي سياسي وحماسة في سبيل الدفاع عن حريتهم ، ومن المعروف أن هذا الوعي لم يكن سوى نتيجة للنظام الديمقراطي الذي كانت (أثينة) تعيش في ظله قبل الحروب الفارسية ، فقد تمتع الآثينيون بالحق في إدارة شؤونهم بأنفسهم وعرفوا معنى الحرية والمساواة وأدركوا أنهم سيحرمون من كل شيء إذا هم فقدوا استقلالهم ؛ ولم يخف عليهم أن المحافظة على كيانهم تتطلب منهم التضامن والتعاون مع غيرهم من اليونانيين . أما المدن اليونانية الأخرى التي كانت تعيش تحت الحكم الدكتاتوري أو الآرستوقراطي فإنها لم تظهر أي حماسة للدفاع عن كيانها ولم تشعر بأنها تملك شيئاً عزيزاً يستحق أن تضحي في سبيله . إن اعتيادها الانقياد للطغيان الفردي أو الاستبداد الطبقي جعلها تقبل بسهولة الخضوع للحكم الأجنبي.

لنأخذ مثالاً آخر من التاريخ الحديث : لما استدعى ملك بروسيا (غليوم الثالث) في سنة (١٨٠٤) السياسي الألماني المشهور (فون شتاين) لتولي الوزارة وتنظيم حركة المقاومة ضد نابليون لم يقبل ذلك إلا بشروط ، بينها إصدار قانون بتحرير الأقنان وآخر بتنظيم ملكية الأراضي .

ولتبرير هذا الطلب قال (فون شتاين) : « كيف أستطيع ، يا صاحب الجلالة ، أن أدعو الفلاحين الذين يؤلفون أكثرية الشعب إلى الدفاع عن أرض لا يملكون منها شيئاً ؟ وكيف نطالب أفراد الشعب بأن يقاتلوا في سبيل حرية بلادهم إذا لم يكونوا هم أنفسهم أحراراً يعرفون معنى الحرية ويدركون قيمتها » ؟.

وتجدر هنا الإشارة إلى أن (فون شتاين) كان بعيداً عن الآراء المتطرفة ومعارضاً لمبادىء الثورة الفرنسية . إنه كان من النبلاء المحافظين الذين لا يريدون قطع الصلة بين الماضي والحاضر ، بل يسعون إلى البناء بالاستناد إلى العناصر الحية من التراث القديم . ولكن نزعته المحافظة لم تكن لتمنعه من الدعوة إلى الاصلاح في سبيل مصلحة بلاده . وقد أصدر قانوناً يهدف إلى إشراك الشعب في إدارة الشؤون العامة لاعتقاده بأن الشعب لا يبلغ النضج السياسي ولا يدافع عن كيانه ولا يتمسك بوحدته وعزته القومية إلا إذا تمتع بالسيادة وتدرب على تقرير مصيره بنفسه وأشرف على الحكم وعرف معنى المسؤولية . وفي مذكرة قدمها إلى ملوك ألمانيا وأمرائها كتب يقول : « على السلاطين والوزراء الحاكمين بأمرهم أن يتذكروا بأن الشعوب أيضاً قد منحتها العناية الالهية نصيباً من الحرية والكرامة ».؟

وأخيراً ها نحن في الوطن العربي عندما نفكر كل يوم في تحرير فلسطين تعود بنا الذاكرة رأساً إلى جهاد صلاح الدين الأيوبي الذي طرد الصليبيين من الأراضي المقدسة . وعلى الرغم من معرفتنا بالفروق العديدة بين الأوضاع التي كانت سائدة في القرن الثاني عشر وبين الحالة في الوقت الحاضر فإننا

نعتقد بأن أعمال صلاح الدين يمكن أن تكون عبرة وحافزاً لنا ودرساً نتعلم منه . وبديهي أننا لا نستفيد شيئاً من إحياء ذكرى صلاح الدين إذا اقتصرنا على الإشادة بصفاته السامية ومزاياه النادرة والتغني بأعماله المجيدة . إنه لا بد لنا من دراسة دقيقة للخطط السياسية البعيدة التي رسمها والأساليب العملية التي اتبعها لبلوغ الهدف ، ليس بحشد الجنود وجمع العتاد والذخائر فحسب ، بل كذلك بإنشاء الطرق والجسور وتسهيل وسائل العيش للشعب بإلغاء المكوس وخفض الضرائب ثم تنوير الأفكار بتأسيس المدارس ونشر العلم . وهو لم يكتب له النجاح في طرد الصليبين إلا لما اتصف به من بعد النظر والمهارة السياسية والثقة بالنفس والحزم في تنفيذ ما يصمم عليه والصبر على الشدائد والعمل المتواصل دون كلل أو ملل . فكان حقاً مثال البطولة في تاريخ الاسلام ، بل كان ، باتفاق آراء المؤرخين المسلمين والفرنج على السواء ، من أعظم عباقرة العالم . وإن في سيرته لعبرة لمن يتفكرون !.

دمشق　　　　محمد كامل عياد



فقيد العربية

محمد بهجة البيطار

مجمعي افتقدناه

محمد بهجة البيطار

١٣١١ — ١٣٩٦ هـ .

الدكتور عدنان الخطيب

أخلاق تتسامى إلى المثل الأعلى ؛

سماحة تتجلى في الأخذ والعطاء ؛

طهارة تنبع من القلب ، وعفة تقبض اليد وتعقل اللسان ؛

كل هذا كان في بردي عالم دمشقي كبير من المنافحين عن الضاد ، القائمين على خدمة لغة التنزيل العزيز .

كان عالماً فذاً يزين علمه العمل به ، ويجمّله حبّ نشره بين الناس.

كان بحراً زاخراً بالعلوم والمعارف ، هادئاً هدوء النسيم العليل ، صافياً صفاء الماء النمير .

كان رجلاً حلو الشمائل ، جمّ التواضع ، رضيّ الخلق .

كان إنساناً جُبل من حنان وعطف وحبٍّ للآخرين .

كان مسلماً بما تحمله هذه الكلمة من معانٍ وصفات .

كان مؤمناً لا تراه إلا هاشاً باشاً كالذين وصفهم الله عزَّ وجلَّ بقوله : ﴿ وعبادُ الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ﴾ .

كان خلقه العظيم وعاء علمه النافع ودينه الصحيح .

إنه شيخنا الجليل محمد بهجة البيطار أحد أركان مجمع اللغة العربية ، وقد تمثلت فيه أخلاق السلف الصالح ، وكأنه الوارث له علماً وفضلاً واطمئنان نفس .

لحق شيخنا بالرفيق الأعلى ، ونعاه مجمع دمشق يوم السبت في الثلاثين من جمادى الأولى سنة ١٣٩٦ للهجرة ، الموافق للتاسع والعشرين من أيار سنة ١٩٧٦ للميلاد .

مات الشيخ البيطار وافتقدت مجامع اللغة العربية بموته أحد المناضلين حملة لواء الدفاع عن أمّ اللغى ، ما كلّ يوماً وما ونى ، وقد جاوز الثمانين ، إلى أن سقط واللواء بيده ﴿ مِنَ المؤمنينَ رجالٌ صَدقوا ما عاهَدُوا اللهَ عليه فمنهم من قَضى نَحْبَهُ ومنهم مَنْ ينتظرُ وما بدَّلوا تَبْديلا ﴾ .

رحم الله الفقيد رحمة واسعة وعوض العربية عنه خيراً .

* * *

سيرة الفقيد

حيـــاته وآثـــاره

مولده وأسرته

ولد فقيدنا محمد بهجة البيطار بدمشق في الثاني من رمضان سنة ١٣١١ ﻫ (١٨٩٤ م) في أسرة دمشقية عريقة ، اشتهر كثيرون من أبنائها بالعلم والأدب والتقوى ، وكان جدها الأعلى هبط دمشق مهاجراً من « بليدة » من أعمال الجزائر في المغرب العربي ، واختار لسكناه حيّ الميدان الشهير .

نشأ الفقيد في حجر والده الشيخ محمد بهـــاء الدين (١٢٦٥ — ١٣٢٨ هـ) ابن عبد الغني بن حسن بن إبراهيم الشهير بابن البيطـار ، وكان والد الفقيد عالماً أديباً يقرض الشعر ، محبوباً من الخاصة لفضله ومن العامة لمؤانسته إياهم ، وقد تولى الإمامة فيهم بعد وفاة أبيه .

تزوج والد الفقيد ابنة عمه الشيخ عبد الرزاق (١٢٥٣ - ١٣٣٥ ﻫ) ابن حسن البيطار ، وكان من كبار علماء دمشق العاملين على نشر المذهب السلفي ، بارعاً في علوم العربية وآدابها ، حسن الرواية حاضر البديهة ، ترك عدداً من المؤلفـات أهمها : كتاب « حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر » حققه وتولى التعليق عليه سبطه فقيدنا الغـالي محمد بهجة البيطار وقام مجمـــع اللغة العربية بطبعه بدمشق في ثلاثة أجزاء سنة (١٩٦١ — ١٩٦٣ م) .

دراسته وشيوخه

تلقى الفقيد مبادىء علوم الدين واللغة على والده وأتم دراسته الابتدائية

في المدرسة الريحانية والإعدادية في المدرسة الكاملية بدمشق .

وتابع دراسته العالية في العلوم الدينية والعربية والعقليـة على والده وعلى جده لأمه الشيـخ عبد الرزاق البيطار ، وعلى كل من الشيوخ الأعلام في عصره جمال الدين القاسمي الدمشقي ومحمد الخضر حسين التونسي نزيل دمشق وعلى محدث الديار الشامية الكبير محمـد بدر الدين الحسني ، ونال الاجازة منهم في مختلف العلوم النقلية والعقلية .

الوظائف والمناصب التي تولاها

أولاً : — تولى الفقيد سنة (١٣٢٨ هـ — ١٩١٠ م) الخطابة والإمامة والتدريس في جامـع القاعة بحي الميدان خلفاً لوالده ، ثم تولى سنة (١٣٣٥ هـ - ١٩١٧ م) الخطابة والتدريس في جامع كريم الدين الشهير بالدقاق خلفاً لخاله ، وهذا الجامع هو مسجد المحلة التي تقطن أسرة البيطار فيها ، وكانت الإمامة والخطابة فيه في أسلاف الفقيد مما يمتد لأكثر من مئة عام .

وظل الفقيد ، بـما عرف عنه من همة ونشاط ، يخطب ويُدرِّس مختلف العلوم في مسجد محلته إلى أن لحق بالرفيق الأعلى ، ما انقطع عن ذلك إلا لمرض أو سفر .

اشتهر الفقيد بخطب كان يلجأ فيها على الأغلب إلى تفسير آيات من الذكر الحكيم تناسب زمنها ، وكثيراً ما قصد مسجده لسماعهـا كبار الشيوخ والعلمـاء من أصدقائه أو من زوار دمشق فضلاً عن مريديه من التلامذة وطلاب العلم ، حتى إذا ما أديت صلاة الجمعة ، اصطحب الفقيد زوار مسجده إلى الدار ، حسب تقاليد الحي الدمشقي العريقة ، فإذا كان العصر أدوا الصلاة وانتشروا .

ثانياً : – عين الفقيد سنة ١٣٤٠ هـ (١٩٢١ م) من قبل مديرية معارف دمشق ، معلماً في مدرسة الميدان الابتدائية ، وظل قائماً بتدريس المواد الموكلة إليه حتى سنة ١٣٤٦هـ (غاية أيلول ١٩٢٦ م) إذ يشير سجل الحكومة إلى أنه استأذن بالسفر إلى الديار المقدسة ولم يعد إلى وظيفته .

ثالثاً : – اشترك الفقيد سنة ١٣٤٥ هـ (في خريف ١٩٢٦ م) بمؤتمر العالم الإسلامي الذي دُعي إلى عقده في مكة المكرمة ، وبعد انتهاء المؤتمر استبقى الملك عبد العزيز آل سعود الفقيد في مكة ليشرف على المعهد العلمي السعودي ، فبقي تلبية لطلب الملك يدير المعهد المذكور مدة خمس سنوات ، قلده الملك خلالها المناصب القضائية والعلمية التالية :

١ – عضو محكمة مكة الشرعية الكبرى ، ثم نائب رئيس هيئة المراقبة القضائية ، ولكن الفقيد رغب عن المناصب القضائية فطلب إعفاءه وتم له ما أراد .

٢ – مفتش التعليم في مدارس الحجاز .

٣ – أستاذ مادتي التوحيد والتربية اللتين كان يجمع لهما مديرو وأساتذة مدارس مكة .

٤ – عضو مجلس المعارف العمومية .

٥ – مدرس في الحرم المكي .

٦ – عضو هيئة مراقبة التدريس في الحرم الشريف .

رابعاً : – عندما غلب الحنينُ إلى دمشقَ الفقيدَ التمس من الملك السعودي السماح له بالعودة إلى البلد الذي أحب ، وأحبه أهله ، وعاد سنة ١٣٥٠ هـ (١٩٣١ م) ليؤمَّ أهل حبّه كل يوم ويخطبهم كل أسبوع ،

وكان إلى جانب هذا يقوم بتدريس العلوم الدينية والعربية في المسجد وفي بعض المدارس الخاصة ، كما تولى تدريسها سنة ١٣٥٣ هـ (١٩٣٤ م) ولبعض الوقت في كليتي المقاصد الخيرية للبنين والبنات في مدينة بيروت .

خامساً : - عين الفقيد سنة ١٣٥٥ هـ (١٩٣٦ م) من قبل دائرة الافتاء العامة مدرساً عاماً في مدارس دمشق .

سادساً : - أعيد تعيين الفقيد أيضاً في السنة نفسها من قبل وزارة المعارف السورية مدرساً للعلوم الدينية في مدارس حي الميدان الابتدائية .

سابعاً : - عين الفقيد سنة ١٣٥٩ هـ (١٩٤٠ م) من قبل وزارة المعارف أستاذاً للعلوم الدينية في تجهيز دمشق للبنات .

ثامناً : - عهدت مديرية الأوقاف إلى الفقيد سنة ١٣٦١ هـ (١٩٤٢م) بتدريس مادتي التفسير والأخلاق في كليتها الشرعية بدمشق .

تاسعاً : - وفي السنة نفسها عهدت وزارة المعارف إليه بتدريس تفسير القرآن من الوجهة الأدبية في دار المعلمين العليا .

عاشراً : - عندما عزمت الحكومة السعودية على إنشاء ثانوية كبرى في مدينة الطائف باسم (دار التوحيد السعودية) أعلن الملك عبد العزيز آل سعود رغبته في أن يتولى فقيدنا إدارة هذا المعهد ، فنزلت الحكومة السورية عند رغبة الملك وأوفدت الفقيد البيطار سنة ١٣٦٣ هـ (١٩٤٤ م) حيث أقام في الطائف مدة ثلاث سنوات .

أحد عشر : - عهدت جامعة دمشق إلى الفقيد سنة ١٣٦٧ هـ (١٩٤٧ م) القيام بتدريس مادتي التفسير والحديث في كلية الآداب .

اثني عشر : - في سنة ١٣٧٤ هـ (نهاية عام ١٩٥٣ م) أحيل

الفقيد على التقاعد من وظيفته الحكومية ، فقصر نشاطه على محاضرات في التفسير كلف إلقاءها في كلية الشريعة وعلى التدريس الديني ووظائف وزارة الأوقاف إلى جانب إلقاء الأحاديث الدينية والاجتماعية في الإذاعة السورية ، وعلى أعمال مجمعية عديدة .

الفقيد في المجامع العلمية اللغوية

انتخب الفقيد عضواً عاملاً في المجمع العلمي العربي في سنة ١٣٤٢ هـ (٣٠ آذار ١٩٢٣ م) .

انتخب عضواً مراسلاً للمجمع العلمي العراقي في سنة ١٣٧٥ هـ (٦ حزيران ١٩٥٤ م) .

وعندما تم توحيد مجمعي دمشق والقاهرة سنة ١٣٨٠ هـ (١٩٦٠ م) باسم « مجمع اللغة العربية » كان الفقيد في مقدمة أعضاء المجمع الذين شاركوا في مؤتمر القاهرة لسنة ١٩٦١ م

كان الفقيد من أكثر أعضاء مجمع دمشق حيوية ونشاطاً ، شارك زملاءه في إلقاء المحاضرات العامة والأبحاث المتعمقة وفي تحرير مجلة المجمع وبالتعريف على صفحاتها بالكتب والمطبوعات التي تدخل موضوعاتها في اهتماماته الشخصية .

وشغل الفقيد في مجمع دمشق منذ سنة ١٣٧٣ هـ (حزيران ١٩٥٣ م) عضوية لجنة المطبوعات واستمر على القيام بمهامها في الاشراف على مجلة المجمع ومطبوعاته حتى أقعده المرض قبل انتقاله إلى دار الخلود بأسابيع معدودات .

سيرة الفقيد بين المشرق والمغرب

إن سيرة الفقيد أرّجت أجواء المشرق العربي بعطرها الندي ، ولم أكن لأعلم أن شذى طيبها الفواح ، تجاوز المشرق العربي إلى مغربه ولا أصقاعه وفيافيه ، فضلاً عن البلاد الإسلامية النائية ، حتى رأيت إخواناً من الهند والباكستان يشيدون بفضله وعلمه وكريم خلقه ، وحتى زرت الجزائر وانتشيت بما سمعته معتزاً بدمشقيّ أصيل تعطّر ذكراه مسامع القوم ، وظننت بادىء ذي بدء أن لأرومة الفقيد أثراً فيما سمعت ثم وضح لي ما بدد ظني وجلا لي الأمر .

إن سيرة الفقيد عبقت أرجاء المغرب العربي بفضل أحد كبار رواد الاستقلال الجزائري ، العالم المجاهد والأديب الفذّ نزيل دمشق الشيخ محمد البشير الابراهيمي ، إذ كان يتغنى بترداد ذكرياته يوم نزل دمشق وعرف كرام الرجال فيها ، وكأنه لم يكتف رحمه الله بما كان يحدث الناس به ، فقد نشر في جريدة « البصائر » مقالاً أثبت فيه بعضاً من تلك الذكريات وخص فيها فقيدنا البيطار بالنصيب الأوفر من الثناء وتعداد المحامد ، ورأيت من الوفاء لمدينة دمشق وللفقيد إثبات مقالة الشيخ الإبراهيمي برمتها فيما يلي ، تجديداً لذكرى كانبها ولما تركه في نفوس الدماشقة من حب وتقدير .

قال الشيخ رحمه الله(١) : « الأستاذ الشيخ محمد بهجة البيطار علم من أعلام الاسلام ، وإمام من أئمة السلفية الحقة ، دقيق الفهم لأسرار

---

(١) نشرت في العدد ٦٤ من جريدة البصائر سنة ١٩٤٩ ، وانظر : عيون البصائر ج ٢ ص ٦٤٦

الكتاب والسنة ، واسع الاطلاع على آراء المفسرين والمحدثين ، سديد البحث في تلك الآراء ، أصولي النزعة في الموازنة والترجيح بينها ، ثم له — بعدُ — رأيه الخاص . يوافق ما يوافق عن دليل ، ويخالف ما يخالف إلى صواب ، لأنه مستكمل للأدوات المؤهلة لذلك ، ولأنه يفهم القرآن على أنه أصل ترجع إليه الآراء والمذاهب والفهوم ، وأنه كتاب الكون ودستور الانسانية ، لا كما يفهمه كثير ممن كتبوا في التفسير . فجردوا أقلامهم لتسطير أفهام غيرهم ، وجرّدوا القرآن من خصائصه العليا ، وقيدوا هدايته العامة بمذاهبهم الخاصة .

والأستاذ البيطار مجموعة فضائل ، ما شئت أن تراه في عالم مسلم من خُلق فاضل إلا رأيته فيه ، مجاوز للحدود المذهبية والإقليمية ، يزن هذه المذاهب الشائعة بآثارها في الأمة ، لا بأقدار الأئمة ، ويعطي كُلًّا ما يستحق ؛ جريء على قوله الحق في العلميات ، ولكن الجُرأة منه يُلطفها الوقار ، والوقار فيه تزينه الجرأة ، فيأتي من ذلك مزاج خلقي لطيف ، متساوي الأجزاء ، ملتحم الخلايا ، قلّ أن تجده في أحد من علمائنا المعدودين .

والأستاذ البيطار مفكر عميق التفكير ، وخصوصاً في أحـــوال المسلمين بصير بعللهم وأدوائهم ، طَب بعلاجهم ودوائهم ، يرى أن ذهاب ريحهم من ذهاب أخلاقهم ، وأن معظم بلائهم ، آت من كبرائهم وأمرائهم وعلمائهم ، وهو يعني كُبراء الدعوى ، وأمراء السوء ، وعلماء التقليد . يرجع في ذلك كله إلى استقلال في الفهم والاستدلال ، ومقارنات في التاريخ والاجتماع ، وتطبيقات مصيبة للحقائق الدينية على السنن الكونية ،

وله في الاصلاح الديني سلفٌ صدق ، حققـوه علماً ، وطبقوه عملاً .
يستمد في تحصيله وتربيته على طودَيْن شامخين من أطواد العلم والعمل :
أحدهما : **الإمام عبد الرزاق البيطار** . والثاني : **الإمام المحدث جمال الدين القاسمي** ، عنهما أخذ ، وفي كنفهما نشأ ، وعلى يدهما تخرج فجاء عـالماً من ذلك الطراز الذي تقرأه في التراجم ولا نجده فيمن تقع عليه العين من هؤلاء العلماء الذين يقرأون ويحفظون وينقلون ولكنهم لايفقهون .. هذا العديد المتشـابه الذي كأنه نُسخ من طبعة واحدة من كتاب ، لا يقـع التحريف في واحدة منها إلا وقـع في جميعها ، ولا يزيد واحدٌ منهـــم في العدد إلا كما يزيد كتاب في مكتبة ، لا كما يزيد فارس في كتيبة بآية أنهم ماكثروا في الأمة إلا قلت بهم الأمة ، ولا ثـقلوا في أنفسهم إلا خف وزنها في الأمم ، ولا تغالـوْا في التعاظم إلا كان ذلك نقصاً من معاني العظمة فيها ، وبآية أن علمهم لم يؤهلهم لقيادة الأمة ، فتركوا القيادة لغيرهم ، وأصبحوا كأدوات التصدير الـتي يسـبقها حرف الجر ، فيدخل عليها ويعمل فيها ، وبآية أن العالم في أوربا لا يعد عـالماً إلا إذا زاد في العـــلم شيئاً ، أو كشف من خفيه شيئاً ، أو جلا من غامضه شيئاً . ونفض - مع ذلك – على العلم من روح زمنه شـيئاً ، ولا عجب .. فالعلم عندهم ياقوتة في منجم ، وعندنا ... لفظة في معجم والأولى تستخرج بالبحث والإلحاح ، والثانية تستخرج بمعرفة الاصطلاح ، والأولى حظ المجتهد العامل . والثانية حظ المقلد الخامل .

بدء معرفتي به : خرجت من المدينة ــ فيمن خرج – إلى دمشق في أخريات سنةست عشرة ميلادية ، وكنت أتمنى لوأن دواعي ذلك الخروج كانت تقدمت

ببضع سنوات لأدرك الإمامين اللذين كانت لهما في نفسي مكانة . وهما : عبد الرزاق البيطار وجمال الدين القاسمي . وكنت وأنا بالمدينة – قرأت للقاسمي عدة كتب عرفت منها قيمته ومنزلته ، وقرأت عن البيطار وسمعت ما دلني عليه وأدناني منه .

وفي أول اندلاع الثورة الشريفية قدم المدينة من دمشق جندي شاب من آل المارديني ، وتعرف إلي في مكتبة شيخ الاسلام عارف حكمت ، وتردد على دروسي مرات في الحرم النبوي ، فانعقدت بيننا ألفة روحية لا تأتي بمثلها الأسباب ، وذلك الشاب شقيق الأستاذ جودت المارديني . ولاسرة المارديني بدمشق صلة متينة بأسرتي القاسمي والبيطار . فكنت أسأله عما يهمني من دمشق وأحوالها وعلمائها ، وعن القاسمي والبيطار ، كأن هاتفاً من وراء الغيب ألقى إلي أنني سأرحل إلى دمشق . فأخبرني ذلك الشاب أن الله تعالى أبقى من بيت البيطار وارثاً لعلم الإمامين ومشربهما في الاصلاح ، هو الأستاذ محمد بهجة البيطار ، وأن له من الشباب المحصل صحباً قليلاً عددهم يوافقونه على الفكرة ويلتقون معه على المبدأ ، وأنه هو إمامهم ومرجعهم ، فشوقني حديث الشاب إلى الأستاذ ، وعلمت أن الروحين تعارفتا ، فتئلفتا ، ولم يبق إلا تعرف الأجساد .

ثم رجع الشاب إلى دمشق فأخبر الأستاذ عني بمثل ما أخبرني عنه ، فتم التجاوب الروحاني بيننا ، وتنادت الروابط الفكرية إلى الاجتماع فكان .

ولما دخلت دمشق بعد ذلك بقليل ، كان أول من زارني – بعد كرام الجالية الجزائرية – من أصدقائي السوريين الذين عرفوني بالمدينة

المنورة - الأستاذ عبد القادر الخطيب المظفر ، وذلك الشاب المارديني الذي أنساني الزمان اسمه ، وإن لم ينسني ذكراه ، فكاد يطير فرحاً بقلمي ؛ وطار إلى أبناء المشرب ، كما كان يسميهم ، يؤذن فيهم ، فزاروني لأول مرة في رهط أذكر منهم شيخ الجماعة الأستاذ البيطار : والأستاذ عبد الحكيم الطرابلسي ، والأستاذ جودت الماردیني ، والأستاذان قاسم ورضا القاسميين ، والأستاذ سعيد الغزي ، والأستاذ عبد القادر المبارك وكان بيننا في لحظة مايكون بين إخوان الصفا وإخوان الصبا من تأكد المحبة ، وارتفاع الكلفة ، وسقوط التحفظ . ثم تعاقبت الاجتماعات وانتظمت ، واتسقت أسباب اللقاء ، واتسعت آفاق البحث في الأسمار ، وكثر الصحب ، وما منهم إلا السابق المبر ، والكاتب المحبر واللسن المعبر ، فكنا لانفترق من اجتماع ، إلا على موعد لاجتماع ، وكان واسطة العقد في تلك المجالس الأستاذ الجليل والأخ الوفي الشيخ الأستاذ محمد الخضر الحسين مد الله في حياته . وقد أقمت بين أولئك الصحب الكرام أربع سنين إلا قليلاً ، فأشهد صادقاً أنها هي الواحة الخضراء في حياتي المجدبة ، وأنها هي الجزء العامر ، في عمري الغامر ، وأنني كنت أقر عيناً وأسعد حالاً من ذلك الذي نزل على آل المهلب شاتياً ، فوجد الإدبار رائحـاً والإقبال آتيـاً . ولا أكذب الله ، فأنا قرير العين بأعمالي العلمية بهذا الوطن (الجزائر) ، ولكن ... من لي فيه بصدر رحب ، وصحب كأولئك الصحب ؟

إن نسيت فإن أنسى ساعات كنت قضيتها في مكتبة آل القاسمي ممتعاً عيني وذهني في مخطوطات جمال الدين ، ومسودات مباحثه في التفسير

والحديث ، وفي ذلك المخطوط الحافل الذي ما رأت عيني مثله في موضوعه وهو كتاب « بدائع الغرف » في الصنائع والحرف (١) » لجده الشيخ محمد سعيد الحلاق ، أرخ فيه لصناعات دمشق الجليلة التي أخنى الزمان على أكثرها ، وجلا فيه صفحات من مجدها الصناعي البائد .

ويا رعى الله عهد دمشق الفيحاء وجادتها الهوامع وسقت ، وأفرغت فيها ماوسقت ، وخصَّت بالمثقلات الدوالح مجامع الأحباب ، وأندية الأصحاب ، من الصالحية والجسر والنيربين المزة والربوة . فكم كانت لنا فيها من مجالس نتناقل فيها الأدب ، ونتجاذب أطراف الأحاديث العلمية . على ودٍ أصفى من : بردى يصفق بالرحيق السلسل

ووفاء أثبت من أواسي قاسيون ، وأرسى من ثهلان ذي الهضبات . لاتوَبن في مجالسنا حرمة ، ولا يكلم عرض ، ولا يقارَف مأثم . وإنما هو الأدب ، بلا جدب ، نهصر أفنانه ، والعلم ، بلا ظلم ، نطلق عنانه والفن ، بلا ضن ، نروّق دنانه ، والنادرة ، بلا بادرة ، نتلقفها . والنكتة بلا سكتة ، نتخطفها .

ويا تربة الدحداح ، بوركت من تربة ، لا يذوق الغريب فيها مرارة الغربة . ولا زلت مسقطاً لرحمات الله . إنني أودعت ثراك أعز الناس علي : أبي وابني وجديْ أولادي . فاحفظي الودائع إلى يوم تُجزى الصنائع .

---

(١) إن هذا المؤلف القيم الذي يشير إليه الكاتب صنفه ، الشيخ محمد سعيد القاسمي وأتمه من بعده ابنه الإمام جمال الدين وصهره السيد خليل العظم ، وقد صدر في دمشق عام ١٩٦٠ في جزءين بتحقيق حفيد المؤلف الأول وابن الثاني الأستاذ النقيب ظافر القاسمي باسم « قاموس الصناعات الشامية » وقدمه للقراء المستشرق لويس ماسنيون .

ويا جنات الغوطة ، وقراها المغبوطة ، لا زلت مجلى الفِطر ، والحد الفاصل بين البدو والحضر ، أشهد ما عشوت من الغروب إلى نار ، ولا عشيت منه بنور . ولأنت التي تمكنين دمشق أن تميد ، ومن فيها أن يميل تبارك من رواك بسبعة أودية ، وكساك من وشي آذار بخضر الأردية . كم فتنتُ بمناظرك الشعرية ، وأخذت بمجاليك السحرية ، وكم تزودت عيناي فيك بروضة وغدير ، وكم تمتعت أذناي من جداولك وأشجارك بحفيف وهدير .

ويا يوم الوداع ما أقساك ، وإن كنت لا أنساك . لا أنسى بعد ثلاثين سنة ولن أنسى ما حييت موقف الوداع بمحطة البرامكة والأستاذ الخضر يكفكفُ العبرات ، وتلامذتي الأوفياء : جميل صليبا ، وبديع المؤيد ، ونسيب السكري ، والأيوبي ، يقدمون إلى بخطوطهم كلمات في ورقات ، مازلت محتفظا بها احتفاظ الشحيح بماله .

عهود لم يبق إلا ذكراها في النفس ، وصداها في الجوانح ، والحنين إليها في مجامع الأهواء من الفؤاد . ولولا أن السلوّ كالزمن يتقادم ، وأن الهوى مع العقل يتصادم لقلت مع المتنبي : « أبوكم آدم (١) ا . . . » ولقد راجعتُ « مذكراتي » المنقوشة في ذاكرتي فوجدتُها حافظة لتلك العهود بأيامها ولياليها وأحاديثها ، فليت شعري أيذكر الأحياء من

---

(١) يقول المتنبي في قصيدة شعب بوان :

يقول بشعب بوان حصاني أعن هذا يسار إلى الطعان

ابوكم آدم سن المعاصي وعلمكم مفارقة الجنان

إخوان الصفا مثل ما أذكر ؟ ذلك ما تكشف عنه رسالة الأخ الأستاذ محمد بهجة البيطار التي ننشر بعضها بعد هذه الكلمات . وهي التي أثارت هذه الذكريات في نفسي فكتبتها ، ليعلم هذا الجيل الذي تقوم على تربيته أن في هذه الدنيا بقايا من الوفاء والمحبة ، تتماسك بهـــا أجزاء هذا الكون الإنساني ، وأنه لولا هذه البقايا لانحدر الانسان إلى حيوانية عارمة كالتي بدت آثارهـا في الجماعات التي جفّت نفوسها من الوفاء والمحبة ، فخلت من الإحسان والرحمة فهوت بها المطامع ، إلى ما يراه الرائي ويسمعه السامع . وإن منبت الوفاء الشرق ، وإن زارعه وساقيه والقيم عليه هو الإسلام ، وعسى أن تحمل البصائر هذه الذكريات إلى الاخوان الأصفياء في دمشق فنتنادم على البعد ، ونلتقي على الذكريات ونتناشد .

إنا على البعـــاد والتفرق لنلتقي بالذكر إن لم نلتقي

وعهداً لأولئك الإخوان أني ما جفوت وما غفوت ، وأني لم أزل - منذ افترقنا - أتسقط أخبارهم من الصحف ومن السفار ، ولولا الهزاهز والفتن ما انقطع بيننا للصلة حبل ، أ هـ . .

الفقيد يقرض الشعر

جرى الفقيد على عادة علماء السلف ، يقرض الشعر في ساعات الفراغ ، يؤرخ به لحادثة جرت ، أو يهنيء صديقاً بنعمة أو يعزيه بمصيبة ألمت به ، ويستعين بالنظم أحياناً في تلخيص علم أو تدوين قاعدة .

ترك لنا ديواناً صغيراً فيه شعر يمدح به الرسول الأعظم ﷺ ، كما يتضمن أبياتاً ومقطوعات ومساجلات كان يتعاورها مع بعض أصدقائه وزملائه المجمعيين ، أمثال الأساتذة عز الدين التنوخي ومحسن البرازي بدمشق ، وأحمد العزاوي في مكة ومحمد سعيد حسين كمال في الطائف .

رحـــلات الفقيد

قام الفقيد برحلات علمية ودراسية عديدة ، أرخ لها في نهاية كتابه « الرحلة النجدية الحجازية » وشملت رحلاته البلاد العربيـة والإسلامية والروسية والولايات المتحدة الأمريكية ، موضحاً الدافع إلى كل منهـا ، وأهم ما وقع له خلال بعضهـــا . ولعله ترك بين آثاره المخطوطة مزيداً من المعلومات .

إن رحلات العلماء والأدباء مُجْمَعٌ على فوائدها العلمية والأدبية والاجتماعية ، وأهمية رحلات الفقيد بادية في إثرائهـا العربيةَ والتاريخَ الحديث بما نشره أو دونه عنها وعن الخدمات التي أداها خلالها للعروبة والاسلام ..

ولا يفوتني التنويه بأن كتاب الفقيد عن « الرحلة النجدية الحجازية ١٣٣٨ هـ ، ١٩٢٠ م » تضمن بعض الوثائق المفيدة في التأريخ السياسي .

الفقيد والنشر بأسماء مستعارة

يلجأ كثير من العلماء والأدباء والشعراء في ظروف خاصة بهم أو لأسباب تتصل بالموضوع الذي طرقوه ، إلى نشر أبحاثهم أو مقالاتهم أو قصائدهم برموز أو بأسماء مستعارة .

والفقيد ، بما جبل عليه من صـراحة وصدق وبعد عن العنف وعن السيامة ، لم يكن بحاجة إلى إغفال توقيعه على ما كان ينشره من أبحاث دينية وعلمية وتربوية ، ومع هذا فقد تحرينا للحقيقة عن هذا الأمر فـلم نعثر إلا على عدد من مقالات التعليق على بعض الأبحاث أو التعريف ببعض الكتب ، وقد ذيلها تخفيفاً على الطابع أو القارىء بتوقيـع : م ب ب

أو : م ب ، أو : ب ب ، أو : ب ، كما عثرنا على ما يفيد بأن الفقيد نشر في شبابه بعض الردود بتوقيع الشيخ ناصر الدين الحجازي الأثري ، ومن ذلك رسالة « النفخة على النفحة » يرد بها على رسالة «النفحة الزكية» لمؤلفها الشيخ عبد القادر الاسكندراني نشرها دفاعاً عن العقيدة السلفية ، وكذلك رسالة « نظرة في النفحة الزكية في الرد على شُبه الفرقة الوهابية » نشرها ذيلاً الرسالة السابقة بتوقيع « أبو اليسار الدمشقي الميداني » .

مؤلفات الفقيد وآثاره

ترك الفقيد ، فضلاً عن المؤلفات ، بحوثاً كثيرة نشرت له في مختلف الصحف والمجلات السورية والعربية السعودية والمصرية والعراقية . طبع بعضها مستقلاً ، ومازال الكثير منها شتيتاً في باطن المجلدات ينتظر .

أما تآليفه وما طبع مستقلاً من أبحاثه فهو :

١ - كتاب « نقد عين الميزان » يقول الفقيد عنه : « ألفته أيام الطلب والتحصيل انتصاراً لأستاذنا القاسمي وأئمة الرواية في الأخذ عن كل ثقة ثبت صدوق » .

طبع في مطبعة الترقي بدمشق سنة ١٣٣١ ﻫ

٢ - رسالة « نظرة في النفحة الزكية » يصفها الفقيد قائلاً : « هي دعوة إلى مذهب السلف الصالح ونبذ المعتقدات الزائفة والآراء الفاسدة » .

طبعت في مطبعة الترقي بدمشق سنة ١٩٢٢ م

٣ - رسالة « النفخة على النفحة والمنحة » طبعت باسم مستعار مع الرسالة السابقة في الرد على رسالة « النفحة الزكية في الرد على شبه الفرقة الوهابية » .

٤ – رسالة « الثقافتان الصفراء والبيضاء » وهي عبارة عن محاضرة ألقاها الفقيد في ردهة مجمع دمشق ، وطبعت مستقلة على مطابع ابن زيدون وجددت طباعتها في كتاب « كلمات وأحاديث » سنة ١٩٧٤ م

٥ . تفسير « سورة يوسف » أكمل الفقيد التفسير الذي بدأه السيد رشيد رضا مع التقديم له . طبع في مصر وأعيد طبعه في المطبعة الهاشمية بدمشق سنة ١٩٣٩ م

٦ – كتاب « قواعد التحديث ، من فنون مصطلح الحديث لجمال الدين القاسمي » حققه الفقيد وخرج أحاديثه . طبع في دمشق سنة ١٩٢٥ م

٧ – كتاب « مسائل الإمام أحمد ، لتلميذه الإمام أبي داود السجستاني » يصفه الفقيد بقوله : « هو أقدم كتب المكتبة الظاهرية ، وقد طبع في مطبعة المنار مع تعليقات لي ، وتحقيقات للسيد صاحب المنار » .

طبع في القاهرة سنة ١٣٥٣ ﻫ وقد طبع للمرة الثانية في بيروت .

٨ – كتاب « البخلاء للجاحظ » طبعه مكتب النشر العربي بتحقيق لجنة من أعضاء مجمع دمشق اشترك الفقيد معهم بتخريج الأحاديث الواردة فيه . دمشق - ١٩٣٨ م

٩ – كتاب « المعاملات في الإسلام وتحقيق ما ورد في الربا » وقد بدأه صاحب المنار وأكمله الفقيد ووضع مقدمته .

طبعته دار المنار في القاهرة .

١٠ – كتاب « الموفي في النحو لصدر الدين الكنغراوي » شرحه الفقيد وعلق عليه وطبعه مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٥٠ م

١١ — كتاب « أسرار العربية » للأنباري حققه الفقيد وطبعه مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٥٧ م

١٢ — كتاب « حياة شيخ الإسلام ابن تيمية » طبعه المكتب الإسلامي بدمشق سنة ١٩٦١ م

١٣ — كتاب « حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر » تأليف جد الفقيد الشيخ عبد الرزاق البيطار . حققه الفقيد وعلق عليه ونشره مجمع اللغة العربية بدمشق في ثلاثة أجزاء سنة ١٩٦١-١٩٦٣ م .

١٤ — رسالة « الإسلام والصحابة الكرام بين السنة والشيعة » طبعه المكتب الإسلامي في بيروت سنة ١٩٦٦ م

١٥ — رسالة « الكوثري وتعليقاته » مقال كتبه الفقيد في بيان افتراءات زاهد الكوثري في تعليقاته على عقيدة أهل السنة . طبع مستقلاً مع ردود أخرى بمصر سنة ١٩٣٨ م

١٦ — كتاب « الرحلة النجدية الحجازية » يتضمن صوراً من حياة البادية سنة ١٣٣٨هـ (١٩٢٠ م) طبع في المطبعة الجديدة بدمشق سنة ١٩٦٧ م

١٧ — كتاب « كلمات وأحاديث » جمعها المكتب الإسلامي في بيروت وطبعها سنة ١٩٧٤ م

١٨ — بحث عن « حجة الإسلام أبي حامد الغزالي » مستخرج من كتاب الذكرى المئوية طبعه المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بمصر سنة ١٩٦٢ م .

١٩ ــ بحث « الانجيل والقرآن في كفتي الميزان » طبع في دمشق سنة ١٩٦٧ م .

٢٠ ــ بحث « الاشتقاق والتعريب » ألقاه الفقيد في مجمع دمشق ونشر في مجلته وطبع مستقلاً سنة ١٩٦١ م .

٢١ ــ بحث « علاوة ثانية في اختيارات شيخ الإسلام ابن تيمية » كان الفقيد نشره في مجلة المجمع ثم قام محمد حامد الفقي بطبعه ضمن مجموعة علمية منها أحكام الطلاق في مصر سنة ١٩٥٣ م .

ثبت بما نشر للفقيد في مجلة مجمع دمشق

عني الفقيد ، إلى جانب أبحاثه الدينية والاجتماعية ، بالتعريف بالكتب التي كانت تهدى إلى المجمع ويكلف التعريف بها ، وقد ذخرت مجلة المجمع (١) مذ استقر الفقيد بدمشق إلى قبيل وفاته بكثير من ذلك إضـــافة إلى الموضوعات العلمية والتاريخية التي كان يطرقها ، وفيما يلي ثبت بجميع ما نشره في مجلة المجمع العلمي العربي « مجمع اللغة العربية بدمشق » (٢) :

(١) من المجلات العربية التي نشرت للفقيد مجلة العـالم الاسلامي في بغداد ، وقد نشرت في مجلدها الأول الصادر سنه ١٣٥٧ هـ أبحاثاً بعنوان : الأخلاق الفاضلة ، واليهود في التوراة والقرآن ، وبين ابن تيمية وابن بطوطة .

ومنها مجلة التمدن الإسلامي بدمشق ، وقد نشرت في مجلدها الثالث الصادر سنة ١٣٥٦ هـ بحثاً بعنوان : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وفي مجلدها السـابع عشر أبحاثاً بعنوان : السلام في الإســـلام ، وحقيقة التقوى ، ووصف لأصول الفقه في الإسلام .

(٢) إن الرقم بين قوسين يلي عنوان البحث يدل على عدد صفحاته ، والموضوع الذي لايليه رقم دلالة على أنه لايتجاوز الصفحة الواحدة .

السنة	المجلد والصفحة	الموضـــوع
١٩٣٣	١٨٨/١٣	رسالة « الدر الثمين » لأحمد الغساطوي .
	١٨٩/١٣	كتاب « عبدة الشيطان في العراق » لعبدالرزاق الحسني .
	٢٥٥/١٣	كتاب « منتهى آمال الخطباء » لمصطفى أبو سيف .
١٩٣٥[1]	٢٨٥/١٣	محاضرات في التربية والتعليم لواصف البارودي (٢).
	٣٤٨/١٣	كتاب « حقوق النساء في الاسلام » لمحمد رشيد رضا (٢).
	٥٠٢/١٣	كتاب « قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث» لجمال الدين القاسمي (٣) .
١٩٣٦	١٥٨/١٤	نقد كتاب « حياة محمد هيكل » لعبد الله القصيمي .
	٣٠٩/١٤	كتاب « التعليق الصبيح على مشكاة المصابيح » محمد إدريس الكاندهلوي (٣) .
	٣٩٠/١٤	كتاب « علوم الحديث لابن الصلاح وشرحه للحافظ العراقي » لمحمد راغب الطباخ .
١٩٣٧	٢٤١/١٥	كتاب « معالم السنن للخطابي البستي في شرح سنن أبي داود » لمحمد راغب الطباخ (٣) .

---

(١) إن المجلد الثالث عشر ابتدىء إصداره سنة ١٩٣٣ ثم توقفت المجلة ولم يستأنف إصدارها إلا سنة ١٩٣٥

السنة	المجلد والصفحة	الموضـــوع
	٣٦٠/١٥	وفاة السيد محمد رشيد رضا ـ ١ ـ (١٠)
	٣٩٦/١٥	تعقيب على محاضرة الأمير شكيب أرسلان (٢)
	٤٧٤/١٥	وفاة السيد محمد رشيد رضا ـ ٢ ـ (٧)
١٩٤١	١٢٩/١٦	كتاب « الإجابة لايراد ما استدركته عائشة على الصحابة للزركشي ، تحقيق سعيد الأفغاني (٣)
	٣٧٧/١٦	كتاب « محمد رسول الله ﷺ لمحمد رضا » (٣).
١٩٤٢	٢٩/١٧	« المرأة في عهد النبوة وفي عصرنا الحاضر » ـ محاضرة ـ (١٩)
	٩٤/١٧	كتاب « ابن حزم الأندلسي ورسالته في المفاضلة بين الصحابة » لسعيد الأفغاني (٢).
	٣٧٩/١٧	بين ابن تيمية وابن بطوطة أيضاً تعليق على ما كتبه الطباخ (٣).
١٩٤٣	٨١/١٨	مصنفات محمد الخضر حسين (٤).
١٩٤٤	٨٠/١٩	كتاب « المقنع في معرفة رسوم مصاحف أهل الأمصار مع كتاب النقط » للإمام الداني ـ تحقيق محمد أحمد دهمان .
	٢٧٤/١٩	اعلام شرعي أصدره القاضي الاهدلي في الرد على الكافي بتحريم طبع مصحف الحافظ عثمان (٢).
١٩٤٥	٥٦٢/٢٠	تفسير الإمام القرطبي « الجامع لأحكام القرآن » تصحيح البيلاوي (٤).

السنة	المجلد والصفحة	الموضوع
١٩٤٦	٦٧/٢١	كتاب « نظرات في الصيام » لشوكة موفق الشطي (٢).
	٤٤٦/٢١	كتاب « ضوء في تاريخ التوحيد » لأحمد صبري شويمان (٣).
١٩٤٨	٢٧٧/٢٣	كتاب « الخلافة » لتوماس آرنولد ترجمة جميل معلى (٧).
	٤٤٦/٢٣	كتاب « الرسالة العلمية في الشفعة » لخليل جريج (٤).
١٩٤٩	٥٩/٢٤	المدرسون تحت قبة النسر في جامع بني أمية (عن كتاب حلية البشر) — ١ - (١٤).
	١١٨/٢٤	كتاب « النظرية العامة للموجبات والعقود في الشريعة الإسلامية » لصبحي المحمصاني (٧).
	١٢٥/٢٤	كتاب « الدرر المباحة في الحظر والإباحة » للشيباني الشهير بالنحلاوي (٢).
	٢٢٢/٢٤	المدرسون تحت قبة النسر في جامع بني أمية — ٢ — (١٢).
	٤١٧/٢٤	تحقيق وتعليق على كتاب « الموفي في النحو الكوفي لصدر الدين الكنغراوي » - ١ - (١٤).
	٤٥١/٢٤	كتاب « نظرة عامة في فكرة الحق والالتزام ونظريتي الأموال والأشخاص في الفقه الإسلامي » لمصطفى الزرقا (٤).

السنة	المجلد والصفحة	الموضوع
	٥٦٠/٢٤	تعليق على كتاب «الموفي في النحو الكوفي للكنغراوي» — ٢ — (٢٣).
	٦٠١/٢٤	كتاب « نظرية الإسلام السياسية للمودودي » (٢)
	٦٠٣/٢٤	كتاب « منهاج الانقلاب الإسلامي للمودودي » (٢)
	٦٠٤/٢٤	كتاب « الدين القيم للمودودي » (٢)
	٦٠٦/٢٤	« دعوة المجد » شعر أحمد مظهر العظمة (٢)
١٩٥٠	١٤٢/٢٥	كتاب « المذكرات لمحمد كرد علي » (٥)
	٢٢٣/٢٥	تعليق على كتاب « الموفي في النحو الكوفي للكنغراوي» — ٣ (٢٤)
	٣٩٩/٢٥	تعليق على كتاب « الموفي في النحو الكوفي للكنغراوي » — ٤ — (١٦)
	٥١١/٢٥	تعليق على كتاب «الموفي في النحو الكوفي للكنغراوي» — ٥ - (٢٤)
	٥٨٩/٢٥	تفسير « جزء تبارك » لعبد القادر المغربي (٦)
	٥٩٥/٢٥	كتاب « على هامش التفسير » لعبد القادر المغربي(٢)
١٩٥١	٨٥/٢٦	تعليق على كتاب« الموفي في النحو الكوفي للكنغراوي » — ٦ — (١٦)
	١٩٩/٢٦	تعليق على كتاب « الموفي في النحو الكوفي للكنغراوي» — ٧ — (٢٤)

السنة	المجلد والصفحة	الموضوع
	٤٠٧/٢٦	تعليق على كتاب « المؤفي في النحو الكوفي للكنغراوي » — ٨ — (١٦)
	٥٧٧/٢٦	تعليق على كتاب « الموفي في النحو الكوفي للكنغراوي » — ٩ (١٣)
١٩٥٢	١٢٣/٢٧	كتاب « تهذيب الإيضاح للقزويني » شرح عز الدين التنوخي (٩)
	١٧٥/٢٧	شيخ الإسلام ابن تيمية ـ محاضرة - ١ — (٢٣)
	٢٩٣/٣٧	كتاب « نظام الحياة في الإسلام للمودودي » (٢)
	٢٩٥/٢٧	كتاب « الجهاد في سبيل »
	٢٩٦/٢٧	الجماعة الإسلامية في باكستان
	٢٩٧/٢٧	كتاب « نقض المنطق لابن تيمية » تحقيق محمد حمزة (١٠)
	٤٠٨/٢٧	شيخ الاسلام ابن تيمية — ٢ — (١٠)
	٤٥٣/٢٧	كتاب « الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب البغدادي » تحقيق لاووست وسامي الدهان (٦)
	٥٥٩/٢٧	شيخ الاسلام ابن تيمية ـ ٣ ـ (١٢)
	٦٠٦/٢٧	كتاب « بصائر جغرافية » لرشيد العابري (٥)
	٦١٠/٢٧	كتاب « من هدي القرآن » لمحمد نمر الخطيب .
	٦٢٣/٢٧	حول كتاب « الموفي في النحو الكوفي » تعليق على نقد عبد الخالق عضيمة (٤)

السنة	المجلد والصفحة	الموضـــوع
١٩٥٣	٢٨/١١٧	شيخ الإســلام ابن تيمية — ٤ — علاوة ثالثة (٩) .
	٢٨/٣٢٥	استدراك آخر على مقال محمد زكي عبد القادر (٣).
	٢٨/٤٠٣	شيخ الإسلام ابن تيمية - ٥ - (١٧) .
	٢٨/٤٧٣	كتاب « التبشير والاستعمار في البلاد العربية » لمصطفى الخالدي وعمر فروخ (٤).
	٢٨/٤٧٧	كتاب « الأسرة في الشرع الإسلامي » لعمر فروخ (٣) .
	٢٨/٦٠٨	كتاب « الوحدة الإسلامية بين الأخذ والرد » لمحمود الملاح .
	٢٨/٦٠٩	كتاب « الزرية في القصيدة الأزرية » لمحمود الملاح (٢)
١٩٥٤	٢٩/١٢٩	كتابا « أوائل المقالات في المذاهب والمختـارات » و « شرح عقائد الصدوق » لابن النعمان (٤)
	٢٩/١٣٣	كتاب « آيات الخالق الكونية والنفسية » لرشيد العابري
	٢٩/٢٧٧	معجم « ألفـــاظ القرآن الكريم » لمجمـع اللغة العربية بالقاهرة (٢) .
	٢٩/٢٧٩	« تفسير القرآن الكريم » لمحمود حمزة وحسن علوان ومحمد برانق (٢)

السنة	المجلد والصفحة	الموضوع
	٤٣٧/٢٩	« رسالة المدى » أرجوزة محمد سعيد صفر ومقال في حكم قتال الكفار لابن القيم .
	٤٣٨/٢٩	تفسير جزء (قد سمع) لمحمود حمزة وحسن علوان ومحمد براتق .
	٦٠٤/٢٩	كتاب « سيرة الرسول » لمحمد عزة دروزة (٥)
١٩٥٥	١٢٤/٣٠	كتاب « مذكرات سائح في الشرق العربي » لأبي الحسن الندوي (٦)
	١٥٢/٣٠	رسائل : « رأس الحسين » لابن تيمية ، « محنة شيخ الإسلام ابن تيمية » بقلمه ، « أحكام الطلاق » لابن عبد الهادي « في اختيارات ابن تيمية » لمحمد بهجة البيطار ، نشر محمد عبد الرزاق حمزة (٤)
	١٥٦/٣٠	كتاب « طليعة التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل » لعبد الرحمن المعلى .
	٣١٤/٣٠	« القرآن الكريم » تفسير محمد عزة دروزة (٤)
	٤٨٠/٣٠	كتاب « فقه الإسلام » لحسن أحمد الخطيب (٥)
	٥٦٠/٣٠	« في إعجاز القرآن » مقدمة لكتاب نعيم الحمصي (١٢)
	٦٣٦/٣٠	كتاب « مجموعة تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية » نشر عبد الصمد شرف الدين (٢)
	٦٣٨/٣٠	كتاب « التفسير القيم لابن القيم » (٣)
١٩٥٥	٦٤٠/٣٠	كتاب « دلائل النبوة للأصبهاني » (٢)

السنة	المجلد والصفحة	الموضــوع
	٣٠/٦٤٢	رسالة « في الهداية والضلالة » للصاحب بن عباد (٢)
	٣٠/٦٤٤	كتاب « المبادىء الشرعية في الحجر والنفقات والمواريث والوصية في المذهب الحنفي والتشريع اللبناني » لصبحي المحمصاني (٢)
	٣٠/٦٤٦	كتاب « مصادر التشريع الإسلامي فيما لا نص عليه » محاضرات لعبد الوهاب خلاف (٣)
	٣٠/٦٤٨	كتاب « محاضرات في الميراث عند الجعفرية » لمحمد أبو زهرة (٣)
	٣٠/٦٥١	كتاب « محاضرات في الفقه الاسلامي » لمحمد يوسف موسى (٣)
١٩٥٦	٤١/٩٠	بين ابن المطهر الحلي وابن تيمية - ١ - (١٦)
	٣١/١٢٢	كتاب « تلخيص البيان في مجازات القرآن » للشريف الرضي (٢)
	٣١/١٣٠	كتاب « تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي ، وتحذير العباد من أهل العناد » لبرهان الدين البقاعي تحقيق عبد الرحمن الوكيل (٦)
	٣١/٢٥٣	بين ابن المطهر الحلي وابن تيمية - ٢ - (١٨)
	٣١/٣٠٤	كتاب « نوابغ المغرب العربي » لحسن حسني عبد الوهاب (٢)

السنة	المجلد والصفحة	الموضـــوع
	٣٠٦/٣١	كتاب « مصادر الحق في الفقه الإسلامي » للسنهوري
	٣٠٧/٣١	كتاب « الإمام الملك عبد العزيز » لعبد الحميد الخطيب (٣)
	٣١٠/٣١	كتاب « أبحاث علمية إسلامية وفتاوى في مسائل حديثة شرعية » لعبد الله القلقيلي (٢)
	٦٥٤/٣١	كتاب « مستقبلك في يدك متى عرفت ربك » لعبد الحميد الخطيب (٤)
	٦٥٨/٢١	كتاب « من شيم العرب » لفهد المالك (٣)
	٦٦٠/٣١	رسالة « المثل العليا في الإسلام لافي بحمدون » لكاشف الغطاء في الرد على جمعية أصدقاء الشرق الأوسط (٤)
	٦٦٣/٣١	رسالة « الصلاة » لمحمد عبد الرزاق حمزة (٣)
	٦٦٦/٣١	رسالة « إلى الحياة » لحمدي عبيد .
١٩٥٧	٣٦٧/٣٢	كتاب « عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير » تحقيق أحمد شاكر (٣)
	٣٧٠/٣٢	رسالة « القرآن والترجمة » لعبد الرحيم محمد علي النجفي (٣)
	٣٧٢/٣٢	رسالة « جوهر الدين ومنظومة إلى عموم المسلمين » لعبد الحميد الخطيب (٢)

السنة	المجلد والصفحة	الموضـــوع
	٤٩٢/٣٢	العقل والنقل عند الامام ابن تيمية - ١ (٥)
	٥٢٨/٣٢	كتاب « الدستور القرآني في شؤون الحياة » لمحمد عزة دروزة (٥)
١٩٥٨	٥٦/٣٣	العقل والنقل عند الامام ابن تيمية ٢ - (٢٤)
	٤٨٤/٣٣	كتاب « الطريق إلى مكة » لمحمد أسد نقله عفيف البعلبكي (٤)
	٦٥٧/٣٣	تفسير « محاسن التأويل » لجمال الدين القاسمي (٥)
١٩٥٩	١٣٣/٣٤	كتاب « الثقافة الإسلامية في الهند » لعبد الحي الحسني (٥)
	١٣٨/٣٤	« ديوان موسى الطالقـــاني » تحقيق محمد حسن الطالقاني (٧)
	٣٤٩/٣٤	كتاب « الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة » لابن بطة العكبري ، تحقيق هنري لاوست (٣)
	٣٥١/٣٤	كتاب « الأئمة الاثنا عشر » لابن طولون ، تحقيق صلاح الدين المنجد (٢)
	٣٥٣/٣٤	« تفسير القرآن الكريم » للطاهر بن عاشور (٥)
	٣٧١/٣٤	علاوة خامسة في فوائد تاريخية وعلمية من حياة ابن تيمية (٥)
	٣٨٣/٣٤	تعليق على مقال عضيمة في أسرار العربية للأنباري .

السنة	المجلد والصفحة	الموضـــوع
	٥٠٨/٣٤	كتاب « وجوب التعاون بين المسلمين وموضوع الجهاد الديني وبيان كليات من براهين الدين » لعبد الرحمن آل سعدي .
	٥٠٩/٣٤	كتاب « توضيح الكافية الشافية » و« الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية » لعبد الرحمن آل سعدي (٣)
	٥١٢/٣٤	كتابا « البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار » لابن المرتضى و « جواهر الأخبار والآثار المستخرجة من لجة البحر الزخار » للصعيدي (٤)
	٥١٥/٣٤	كتاب « فتح الغفار المشتمل على أحكام سنة نبينا المختار » للرباعي اليمني (٣)
	٦٦٣/٣٤	كتاب « الإمام محمد بن عبد الوهاب » لأحمد عبد الغفور عطار (٥)
	٦٦٨/٣٤	كتاب «الشيوعية والإسلام » لعباس محمود العقاد وأحمد عبد الغفور عطار (٢)
١٩٦٠	١٣٧/٣٥	كتاب « المبادىء الشرعية والثانوية في الحجر والنفقات والمواريث والوصية في المذهب الحنفي والتشريع اللبناني» لصبحي المحمصاني طبعة جديدة (٢)
	٣١٩/٣٥	كتاب « الحوادث والبدع » للطرطوشي تحقيق الطالبي .

السنة	المجلد والصفحة	الموضوع
	٣٥/١٤٠	خطب حمدي عبيد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٢)
	٣٥/٢٩٨	كتاب « أضواء وأنوار » لعبد الرحمن الكيالي .
	٣٥/٦٨١	كتاب « الإسلام » لألفريد غيوم ،ترجمة مصطفى هدارة وشوقي اليافي (٦)
١٩٦١	٣٦/٤٨٤	كتاب « مباحث في علوم القرآن » لصبحي الصالح .
	٣٦/٤٨٥	كتاب « علوم الحديث ومصطلحه » لصبحي الصالح (٢)
١٩٦٢	٣٧/٤٧٦	كتاب « مقدمة في إحياء علوم الشريعة لصبحي المحمصاني (٤)
	٣٧/٤٧٩	كتاب « الاقتصاد في الاعتقاد » للغزالي تحقيق إبراهيم آكاه جوبوقجي وحسين آتاي (٢)
	٣٧/٥١٢	حول ما كتبه عبد الرحمن الكيالي عن كتاب « حياة شيخ الاسلام ابن تيمية »(٥)
	٣٧/٤٦٤	كتاب « الفرق المفترقة بين أهل الزيغ والزندقة »لابن الحسن العراقي تحقيق ميشار قوتلو آي (٢)
	٣٧/٦٦٦	التفسير الحديث « السور المرتبة حسب النزول » لمحمد عزة دروزه (٣)
١٩٦٣	٣٨/٢٣٨	كتاب« حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر» البيطار (٦)

السنة	المجلد والصفحة	الموضـــوع
١٩٦٤	٣٩/٦٥٢	كتاب « مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين » للإمام الأشعري تحقيق ريتر (٢)
	٣٩/٦٥٤	كتاب « فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد للإمام البخاري » تأليف فضل الله الجيلاني (٢)
	٣٩/٦٥٦	« تفسير غريب القرآن الكريم » اختيار حمدي عبيد .
	٣٩/٦٥٧	كتاب « تفسير النصوص في الفقه الاسلامي » لمحمد أديب صالح (٢)
	٣٩/٦٥٩	كتاب «تخريج الفروع على الأصول » الزنجاني . تحقيق محمد أديب صالح (٢)
١٩٦٥	٤٠/٣٣١	كتاب « مكتب عنبر » لظافر القاسمي (٣)
	٤٠/٨٨١	كتاب « تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف » للإمام المزي ومعه « النكت الظراف على الأطراف »تعليقات الحافظ العسقلاني (٣)
١٩٦٦	٤١/١٦٨	كتاب « الكاظمي في ذكراه الثلاثين » لعبد الرحيم محمد علي (٣)
	٤١/١٧٠	كتاب « سنن الترمذي » (٢)
	٤١/٣٥٢	رسائل « الإيمان » لابن أبي شيبة ، و« الإيمان » لابن سلام ، و« العلم » لأبي خيثمة ، و« اقتضاء العلم » للخطيب البغدادي تحقيق محمد ناصر الدين الألباني (٧)

السنة	المجلد والصفحة	الموضـــوع
	٣٧١/٤١	الشيخ محمد البشير الإبراهيمي (٣)
	٥١٠/٤١	كتاب « المعتمد في اصول الفقه » لابن الطيب البصري تحقيق محمد حميد الله (٧)
	٥١٧/٤١	« تفسير القرآن الكريم » لابن مسروق الثوري (٤)
	٥٢١/٤١	كتاب « النسائيات من الأحاديث النبوية الشريفة » لمحمد صالح فرفور (٣)
	٧١٢/٤١	كتاب « الشهداء الحميريون العرب في الوثائق السريانية » لاغناطيوس يعقوب الثالث (٢)
١٩٦٧	٥٩/٤٢	كتاب « جمال الدين القاسمي وعصره » لظافر القاسمي (١٦)
	٥٧٤/٤٢	كتاب « التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل » للمعلمي العتمي (٦)
	٥٨١/٤٢	كتاب « تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف » للمزي مع « النكت الظراف على الأطراف » لابن حجر العسقلاني (٤)
	٥٨٥/٤٢	كتاب « من تاريخ سورية » لحسن الحكيم (٤)
١٩٦٨	١٨٦/٤٣	بيان عن « مقام إبراهيم عليه السلام » من رابطة العالم الإسلامي (٢)

السنة	المجلد والصفحة	الموضوع
	٤٣٩/٤٣	كتاب « دعائم الاسلام وذكر الحلال والحرام والقضاء في الأحكام » للقاضي أبي حنيفة النعمان . تحقيق آصف أصفر فيضي (٥)
	٤٧٥/٤٣	تصحيح خبر عن ابن تيمية نقله الدجيلي في أعلام العرب في العلوم والفنون (٢)
	٨٦٤/٤٣	كتاب « الديانة » لعبد الغني حمّادة .
	٨٦٥/٤٣	رسالة « صحّح صلاتك » لعبد الغني حمادة .
	٨٦٦/٤٣	كتاب « القضاء والقدر » لعبد الغني حمادة (٢)
	٨٦٨/٤٣	كتاب « أبوبكر الصديق رضي الله عنه » لعبد الغني حمّادة (٣)
	٨٧٠/٤٣	كتاب «المختار من أحاديث سيد الأبرار» لجواد المرابط (٣)
١٩٦٩	٧٤/٤٤	« مجلة المجمع العلمي العربي » بمناسبة بلوغ المجمع ٥٠ عاماً (١٧)
١٩٧٠	١٦٦/٤٥	كتاب « النبوة ـ إصلاح تقتضيه رحمة الله » لسعدي ياسين (٢)
	٣٧٦/٤٥	كتاب « اللآلىء المنثورة في الأقوال المأثورة » نقلها عن السريانية البطريرك يعقوب الثالث (٢)
	٣٧٧/٤٥	كتاب «الفوائد المهمة في حكمة التشريع وفضل القرآن العظيم » لوحيد الجباوي (٤)

السنة	المجلد والصفحة	الموضـــوع
	٤٥/٦٥٧	كتاب « شخصية المسلم كما يصورها القرآن » لمصطفى عبد الواحد (٤)
	٤٥/٦٦١	كتاب « لماذا أسلمنا » لنخبة من رجال الفكر ترجمة مصطفى جبر (٤)
	٤٥/٦٦٥	كتاب « شيخ الباحثين آغا بزرك » لعبد الرحيم محمد علي (٣)
	٤٥/٨٥٢	كتاب « فتاوى الإمام محمد رشيد رضا » تحقيق صلاح الدين المنجد (٤)
	٤٥/٨٥٥	كتاب «ولاية الله والطريق إليها» دراسة وتحقيق لكتاب « قطر الولي على حديث الولي » للإمام الشوكاني« لابراهيم إبراهيم هلال (٤)
١٩٧١	٤٦/١٤٠	كتاب « الأسماء الحسنى » لمحمد درويش (٧)
	٤٦/١٤٦	كتاب« قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة » لابن تيمية(٤)
	٤٦/٣٨٤	كتاب « العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين » لمحمد الحسني المكي (١٣)
	٤٦/٣٩٧	كتاب « العذب الفائض شرح عمـــدة الفارض » لابراهيم الفرضي على « ألفية الفرائض » لصالح الأزهري الحنبلي » (٤)
	٤٦/٧٦٨	كتاب « خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب » لابن شعيب النسائي تحقيق محمد هادي الأميني (٥)

السنة	المجلد والصفحة	الموضـــوع
١٩٧٢	٣٩٤/٤٧	كتاب « نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر » لعبد الحي الحسني (٤)
	٥٠٣/٤٧	الفقيد الشيخ محمد نصيف .
	٦٦١/٤٧	كتاب « الإيضاح في تاريخ الحديث وعلم الاصطلاح » لسعدي ياسين (٤)
	٨٦٧/٤٧	كتاب « الرد الشافي الوافر على من نفى أميّة سيد الأوائل والأواخر » لأحمد بن حجر آل علي (٣) .
١٩٧٣	٦٧١/٤٨	كتاب « الإمام الشافعي فقيه السنة الأكبر » لعبد الغني الدقر (٣)

دمشق تشيع فقيدها

ما كاد مجمع دمشق ينعى الفقيد الكبير حتى اهتزت دمشق لهذا النبأ الفاجع ، وحمل البرق النعي إلى سائر أقطار العالم العربي ، واسرعت الرابطة الإسلامية في مكة المكرمة إلى نعي الفقيد إلى مختلف البلاد الإسلامية .

وزحفت دمشق إلى حيّ الميدان تشيع بالدموع والزفرات جثمان الفقيد إلى مثواه الأخير ، ووقف العلماء والأدباء على قبره يعددون مآثره وما تمثل فيه من أخلاق السلف الصالح . ثم وري الجثمان في مقبرة « باب مصر » إلى جوار الطاهرين من أفراد أسرته الكريمة .

رجع الصدى

حملت أسلاك البرق كما حملت البرد من شرق العالم الإسلامي إلى مغرب العالم العربي ، رجع الصدى عبرات منهوة ودموعاً سخية ، وتبادلت الهيئات والمؤسسات التي فجعها النبأ التعازي بالفقيد الكبير راجية له جنان الخلد مع النبين والصديقين وللعربية والمسلمين خير العوض .

وكتب إليّ علامة العراق شاعر العربية الكبير محمد بهجة الاثري يقول : « . . وقد هالني النبأ فذهبت من فوري أرثي الصديق العزيز وأبكيه ، لما تعلم من قدم مودتنا وصفائها طوال ٥٤ عاماً . . . » وبعث بقصيدة من رائع الشعر الذي يزين ديوان العرب ، تحمل الحبّ كلّ الحب ، والصدق كلّ الصدق ، والوفاء كلّ الوفاء ، اثبتها فيما يلي .
قال حفظه الله :

صلى على أثوابه الطُّهْرُ

واصلتِ ثُمَّ هجرتِ ، والهجرُ ... يا نفسُ – مسٌّ مَذاقه مُرُّ

ما أنتِ ؟ غايةُ علمنا نَفسٌ : ... إن بانَ ، يَفنَ بِبَيْنِهِ العمرُ

عجلى ، مفارِقةٌ بلا سببِ ، ... مستوفزٌ برحالك الظَّهرُ

عَجِلتْ بك الأيامُ أو أنيتتْ ، ... فكما يبين ويختفي الفجرُ

طيفٌ . . يُلِمُّ بنائم سَرِعاً ، ... ويغيب . . لا أثرٌ ، ولا ذِكرُ

قد جاء من غيب ، وخَفَّ إلى ... غيب . فما المغزَى ؟ وما السِّرُّ ؟

يا عقلُ ! لا تتكلَّفنْ عنتاً ، ... ما كلُّ غامضةٍ لها سَبْرُ

محجوبةٌ عن كلِّ باصرةٍ ، سِترٌ عليها . . دُونهُ سِترُ
جلَّتْ ودقَّتْ ، ليس يكشفها فكرٌ يقصِّرُ مدَّهُ الجزْرُ
ما ثَمَّ من عبَثٍ ، ومحنتُنا في الفكر ، إذْ يتطاولُ الفِكرُ

* * *

أ(دِمشقُ) إما نبأٌ لذعتْ به سمعي ، كأنَّ حروفَه جمرُ ؟
أذكى حشايَ ، ولجَّ في كبدي وقْداً ، وضجَّ بناره الصَّدرُ
إنَّ الذي تَنْعين خاشعةً علمُ الهدى والمصلحُ الحَبْرُ
غالٍ على المُهجاتِ ، حاليةٌ بجهاده الآثارُ والعصرُ
فذٌّ ، عزيزُ المِثل ، جوهرةٌ زاكٍ كأنفاس الشَّذا بَرُّ
متفرِّدٌ بخلائقٍ غُرَرٍ بجمالها يتفاخرُ الفخرُ
في كل صالحة . . له خبرٌ ، ولكل محمدةٍ . له صورٌ ،
تتبارك الحُسنى بخُلْقِه يُمناً ، وخُلَّتُهُ لها ذُخرُ
ولقد بلوتُ خِلالَه زمناً وصهرتُها ، فإذا هي التِّبرُ
أربتْ على الحُسنى الحسانُ يغلو ويطفحُ فوقها البِشرُ
يغلو وفاءٌ كلَّما قدُمتْ أيامُنا ، وكذلك الحُرُّ
صافٍ كماء المُزْنِ . ظاهرُه كضميره ، وكسيرِه الجهرُ
بشرٌ . . ولكن في هُدَى مَلَكٍ ، صلى على أثوابه الطُّهرُ
يا حزنَ نفسي ! سوف تصحبني حتى يواريَ جسمي القبرُ

* * *

هو (بهجةُ) الإسلام : غُرَّتُهُ ، و (جماله) و (مناره) البدرُ(١)
عَلَمٌ .. على الذّروات رفَّ ، كما رَفَّ السَّنا ، وتلامَحَ النُّوْرُ
العِلمُ ، ملءَ جَنانه ، دُفَقٌ والعقـــل خلف لسانِه وَقْرُ
تتألق (الفصحى) على فَمِهِ زهـــواً كما يتألـــق الدُّرُّ
كرُمت عليه كدينهِ ، فغدا وله على حُرُماتِهـــا خَفَرُ
ركنانِ .. قـــام عليها فسما صَرحُ العُلى ، وتعزّزَ النّصر
والدِّينُ (دينُ الله) عِصمتُهُ ، ومَسارُهُ الإصـــلاحُ والبِرُّ
عـالٍ على الأهواء ، مُتَّشِحٌ بحِجاً .. له في لحـــه غَوْرُ
مصباحُه (الفُرقانُ) .. يَتْبعُه أنّى أشـــارت آيُهُ الزُّهْرُ
ينحو ويسلُكُ مـــا تفهّمـــه منه النّبيُّ وصحبُـــه الغُرُّ
ويقيم من مالُـــوا به جنفـــاً حتّى يثوبُ إلى الهدى الصّعْرُ
كم نَزّه (الإسلامَ) من بِدَعٍ قد باضهـــا الشّيطانُ والكفرُ
مقبوحةٍ شوهاء . . شاه بهـــا وجهُ الهدى ، وتلوّثَ الطُّهْرُ
كان الحكيمَ الطّبَّ .. بَلْسَمُهُ رِفقٌ الحديث وفقهُـه البحرُ
يمشي إلى إصـــلاحه أَلِقـــاً ، وبيانُه غَضٌّ الجنى نَضْـــرُ
أدبُ (النّبُوّة) مـا تخلّلهُ ، والحكمةُ الزّهراءُ ، واليُسرُ
بلغَ المدى ، واليُسرُ يُبْلِغُ ما يعيا ببعضِ طِلابه العُسرُ

* * *

(١) إشارة إلى مصدري علم الفقيد ومنهجه الاصلاحي ، العالمين المجددين : شيخه جمال الدين القاسمي ، والسيد محمد رشيد رضا صاحب « المنار » الأنوار .

أبقيّةَ السّلفِ الكرام زهت بجلالك الحُرُماتُ و (الذِّكَرُ)
(بَرَدَى) إلى اللّقيا به ظمأٌ ، و (دِمَشْقُ) في أحشائها حرّ
بل (عـالَمُ الإسلام) قاطبةً قطّانُه البـادُونَ والحضَرُ
لهفـاً إلى وجه . . تهلَّلَ في أسراره الإخـلاصُ والخيرُ
نَظراتُـه لطفٌ ، وبسمتُه رُحمى ، وعذبُ حديثه نَشَرُ
خلعَ الحيـاءُ عليـه بهجتَه ، وله جلالُ السِّنّ والقـدْرُ

* * *

هذا الوَداعُ . . أثَمَّ من أمل للقائنـا ؟ أم يومُه الحشرُ ؟
صلى عليك المسكُ والنَّشْـرُ وهفـا عليك النَّوْرُ والزَّهَرُ
وملائكُ (الرَّحمن) قـانتةٌ تسبيحُهـا وصلاتُهـا عِطرُ

* * *

إرحمْ أسىً .. مِيشَتْ به كبِدي ، أتُراهُ .. يحمِلُ بثَّهُ الشِّعر ؟
قِطَـعٌ مُمزّقة ، توَزّعهـا نثراً ، كأنْ لُهابها قِطرُ
عذراً إليك ، فقد وَهى جلدي وخبتْ قوايَ وخانني الصَّبرُ
ما بعـدَ روحيَ ما أذَوّبـه ، يا ليت شعري . هل وَفى العُذر ؟

* * *

مصادر ترجمت للفقيد

سيرة الفقيد العطرة مشهورة بأريجها الفواح ، أما ترجمته فقد وردت في مصادر عديدة أهمها :

١ – ترجمة كتبها بخط يده محفوظة في ملفه المجمعي ، وهي مؤرخة في سنة ١٣٨٣ هـ ، ١٩٦٣ م .

٢ – سيرة ذاتية نشرها في كتابه « الرحلة النجدية الحجازية » المطبوع بدمشق سنة ١٣٨٧ هـ ، ١٩٦٧ م .

٣ – « من هو » في سورية - إصدار الوكالة العربية للنشر والدعاية لجورج فارس . طبع دمشق سنة ١٩٤٩ م .

٤ – « عالمنا العربي » لنعمة زيدان - الحلقة الأولى طبع بيروت سنة ١٩٥٦ م .

٥ – « من هم » في العالم العربي – إصدار مكتب الدراسات السورية والعربية لجورج فارس – الجزء الأول طبع في دمشق سنة ١٩٥٧م .

٦ – « أعلام الفن والأدب » لأدهم الجندي - الجزء الثاني طبع في دمشق سنة ١٩٥٨ م .

٧ – « معالم وأعلام » في بلاد العرب لأحمد قدامة - الجزء الأول طبع بدمشق سنة ١٩٦٥ م .

٨ – « عيون البصائر » لمحمد البشير الابراهيمي . الجزء الثاني طبع في بيروت سنة ١٩٧١ م .

٩ – « المجمعيون » لعدنان الخطيب - الجزء الثاني (مخطوط) .

دمشق في ١٠/٦/١٣٩٦ عدنان الخطيب

ملامح من تطور المغرب العربي

في بدايات العصور الحديثة (*)

الأستاذ محمد المنـــوني

ظهرت بوادر التحرك الأجنبي نحو المغرب الكبير ، مع مطالـع المائة الهجرية التاسعة ، أو عند بداية القرن الميلادي الخامس عشر ، وسنتبين أن إسبانيا قامت في التاريخ ذاته بنسف مدينة تطوان ، ليأتي بعدها دور الاعتداء البرتغالي على سبتة عام ٨١٨ هـ / ١٤١٥ م .

وهذا التاريخ يكون — على العموم — هو منطلق الفترة المعنية بالدراسة التي نعرضها ، حتى تنتهي بعد حدث الجلاء الأندلسي الأخير عام ١٠١٨ هـ / ١٦٠٩ م .

(*) أعد برسم المؤتمر الأول لتاريخ المغرب وحضارته ، المنعقد بتونس : ٢٤ - ٢٩ ديسمبر ١٩٧٤ م .

إن المصادر والمراجع التي يتكرر النقل عنها ، يكتفى - في المرة الأولى - بذكر المعلومات الضرورية للتعريف بها : المطبعة أو مكان المخطوط ورقمه ، فضلاً عن اسم المؤلف إن وجد دون أن نكون بحاجة إلى إعادة هذه التوضيحات عندما يتكرر الرجوع إلى نفس المصدر أو المرجع .

مع ملاحظة أن هذا العدوان المزدوج ضد الشمال الافريقي ، لم يبلغ حدّته إلا عندما أطلّت فترة العصور الحديثة ، بعد فتح القسطنطينية عام ٨٥٧ هـ / ١٤٥٣ م .

* * *

أما المغرب المعني بهذه الدراسة فهو يستوعب مفهومه الواسع ، ليشمل كلًّا من ليبيا وتونس والجزائر والمغرب الأقصى .

* * *

وقد عرفت هذه المنطقة — خلال الفترة المشار إليها — أربعة أحداث بارزة :

— الغزو الأجنبي . — الهجرات الأندلسية .
— الوجود العثماني . — وفادات من جنسيات أخرى .

وهدف هذه المحاولة شرح أثر تلك الأحداث في تطوير المظاهر الحضارية للمغرب الكبير ، غير أنه سيكون من المناسب التمهيد بمدخل عن طبيعة الأحداث ذاتها ، ثم رد الفعل المغربي ضد التدخل الأجنبي .

وقد جاءت غارات البرتغاليين والإسبان على السواحل المغربية في مقابل انتصارات العثمانيين على أوربا وبدأت المعركة — أول الأمر — من المغرب الأقصى عند الساحل المغربي للمتوسط ، وامتدت - بعد ذلك - متجهة نحو شرق الساحل نفسه ، وإلى الشاطىء الأطلسي ، وعندما اشتدت المعركة تدخل البابا الإسكندر السادس عام ٨٩٩ هـ / ١٤٩٤ م ، وفض النزاع بين الدولتين المعتديتين ، فصار معظم المغرب الأقصى من

نصيب البرتغال ، بينما يختص الإسبان ببقية المغرب الكبير (١) .

ومن المؤكد أن الحملة صارت تهدف إلى الاستيلاء على الشمال الافريقي عن طريق احتلال الشواطىء ، حتى ينحدر المغرب الكبير إلى التنصير أو الإبادة .

ومما يفسر هذا أن مدينة مراكش صارت مهددة باحتلال البرتغاليين بعدما تمكنوا من التسرب إلى نواحي أكادير .

ومدينة فاس — بدورها — كانت هدف جيوش سيبيستيان في موقعة وادي المخازن ، ومن الثابت أن الغزاة — في هذه الحملة — أعدوا صلباناً ليقوموا بتعليقها قريباً من مساجد فاس ومراكش (٢) .

وفي الجزائر كان الإسبان قد توغلوا ـ فعلاً ـ إلى تلمسان ونواحيها ، وهي نفس الخطة التي كانت مبيتة ضد بقية الشمال الافريقي .

* * *

وقد استمرت عمليات الغزو — على مستوى المغرب العربي — قرابة قرن ونصف القرن ، وبدأت بطيئة متقطعة ، ثم تصاعدت بعد فتح القسطنطينية والقضاء على بيزنطة عام ٨٥٧ هـ / ١٤٥٣ م .

---

(١) كان هذا من مستتبعات معاهدة توردیسیلاس Torde Sillas ، وهناك وثيقة عن مراحل وتفاصيل هذا الاتفاق ، حيث أثبتها محمد بن تاويت التطواني ، في موضوع : « من زوايا التاريخ المغربي » ، مجلة « تطوان » : العدد السابع ، ص ١٠٥ — ١٠٦

(٢) محمد الفاسي : « موقعة وادي المخازن الحاسمة » — مجلة « البحث العلمي » العدد التاسع ، السنة الثالثة ، ص ٢٢٣

وكانت الأسبقية لإسبانيا ، فقامت بتخريب تطوان القديمة عام ٨٠٣ هـ / ١٤٠١ م[1] .

وبعد هذا تسلسل احتلال البرتغاليين لشواطيء المغرب الأقصى حسب التواريخ التالية :

سبتة : عام ٨١٨ هـ / ١٤١٥ م	القصر الصغير : ٨٦٣ هـ / ١٤٥٨ م
طنجة : ٨٦٩ هـ / ١٤٦٤ م	أنفا : ٨٧٢ هـ / ١٤٦٧ م
أصيلا : ٨٧٦ هـ / ١٤٧١ م	البريجة : ٩٠٧ هـ / ١٥٠٢ م
أكادير : ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م	أسفي : ٩١٢ هـ / ١٥٠٦ م
أزمور : ٩١٤ هـ / ١٥٠٨ م	المهدية : ٩٢٠ هـ / ١٥١٥ م

أما مدينة مليلية فقد احتلها الإسبان عام ٩٠٣ هـ / ١٤٩٧ م ، وعادوا لاحتلال بادس عام ٩٧١ هـ / ١٥٦٤ م كما استولى هؤلاء في بقية الشمال الافريقي على مجموعة أخرى من القواعد والمدن ، منها :

بونة « عنابة » عام ٨٦٧ هـ / ١٤٦٣ م

المرسى الكبير ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م وهران : ٩١٥ هـ / ١٥٠٩ م

بجاية : ٩١٥ هـ / ١٥٠٩ م طرابلس : ٩١٦ هـ / ١٥١٠ م

تونس : ٩٤١ هـ / ١٥٣٤ م

* * *

وقد كان من عواقب هذه الغارات المزدوجة على المغرب الكبير ، انحسار نفوذ الحكام الوطنيين إلى الداخل ، وأفضى الوضع بالمغرب الأقصى

---

(١) « الاستقصا » نشر دار الكتاب بالدار البيضاء ، ج ٤ ص ٨٩ – ٩٠

إلى استبدال السعديين بدولة بني وطاس ، وهؤلاء حولوا العاصمة من فاس إلى مدينة مراكش . وفي باقي المغرب الكبير حل العثمانيون مـكان الحـكام الوطنيين ، وانتقلت عاصمة المغرب الأوسط من تلمسان إلى مدينة الجزائر ، بينما دمر كثير من معالم تونس العاصمة .

ومن جهة أخرى تدهور الاقتصاد الداخلي ، وتقلص ظل التجـارة الخارجية نتيجة احتكار المحتلين للمبادلات مع الخارج ، وتدفق بضاعاتهم على الداخل ، زيادة على أن المغرب أخذ يتحمل تـكاليف حرب دفاعيـة طويلة المدى .

هذا إلى أنه وقع القضاء على الحياة الحضـرية في المدن التي وقـع تخريبها على ساحل المتوسط أو المحيط ، ومـــا أعيد بناؤه منها جاء على الطراز الأجنبي .

وقد أثرت هـذه الحملات في سير الثقافة على العموم ، ففترت الهمم وانصرف أهل العلم إلى الجهاد أو الدعوة له بدلاً من الانقطاع للتعليم أو التعلـّم ، وكانت نكبة تونس أكبر ، فتوقفت الحركة العلمية في مجموع القطر بعد إعلان الحماية الإسبانية ونزح كثير من أعلام الخضراء إلى المشرق أو المغرب (١) .

أما محنة الكتب العلمية وخزائنها فكانت من أعظم الفواجع ، فاستولى

(١) « تتمة شجرة النور الزكية » لمحمد بن محمد مخلوف التونسي : المطبعة السلفية بالقاهرة ، ص ١٥٣

البرتغاليون على ما كان بسبتة من الكتب بعد احتلالها [١] ، وفي تلمسان عبث الإسبان بمؤلفات العلم والدين بها [٢] ، والكارثة الكبرى هي التي حاقت بخزائن تونس العاصمة بعد الحملة الإسبانية الثانية عام ٩٨٠ هـ / ١٥٧٢ م ، وعن هذا التاريخ يقول ابن أبي دينار [٣] .

« . . . وفي تلك الأيام أهين المسجد الأعظم « الزيتونة » ، ونهبت خزائن الكتب التي به ، ودرست بأرجل الكفرة معالم المدارس ، وتفرق ما جمع فيها من دواوين العلوم ، وتبددت في الشوارع ، حتى قيل : إن المار من شرقي الجامع إنما يمر على الكتب المطروحة هناك » .

قال ابن أبي الضياف [٤] : « وهذا هو السبب في قلة تآليف الفحول

---

(١) يقول ابن حجر العسقلاني في هذا الصدد : « ... ونقلوا ما كان بها حتى الكتب العلمية ، وكان بها منها شيء كثير إلى الغاية » - « إنباء الغمر » : مطابع الأهرام التجارية بالقاهرة ، ج ٣ ص ٤١ ، وعبارة عبد الحي بن العماد الحنبلي « ... وأخذوا ما كان بها من الأموال والذخائر حتى الكتب العلمية » ، « شذرات الذهب » : نشر مكتبة القدسي بالقاهرة ج ٧ ص ١٢٤

ويلاحظ أن المصدرين يؤرخان الاعتداء على سبتة بعام ٨١٧ هـ ، خلاف الوارد في المصادر المغربية والأجنبية ، حيث كان تاريخ الحادث هو ١٥ جمادى الآخرة عام ٨١٨ هـ ، الموافق ٢١ غشت ١٤١٥ م .

(٢) « تاريخ الجزائر العام » تأليف عبد الرحمن بن محمد الجيلالي : المطبعة العربية بالجزائر ، ج ٢ ص ٢١١

(٣) « المونس » في أخبار إفريقية وتونس » : مطبعة النهضة بتونس سنة ١٣٥٠ هـ ، ص ١٥٧

(٤) « إتحاف أهل الزمان ، بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان » : المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية ، ج ٢ ص ١٩

من أهل هذا القطر ، فإنها ضاعت شذر مذر في هذه الواقعة » .

وبعد هذه الغارات المسلحة على الكتب والمكتبات ، بدأت في الفترة ذاتها حملات من نوع جديد - لابتياع المخطوطات المغربية واختطافها لتنقل إلى أوربا ، حتى جاء في تاريخ الوافي في المسألة الشرقية : أن من مكتبة فاس والعراق اغتنت مكاتب أوربا(١) .

ومن جهة أخرى : فإن هذه النكسة استتبعت انحلالاً خلقياً وعقائدياً ، فشاعت البدع ، وظهرت جماعات منحرفة مثل الطائفة اليوسفية بالمغربين (٢) . والشابيين بتونس(٣) ، زيادة على تفاقم بدع طائفة العكازين بالمغرب الأقصى(٤) .

* * *

---

(١) نقله في خاتمة التراتيب الادارية : المطبعة الوطنية بالرباط ، ج ٢ ص ٤٥٥

(٢) تعرف - أيضاً - بالشراقة (بتشديد الراء) ، وهم فرقة من أتباع الامام الجليل أبي العباس أحمد بن يوسف الراشدي الملياني ، المتوفى عام ٩٢٧ هـ ، وقد انحرف هؤلاء عن طريقة أستاذهم الذي كان إمام سنة وهدى ، ويقول عنهم ابن عسكر :

« ... ولم يكن - اليوم - بالمغرب من طوائف المبتدعة سوى هذه الطائفة .. ولقد أشار الفقهاء على السلطان الغالب بالاعتناء بحسم مادة فساد هذه الطائفة ، فسجن جماعة منهم وقتل أربعة آخرين ، وهؤلاء المبتدعة ليسوا من أحوال الشيخ (أبي العباس الملياني) في شيء ، بل فعلوا كفعل الروافض والشيعة في أئمتهم » - « دوحة الناشر » ، المطبعة الحجرية الفاسية عام ١٣٠٩ هـ ، ص ٩٢

وقد شنع عليهم ابن القاضي بدوره ، وأفاد ظهور فرق مبتدعة جديدة لعهده ، زيادة على الطائفة اليوسفية ، وهو يقول في هذا : « ... إذ هم أحلوا ما حرم الله تعالى ، وقد اختلقوا بدعتهم : من ترك الصلاة والصوم واستباحة =

وعن ردّ الفعل المغربي : كان واقع الحملات البرتغالية والإسبانية قد أذكى في مجموع الشمال الافريقي روحاً نضالية جديدة، ونشبت المعركة - في بداية الأمر — على النطاق الشعبي ، امتداداً من المغرب إلى ليبيا ويقول الناصري[1] عن المغاربة :

« ولما نزل بأهل المغرب الأقصى ما نزل من غلبة عدوّ الدين ،

= الزنا والديانة والعياذ بالله ، أذلهم الله وأخزاهم ، وغير هذا مما الشيخ منزّه عنه، رحمة الله عليه ، وهي طائفة من الطوائف المعدودة بالمغرب ، التي خرجت عن الحق إلى الزيغ - « درة الحجال » : المطبعة الجديدة بالرباط ، رقم ١٩٠

وانظر - أيضاً - عن الطائفة نفسها : « مرآة المحاسن » لأبي حامد محمد العربي الفاسي : المطبعة الحجرية الفاسية - ص ٢٢٤ مع « الاستقصا » ، ج ٥ ص ٥٠ - ٥١

(٣) هم أتباع الشيخ عرقة : المرابط القيرواني وجدّ الشابيين ، انظر عنه « المؤنس » ص ١٤٤

(٤) للتعريف بهذه الطائفة ، ارجع إلى محمد المنوني : « التيارات الفكرية في المغرب المريني » - مجلة « الثقافة المغربية » ، العدد الخامس ، ص ١٢٩ - ١٣١

وبالإضافة إلى هذه الطائفة وسابقتيها عرف جنوب المغرب الأقصى نحلة المغيطي : عمرو بن سليمان السياف الشيظمي ، المتوفى قرب عام ٨٩٠ ﻫ ، وكان قد جمع الجموع على الجهل والفساد والخروج عن الحق ، وسمى أصحابه بالمريدين بضم الميم ، قال الشيخ زروق : وما احقهم بالفتح .

انظر عن نحلة المغيطي : « المعيار » للونشريسي : المطبعة الحجرية الفاسية - ج ٢ ص ٣٠٨ - ٣٠٩ مع « ممتع الأسماع » لمحمد المهدي الفاسي ؛ نفس المطبعة عام ١٣٠٥ ﻫ : الملزمة الثانية ص ٤ - ٦

(١) الاستقصا ، ج ٤ ص ١١١

واستيلائه على ثغور المسلمين ، تبادروا في جهاده وقتاله ، وأعملوا الخيل والرجل في مقارعته ونزاله ، وتوفرت دواعي الخاصة منهم والعامة على ذلك ، وصرفوا وجوه العزم لتحصيل الثواب فيما هنالك ، فكم من رئيس قوم قام بنصرة الدين غيرة واحتساباً ، وكم من ولي عصر وعالم مصر باع نفسه من الله ورأى ذلك صواباً ، حتى لقد استشهد منهم أقوام وأسر آخرون وبلّغ الله تعالى جميعهم من الثواب ما يرجون » .

وفي بقية المغرب العربي هبت القوى الشعبية للمقاومة ، واستعانوا بالعثمانيين ، لتنظيم الجهاد ضد المعتدين .

وهكذا : فإن علماء الجزائر قالوا للقائد التركي خير الدين باشا وقد أراد الانتقال عن المغرب الأوسط : « يجب عليك المقام بهذه البلدة الإسلامية لحمايتها ، ولا رخصة لك في تركها نهبة للمفترس »[1] .

ومن طرابلس الغرب سافر وفد إلى الآستانة ليطلبوا النجدة من العثمانيين[2] .

وفي تونس كاتب أهل القيروان الأتراك المجاهدين بالجزائر وليبيا ، ليهبوا إلى تخليصهم من الاحتلال الاسباني[3] .

وإلى جانب هذه الفورات الشعبية ، كان سلاطين شمال أفريقيا وأمراؤها ، عملوا — منذ بدء الحملات الاستعمارية — لتوحيد صفوفهم

---

(١) إتحاف أهل الزمان ، ج ٢ ص ١٠

(٢) « المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب » ، تأليف أحمد بك النائب الأنصاري الطرابلسي : مطبعة جمال الدين أفندي بالاستانة ، ص ١٨٧

(٣) اتحاف أهل الزمان ج ٢ ص ٢٠

والتحالف فيما بينهم ، ثم كاتبوا قانصوه الغوري عاهل الكنانة ، وطلبوا منه الانضمام إلى هذا الحلف ، والقيام – من جهته – بطرد تجار الفرنج المقيمين بإيالته ، والعمل على غلق كنيسة القيامة في وجه حجّاجهم (١).

وعلى مستوى التعاون المغربي الجزائري ، كان أبو العباس أحمد الوطاسي استعان به أبوزيان أحمد الثالث ، ضد أخيه محمد السابع الذي احتمى بالإسبان وهم يحتلون تلمسان ، وقد أمدّه العاهل المغربي بالرجال ، وبالأسلحة المنوعة : مدافع ودروع وقسي ومعدات أخرى ، وقال لأمير تلمسان : داري دارك ، وأنا لك بمنزلة الوالد ، وابني بمنزلة أخيك (٢).

---

(١) « المماليك والفرنج » تأليف الدكتور أحمد دراج : نشر دار الفكر العربي بالقاهرة ، ص ١٢٩

(٢) ارجوزة « عروسة المسائل فيما لبني وطاس من الفضائل » لمحمد الكراسي المطبعة الملكية بالرباط ص ٣٨ – ٣٩

ومن ملحقات هذا الموضوع ماورد في كتاب : « دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر » ، تأليف الأستاذ عبد الحميد بن أبي زيان بن أشنهو ، مطبعة الجيش بالجزائر ، غير أن الأمر – هنا – يتعلق بأمير سابق لإبي العباس الوطاسي ، وهو والده محمد المعروف بالبرتقالي بن محمد الشيخ ، وقد جاء في هذا الصدد بالمصدر المشار له ص ٧٦ :.

« ... وبمجرد ماوصل عرّوج إلى تلمسان ، وجّه إلى السلطان الوطاسي مولاي محمد ليتحالف معه ، كي يوجه إليه النجدة ، مقابل شد عضده في محاربة السعديين ، الذين أخذت شوكتهم تتقوى في بلاد سوس ومراكش ، وفعلاً وجه الوطاسي جنداً يقارب ٢٠٠٠٠ محارب على طريق مليلية ، وإذ كان عروج ينتظر وصولهم حاصره العدو وشدد عليه الخناق ، كما سنشرحه فيما بعد ». =

وبعد قيام السعديين تحقق تحالف مغربي تركي لتحرير مدينة وهران[1].

وقد اهدى عبـد الملك المتصم للعثمانيين كمية من الذخيرة تتألف من عشرين مدفعاً ، يشتمل أولها على تسـع فوهات ، حسب مؤرخ سعدي يعقب ويقول عن النفض الكبير : « وهو — الآن — ببـاب الجزيرة

= ولما ذكر نفس المصدر رواية استشهاد القـائد العثماني عروج باشا في بني يزناسن ببلاد المغرب ، عقب عليها ص ٧٩ :

« إننا نؤكد هذه الرواية التي تثبتهـا محالفة عروج مع سلطان فاس محمد الوطاسي ، الذي لم يسعه الوقت لتوجيه النجدة ، فإن عروج فرنحو الغرب لعله يلاقي الحملة المغربية الآتية من مليلية ، وحين قربت من وجدة وصل خبر عروج أنه استشهد مع رفقائه ، فرجعت الحملة إلى فاس ، وأثبت الأمر ايبولار مترجم كتاب الحسن بن محمد الوزان عن وصف افريقيا .

وبعد هذا لم يبق مجال للتردد في أمر هذه النجدة ، بعدما أثبت واقعها الوزان الفاسي ، وقد تشكك فيها الأستاذ أحمد توفيق المدني ، في كتاب « حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا » ص ١٩٠ حسب الفقرة التالية :

« وقد قيل ـ وليس بأيدينا ما يؤكد هذا القول أو ينفيه ـ إن عروج كان ينتظر النجدة من قبل ملك فاس الوطاسي المريني تنفيذاً لاتفاق عقـد بينهما ، وأن الملك المريني قد أرسل ـ فعـلاً ـ بجيش لنصرة عروج ، وتمكينه من الدفاع عن تلمسان ضد الإسبان وأنصارهم ، لكن ذلك الجيش سار على طريق مليلية ، فطال به السير ولم يتمكن من الوصول إلى ميدان المعركة في الوقت اللازم ، فلما تم الأمر قفل راجعاً » .

(١) مجلة « تطوان » : العدد الخامس ص ١٣٣ ، مـع العدد السابع ص ١٠٠ — ١٠١

بالجزائر » [١] .

ونسق المجاهدون - من المغربين - العمليات البحرية فيما بينهم ، فصار المغاربة في واجهة المحيط ، بينما كان الجزائريون يعملون بالمتوسط [٢].

وكان هؤلاء يتزودون — عند الاقتضاء — من المغرب عند مرمى تطوان وغيرها [٣] ، ومن مستتبعات هذا التعاون حسن استقبال المغرب للمهاجرين الجزائريين ، ومنهم العلماء التلمسانيون الذين وفدوا عام ٩٦٨ هـ/٦١ - ١٥٦٢ م ، وكان فيهم محمد بن عبد الرحمن بن جلال المغراوي ،وأبوالعباس أحمد بن سمية العبادي ، وقدم مع هذا الأخير محمد شقرون بن هبة الله الوجديجي وأبو العباس أحمد بن محمد بن قاسم العقباني[٤] .

قال في « دوحة الناشر »[٥] في ترجمة العبادي : « ولما قدم على فاس عام ثمانية وستين — يعني وتسعمائة — في جملة فقهاء تلمسان ، لما رحلهم السلطان الغالب من تلمسان ، حين وقعت الفتنة بينهم وبين الترك ، واستغاثوا فأمدهم بالأجناد ونقلهم إلى فاس ، ووصل كلا منهم على قدر

---

(١) « تاريخ الدولة السعدية » المؤلف مجهول الاسم : المطبعة الجديدة بالرباط ، ص ٥٣

(٢) مجلة « تطوان » العدد الرابع والخامس « مزدوج » ، ص ٧٠

(٣) نفس المجلة : العدد التاسع ، ص ١٢٦ — ١٢٧

(٤) انظر تراجم الوافدين الأربعة في « دوحة الناشر » : ص ٨٦ — ٨٨ و ٩٠ — ٩١ ، وفي مخطوطة فهرس المنجور : « وسمعت - أيضاً - من جماعة ممن قدم على فاس من فقهاء تلمسان » .

(٥) ص ٨٧ ، مع تصحيح النص المطبوع عن نسخة مخطوطة .

حاله ، ووصله بألف مثقال ذهباً ، وأمر له بكساء وإقامة جليلة ، وقال : لا تسووه بأحد من الفقهاء وغيرهم ، فإن همته كبيرة » .

* * *

ومن الوافدين على المغرب من تونس في الفترة ذاتها نعرض ثلاثة :

أبو الطيب بن محمد الظريف التونسي ، وكان شيخاً مرشداً بجامع الزيتونة ، وبعد الحملة الإسبانية الأولى هاجر إلى المغرب واستوطن مدينة فاس ، وبها صارت له ألفة مع أحد علمائها المرموقين : أبي الحسن علي ابن هارون ، الذي خاطبه بقطعة شعرية يتفجّع فيها على نكبة تونس ، ومطلعها :

جادك الغيث إذا الغيث انهمر حضرة الأنس البديع المونس[1]

وبعد الظريف التونسي كان محمد بن خروف الأنصاري ، قد أسره الإسبان في مدينة تونس بعد الحملة الأولى ، واستمر في الأسر — بإسبانية — ستة أعوام غير قليل ، إلى أن فداه الأمير أبو العباس الوطاسي عام ٩٤٧هـ/١٥٤٠م ، بإشارة من فقيه فاس محمد اليسيتني ، فانتقل العالم المفدّى إلى مدينة فاس واستوطنها ، حتى توفي بها عام ٩٦٦هـ/١٥٥٩م وهو يتحدث عن مأساته وفدائه ويقول :

« . . . وكانت مدة أسري ستة أعوام غير قليل ، محفوظاً فيها في ديني وبدني فضلاً من الله سبحانه له الشكر على ذلك ، إلى أن خلصني

---

(١) مخطوطة « فهرس المنجور » عند ترجمة أبي الحسن علي بن هارون ، مع « جذوة الاقتباس » لابن القاضي : المطبعة الحجرية الفاسية ، ص ٣٠٢ - ٣٠٣

الله تعالى خلاصاً جميلاً ، على يدي مولانا السلطان المؤيـد ، أبي العباس أحمد الوطامي ، أجمل الله تعـالى خلاصه ، فبذل في فدائي مالاً كثيراً يقرب من ألف دينار وبعد محاولة عظيمة يطول ذكرها ، وعاملني - بعد الخروج - بما لا أحصي عده ، جعله الله تعالى له عدة .

وأول يوم قابلته به — وذلك في أول رجب الفرد ، عـام سبعة وأربعين وتسعمائة ، وقد خلع عليَّ من أحاسين ملابسه - أنشدته من نظمي بحضرة خواص أصحابه وبعض التونسيين حاضر (١) .. » .

أما الوافد التونسي الثالث فكان من طبقة الأطباء . وانتظم للعمل في بلاط المنصور الذهبي . وذكرته رسالة سعدية مُشيرة إلى مهنته ووطنه دون التعريف باسمه (٢) .

---

(١) محمد المنوني : « مواقف المغرب ضد الحملات الصليبية » ، مجلة « دعوة الحق » : السنه ١٣ ، العدد ٣ ، ص ٥٦

(٢) الرسالة واردة عند الأفراني في « نزهة الحادي » : المطبعـة الحجرية الفاسية ، حيث وردت بها الاشارة المعنية ، ص ١٦٦ ، وانظر « المنتقى المقصور » لابن القاضي : مخطوط المكتبة الملكية رقم ١١٥٣ أوائل الباب الثاني ، حيث يذكر اسم أبي العباس أحمد بن محمد بن الحكيم التونسي الوافد على المغرب الأقصى .

ونضيف إلى هذا التعليق وافدين تونسيين زيادة على الثلاثة السابقين :

محمد التونسي الحفصي ، جد محمد المأمون بن محمد شارح العقيدة السنوسية الصغرى ، قال الأفراني عند ترجمة هذا الحفيد : « وكان جد صاحب الترجمة ، قدم على السلطان أبي عبد الله المهدي السعدي ، حين أخرجهم الأتراك من تونس واستولوا على مملكتها ، ففرح به السلطان المذكور ، وظن أنه قصده يطلب =

وإلى هنا تبينا ملامح ردّ الفعل المغربي رداً على الحملات الأجنبية ، وقد عاد هذا الموقف بالنتائج المتوخاة . وحورت ـ تباعاً ـ غالبية الجهات المحتلة . وننتقل بعد هذا إلى عرض الأحداث الأخرى التي عرفها المغرب العربي في الفترة ذاتها .

* * *

وقد عاصر هذه الفترة تصاعد الهجرات الأندلسية إلى المغرب العربي في وفادات متعددة .

فكانت وفود الأندلسيين بناة مدينة تطوان عام ٨٨٩ هـ / ٨٤ — ١٤٨٥ م .

وبعد هذا وقع سقوط غرناطة عام ٨٩٧ هـ/١٤٩٢ م . وصار من استطاع من الأندلسيين الهجرة ينتقل إلى العدوة الأخرى : ومنهم الوافدون عام ٩٠٢ هـ / ٩٦ — ١٤٩٧م ، حيث توزعوا بين تونس والجزائر وتطوان وفاس ومراكش وغيرها (١) .

= المعونة منه على الأتراك ، فاختار المسكنة ، ولم يزل عنده في الحظوة إلى أن توفي » — « صفوة من انتشر » المطبعة الحجرية الفاسية ـ ص ١٠٩

الثاني : ذكره ـ عرضاً ـ أبو حامد محمد العربي الفاسي هكذا : « الفقيه ، الكاتب ، أبو عبد الله محمد الأندلسي ، وكان كاتب السلطان حميدة ، آخر ملوك بني حفص بإفريقية » — « مرآة المحاسن » ص ٢٣٠ — ٢٣١

(١) خاتمة « الأنوار السنية ، في آباء خير البرية » ، تأليف محمد بن عبد الرفيع الشريف الأندلسي : المخطوط الآتي الذكر أواخر هذه الدراسة .

وفي عام ٩٧٠ هـ / ٦٢ – ١٥٦٣ م وفد على المغرب الأقصى جالية كبرى سكن معظمهم بفاس وبمدينة مراكش (١) .

ثم كان الجلاء الأخير إلى مجموع الشمال الإفريقي عام ١٠١٨ هـ / (٢) ١٦٠٩ م .

ويقدر مؤلف عربي قريب من عصر الحادثة (٣) عدد الوافدين في هذه الهجرة بنيف وستمائة الف يضاف لهؤلاء المهاجرين المسلمين جاليـــة يهودية طردت من إسبانيا في تاريخ سابق : عام ٨٩٧ هـ / ١٤٩٢ م ، فقصد المغرب الأقصى نحو مائة ألف نفس . وتوزع شطر هـذا العدد بين بقية المغرب العربي (٤) .

* * *

(١) « تاريخ الدولة السعدية » لمؤلف مجهول الاسم ، ص ٣٨ – ٣٩ ، مع بغية الناظر والسامع » لأبي القاسم الزياني ، مخطوطة المكتبة الملكية رقم ٦٧٨

(٢) جاء في « نهاية الأندلس » : « وقد صدر قرار النفي – كما قدمنا – في ٢٢ سبتمبر سنة ١٦٠٩ ، وهو يوافق جمادى الثانية سنة ١٠١٨ ، ولكن الرواية الاسلامية تضع تاريخ القرار في سنة ١٠١٦ هـ أو سنة ١٠١٧ هـ ، وهو تحريف واضح » : الطبعة الأولى ص ٢٩٨ ، ويؤخذ على المؤرخ عبد الله عنان أن تحريف الرواية الاسلامية لم يكن شمولياً ، حيث ان مصدراً مغربياً يوقت الحادث بعام ١٠١٨ هـ ، حسب « تاريخ الدولة السعدية » لمؤلف مجهول الاسم ص ٩٦

(٣) هو محمد بن عبد الرفيع الأندلسي عند خاتمة « الأنوار السنية » : المخطوط الآتي الذكر .

(٤) « تحفة الزائر ، في مآثر الأمير عبد القادر ، وأخبار الجزائر » تأليف ابنه محمد : المطبعة التجارية بالإسكندرية ، ج ١ ص ٩

وساوق هذه الهجرة الأندلسية وفود جاليات شرقية على المغربين الأوسط والأدنى ، وكان هؤلاء هم الأتراك العثمانيين الذين ابتدأ حكمهم بالجزائر من عام ٩٢٤هـ/١٥١٨م ، وفي ليبيا عام ٩٢٦ هـ/١٥٢٠م . وبتونس عام ٩٨١هـ/١٥٧٣م .

يضاف للجاليتين الأندلسية والعثمانية الأسرى من البرتغاليين والاسبان ومن أمم أوربية أخرى ، وكان عددهم كثيراً في مجموع الشمال الافريقي ، واعتنقوا الإسلام في نهاية الأمر ، حيث صار الواحد منهم يعرف باسم العلج ، ليؤدي مدلول مملوك أبيض البشرة (١) .

وأخيراً : ظهر بالمغرب الأقصى عنصر المماليك الذين استجلبهم المنصور السعدي من السودان (٢) .

وقد خلف هؤلاء الوافدون - أندلسيون وأتراك وسواهم - مجموعة من التأثيرات التي كانت - في غالبها - إيجابية ، وبرزت في الوضع السكني والاقتصاد ، والمعمار ، ونظم الحكم ، والثقافة ، وسوى ذلك ، وسيكون

---

(١) حسن حسني عبد الوهاب : « ورقات عن الحضارة العربية ، بافريقية التونسية » نشر مكتبة المنار بتونس ، القسم الثالث ص ٢٦٢ ، انظر مجلة « تطوان » العدد التاسع ص ٦٦

(٢) كان المنصور السعدي أضاف إلى الجيش المغربي فرقة سودانية ، وهو مايثبته مؤرخو العصر العلوي الأول ، انطلاقاً من أبي القاسم الزياني إلى الناصري في الاستقصا ج ٧ ص ٦٥

تحليل هذه التأثيرات هو موضوع الأبواب التالية ، بعد أن انتهي مدخل هذه الدراسة .

* * *

ونذكر - أولاً - أن هذه الوفادات المنوعة ، أحدثت تبدلاً واضحاً في الوضع السكني على امتداد المغرب الكبير ، حيث طرأت عليه عناصر بشرية لم تكن معروفة به من قبل ، وقد ضاعفت هذه المجموعات الوافدة عدد السكان السابقين ، وانبثق عنها طبقـــات جديدة تتميز بأنظمة حياتها وتقاليدها .

* * *

وبالنسبة إلى العنصر الأندلسي ، صار تأثيره واضحاً في المغارب الثلاثة ، وبالخصوص فى حقل الفلاحة والصناعة والمعمار .

فالذين نزلوا منهم بأرياف تونس اغترسوا الكروم والزيتون وغرائب الفواكه والثمار ، كما حفروا القنوات ، وصنعوا العجلات ، ومهدوا بها الطرق للمسافرين ، وشيدوا الجسور .

وابتنوا - من جديد - أكثر من عشرين بلداً أكبرها مدينة تستور (١) التي شيدت منارتها على هندسة بديعة ، حتى إن الناظر إليها من أعلاها يشاهد

(١) « المؤنس » ص ١٨٣

« الحلل السندسية ، في الأخبار التونسية » للوزير السراج ، عند أوائل المجلد الثاني من مخطوطة الخزانة العامة بالرباط ، سنة ١٢٦٦ ، و « اتحاف أهل الزمان .. » ، ج ٢ ص ٣١

قعرها ، حيث وضعت على شكل أسطواني فارغ الوسط [١] ، وكانت مرصعة بساعة زادت في بهجتها [٢] .

وفي تونس العاصمة استوطنوا حومة الأندلس ، وزقاق الأندلس وغيرهما ، وأسسوا بحومة الأندلس جامعها ، وبنوا المدرسة الأندلسية [٣] .

---

(١) « تعاليق حاضر العالم الإسلامي » للأمير شكيب أرسلان : الطبعة الثالثة ج ٢ ص ٤٩

(٢) « تاريخ معالم التوحيد » لمحمد بن الخوجة : المطبعة التونسية ص ٨٣

وهناك دراسة عن مدينة تستور أنجزها المستشرق الفرنسي جورج مارسي باسم « تستور وجامعها الكبير » ، ونشرها « بالمجلة التونسية » بالعدد ٤٩ لسنة ١٩٤٢م ، ثم عربها ـ عن الفرنسية ـ الأستاذ التونسي مصطفى زبيس ، ونشرت الترجمة مجلة « الثريا » ، ابتداء من المجلد الأول عدد ١٢

(٣) « إتحاف أهل الزمان » ج ٢ ص ٣٠ ، ويقول الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في محاضرته : « مصير الأندلسيين » : « ... فأما تونس فنزلها منهم أهل الصنائع والفنون : فأهل الصنائع الدقيقة سكنوا المدينة ، وهم أهل الثروة منهم ، وبنوا لأنفسهم حومة تعرف بزقاق الأندلس قرب جامع القصر ، وأما أهل الصنائع الأخرى وبعض الفلاحين من أهل الحواضر فسكنوا ربض باب السويقة ، وهم أول من بنى هناك خارج السور ، فبنوا الحومة المعروفة بحومة الأندلس ، ولم يزل من بقاياهم هناك عائلات منهم عائلة الأندلوس .

ثم يقول بعد هذا : « أما بلد بنزرت فقد سكنها الأندلسيو ، وبنوا بها حومة تعرف ـ الآن ـ بحومة الأندلس ، وأسسوا قربها قرية منزل جميل ، ومنزل عبد الرحمن ، والعالية ، وغار الملح .... » .

وقد وردت مقتبسات من المحاضرة العاشورية في « تعاليق حاضر العالم الإسلامي » ، ج ٢ ص ٥٩ ـ ٦٣

وبالجزائر نزلوا بعدة جهات : منها تلمسان ووهران ودلس وغيرها ، وكان منهم من نزل سهل متيجة بنواحي البليدة ، وأحدثوا به غراسة النارنج والبرتقال (١) .

والذين سكنوا الجزائر العاصمة ، أسسوا ـ بجارتهم ـ معهداً كان يشتمل على مدرسة علمية ، وكتاب قرآني ، ومسجد للصلاة (٢) .

وقد أسس الأندلسيون بالمغرب الأقصى مدينة تطوان ، وجدّدوا مدينة الرباط ، وبمدينة مراكش اعتمروا جانبها الغربي الذي صار يعرف بروض الزيتون ، وبنوا بالمشيدات الثلاثة الدور والقصور والمرافق ، واغترسوا خلف أسوارها جنات معروشات وغير معروشات ، في مساحات شاسعة (٣) ، وتميزوا بطريقة خاصة في تشييد المباني السكنية في تصاميمها

---

(١) « تاريخ الجزائر العام » ج ٢ ص ٣٠٦ — ٣٠٧

(٢) صفحات في تاريخ مدينة الجزائر « لنور الدين عبد القادر ، مطبعة البعث بقسنطينة ، ص ١٦٥

(٣) ورد ذكر اعتبار الأندلسيين بمدينة مراكش عند القشتالي في « مناهل الصفا » ، مطبعة ومكتبة عصرية بالرباط ص ٤٢ ، مع « بغية الناظر والسامع » للزياني : المخطوط الوارد عند التعليق رقم ١ ص ٨٤٢

وقد تكرر ذكر الأندلسيين — سكان مراكش — بعد هذه الفترة التي نعرضها ، فأبو سالم العياشي يشير لأحدهم ، آخر رحلته المنشورة بالمطبعة الحجرية الفاسية : ج ٢ ص ٣٧٢

وقد عاد من رحلته بتاريخ ١٧ شوال عام ١٠٧٤ هـ =

وزخرفتها وشكل بواباتها ، وهو النموذج الذي استمر مفضلا في القصور القديمة بالرباط وسلا وتطوان . وفي فاس : كانت مباني السلطان أبي عبد الله ابن الأحمر الوافد على هذه المدينة بعد سقوط غرناطة ، ويقول عنه المقري (١) « وبنى بفاس بعض قصور على طريق بنيان الأندلس ، رأيتها ودخلتها » .

كذلك امتاز الأندلسيون بصناعات وفدوا بها على المغرب الكبير ، أو أحيوا بها صناعات قديمة ، مثل المنسوجات الحريرية ، والصياغة ، وصناعة الجوارب ، وعمل الحصر ، ومن ذلك صناعة القلانس الحمر : الطربوش التونسي بتونس ، والشاشية في فاس (٢) .

وفي الرباط وتطوان : نشير إلى « صندوق العروس » ، وكان

= ثم ورد ذكرهم عند محمد المكي بن موسى الناصري بمناسبة وصفه لحفلة صلاة العيد التي ترأسها السلطان العلوي : المولى سليمان ، وهو يقول في هذا : « ثم جاء أهل الأندلس القاطنين (كذا) بالحمرا ، وبين أيديهم لواء أخضر ، وامتازوا به عن غيرهم وجعلوا يخرجون البارود ... » ، « الرياحين الوردية في الرحلة المراكشية » ، ضمن كناشة بالخزانة العامة بالرباط ، ج ٨٨

(١) « نفح الطيب » : المطبعة الأزهرية المصرية ، ج ٢ ص ٦١٧

(٢) « دائرة المعارف الإسلامية » : الترجمة العربية ، مج ٦ ص ٤١ - ٦٤

محمد السائح في مقدمة « سوق المهر ، إلى قافية ابن عمور » : المطبعة الاقتصادية بالرباط ، ص كح .

« ورقات عن الحضارة العربية » القسم الثالث ، ص ٢٦٦

يصنع من عود العرعر الصلب في هيكل غاية في الكبر ، لتجمع به العروس لباسها ورياشها (١) .

هذا إلى تجديدات أندلسية طورت تصنيع عدد من المعدات الدفاعية .

ويقول ابن الخوجة (٢) عن التأثير الأندلسي في تونس بالخصوص : « وكان امتزاج الأندلسيين بأهل تونس كلقاح خصيب للأمة التونسية ، لأن أسلافنا أخذوا عنهم أحوالاً كثيرة في باب الصنائع اليدوية ، ومنها تجليد الكتب وزخرفتها بأبدع أسلوب ، وتعلموا عنهم - أيضاً - كيفية عرض البضائع للبيع بالحوانيت : من جمعها وضمّ المتشابه منها بعضه لبعض .

وكان لنسوة الأندلس فضل على بنات تونس ، لأنهنّ علّمن ابنة البلاد تدبير المنزل من تأثيث وطبخ وحلاويات ، وكانوا - في تونس - لا يحسنون قبل ذلك من أصناف الحلويات غير الفالوذج ... » .

وهكذا نتبين نماذج من التأثيرات التي وفد بها الأندلسيون على تونس وسائر المغرب الكبير ، فاستفاد منهم المغاربة أساليب جديدة في تطوير الفلاحة والصناعة والمعمار ، وقد ذكر ابن القاضي (٣) عن المنصور الذهبي أنه ظهر في عصره حرف مهمة لم تكن معروفة بالمغرب ، ومن المتبادر أن تكون الحرف الأندلسية الوافدة مما يندرج في فقرة المؤرخ السعدي .

* * *

(١) مقدمة « سرق المبر » ، ص كح .

(٢) « تاريخ معالم التوحيد » ، ص ٨٣

(٣) مخطوط المنتقى المقصور : عند المقدمة .

وقد برز التأثير العثماني على مستوى نظم الحكم ، وهو ما اتسمت به أنظمة المغربين الأدنى والأوسط في الإدارة والدفاع ومشتقاتها ، ولحسن الحظ فإن هذه التجديدات التركية بالجهات المشار إليها ، قد فصلت إجراءاتها المصادر المعنية بالأمر (١) .

بينما كانت مثيلات هذه الترتيبات بالمغرب الأقصى لا تزال بحاجة إلى توضيح فلهذا سنتوسع - قليلاً - في عرضها .

ونشير إلى أن المغرب اقتبس - قليلاً - من الأنظمة التركية الإدارية .

وكان أولها ظهوراً إحداث رتبة المفتي ، مجاراةً لتقليد تركي قديم من عهد محمد الفاتح ، ويبتدىء ذكر هذه الخطة بالمغرب من أيام محمد الشيخ السعدي ، حيث قلد منصب الفتوى بفاس لمحمد بن عبد الرحمن بن جلال ، المغراوي التلمساني نزيل فاس (٢) .

---

(١) من نماذج هذه المصادر عن تونس : « إتحاف أهل الزمان » ج ٢ ص ٢٦ - ٢٧

« خلاصة تاريخ تونس » تأليف حسن حسني عبد الوهاب ، الدار التونسية للنشر ، ص ١٦٠

وعن الجزائر : « تاريخ الجزائر العام » ، ج ٢ ص ٢٧٧ - ٢٨٨

« صفحات في تاريخ مدينة الجزائر » ص ٧٢ - ٩٣ . ومن مستتبعات هذه الظاهرة انبعاث المذهب الحنفي بالمغربين : الأدنى والأوسط ، وهناك معلومات عن هذه الظاهرة بالنسبة لتونس ، في تاريخ معالم التوحيد ص ٣٩ - ٤٠ مع ص ٩٠ - ٩١

(٢) « دوحة الناشر » ، ص ٩٠ - ٩١

وفي عصر عبد الله الغالب ـ خلف محمد الشيخ ـ أسند نفس الخطة بمدينة مراكش إلى محمد شقرون بن هبة الله الوجديجي التلمساني نزيل المغرب (١) وقد سلف ذكره مع سابقه .

ومن الأنظمة الإدارية التي لم تكن معروفة بالمغرب من قبل ، وضع العلامة أو الطابع بأعلى المراسيم ، وهي عادة قديمة في الدولة السعدية ، وعن عصر المنصور يفرق القشتالي (٢) بين موضوعات الكتب ذات العلامة ، والأخرى ذات الطابع ، وهو يقول في هذا عن مخدومه :

« . . . فتارة بيده الكريمة إن كانت الكتب أجوبة أو ظهائر ، وتارة بالطابع إن كانت مظالم أو براوات الأشغال والعطاء » .

ثم كان من التجديدات الإدارية التي عرفها المغرب أيام المنصور السعدي ، إحداث مؤسسة استشارية باسم « الديوان » ، وهذا ـ بدوره ـ تنظيم تركي ، عرفه المغربان في مجمع يضم - أصالة ـ شخصيات عسكرية ينضاف لها مستشارون مدنيون (٣) ويقول الإفراني (٤) عن الديوان المغربي :

---

(١) « المصدر » ، ص ٨٦

(٢) « مناهل الصفا » ص ٢٠٦

(٣) يقول ابن أبي دينار عن ترتيبات العثمانيين بتونس : « وجعلوا قوانين يتميزون بها ، وحذوا في أول أمرهم ـ في الأحكام ـ حذو ديوان الجزائر » ، « المؤنس » ، ص ١٧٩ . وجاء عند ابن أبي الضياف عن القائد التركي : سنان باشا : « ورتب أعياناً من أهل البلاد يحضرون في ديوان العسكر تألفاً لقلوبهم » اتحاف أهل الزمان ج ٢ ص ٢٧

(٤) « نزهة الحادي » ، ص ١٤٢

« كان المنصور .. مشاوراً في قوام الأمور ، وقد اتخذ يوم الأربعاء[1] للمشاورة وسماه يوم الديوان ، يجتمع فيه وجوه الدولة وأعيانها ، ويتطارحون فيه وجوه الرأي فيما ينوب من جلائل الأمور ، وعظائم النوازل » .

وقد استمرت هذه المؤسسة إلى ما بعد أيام المنصور ، حيث جاء عن إجراءات بيعة محمد الشيخ الدلائي بفاس ، أنها حضرها الجم الغفير من أهل الديوان[2] ، وكان محمد بن الأشهب من أعضائه في هذا الوقت بالذات[3].

* * *

وبعد هذه الاقتباسات التركية في حقل الإدارة ، تأتي تجديدات الدفاع المغربي ، ومن الجدير بالملاحظة أن المغرب سار في هذا الصدد على الاستفادة من خبرات المهاجرين الأندلسيين ، ومعرفة الأسرى الأعلاج ، واقتبس كثيراً من الأنظمة العسكرية العثمانية ، كما حافظ على المفيد من أساليب الدفاع الوطني القديم .

* * *

---

(١) جاء عند كل من ابن القاضي والفشتالي : أن الديوان المنصوري كان ينعقد أيام السبت والاثنين ، والأربعاء :

« مخطوطة المنتقى المقصور » أوائل الباب السابع . « مناهل الصفا » ، ص ٢٠٥

(٢) مخطوطة « البدور الضاوية » لأبي الربيع سليمان الحوات ، عند الفصل الأول من الباب السادس .

(٣) المصدر نفسه ، عند الفصل الخامس من الباب السابع .

وقد كانت المفاجأة التي تفوّق بها البرتغاليون هي الأسلحة النارية الحديثة ، ولذلك صار لها الأسبقية في استعدادات المغاربة لمعارك التحرير .

ويرتقي أقدم نصّ معروف في هذا الاتجاه إلى أواخر أيام الوطاسيين : على عهد أبي العباس أحمد الوطامي ، المتوفى عام ٩٦١هـ/١٥٥٣م .

وقد أنشأ معملاً لصنع الأسلحة النارية بساحة القصر الملكي من فاس الجديد ، وصار يستخدم لإنتاج المدافع والبندقيات والبارود (١) .

وبعد هذا — أوائل أيام السعديين — كان في جيش عبد الله الغالب فرقة مدفعية قوامها جيوش جرارة من الأندلسيين المهاجرين قبل الجلاء الأخير (٢) .

ثم تكاثر هذا السلاح من بعد ، حتى إن حملة عسكرية صارت مجهزة بمائة وخمسين من الأنفاض (٣) عام ٩٨٣هـ/١٥٧٦م ، وقد لاتكون هذه المدافع كلها من صنع محلي ، وإنما فيها مستوردات من الخارج .

واستكثر عبد الملك المعتصم من إنتاج هذه المدافع ، وكان عارفاً بصنعها ، وأشرف — بنفسه — على إعداد نحو ثمانية منها (٤) .

وبنى المنصور الذهبي معملاً جديداً لإنتاج الأسلحة النارية باسم « دار

---

(١) أرجوزة « عروسة المسائل » ص ٣٦ - ٣٧

(٢) « مناهل الصفا » ، ص ٤٢

(٣) « تاريخ الدولة السعدية » لمؤلف مجهول الاسم ، ص ٥١

(٤) محمد المنوني : « صناعة الأسلحة النارية بالمغرب » ، مجلة دعوة الحق السنة ١٣ ، العدد ٨ ، ص ١٠٤

العدة » ، وكان مركزه بمقربة من القصبة الملكية بمدينة مراكش ، ويقول القشتالي (١) عن وفرة منتجات هذا المعمل ومستورداته :

« وأما ما يفرغ - مع الأيام - من مدافع النار ومكاحلها بدار العدة الماثلة قرب أبوابهم . . . إلى ما يجلب - مع الأحيان — على يد المعاهدين من تجـار الحربيين : من السيوف الهندية ، والقسي الرومية ، والمكاحل النارية ، فشيء غصّت به الخزائن السلاحية ، والديار العادية » .

* * *

وإلى جانب هذا المعمل الجديـد ، اهتم المنصور - مرة أخرى - بابتناء الأبراج لاستخدام المدافع ، وشيدت على وضع بدا فيه - واضحاً - تأثير الجاليـــات الوافدة من الأندلسيين والأعـلاج ، وقد صارت هذه المشيدات يحمل الواحد منهـــا اسم « بستيون » ، وهو تعبير إسباني عن الحصن .

وقد عرف المغرب من هذه الأبراج أربعـة عشر موزعة بين أربـع مدائن اثنان منها بمدينة العرائش ، وواحد بتازا ، واثنان خارج فاس العتيق على مقربة من بابي الفتوح والشريعة ، وقد كان هذا الأخير يعرف ببرج النار ، تدليلاً على مهمته المدفعية ، أما باقي الأبراج - وعددها تسعة - فقد أحاطت بأسوار فاس الجديد (٢) .

* * *

(١) « مناهل الصفا » ، ص ٢١٠

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٦٣ - ٢٦٥ ، مع المنتقى المنصور عنـــد الباب العشرين ، وهو الذي يحدد أبراج فاس الجديد بتسعة .

وفي حقل تنظيم الجيش على طراز جديد ، نشير إلى أن عبد الملك المتصم هو الذي تبنى هذه المبادرة ، وكان - قبل ولايته - زار الجزائر وتونس والاستانة ، وأعجب بترتيبات العثمانيين ، ولهذا عمد ، لما صارت الدولة له ، إلى تنظيم الجيش المغربي على الطراز العثماني ، وأسرف في هذا التقليد ، وحمل الناس عليه حملاً عنيفاً أثار معارضة شديدة .

غير أن أخاه أبا العباس المنصور ، استطاع التوفيق بين التقليد العثماني والحفاظ على المشاعر الوطنية ، فاختص الرؤساء العرب بالمشورة وقيادة فرق الفرسان ، وأسند إلى الأعلاج قيادة الفرق الأخرى للجيش البري [١] ، بينما جعل قيادة الأسطول إلى أميرال مغربي [٢] .

وباستثناء الأسطول فإن سائر أنظمة الجيش المنصوري صارت مقتبسة من العثمانيين : في ترتيب الجيش ، وألقاب الرتب ، وشكل اللباس ، وتنظيم المواكب .

كما أن لباس الملوك السعديين صار على الطراز العثماني ، ابتداء من عبد الملك المعتصم الذي جاء في ترجمته [٣] أنه كان يتزيا بزي الأتراك .

ومن التقاليد العسكرية التي عرفها المغرب في عهد المنصور ، إطلاق

(١) « مناهل الصفا » ص ٢٠٠ — ٢٠١

(٢) المصدر نفسه ص ٢٠٤

(٣) « نزهة الحادي » ص ٧٠ ، وتلقيت - قديماً - من مؤرخ مغربي كبير أن الزي التركي استمر لباس سلاطين المغرب ، ولم يتغير إلى اللباس المغربي إلا من عهد السلطان العلوي أبي الربيع .

المدافع عند المناسبات ، وفي هذا يقول القشتالي (١) عن وقع هذه المدافع في مدينتي فاس :

« وإذا استهلت رعودها في العيدين عند العود من المصلى ، ولورود بشارة عظمى ، فلا تسأل عن تزلزل الأرض ورجفانها ، ويمتد على البلدين ركام البارود كأنما هو ليل مطبق . . » .

* * *

وقد أحيا المغرب السعدي حركة الجهاد في البحر ابتداء من أيام المعتصم الذي يقول عنه مؤرخ مغربي (٢) : « وأمر بإنشاء السفن في العرائش وسلا ، وصار أهل الأندلس يسافرون في البحر مع أهل المغرب، وضيقوا بالنصارى أشد تضييق . وكثرت الغنائم » .

وبعد هذا تدخل المنصور الذهبي وأعد الأسطول بمرسى رباط الفتح . ونوه بخطة أميرال البحر ، فأسندها لمغربي . أدال منه فيما بعد بقائد تركي يقول عنه القشتالي (٣) : « ... فهو اليوم — قبطان الأسطول الإمامي الجهادي . ورئيس الجماعة من رؤساء المراكب الجهادية ، والقطائع البحرية » .

* * *

وننتقل — الآن — إلى الجو الثقافي لنحاول الكشف عن آفاق التجديد التي عرفها هذا القطاع على امتداد المغرب الكبير .

---

(١) « مناهل الصفا » ، ص ٢٦٤

(٢) « تاريخ الدولة السعدية » لمؤلف مجهول الاسم ، ص ٥٣

(٣) « مناهل الصفا » ص ٢٠٥

ويلاحظ – في البداية – أن كلاً من الحكام العثمانيين والسعديين لم يبذلوا محاولات لتطوير التعليم .

وساوق هذه الظاهرة تبدل تلقائي في عدد من الكتب الدراسية ، لتحل محلها موضوعات حديثة التأليف طغى عليها أسلوب الاختصار طغيانه على عدد من المؤلفات الدراسية الأخرى .

ومن جهـــة أخرى فإن الحركة العلمية خمدت في تونس من بداية التدخل الإسباني إلى أوائل المائة الهجرية الحادية عشرة[1] ، بينما نزح عنها بعض الأعلام مضافاً لهم عدد وافر من أعلام الجزائر نزحوا عن المغرب الأوسط في مناسبات مختلفة ، وقصدت غالبية هؤلاء وأولئك مدينة فس ، كما أن علماء السواحل المغربية المحتلة لجؤوا بدورهم إلى نفس المدينة .

وبهذه الهجرات – من هنا وهناك – انبثق نوع جديد من التلاقح الفكري على مستوى المغرب العربي ، وصارت مدينة فاس ملتقى لهذا التلاقح ، بينما استمرت عناصر علمية أصيلة تزدان بها مدن من الجزائر .

وفي إطار هذا كله عرف المغربان – في ميدان التعليم والتأليف – بارقة تجديد تلقائي ، ولو أنه محدود ، وخاضع لأسلوب الاختصار الذي صار طابع الثقافة الإسلامية في هذا العصر .

* * *

(١) جاء في التاريخ الباشي عن الحاضرة التونسية في هذه الفترة : « وقد كان العلم – لأول دولة الترك – قد ارتفع منها بالمرة » ، نقله – باختصار – في إتحاف أهل الزمان ج ٢ ص ١١

وهكذا استجد بالمغرب الأقصى دراسة بعض العلوم العقلية ، بعدما وفد إلى فاس محمد بن خروف الأنصاري التونسـي ، وكان بارعاً في المنطق والكلام وأصول الفقه والمعاني والبيـــان[1] ، والغالب أن الذي تجدد بالمغرب هو دراسة هذه المواد على طريقة المتأخرين .

كذلك انبعث في نفس الجهة دراســة الهندسة بفاس ومراكش ، وهنا نحيل إلى بحث منشور في هذا الصدد[2] ، وإنما نشير إلى انبعاث تعليم الطب بالمغربين - معاً اعتماداً على ألفية ابن سـينا ، وقد علق عليها - بتلمسان - محمد بن يوسف السنوسي شرحاً مات دون إكماله[3] ، وأقرأها بفاس كل من عبد الرحمان سفين العاصمي[4] ، وعبد الوهاب

---

(١) يقول عنه أبو حامد محمد العربي الفاسي : « الشيخ الإمام ، وحيد عصره بالمغرب في الأصلين ، والبيان ، والمنطق ، أبو عبـــد الله محمد بن أبي الفضل خروف التونسي ، وكان قد قرأ في تونس ومصر وغيرهما ... وأقام بفاس تقرأ عليه تلك العلوم ، فهو مجدد سند تعليمها بالمغرب ، وعنه أخذت على الحقيقة » « مرآة المحاسن » ص ٩

(٢) انظر : محمد المنوني : أساتذة الهندسة ومؤلفوها في المغرب السعدي » مجلة « دعوة الحق » : السنة التاسعة ، العدد الثاني ، ص ١٠١ - ١٠٤

(٣) أحمد بابا التنبكتي عند ترجمة السنوسي من « نيل الابتهاج » ، المنشور بهامش الديبـاج المذهب لابن فرحـون ، مطبعة المعاهد بالقاهرة عام ١٣٥١ هـ ص ٣٢٥ - ٣٢٩

(٤) جاء عنه أنه كان يشارك في الطب ويحسن ألفية ابن سينا ، حسب =

الزقاق [١] ، وعبد الواحد بن عاشر [٢] ، وبفـــهارة : عبد الوارث بن عبد الله اليلصوتي [٣] .

= مخطوطي : فهرسي المنجور : الكبرى والصغرى ، ونقل أحمد بابا التنبكتي عن نسخة ثالثة من فهرس المنجور : « يقرىء ألفية ابن سينا » « نيل الابتهاج » ص ١٧٧

(١) شرح أرجوزة طبية لناظمها القائد عبد الكريم بن مؤمن بن يحيى العلج ، خ ، ع ، ج ١٦٧ ، وهو يذكر في مدخلها أنه قرأ جل أرجوزة ابن سينا على أستاذه عبد الوهاب الزقاق .

ومن الجدير بالإشارة أن المؤلف يذكر اختصاصه بالسلطان السعدي عبد الله الغالب ، وقد ورد ذكره ـ عرضاً ـ في « مناهل الصفا » بوصف حاجب نفس السلطان ، ص ٢١٢ ، وعده في نزهة الحادي ص ٥١ من وزرائه مع وسمه بالجنوي ومثله في « الاستقصا » ج ٥ ص ٥٧

(٢) محمد ميارة : في ترجمة أستاذه ابن عاشر ، من مخطوط « نظم اللآلي والدرر » في اختصار مقدمة ابن حجر » ، خ . ع ك ٩٣١ : عند الفصل الأول .

(٣) « دوحة الناشر » ص ٦ ، ووقع في نسبه من « الدوحة » المطبوعة : اليصلوتي بتقديم الصـاد على اللام ، وهو تحريف عن اليالصوتي بتقديم اللام ، نسبة إلى يلصو بفتح أوله وسكون ثانية وضم الصـاد ، ويقال إنه ابن محمد بن أبان ابن الخليفة عثمان بن عفان (رض) ، كما يذكر أنه دخـــل المغرب عام ٩٠ هـ حيث نزل بقبيـلة بني زروال من قبيـــل الأخماس ، قال أبو الربيع سليمان الحوات : واتخذها داره حتى لقي الله ، وبقي بها أعقابه ، وهم ـ إلى اليوم ـ منتشرون ، وقبره فيها مزارة كبرى على مرحلتين من شفشاون ... وعوام تلك الناحية يقولون له يارزو » .

قال في « دوحة الناشر » عن نسب الشيخ عبد الوارث الذي نعلق عليه : =

ومن أواخر هذه الفترة بدأت مدارس الزوايا الصوفية في الظهور ، في مناهج تعتمد المواد الدينية والعربية ، مع تكوين أخلاقي رفيع ، وكان أول ما عرف منها بالمغرب الأقصى مدرسة تستاوت الملحقة بزاوية الشيخ محمد بن مبارك الزعري[1] عند عمالة خنيفرة ، ثم تتابع ظهور هذه المدارس بالأطلس المغربي على امتداد أقسامه ، وفي الصحراء وفاس .

* * *

وقد بدأت حركة التأليف تنتظم - أكثر - بالمغرب ، وفي الميدان الفقهي عرفت مدينة فاس نهضة جديدة تهدف إلى لون من فلسفة الفقه المالكي : باستنباط أصول مسائل الخلاف ، واستنتاج قواعد المذهب ، ومقارنة مسائله ، مع مراعاة تطورات المجتمع المغربي انطلاقاً من المائة الهجرية التاسعة .

= « ويقال إن بالصو هذا جده هو يلصو بن عبد الله بن أبان بن عثمان بن عفان رضي الله عنه » ، وقد عقب أبو الربيع الحوات على هذه الفقرة وقال : « وهو خطأ صراح » ، إذ ليس في بني أبان بن عثمان من اسمه عبد الله .

انظر عن بالصو هذا مخطوطتي :

« سنا المهتدي » لعلي مصباح الزرويلي : عند خاتمة الكتاب .

مع « الروضة المقصودة » لأبي الربيع سليمان الحوات : عند الباب السابع ، لدى ترجمة محمد بن سعادة الخمسي .

(١) هنالك إشارة لهذه المدرسة وتسمية زمرة من طلابها الذين بلغ عددهم ألف طالب ، حيث ورد ذلك بتقييد لمؤلف مجهول الاسم في الترجمة المباركية ، حسب نسخة مخطوطة منه في المكتبة الملكية رقم ٧٢٦

وقد ساهم في خدمة هذا الاتجاه مجموعة من أكابر الفقهاء المشترعين : أبو الحسن الزقاق ناظم أرجوزة « المنهج المنتخب إلى قواعد المذهب »(١) .

ثم أبو العباس أحمد الونشريسي التلمساني نزيل فاس ، مؤلف كتب « المعيار » و « إيضاح المسالك إلى قواعد الامام مالك » مع « عدة الفروق » في تلخيص ماني المذهب من الجموع والفروق(٢) .

وألف محمد بن أحمد بن غازي « كليات المسائل الجارية عليها الأحكام »(٣) .

وعمد عبد الواحد الونشريسي إلى « نظم كتاب إيضاح المسالك » لوالده نظماً مستوعباً مع إضافة زيادات موضوعية ، وله — سوى هذا — نظم كثير من نظائر المذهب وكثير من مسائله(٤) .

---

(١) نشر بالمطبعة الحجرية الفاسية ضمن شرحه للمنجور .

(٢) أول هذه المؤلفات وثالثها منشوران بالمطبعة الحجرية الفاسية ، والثاني مخطوط في نسخ متعددة ، منها واحدة عتيقة متلاشية ، غير أنها مذيلة بثلاثة تقاريظ ، آخرها لمحمد بن عبد الرحيم بن يجبش التازي ، وهي بالمكتبة الملكية رقم ٨٥٢٢ ، وهناك نسخة بخزانة وزان رابعة ، بمجموع رقم ٦٨٠ ، ومن المقرظين عليها : عبد الرحمن ابن محمد الجذامي الشهير بالبردعي ، وأحمد الغرناطي الشهير بالأندلسي ، وابن يجبش آنف الذكر ، وأحمد بن محمد الحباك ، وعبد الواحد الونشريسي ابن المؤلف ، وأخيراً أحمد العبسي .

(٣) نشر الموجود منها بالمطبعة الحجرية الفاسية .

(٤) « فهرس المنجور » عند ترجمة أستاذه الونشريسي ، ونظمه المشار له =

ووضع أبو العباس المنجور « شرحاً على أرجوزة المنهــج المنتخب » الزقاق ، كما « شرح نظم أستاذه عبد الواحد الونشريسي لكتاب « إيضاح المـ الك[1] » .

وأخيراً : أبو الحسن علي بن عبد الواحد الأنصاري السجلماسي نزيل الجزائر ، وهو ناظم « أرجوزة اليواقيت الثمينة ، في العقائد والأشباه والنظائر في فقه عالم المدينة[2] » .

وقد انبثق عن هذا المجهود الفكري ظهور تشريعات فقهية تسـاير

= لايزال مخطوطاً ، ومنه نسخة بالمكتبة الملكية رقم ٦١٥٥ ، وهي مذيلة بتقريظ عليها ، نظمه ـ في بحر الرجز ـ تلميذ المؤلف ومعلم أولاده : عبد الرحمن الكولالي والد أبي سالم إبراهيم الكولالي الفقيه النوازلي المعروف .

(١) علم من التعليق رقم ٣ في الصفحة السابقة : أن شرح المنجور للمنهج المنتخب منشور ، أما المؤلف الثاني فلا يعرف عنه سوى ذكره عند ترجمة الونشريسي من فهرس الشارح حيث يذكر أن الشرح لايزال لم يخرج من مبيضته .

(٢) هكذا ورد اسم المنظومة في ترجمة موجزها عند المحبي في « خلاصة الأثر » : المطبعة ارهبية بالقاهرة ، ج ٣ ص ١٧٣ – ١٧٤ ، غير أن الأرجوزة حددت عنوانها ، في الأبيات الختامية : « باليواقيت الثمينة ، فيما انتمى لعالم المدينة » ، وقد فرغ من نظمها بمدينة الرباط ، بتاريخ الجمعة من صفر عام ١٠٣٩ هـ .

لاتزال هذه المنظومة مخطوطة في نسخ قليلة خاصة أو عامة ، ومنها واحدة بخط جزائري ـ أول مجموع ، خ ، ع ، ك ١١٦٧ ، ويوجد شرحها بالخزانة نفسها لمحمـد بن أبي القاسم السجلماسي – بخط مغربي – ، آخر مجمــوع يحمل رقـم ك ١١٨٤

التطور المغربي في ميادين الأحوال الشخصية والمعاملات ، وهي المسائل التي صارت تعرف بالعمل الفاسي ، حيث ألم بنبذة منها أبو الحسن الزقاق أواخر منظومته « الزقاقية » في المسطرة القضائية ، ثم توسعت مسائل هذه العمليات ، لتظهر مجموعتها في فترة لاحقة ، منظومة في أرجوزة العمل الفاسي ، لأبي زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي [1] .

وقد ازدهرت في الحقبة التي نعوضها كتابة التراجم انطلاقاً من :

« النجم الثاقب فيما للأولياء من المناقب » لمحمد بن صعد التلمساني [2] .

و « دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر » لمحمد بن عسكر الشفشاوني [3] .

و « البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان » ، لمحمد بن مريم التلمساني [4] .

و « جذوة الاقتباس ، فيمن حل من الأعلام مدينة فاس » ، مع

---

(١) تكرر نشرها هي واللامية الزقاقية بالمطبعة الحجرية والسلكية : منفردتين ومشروحتين .

ونستدرك هنا فنشير إلى أن ظاهرة جمع القواعد في هذه الفترة ، استخدمها أبو العباس أحمد زروق في تأليف رسالته التي تحمل اسم « القواعد » ، غير أن هذه تناولت التصوف وأصوله ، في ٢١٧ قاعدة منشورة بالمطبعة العلمية بمصر عام ١٣١٨هـ

(٢) لايزال مخطوطاً في نسخ قليلة ، منها واحدة في مجلد بالمكتبة الملكية رقم ٢٤٩١

(٣) نشرت ـ مرتين ـ بالمطبعة الحجرية الفاسية .

(٤) منشور في المطبعة الثعالبية بالجزائر .

« درة الحجال في أسماء الرجال » : الاثنتان لأبي العباس ابن القاضي الفاسي .

و « أزهار الرياض » و « نفح الطيب » مع « روضة الأزهار العاطرة الأنفاس ، في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين : مراكش وفاس » : الثلاثة لأبي العباس المقري التلمساني نزيل فاس (١) .

هذا فضلًا عن فهارس الأشياخ والتراجم الشخصية .

وقد كان أشهر طبيب مؤلف في هذه الفترة هو أبو القاسم الوزير الغساني الفاسي ، ويقول عنه الدكتور الفرنسي رينو : « إنه عقلية مستثناة بالنسبة إلى عصره والجو الذي عاش فيه ، وينبغي الحكم على عمله بموازنته مع الكتب العديدة في مادة الطب لمؤلفين آخرين من العرب » (٢) .

وقد كان من مظاهر النشاط الثقافي في الحقبة ذاتها ، بعث حركة التعريب بكل من المغرب وتونس ، محاولة للاستفادة من معطيات الانبعاث بأوروبا ، وإسهاماً في بوادر النهضة الحديثة ، وصارت هذه الظاهرة — بالمغرب الأقصى — من اهتمامات كل من المنصور السعدي وابنه زيدان .

ففي أيام المنصور قام أبو القاسم الوزير الغساني الفاسي بترجمة مؤلف إلى العربية ، وأعطى الترجمة اسم « مغني اللبيب عن كتب أعداء

(١) هذه المؤلفات الخمسة كلها منشورة ، وأكثرها تكرر طبعه .

(٢) كتاب (العلم عند العرب) تأليف المستشرق الايطالي الدوميلي : الترجمة العربية المنشورة في مطابع دار القلم بالقاهرة ، ص ٤١٨

الحبيب » ، ولم يوضح المصدر المعني بالأمر موضوع الكتاب المعرب ، ولا يبعد أن يكون في الطب أو الصيدلة .

وقد انجزت – في نفس العصر – ترجمة أخرى تناولت مؤلفاً طبياً بمباشرة أبي العباس أحمد بن أحمد بن الحسن السفيوي المراكشي [١] .

وجاء عن زيدان : أن أسيراً إيرلاندياً يحمل اسم أنطوان ، كان يترجم – برسمه – الكتب اللاتينية إلى القشتالية ، وعن هذه اللغة ينقلها بعض الأعلاج إلى العربية [٢] .

ولا يبعد أن تكون هذه نفس الطريقة التي تمت – بواسطتها – الترجمتان الواقعتان على عهد المنصور ، حيث أشير لهما وشيكاً .

وقد كان في بلاط زيدان مترجم من مهاجري الأندلس : شهاب الدين أحمد بن قاسم بن أحمد الحجري الملقب بأفوفاي ، وبعد وفاة مخدومه قام بالمهمة نفسها لدى ولديه : (عبد الملك الثاني ثم الوليد) .

---

(١) انظر محمد المنوني : « ظاهرة تعريبية في المغرب السعدي » مجلة « اللسان العربي » : العدد الأول ، ص ٥٣ - ٥٥

وهناك نشرة ثانية مزيدة للدراسة نفسها : في صحيفة « معهد الدراسات الإسلامية في مدريد » : المجلدان ١١ ، ١٢ سنة ١٩٦٣ - ١٩٦٤م ، ص ٣٢٩ - ٣٥٨

ونشرة ثالثة مزيدة أكثر في مجلة « دعوة الحق » : السنة العاشرة ، العدد الثالث ، ٧٤ – ٩١

(٢) Gaston Deverdun (Marrakech des origines à 1912) Editions techniques Nord — Africaines — 1959 — I Texte — Page 434 .

والظاهر أن من مترجمات الشهاب الحجري بالمغرب ، تعريب رسالة الزيج الذي وضعه — في تعديل الكواكب — إبراهيم زاكوط اليهودي الأندلسي السلمنكي ، وكان هذا كتب رسالته بالعبرانية ، ثم نقلها — بمدينة مراكش — إلى القشتالية تلميذ المؤلف : المعلم يوسف الأندلسي ، وعن هذه اللغة ترجمها الحجري إلى العربية .

وبعدما أقام هذا الأخير بالمغرب أكثر من ٣٨ عاماً انتقل إلى حاضرة تونس ، حيث أنجز - بها - ترجمة أخرى بعنوان : «كتاب العز والمنافع للمجاهدين بالمدافع » ، وكان الأصل المعرب - عن القشتالية - ألفه - في فن المدفعية الحديثة - مهاجر أندلسي إلى تونس : إبراهيم غانم بن أحمد غانم الأندلسي ، المعروف - بالإسبانية - بلقب الرباش [1] .

وهكذا : سيكون « كتاب العز والمنافع » رابع المعربات في

(١) انظر محمد المنوني : « ظاهرة تعريبية في المغرب السعدي » ، ص ٥٥ - ٦٣ من نشرة مجلة « اللسان العربي » المشار لها وشيكاً ، وقد ورد بهذا المصدر الاشارة إلى النسخة الوحيدة التي كانت معروفة من الزيج الزاكوطي ، وهي بالمكتبة الملكية رقم ١٤٣٣ ، ثم ظهر بالمكتبة نفسها نسخة ثانية من هذا الزيج برسالته وجداوله ، في سفر مستقل صار يحمل رقم ٨١٨٤ ، وجاء في آخر الرسالة في تعابير ضعيفة هكذا :

« تمت الرسالة للجداول ، ترجمة من عبراني إلى لغة اللتين في لسان رمنص ، وهي اللغة العجمية المتصرفة في بلاد اسبانية ، وهي بلاد الأندلس . على يد المعلم يوشب (يوسف) تلميذ المؤلف للجداول ، وترجمها - من اللسان الرمنص - عبد الله وأسير ذنبه ، الراجي عفو ربه : قاسم بن أحمد ابن الفقيه قاسم بن الشيخ ، الحجري الأندلوسي كان الله له بمنه ، آمين » .

الفترة التي نعرضها ، ولحسن الحظ فإن هذه الترجمة مع تعريب الرسالة الزاكوطية ، استمرا معروفين في عداد المخطوطات ، بينما نجهل - الآن - مصير الترجمتين الواقعتين في عهد المنصور الذهبي .

* * *

ونتابع الآن عرض معطيات الجـــو الثقافي الجديد ، ونشير إلى أن وضع الاحتلال بالمغرب الكبير ، أتاح الظهور لمحاولات تهدف إلى إصلاح الحالة الاجتماعية ، عن طريق أوضاع نثرية أو شعرية ، فكان هناك من يتناول الدعوة إلى الجهـاد لتحرير البلاد ، بينما يربط آخرون واقـع المغرب بتفاقم البدع ، أو بالانحلال الانعقائدي أو الخلقي .

* * *

وفي صدد الذين تناولوا الدعوة للجهاد يقول الناصـــري [1] بمناسبة حديثه عن فترة الغزو الأجنبي بالمغرب الأقصى ، ويبرز نبـــمات أدب المقاومة الوطنية :

« . . . ولقد ألف الناس في ذلك العصر التآليف في الحض على الجهاد والترغيب فيه ، وقال الخطباء والوعاظ في ذلك فأكثروا ، ونظم الشعراء والأدباء فيه ونثروا .

فممن ألف في ذلك الباب فأفاد ، الشيخ ، المتفنن ، البارع ،الصوفي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحيم بن يجبش التازي ، قال في « الدوحة » وقفت له على تأليف ألفه في الحض على الجهاد في سبيل الله ، فـكان مما

(١) « الاستقصا » ، ج ٤ ص ١١٢

ينبغي أن يتناول باليدين ، ويكتب — دون المراد — باللبن ، أودعه نظماً ونثراً .

ومن نظم في ذلك فأجاد : الشيخ ، الصالح ، المتصوف ، المجاهد : أبو عبد الله محمد بن يحيى البهلولي ، قال في « الدوحة » : كان هذا الشيخ ممن لازم باب الجهاد وفتح له فيه ، وله في ذلك أشعار وقصائد : زجليات وغيرها » .

والتأليف الذي أشار له الناصري لا يزال مخطوطاً في نسختين :(خاصة) يتخللها بتر ، والثانية ضمن مجموع رقم ق ٣٣٦ في الخزانة العامة بالرباط ، وهو يحمل اسم « تنبيه الهمم العالية ، على الصدقة والانتصار للملة الزاكية وقمع الشرذمة الطاغية » .

أما أشعار البهلولي فلا يزال مجموعها غير معروف ، وأثبت في«دوحة الناشر » مطالع ثلاث قصائد منها : ثنتان زجليتان ، والثالثة معربة .

* * *

وإلى جانب الدعوة للجهاد اهتم أبو العباس أحمد زروق الفاسي بنقد بدع التصوف وبالخصوص في كتابيه :

« عدة المريد الصادق من أسباب المقت ، في بيان الطريق القصد وذكر حوادث الوقت » وهو مخطوط متداول .

مع « النصح الأنفع والجنة ، للمعتصم من البدع بالسنة » ، أشار له السوداني (١) .

---

(١) « نيل الابتهاج » ص ٨٥ ، والغالب أن النصح الأنفع عنوان ثان لكتاب عدة المريد . وهكذا جاء عنوان العدة في مخطوطين اثنين : خ . ع . ق : رقم ٧١٠ آخر مجموع ، مع رقم ١٠٤٥ أول مجموع .

وكان لاتجاه الإمام زروق تجاوب - أكثر - بالمغرب الأوسط، فوضع أبو حفص عمر بن محمد الكماد الأنصاري القسنطيني الشهير بالوزان كتاباً في الرد على الشابيين بالقيروان [1]، مع العلم بأن المؤلف من الآخذين عن الشيخ طاهر الزواوي تلميذ الشيخ زروق [2].

كما أن عبد الرحمن الأخضري نظم الأرجوزة «القدسية»، في التصوف السني والتحذير من البدع؛ ووالد ناظمها: الصغير بن محمد الأخضري تلميذ مباشر لزروق [3].

وستأتي هذه الأرجوزة رابعة المؤلفات التي تناولت بدعاً خاصة، ونذكر بعدها موضوع أبي محمد عبد الله الهبطي [4]، غير أن هذا اهتم

(١) «فهرس المنجور» عند ترجمة أستاذه اليسيتني، مع «درة الحجال» رقم ١١٨٤

(٢) انظر ترجمة الزواوي في «نيل الابتهاج» ص ١٣٠، وعند ابن مريم في البستان ص ١١٦

(٣) انظر المهدي البوعبدلي: «الحياة الفكرية ببجاية في عهد الدولتين: الحفصية والتركية وآثارها»، مجلة «الأصالة»، السنة الرابعة، العدد ١٩، ص ١٤٤ - ١٤٥، وقد أشار إلى أن الأرجوزة نشرت ناقصة ضمن «مجموعة الرسائل المنيرية» عام ١٣٤٦ هـ، غير أنها ليست واردة بالمجموعة المشار لها.

وقد نوه بالأرجوزة الأخضرية أبو العباس الطالب أحمد بن طوير الجنة الوداني، واقتبس منها ٢٥ بيتاً في شروط الذكر وما إليه، حسب رسالته: «فيض المنان في الرد على مبتدعة هذا الزمان»، مخطوطة المكتبة الملكية رقم ٤٠٦

(٤) ترجمته في «دوحة الناشر» ص ٦ - ١٣، ولولده محمد بن عبد الله الهبطي «أرجوزة» مطولة في ترجمة والده وأسماء عيون أصحابه، ولا تزال مخطوطة.

بالبدع بصفة عامة في أرجوزته المطولة التي تحمل اسم : « الألفية السنية ، في تنبيه العامة والخاصة على ما غيروا في الملة الإسلامية » ، وهو ينقد فيها المجتمع المغربي على سائر المستويات ؛ ولا تزال مخطوطة .

وبالإضافة إلى هذه الألفية خلف المؤلف نفسه منظومـــات صغيرة ورسائل في التحذير من بدع جبال غمارة ، وقد كان موقعهـا في مجاورة منطقة المد البرتغالي ، ولا شك أن هـذا الجوار للمحتل صار له تأثير في وفرة الدعاة بهذه الجهات ، من أقران أبي محمد عبد الله الهبطي وتلاميذه الذين نهجوا طريقته ـ نظماً ونثراً ـ في نقد الابتداع ، وكان منهم :

أبو البقاء عبد الوارث اليلصوتي (١) . وأبو حفص عمر بن عبد الوهاب الحسني العلمي (٢) وأبو الربيـع سليمان الحاج الملولي الزجلي (٣) . وأبو القاسم

---

(١) ترجمته في دوحة الناشر ص ٥ ـ ٦ ، وقد أثبت له أبو العباس أحمد بن عرضون ـ آتي الذكر ـ قصيدة زجلية مطولة ضد جملة من مبتدعات قبيله ، حسب « مختصر مقنع المحتاج في آداب الأزواج » ، ط. ف. ص ٢٦ ـ ٣١

وللشيخ عبد الوارث هذا رسالة لاتزال مخطوطة باسم « المسلك القريب الموصل إلى حضرة الحبيب » ، وهو يحمل في مواضع منها على الانحراف الصوفي ، في لهجة قوية يبدو أنها موجهة ضد ابتداع الطائفة اليوسفية سابقة الذكر عند التعليق رقم ٢ ص ٨٣٣

(٢) ترجمته في « ممتع الأسماع » : الملزمة ١٠ ص ٧ ـ ٨ ، حيث يقول عنه : « وكان متين الدين ، صلباً في الحق ، قوالاً به ، لايخاف ـ في الله ـ لومة لائم » .

(٣) له قصيدة في جملة من محدثات قبيله ، أشار لها ابن عرضون في مقنع المحتاج المخطوط ، وفي مختصره المنشور بالمطبعة الحجرية الفاسية ، ص ٣١

ابن علي بن خجو الحساني [١] . وأبو العباس أحمد بن الحسن بن عرضون الزجلي [٢] .

* * *

وعلى امتداد المغرب الكبير ظهر – خلال الفترة ذاتها – استعمال التبغ : بالتدخين أو النشوق ، وكانت مناسبة لظهور أوضاع في الدعوة لرفض هذا الوافد ، فحظره الفقهاء المعنيون بالأمر ، ومن بينهم أبو العباس المقري التلمساني ، وأبو زيد عبد الرحمن بن محمد الفاسي [٣] ، وأبرز هذا الأخير – في فتواه – عواقب استهلاك التبغ على العملة الوطنية حسب الفقرة التالية .

(١) يصفه ابن عسكر عند ترجمته بناصر السنة ومميت البدعة ، حسب « دوحة الناشر » ص ١٣ ، ويقول عنه ابن عرضون في « مقنع المحتاج » : « ورسائله في هذا المعنى – من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر – لاتحصى كثرة » هذا بالاضافة إلى ماسجله في شرحه لترجيز مسائل ابن جماعة في البيوع ، حيث نبه على محدثات قبيله ، وشنع على مبتدعاتهم .

(٢) هو مؤلف كتاب : « مقنع المحتاج في أدب الأزواج » الذي يقع في مجلد كبير ، ولا يزال مخطوطاً في نسخ محدودة ، ثم استخرج منه مؤلفه مختصراً نشر بالمطبعة الحجرية الفاسية في ١٢٠ ص ، وقد تبينا من الإحالات على المؤلفين ضمن التعليقات القريبة نماذج من مناهضة ابن عرضون للبدع المنتشرة بين قبيله .

(٣) نقل محمد ميارة نص الفتويين – معاً – من خط صاحبيهما ، وأثبتها في شرح نظم تكميل المنهج : ط . ف : الملزمة السادسة ص ٨ ، مع كامل الملزمتين : السابعة والثامنة .

• • • • • • • • • •

= ومن الجدير بالإشارة أن جواب أبي زيد بن محمد الفاسي ، نشر — بالمطبعة الحجرية الفاسية — في صفحتين من ورقة واحدة ، غير أنه جاء منسوباً لأبي زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي ، وهو سهو واضح من الناشر ، حيث تبينا أن الجواب منقول من خط صاحبه مباشرة ، وناقله تلميذ للمجيب ، وليس تلميذاً لأبي زيد بن عبد القادر ، وإنما هذا من الآخذين عن ميارة ، حسب ترجمته في طالعه شرح العميري للعمليات الفاسية .

وبعد هذا نوضح أن جواب أبي زيد الفاسي جاء للرد على سؤال في الموضوع ، بعث به — من تطوان إلى فاس — ابن أخي المجيب : أبو حامد محمد العربي الفاسي ، وصاغه في أسلوب مطول استوعب أربع صفحات من الحجم الكبير ، وهذا السؤال هو الذي يسميه الإفراني بـ « سهم الإصابة في حكم طابة » ، حسب ترجمة محرره من « صفوة من انتشر » ، ص ٧٩

ونعقب — الآن — بكلام في الاتجاه ذاته ، ورد في جواب لأبي سالم ابراهيم الكلالي ونصه بطوله :

« ... وأما ما يفعله سفلة التجار من سفرهم الاقتصادي إلى أرض الحرب ، والدخول تحت حكمهم ، ونقل ذخائر المسلمين من النقود الجيدة وغيرها من أنواع مايستعينون به ويتقوون على المسلمين بسببه ، فلا يحتاج إلى جلب نص على منع ذلك وتحريمه لشهرة ذلك في كل ديوان ، بل مما شاع وذاع عندهم خسيسة قذرة تستد من مجرد سماعها الآذان ، وتطيش من فضيحتها العقول والأذهان ، وهي إعمال السفر لبلادهم ، والدخول تحت قهرهم وحكمهم ، بالنقود الجيدة : الذهب الخالص ، والفضة الخالصة ، وأنواع السلاح وما يؤول إليه ، ودفع ذلك في أعشاب الأرض يسمونه بالنار والدخان ، فهي رزية وما أعظمها ، وبلية وما أخسها ، ومحنة عظيمـــة ولا خالد بن الوليد لها ، =

« . . ولو نظر إلى ما عرض فيها من إضاعة المال كما هو صورة الواقع لكان صحيحاً وجلياً ، فقد تطرق من ذلك ضررٌ للإسلام وذويه ، ونفع لأهل الكفر ، بحيث اختصوا بالجيد من سكة الإسلام ، بل واستبدّوا بالكثير من أموال المسلمين ، وفي ذلك ضرر عام يفضي إلى توهين الإسلام وفلّ حدّه ، باستفراغ جلّ ما بأيديهم من عين الذهب والفضة ، وتقوية الكفرة بتَلٍّ يدهم بما لا ينقص شيئاً من منافعهم وأقواتهم وذخائرهم ، ولا

= ومن أغرب ماحدثني به بعض الثقات من أصحابنا التجار ، بعد أن سألته عن الذهب الجيد الذي كان يتبايع به المسلمون ، وأين ذهب ، وهل هو باق عند الناس في ذخائرهم ، وأين صار ؟ فقال لي : إن التاجر لايختزن الدينار ولا الدرهم لعدم انتفاعه بفضل ذلك ، وإنما يختزن مايكون له فيه ربح . فقلت له فأين ذهب ذهب المغرب كله ، قال لي : عند النصارى دمرهم الله في سلعة الدخان المشموم ، فاستغربت ذلك من قوله ، فقال لي : أحدثك بالواقع لي ، وذلك أني سافرت إلى مدينة سبتة ، أعادها الله دار إسلام ، فأقمت بها قريباً من عشرين يوماً أنتظر سلعة الهند ، لعلي أجد ما أشتري ، فلم أجد شيئاً ، فبينما نحن في انتظار مايظهر من أغراضي ، فإذا بسفن قدمت من عدوة النصارى ، ففرحت ، فلما أرست لم نجد فيها عدا الدخان ، فما كان من صبيحة الغد ، حتى كانت كلها موزونة على ذمة مشتر ، فيها خمس عشرة مائة قنطار ، لم يدفع في ثمنها إلا الذهب الجيد ، وبقيت بعد ذلك من خمسة عشر يوماً مقيماً أنتظر ما نشتري ، فقضيت بعض أغراضي ولم أستكملها بذلة ومهانة ، ورجعت لثغر تطوان فوجدت دخانها كلها قد نفد ، وصار إلى من سخط الله عليه ، فنفدت نقود المسلمين كلها في دخان لا أصل له ولا حقيقة ، ولا منفعة حسية ولا معنوية ، ولا متكلم ولا نكير ، فإنا لله وإنا إليه راجعون » نقله التسولي في « نوازله » ، أثناء باب الجهاد وملحقاته ، مخطوطة المكتبة الملكية ضمن المجموعة الزيدانية رقم ٧٩٨ ، ج ١ ص ١٩٤ - ١٩٥

من عدتهم وعددهم ، وقد منع الشرع من جلب المنافع إليهم من طعام وشمع ، وأحرى السلاح ، وأيّ سلاح أقوى من الذهب والفضة .

فصار مدارها ومآل أمرها إلى إنجاد الكفرة ، وإقعاد المسلمين عن الدفاع ، وأي مفسدة فوق هذا .

على أنه عاد من ذلك ضرر وحرج في السكة يعرفه أهل المعاملات ، وكفى بذلك كله مانعاً » .

ولاعطاء تحريم التبغ صبغته الرسمية ، حكم به قاضي فاس ، وسجل الحكم عليه بذلك ، واستناداً لهذا أمر المنصور السعدي بإحراق المتداول منها لدى الباعة ، فأحرقت بديوان فاس الجديد[1] .

ونشير - الآن - إلى عالم جزائري كتب في موضوع تحريم الدخان في فترة لاحقة ، وهو عبد الكريم بن محمد الفكون القسنطيني ، وقد ألف جزءاً سماه : « محدّد السنان في نحور إخوان الدخان »[2] ،

(١) من جواب مخطوط في نفس الموضوع ، لشيخ الجماعة بفاس : أبي العباس أحمد بن الخياط الزكاري الحسني الفاسي ، مع « النوازل الوزانية الصغرى » ، ط . ف ، ج ١ ص ٢٧٦ ، وديوان فاس الجديد الوارد في الفقرة التي نعلق عليها ، جاء ذكره - أيضاً - في نوازل الشريف العلمي ، ط ، ف ، ١٣٣٢ هـ ، الملزمة ٣٣ ص ٤ ، وهو يورده بتعبير مفسر هكذا : « ... ديوان النصارى كان هؤلاء هم الذين كانوا يتاجرون باستيراد التبغ وبيعه في فاس وغيرها من جهات المغرب » .

(٢) ترجمته في « شجرة النور الزكية » رقم ١٢٠٣

ثم لخص منه أبو سالم العياشي (١) ، وكان مما ورد في تخليصه في سياق ذكر المؤلف .

« . . . ثم نقل كلاماً في تحريه لصاحبه الأستاذ أبي عبد الله محمد السوسي المغربي المتوفى بالجزائر سنة ثلاث وعشرين بعد الألف . . ونقل ما استحضره من كلام جمال الدين مفتي القيروان ، ثم نقل أجوبة في تحريه منظومة لبعض الفاسيين » .

وفي إطار حركة الإصلاح الاجتماعي الذي نتابع عرضه ، اتجه مفكرون - من المغربين - إلى تجديد الدعوة لتوعية الجماهير - رجالاً ونساء - بالتعريف بالعقيدة الإسلامية ، ولاشك أن هذا جاء في موازارة حركة التبشير المسيحي الذي يواكب الغزو البرتغالي والإسباني (٢) .

وتبنّى هذه الدعوة العقائدية بالجزائر : محمد بن يوسف السنوسي في أوضاعه الكلامية التي أضاف لها البراهين السمعية والعقلية ، حتى يتسلح الموحدون بما يدحضون به شبه الإنكار على عقائدهم .

---

(١) « الرحلة العياشية » ط ، ف ، ج ٢ ص ٣٩٦ - ٤٠٠

وتوجد نسخة كاملة من « محدد السنان » بالمكتبة الملكية أول مجموع رقم : ٦٩٢٩ ، بخط محمد بن عبد الرحمان الحسني التادلي ، كتبه بمدينة طرابلس الغرب سنة رجوعه من الحج الفرض ، وفرغ منه يوم الأحد ٢٧ رمضان عام ١١٧٨ هـ ، نقله من نسخة بها تصحيف وتحريف في بعض مواضعها ، وأيضاً يتخلل المنتسخ بياض في صفحة كاملة منه .

(٢) انظر « تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها » ، تأليف الدكتور شوقي الجمل ، المطبعة الفنية الحديثة بالقاهرة ، ص ١٢١ - ١٢٤

وبالمغرب الأقصى انتدب للاتجاه ذاته عبد الله الهبطي ، وألف بدوره عقائد مبسطة في مستوى الجماهير من الرجال والنساء والصبيان ، ويقول عنه في « دوحة الناشر »(١) : « وكان كثيراً ما يحض على فهم مدلول الشهادتين بل اتخذ ذلك هجيراً وديدنا لما رأى من استيلاء الجهل على الخلق ، وألف في علم الهيللة أجزاء كثيرة ، أكبرها جرماً وأكثرها فائدة : كتاب « الإشادة بمعرفة مدلول كلمة الشهادة » .

واحتذى حذو الهبطي تلميذه أبو القاسم بن خجو الحساني ، وكان يدعو إلى معرفة قواعد الإيمان بالكتابة وباللسان ، ويلقن التوحيد حتى باللهجة الغمارية لمن لا يعرف اللسان العربي (٢) .

ويبدو أن خطر التبشير المشار له ، كان الحافز لإدماج عقيدة التوحيد ضمن الوظيفة الجزولية (٣) ، حيث لا تزال تلتزمها بعض فروع هذه الطائفة المنبثة بسائر جهات المغرب العربي .

* * *

والآن : نتساءل هل خلف المهاجرون الأندلسيون أو الأسرى من الأعلاج تأثيراً في ثقافة هذه الفترة ؟

وفيما يخص الأندلسيين تبيّنا – سلفاً – أن غالبيتهم وفدوا على الشمال

(١) ص ١٢

(٢) ابن عرضون في « مقنع المحتاج » : المخطوط المتكرر الذكر .

(٣) المعني بالأمر هو المعروف « بحزب سبحان الدائم لايزول » ، ويوجد نصه في « النور الشامل » ، تأليف أبي العباس أحمد بن المهدي الغزال ، مطبعة الصدق الخيرية بالقاهرة ، ص ٥١ – ٥٣

الإفريقي بعدما قضوا مدة طويلة تحت المسخ والتبديل المسيحي ، لدينهم ولغتهم وثقافتهم ، بما لا يترك أثراً للتعاليم الإسلامية ، ولا يستثنى من هؤلاء سوى بضعة أفراد استطاعوا الحصول على درجة من التثقيف العربي في جو من السرية والحذر [١] ، وقد حافظت النصوص على أربعة أسماء من هذه الفئة نعرضها حسب تسلسلها التاريخي تحقيقاً أو تقريباً .

ويحمل أولها اسم الشيخ شعبان ، عالم الأندلسيين الوافدين على تونس ، وأستاذ مدرستهم التي شادوها بعاصمة الخضراء [٢] .

أما الثاني : فهو الشهاب أحمد الحجري ، سابق الذكر في عداد المترجمين إلى العربية ، وقد ألف — أصالة — كتابين :

« رحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب » ، والغالب أن موضوعها وصف رحلته عن الأندلس في هجرته إلى المغرب ، ولا يعرف منها — حتى الآن — سوى فقرات تناقلتها بعض المصادر المغربية .

والمؤلف الثاني الذي وضعه الحجري : هو « ناصر الدين على القوم الكافرين » كتبه — بمصر — باقتراح من عالمها أبي الحسن علي الأجهوري في اثني عشر باباً ، وضمنه مناظراته — بأوربا — مع المسيحيين واليهود [٣]

---

(١) من نماذج هذا الوضع قصة تلقين العربية لمحمد بن عبد الرفيع الأندلسي من طرف والده ، حسب خاتمة « كتاب الأنوار السنية » : المخطوط المتكرر الذكر .

(٢) إتحاف أهل الزمان ، ج ٢ ص ٣٠

(٣) انظر محمد المنوني : « ظاهرة تعريبية في المغرب السعدي » : الدراسة المنشورة بالعدد الأول من مجلة « اللسان العربي » ، ص ٥٥ ، ٧م

وقد قامت المستشرقة الإيطالية : كيليا شارنللي بنشر القسم الخاص بالمغرب الأقصى من هذا الكتاب ، مع ترجمته إلى الإيطالية ، وذلك عن مخطوطته الكاملة المحفوظة بدار الكتب المصرية . وسيأتي - بعد الحجري - محمد بن عبد الرفيع بن محمد الشريف الأندلسي المرسي الأصل ، التونسي المهجر ، المتوفى - بمكة المكرمة - عام ١٠٥٢ هـ / ٤٢ - ١٦٤٣ م ، وهو مؤلف « الأنوار السنية في آباء خير البرية » رتبها على ثمانية فصول ، ذيلها بخاتمة تشتمل على معلومات نادرة تتناول مأساة الأندلسيين بإسبانيا ، وحياة الجالية الأندلسية بتونس ، فضلاً عن معلومات أخرى عن ترجمة المؤلف نفسه ، وعن حاضرة تونس .

ولحسن الحظ فإن الكتاب لا يزال معروفاً في نسختين مخطوطتين : الأولى مغربية بالخزانة العامة بالرباط رقم ك ١٢٣٨ ، في ٣٦٣ ص ، ويبدو أنها بخط المؤلف الذي تولى مقابلتها بنفسه ، وخطه أندلسي أصيل واضح مليح ملون .

وقع الفراغ من تأليف الكتاب - بحضرة تونس - عشية الجمعة سادس شعبان عام ١٠٤٤ هـ / ١٦٣٥ م ، ومن انتساخه أواخر شعبان المؤرخ به في الأصل .

أما النسخة الثانية : فهي تونسية بالمكتبة العاشورية ، ويبدو من وصفها أنها منقولة عن المخطوطة المغربية ، بواسطة أخرى مكتتبة بتونس العاصمة بتاريخ أواخر جمادى الآخرة عام ١٠٤٩ هـ ، ولا يعرف - الآن - مصير هذا الأصل ، وقد كتبت منه النسخة العاشورية بخط تونسي حديث ، بتاريخ الثلاثاء ١٥ صفر عام ١٣٥٦ هـ / ١٩٣٧ م .

اقتبس من خاتمة الأنوار السنية محمد بوجندار في « مقدمة الفتح من تاريخ رباط الفتح »[1] ، وبواسطة هذا المصدر أورد نفس المقتبس الأمير شكيب أرسلان ، في كتابيه الاثنين : « تعاليق حاضر العالم الاسلامي »[2] ثم « الحلل السندسية »[3] .

وأخيراً نشر الأستاذ التونسي عبد المجيد التركي — عن المخطوطة العاشورية — مقدمة الكتاب وخاتمته ، ضمن موضوع : « وثائق عن الهجرة الأندلسية الأخيرة إلى تونس »[4] .

وننتقل الآن إلى المهاجر الأندلسي : يوسف الحكيم ، وكانت له خبرة ببعض العلوم ، ومنها الطب والتنجيم والكلام والفلسفة ، وأقام بفاس ، حيث كان يتردد إلى أبي زيد عبد الرحمن بن محمد الفاسي ، وشهد له بالتقدم في مادتي الكلام والفلسفة[5] .

وقد يكون هذا مؤلف « النور الباهر في نصرة الدين الطاهر » حيث يسمي نفسه : يوسف بن عبد الله الإسلامي ، وهو يذكر أنه انتقل إلى الاسلام من اليهودية — التي كان من أحبارها — بعد عام ١٠٢٠ هـ/١١ — ١٦١٢ م .

(١) مطبعة الجريدة الرسمية : الرباط . ص ٢٠١ — ٢١٦

(٢) الطبعة الثالثة ، ج ٢٠ ص ٢٤ — ٣٥

(٣) المطبعة الرحمانية بمصر ، ج ١ ص ٣٨٠ — ٣٨١

(٤) « حوليات الجامعة التونسية » ، العدد الرابع ، سنة ١٩٦٧ ، ص ٢٣ — ٦٣

(٥) « أزهار البستان » ، تأليف أبي زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي ، مخطوط المكتبة الملكية رقم ٥٨٣ ، آخر الباب الثالث .

وقد ساق في كتابه — عن التوراة — نصوصاً ناطقة بصحة دين الإسلام ، ولما لم يكن متين العربية فقد ناول الكتاب لقاضي الجماعة بسوس : عبد الرحمن التمنارتي ، فهذب عربيته ، وأتمه يوم الثلاثاء ٢٤ جمادى الثانية عام ١٠٥٣ هـ [1] / ١٦٤٣ م ، والكتاب لا يزال مخطوطاً في ٢٣ ص ، حيث صـــار في حوزة القاضي المرحوم مولاي سعيد بن الحسن بن السعيد العلوي .

وهنا نعيد إلى الذاكرة اسم المعلم يوسف الأندلسي ، الوارد ذكره — سلفاً — بمناسبة قيامه بترجمة رسالة الزيج الفلكي لإبراهيم زاكوط ، حيث نقلها من العبرانية إلى القشتالية .

ويهمنا أن نشير إلى أن هذا يتقدم عصر يوسف الحكيم الذي عاش إلى أوائل المائة الهجرية ١١ [2] ١٧ م ، بينما كان مترجم الزيج الزاكوطي تلميذ المؤلف زاكوط المتوفى في العشرات الأولى من القرن العاشر هـ ق ١٦ م [3] ، فلذلك لا يتوقع أن يكون هذا الأخير هو الذي يحمل اسم يوسف الحكيم .

---

(١) « خلال جزولة » لمحمد المختار السوسي . المطبعة المهدية بتطوان ، ج ٤ ص ١٧٧ — ١٧٨

(٢) تعرف فترة حياته من خلال اتصاله بأبي زيد عبد الرحمن بن محمد الفاسي ، وهذا كانت وفاته عام ١٠٣٦ هـ

(٣) انظر : محمد المنوني : « ظاهرة تعريبية في المغرب السعدي » ، مجلة « دعوة الحق » ، حيث توجد بنشرة هذه المجلة إضافة عن حياة زاكوط : العدد الثالث ، السنة العاشرة ، ص ٨٦

وإلى هنا ينتهي عرض أربعة مؤلفات دونها - بالعربية - ثلاثة من الأندلسيين في المهجر المغربي ، ومن الواضح أن تأثيرها في الحقل الثقافي سيكون ضعيفاً .

وعلى عكس هذه المؤلفات ننوه بموضوعين سبقت الإشارة لهما ، وخلفا أصداء ملحوظة .

الأول « زيج » إبراهيم زاكوط اليهودي في تعديل الكواكب ، وكان مؤلفه - بالعبرانية - أقام بتونس عدة سنوات ، وصار لترجمة زيجه تأثير في عدد من المؤلفات الفلكية بالمغرب الأقصى (١) .

الثاني : « كتاب المدفعية الحديثة » ، ألفه - بالاسبانية - إبراهيم غانم الأندلسي ساكن تونس ، وهو الذي ترجمه الشهاب الحجري باسم « كتاب العز والمنافع للمجاهدين بالمدافع » ، فأفادت منه المدفعية التونسية كثيراً (٢) .

وإلى هنا يصل بنا المطاف إلى واقع الأعلاج الذين انتشروا بالمغرب الكبير في الفترة التي نقدمها ، وكان أكثر تأثيرهم من جهة الاستفادة من ثقافتهم التقنية .

ومن نماذج هذا أن فرقة إسبانية استسلمت - بتونس - للقائد سنان باشا ، وأشعروه أنه يوجد من بينهم مائتان وخمسة من رجالهم أهل صناعات غريبة ، وقد أمنهم القائد التركي ، واستخدمهم في تفريغ المدافع وسبك

(١) الدراسة السابقة نفسها ، مجلة « اللسان العربي » العدد الأول ص ٦٣ - ٦٦

(٢) نفس الدراسة والمجلة ، ص ٦١

النحاس ، ويعلق ابن أبي دينار[1] على هذا ويقول : « ومن ذلك الزمان كثرت صناعة المدافع بتلك الديار » .

وبالمغرب السعدي استُخدم الأعلاج في تقنيات معامل السكر ، وتشييد الحصون الدفاعية ، وتنظيم فرق من الجيش المنصوري ، وعلمنا — سلفاً — أن بعض الأعلاج — في بلاط زيدان السعدي — كان يعمل في تعريب الكتب من القشتالية إلى العربية .

* * *

وستكون هذه النقطة خاتمة النماذج التي يعرضها هذا البحث ، وفيها خطوط بارزة لآفاق تطوير حضارة المغرب الكبير تأثراً بواقـــع الغزو الأجنبي ، وما واكبه من الهجرات الأندلسية ، والوجود العثماني ، ووفادات أخرى منوعة .

وقد رأينا في تلك النماذج اقتباساً جديداً مس الاقتصاد والمعمار ، وتناول أنظمة الحكم ووسائل الدفاع ، إلى تجديد في القطـاع الثقافي ، وبالخصوص في انبعاث دراسة العقليات والهندسة والطب ، ومحاولات في حركة التعريب ، إلى مجهودات لتطوير التشريع الفقهي ، وإذكاء الروح الاسلامية وتهذيبها من البدع والمحدثات .

وقد كان مجموع هذه النماذج صالحاً ليكون نواة لبدء انبعاث المغرب الكبير ، والسير به نحو انبثاق عصر النهضة المغربية العربية ، كما بدأ في

(١) « المؤنس » ، ص ١٧٥

الغرب الأوربي عصر النهضة الحديثة ، غير أن الشمال الأفريقي وقف عند البداية ، ليتيح التساؤل :

– لماذا هذا التوقف ؟

– وعلى من تلقى التبعة ؟

– وما طرق العلاج ؟

أسئلة مطروحة تنتظر الإجابة عنها .

الرباط محمد المنوني

التعريف والنقد

« روضة المدارس »

نشأتها واتجاهاتها الأدبية والعلمية

الدكتور محمد زكريا عناني

« هذه دراسة نقدية تحليلية لمجلة روضة المدارس المصرية ، أول مجلة ثقافية علمية تصدر في مصر في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر ، فكر في إصدارها علمان من أعلام النهضة الحديثة في بلادنا ، هما : علي مبارك ورفاعة رافع الطهطاوي .

وعندما صدر العدد الأول منها يوم السبت ١٥ من المحرم عام ١٢٨٧ من الهجرة ، الموافق إبريل سنة ١٨٧٠ ، كانت تطرح هذا السؤال الهام : على أي منهج يكون تحولنا الحضاري ؟ هل نعود إلى الماضي ونتمم بالعيش في فردوسه المفقود ، ونقطع كل صلتنا بالحاضر ؟ أم نقفز إلى آفاق المستقبل ونقطع كل صلتنا بماضينا المجيد ونهمل كل مواريثنا الروحية والحضارية؟

وكان الجواب حاضراً ، تجسده شخصية رفاعة رافع الطهطاوي ، فهذا الرائد العظيم ثمرة ناضجة من ثمرات امتزاج الماضي بالحاضر » .

بهذه السطور يقدم د. عبد العزيز الدسوقي دراسته عن مجلة « روضة المدارس » التي أنجزها بالإسهام مع الأستاذ محمد عبد الغني حسن .

وقبل أن نعرض لهذا العمل بالتحليل والنقد ، نود أن ننوّه بالجهود العلمية والأدبية للأستاذ محمد عبد الغني حسن ، الذي يعد واحداً من أكثر العاملين في حقل الثقافة في مصر إخلاصاً ، وصفاء عبارة ، وسعة معرفة .

وتقع هذه الدراسة في أكثر من أربعمائة صفحة من القطع الكبير ، تستهلها توطئة كتبها د . مهدي علام ، أشاد فيها بالعمل ، وتحدث في إيجاز عن نشأة المجلات الثقافية في أوربا والشرق .

وتأتي بعد ذلك المقدمة التي وضعها الدكتور عبد العزيز الدسوقي ، وتعد بمثابة تحديد للموضوع ، وتعريف بالمنهج الذي اتبعه المؤلفان ، وتقسيمها للعمل فيما بينهما ؛ فالأستاذ محمد عبد الغني حسن كتب البابين الأول والثالث ، أمّا د . الدسوقي فكتب الباب الثاني وشارك في الباب الرابع ، واستقلّ بكتابة المقدمة والخاتمة .

وأظنّ أنه لولا هذه الإشارة لحسب القارىء أن المؤلفين دبّجا معاً كل فصول الكتاب مجتمعة ، ولما عرف أن كلاً منهما استقل بكتابة قسم معيّن (وإن كان الملاحظ ، مع ذلك ، أن الهوامش لا تظهر ، على نحو عام ، إلا في الباب الثاني وفي بعض فصول الباب الرابع ، فلعل كاتب هذه الفصول ذات الهوامش ، هو نفسه كاتب الباب الثاني) .

والباب الأول يتناول « روضة المدارس وما حولها » ، ويقدم أول ما يقدم فصلاً عن « ملامح العصر » – عصر إسماعيل – من خلال الحديث عن الحركة الثقافية آنذاك ، متمثلة في التعليم وفي تكوين الجمعيات العلمية ، مثل جمعية المعارف ، وفي ظهور المجلات العلمية من قبيل مجلة « يعسوب الطب » و « روضة المدارس » .

وهكذا يقودنا الحديث إلى « مولد روضة المدارس » تحت نظارة رفاعة بك ، مدرس الإنشاء بمدرسة الإدارة والألسن » ، وهو ابن رفاعة الطهطاوي نفسه . وفي هذا الفصل تحليل لافتتاحية العدد الأول ، وهي ، على أهميتها ، لا تحمل توقيع كاتبها ، وقد تضاربت حولها الأقوال ، فذهب د. أحمد أحمد بدوي إلى القول بأنها من إنشاء رفاعة (انظر « رفاعة الطهطاوي بك » ط ١ ص ٦٧) . ومال إلى هذا الرأي الأستاذ محمد خلف الله أحمد (في « معـــالم التطور الحديث في اللغة والأدب » ١/١٤) والأستاذ عمر الدسوقي (في كتابه « في الأدب الحديث » ط ٥ - ١/٧٩) وغيرهم ، ولكن الأستاذ محمد عبد الغني حسن - كاتب هذا الباب - يذهب إلى القول بأن الافتتاحية من إنشاء علي فهمي بدليل ما جاء في ثناياها من أن علي مبارك « أحال على الفقير مباشرة تحريرها » ومناظرة ما يلزم لتحبيرها » ، ومباشر تحرير « الروضة » هو علي فهمي ، كما مرّ بنا .

ويتعرض هذا الباب كذلك لمجلس تحرير المجلة ، وطريقة تبويبها ، كما يعرض لـ « لغة روضة المدارس وأساليب ذلك العصر » وما ظهر فيها من مقالات ونبذ وملاحق كتب .. إلى أن نصل للفصل الختامي في الباب (ص ٨٨) حيث نرى « الروضة » « بين التلقف والتوقف » ، أمـا التوقف فيأتي بعد قرابة ثمانية أعوام عاشتها في خدمة العلم والثقافة .

والباب الثاني ، عن « الاتجاهـات الأدبية والفنية » ، يبدأ بفصل تمهيدي تشبه فيه « روضة المدارس » بالبوتقة التي تنصهر فيها كل العناصر العلمية والثقافية ، وهذا التشبيه ينطبق كذلك على رفاعة ، فقد كان الرجل بوتقة امتزجت فيها عناصر عدة ، شملت الأدب والفكر والاجتماع والعلوم العسكرية والجغرافيا والتاريخ والاجتماع ...

وتتتابع بعد ذلك فصول مختلفة تتعرض لبعض الجوانب الفنية ، فالفصل الثاني موضوعه « بين المقامة والدراسة الأدبية » ، والفصل الثالث يعرض للأنواع الأدبية في المجلة ، ويجيء فصل مستقلّ عن « حسين المرصفي وحركة البعث في النقد العربي الحديث » .

أما الباب الثالث فيتناول « روضة المدارس بين اتجاهات العلم والفكر » وفيه بسط لبعض ألوان الدراسات الاجتماعية والجغرافية والتاريخية والفلسفية ، وكذلك لبعض موضوعات العلوم والطب والرياضة التي ظهرت بالمجلة .

ويأتي الباب الرابع ليحدثنا عن « أعلام الروضة وكتابها : حياتهم ومصادر ثقافتهم » ، ومن هؤلاء الأعلام رفاعة وعلي مبارك وعبد الله فكري وعلي فهمي رفاعة وصالح مجدي وعبد الله أبو السعود ومحمد عثمان جلال وحمزة فتح الله وإسماعيل صبري ومحمد دياب وميخائيل عبد السيد والشيخ علي الليثي والسيد علي أبو النصر . . . وعشرات غير هؤلاء ممن كان لهم دور بارز في حياتنا الثقافية والعلمية .

وتجيء الخاتمة فتحاول أن تحدد « أثر روضة المدارس في الحياة الأدبية والفكرية » فمن آثارها المباشرة أنها كانت « تلبي الحاجات الثقافية والفكرية والروحية التي تحتاج إليها الأمة العربية في نهضتها وتحولها الحضاري » ومن هذه الآثار « إثراء اللغة العربية بمجموعة من مصطلحات العلوم والفنون نتيجة للترجمة والتعريب ، ونقل منجزات الحضارة الحديثة إلى العربية » ، كما أن المجلة أسهمت أيضاً في تطوير الصحافة الأدبية بما خطته من تقاليد جديدة واحتشاد علمي وأدبي وفني وإخراج جديد .

وتنتقل الخاتمة من التعميم إلى التخصيص ، فتتناول بعض أوجه أهمية

« الروضة » فيما يتصل بميادين الأدب والنقد ، وفتح الريادة في مجالات الرواية والأقصوصة والمقال الأدبي والدراسات العلمية .

* * *

هذه خطوط سريعة عرضنا فيها لبعض مناحي هذه الدراسة الجادة الطلية الممتعة ، ولنا ، من بعد ، بعض ملحوظات :

● ينقل الأستاذ مهدي علام في التمهيد عن فيليب دي طرازي قوله « من دواعي الافتخار أن القطر المصري كان سباقاً في مضمار الصحافة العربية إلى نشر الجريدتين الأولين اللتين قرأهما أبناء الضاد ، وهما جريدة « التنبيه » التي صدرت في ٦ من كانون الأول سنة ١٨٠٠ في الاسكندرية ... وجريدة « الوقائع المصرية » التي ظهرت في كانون سنة ١٨٢٨ في القاهرة » .

والذي نظنه أن فيليب دي طرازي لم يذكر بالمرة جريدة باسم « التنبيه » في كتابه « تاريخ الصحافة العربية » بل ذكر صحيفة أسماها « الحوادث اليومية » وقد استنتج اسمها استنتاجاً مما ورد في « عجائب الآثار » للجبرتي ، واستنتاجه جاء - على كل حال - في غير موضعه ، لأن الجبرتي ، في معرض حديثه عن الشيخ إسماعيل الخشاب ، يذكر أن « الفرنساوية عينوه في كتابة التاريخ لحوادث الديوان وما يقع فيه كل يوم ، لأن القوم كان لهم مزيد اعتناء بضبط الحوادث اليومية في جميع دواوينهم وأماكن أحكامهم ، ثم يجمعون المتفرق في ملخص يرفع في سجلهم بعد أن يطبعوا منه نسخاً عديدة يوزعونها في جميع الجيش . . . فلما رتبوا ذلك الديوان كما ذكر كان هو المتقيد برقم كل ما يصدر في المجلس من أمر .. ولم يزل متقيداً في تلك الوظيفة مدة ولاية عبد الله مينو حتى ارتحلوا من الإقليم » .

من هذا النص استدل فيليب دي طرازي « أن الجبرتي روى عن إسماعيل الخشاب أنه كان يعتني بضبط « الحوادث اليومية » ويطبع منه نسخاً ويوزعها على جميع الجيش « ولست أدري ما جدوى نشرة بالعربية يصدرها الشيخ الخشاب بالنسبة لضباط الحملة وجنودها الذين يجهلون العربية ؟

ونضيف أن دي طرازي (ومن تبعه) تخبط أيما تخبط بإزاء تلك الصحيفة المزعومة ؛ إذ نراه في موضع آخر من كتابه (٨٢/١) يقول : إن « أول جريدة عربية هي التي أنشأها نابليون الأول سنة ١٧٩٩ » ثم نراه بعد ذلك يتراجع عن رأيه (دون أن يصرح بذلك) فيورد قائمة بأولى الدوريات التي ظهرت في مصر ، ولا يذكر فيها شيئاً من أمر « الحوادث اليومية » أو « التنبيه » أو أي اسم آخر (انظر ١٦٢/٤) .

وسنعود إلى هذه القضية في مقال مستقل - إن شاء الله - نناقش فيه آراء مؤرخي الصحافة العرب والغربيين .

● وفي التمهيد نفسه ينوّه الأستاذ الدكتور مهدي علاّم كذلك بالترجمات التي قدمها المؤلفان ، وهو تنويه في موضعه ، لولا أنه يضيف « وبلغ من حرص المؤلفين على التعريف بهؤلاء الكتاب أنهم لم يتركوا « أصحاب الوحدات » أي الذين لم تزد مساهمتهم على مقالة واحدة طول عمر المجلة » .

وفي هذا القول شيء من المبالغة لأن المؤلفتين لم يلتزما بتقديم ترجمة لكل من كتب في « روضة المدارس » ولا يضير الدراسة في شيء أنها سكتت عن بعض الأسماء المجهولة وغير المجهولة ، من أمثال محمود وهبة (انظر ص ٦٩ من الكتاب) وعبد السلام سلمي (ص ٧٠) وأحمد فتحي

(ص ٧٥) وسليم عمر الحنفي (ص ٧٦) ومحمد الطيب (ص ٧٦) ومحمد قناوى (ص ٧٧) وأحمد بليغ (ص ٧٨) ومحمود الحكيم (ص ٧٩) وعبد الحميد ثابت (ص ٧٩) وحسن محمود (ص ٨٣) بل إن الشيخ حسن العطار (أستاذ رفاعة) يعقد محاورة هامة مع محمود صفوت الساعاتي ، الشاعر الشهير ، وتسجل المجلة هـذه المحاورة (انظر الكتاب ص ١٦٢) ومع ذلك لا يقدم لنا الكتاب دراسة لا عن العطار ولا عن محمود صفوت الساعاتي (وليس لذلك تفسير ، خاصة حين نعرف أن للأستاذ محمد عبد الغني حسن كتاباً صغيراً غاية في الجودة عن الشيخ حسن العطار).

● يتعرض الباب الأول لمسألة « تبويب مجلة روضة المدارس » ولعل المقام كان يتطلب تقديم صور لأغلفة ونسق صفحات بعض الأعداد ، وتسجيل ما إذا كان إخراج المجلة قد طرأت عليه تغييرات أم لا خلال أعوامها الثمانية .

ومما يتصل بهذه النقطة ما يذهب إليه بعض الدارسين من أن رفاعة جعل « روضة المدارس » على نسق المجلة « الجريـدة الآسيوية » ومجلة العالمين » اللتين قرأهما في باريس (ومن هؤلاء د. أنور لوقا في كتابه « الرحالة والكتاب المصريون في فرنسا في القرن التاسع عشر » - بالفرنسية) .

ومن ذلك قول فيليب دي طرازي (تاريخ الصحافة ٣/٧٠) إنه بعد وفاة رفاعة « عام ١٨٧٣ خلفه (ابنه علي فهمي) في إدارتها - روضة المدارس - فوسع دائرة مباحثها وزادها تحسيناً) .

وكنت أود لو قارن المؤلف هنا بين « الروضة » والمجلات المعاصرة لها مثل مجلة « الوقائع المصرية » بعد أن أسند أمرها لرفاعة (في ١١ يناير

١٨٤٢ الموافق ٢٧ من ذي القعدة سنة ١٢٥٧ ﻫ) ومثل مجلة « الجنان » التي ظهرت في بيروت سنة ١٨٧٠ .

ولم يذكر شيء عن عدد النسخ التي كانت تطبع من « روضة المدارس » ، وفي هذا المقال يفيدنا د . أحمد عزت عبد الكريم (في « تاريخ التعليم في مصر عباس وسعيد وإسماعيل » ، ص ١٥٣ ، ونقل عنه كثيرون مثل د . أحمد بدوي « رفاعة .. » ص ٧٠ و د . عبد اللطيف حمزة « أدب المقالة » ١/١٢٦) أن ما كان يطبع منها ٣٥٠ نسخة ثم زيدت إلى الضعف بعد ذلك .

● يذكر المؤلف أن رفاعة ترجم لفظة Journaux بـ « التذاكر اليومية » ، وهذا صحيح ، إلا أننا نضيف أنه في « تخليص الإبريز » لا يستقر على ترجمة نهائية للكلمة ، فهو تارة يتحدث عن « أوراق الوقائع » وتارة أخرى يبقي على كلمة جرنال كما هي (ويجمعها على جرنالات أو يذكر صيغة الجمع الفرنسية جورنو) ويورد أحياناً كلمة كازيطة (ويجمعها على كازيطات) فيشير إلى « كزيطات السياسات اليومية » وإلى « كازيطات العلوم اليومية والشهرية » .. الخ (وانظر في ذلك د . محمود فهمي حجازي في « أصول الفكر الحديث عند الطهطاوي » ص ٤٩٩) .

● في ص ٧٧ : « ونقل مجلة عن مجلة هو الآن - كما كان من زمان - جائز مباح ، على شرط أن تذكر المجلة أو الصحيفة المنقول عنها » وأظن أن في الجملة شيئاً من المبالغة ، فللمؤلف حقوق ، والنقل تحكمه شروط .

● في ص ٨٣ نقرأ : « . . . وهذه الملاحق (ملاحق « روضة

المدارس » تذكرنا بما كانت تصدره مجلة « المقتطف » من ملاحق وهدايا .. من مثل « عائشة التيمورية » لمي" زيادة » .

ولا نظن أن دراسة مي" عن التيمورية صدرت في شكل ملحق أو هدية عن دار « المقتطف » أو غيره ، ولكن دراسة مي" هذه نشرت على حلقات في المقتطف ، ولم تطبع على شكل كتاب إلا في الخمسينات ،ضمن سلسلة « كتاب الهلال » . وما بالنا نكتفي بالظن والأستاذ محمد عبد الغني حسن نفسه يقول في كتابه عن « مي أديبة الشرق والعروبة » ص ١٢٩ :

« وتعترف مي في كلمتها في تأبين الدكتور يعقوب صرّوف بفضله عليها وتشجيعه لها على دراسة هاتين الأديبتين - باحثة البادية ووردة اليازجي — مما شجعها على متابعة الكتابة عن عائشة التيمورية في سلسلة من المقالات في « المقتطف » لم ينتظمها إلى اليوم كتاب واحد » .

● في ص ١٣١ تطالعنا أرجوزة مزدوجة منها :

أمر النبي المصطفى بالطاعه والسمع للسلطان كل الأمه
فاطلب رضا السلطان واعلم أنه عزٌّ من الله الكريم وظله

وهذا النوع من النظم تلتزم فيه قافية موحدة في كل شطرتين ، ولا توافق بين « الطاعة » و « الأمة » .

● يرى د . الدسوقي (ص ١٥٣) أن مقامات صالح مجدي « تعتبر بكل المعايير الفنية والفكرية ريادة حقيقية لفن الأقصوصة في لغتنا العربية » ولسنا نرى في هذه المقامات أكثر من إرهاصة أو محاولة للتخلص شيئاً ما من قيود المقامة ، والاقتراب خطوة من مفهوم « الأقصوصة » ، وإذن فلا بأس من مصطلح « المقامة الأقصوصة » الذي يطرحه د . الدسوقي ،

ولكننا لا نستطيع أن نذهب إلى حد القول بأن صالح مجدي بمقاماته الاثنتي عشرة « يعتبر رائد الأقصوصة العربية الحديثة » ، وبا ليت د. الدسوقي يجمع هذه المقامات ويقدم لها بدراسة فنية تحليلية ، فربما يدفع نشرها إلى إعادة النظر في أمرها .

● في ص ١٦٢ : يرد ذكر لمصطفى الساعاتي ، وصواب الاسم « محمود صفوت بن مصطفى . . الساعاتي (وانظر عنه عمر الدسوقي في الجزء الأول من « في الأدب الحديث » ص ١٢٤ - ١٣٦) .

● في ص ١٧٦ يذكر اسم « شهاب الدين » في معرض الحديث عن الشيخ عثمان مدوخ ومقالاته في الأغاني والألحان .

ونضيف أن شهاب الدين (محمد بن إسماعيل) يعتبر أول من اهتم بالأغاني والألحان في هذه الفترة ، وكتابه « سفينة الملك » يضم عدداً ضخماً من الأدوار والتواشيح والأشعار المغناة ، وقد صدرها بمقدمة تعتبر من الوثائق الأساسية عن الموسيقى في مصر في منتصف القرن التاسع عشر .

● في ص ٣٢٥ اضطراب مطبعي فبعد السطر الرابع عشر ينبغي الانتقال إلى السطر العشرين من الصفحة التالية ، ونهاية ص ٣٢٧ يتمها السطر الخامس عشر وما بعده من ص ٣٢٥ .

● في ص ٣٤٤ نضيف إلى قائمة مؤلفات صالح مجدي كتاب « حلية الزمن بمناقب خادم الوطن » في سيرة رفاعة الطهطاوي ، وقد حققه د . جمال الدين الشيال ، سنة ١٩٥٨ ، ويعتبر أهم المصادر في دراسة حياة الطهطاوي وإنتاجه .

● في ص ٣٤٦ قائمة بمؤلفات عبد الله أبي السعود من بينها كتاب يحمل عنوان « قناصة العصر في صلاحية تاريخ مصر » والاسم الصحيح هو « قناصة أهل العصر من خلاصة تاريخ مصر » . وفي القائمة أيضاً كتاب عنوانه « الدار التام في التاريخ العام » والصحيح « الدرس التام .. » ونضيف أن مكتبة بلدية الاسكندرية تضم عدداً لا بأس به من مخطوطات مؤلفات عبد الله أبي السعود .

* * *

ولا ينبغي أن يقف بنا الحديث عند هذا القدر ، بل تنبغي الإشارة في الوقت نفسه إلى بعض مناحي الجودة ، وما أكثرها هنا ، فالعمل شاق ومتشعب ، ولكن المؤلفين قبلا التحدي وراحا يجمعان المادة العلمية في أناة وحذر ، حتى استقام البناء بعد لأي ، وإذا بنا أمام دراسة تمتع القارىء العام وتفيد الدارس المختص . ولقد كنت في الآونة الأخيرة عاكفاً على ترجمة « فن الشعر » لبوالو ، وكنت أظن أن هذا الأثر لم يترجم للعربية من قبل ، إذ لم نسمع بأمرها في كل المراجع الأساسية عن أدبنا المعاصر ، حتى وصلت إليّ هذه الدراسة وإذا بها تحمل إلينا أن الأديب الشهير محمد عثمان جلال ترجم « فن الشعر » ترجمة تتميز بما هو مألوف عنده من ظرف ورشاقة ، غير أنه — كما تسجل الدراسة — لم يتقيد بالأصل الفرنسي فهو يستهل الترجمة بقوله :

لا تحسب المرء يكون ناظما ولا يعدّ في القوافي عالما
ولا يكون في القريض عدّه يعرف جزر بحره ومدّه
إلا إذا أوحي في القوافي إليه بالمعنى الرقيق الشافي

أما مستهلّ نصّ بوالو فيقول :

« على ذرى البارناس كان شاعر جسور .

يدير الفكر - بلا طائل - في فن الشعر وإلى أي مدى يسمق

وفي ما إذا كان لا يحس قط بالإلهام الخفي يأتي إليه من السماء

وما إذا كان نجمه حين الميلاد لم يصغ منه شاعرا

أو أنه سيبقى على الدوام أسيراً لكلال موهبته

ويفكر فيما إذا كان (فيبوس) — أبوللو — لن يعيره إلا أذناً صماء .

وفيما إذا كان (بيجاز) - ملاك الشعراء الموهوبين - سيبقى حروناً معه » .

* * *

ولقد جاء عرض النتائج - في خاتمة البحث - متواضعاً بعيداً عن الإدعاء ، ويحسب الكتاب أنه قدم دراسة تحليلية نقدية عميقة لمجلة « روضة المدارس » ، وأنه أزاح النقاب عن كنوز كانت مجهولة وأشار إلى مبادرات هامة في ميادين العلم والثقافة ، وعرض لسير عشرات من أعلام النهضة في بلادنا عرضاً رصيناً يجمع بين السهولة والدقة العلمية .

ويحسب هذه الدراسة أنها سلطت الأضواء على بعض النصوص الهامة لحسن العطار ورفاعة وعلي الليثي وعثمان جلال ، وهي نصوص ما كان ليهتدي إليها الباحثون لولاها .

ولعل هذا العمل يكون فاتحة لدراسات على نسقه ، تتناول كبريات مجلاتنا الثقافية كالهلال والمقتطف والزهور وأبوللو والرسالة والثقافة وغيرها .

محمد زكريا عناني

تعقيب على نقد

«روضـة المدارس»

الأستاذ محمد عبد الغني حسن

نشكر للأديب الناقد الدكتور «محمد زكريا عناني» اهتمامه البالـغ بكتابنا «روضة المدارس — نشأتها واتجاهاتهـا الأدبية والعلمية» الذي أصدره المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية في «مشروع المكتبة العربية».

فإن الكاتب الفاضل يبدو وقد قرأ صفحات الكتاب ـ التي أربت على ٤٤٠ صفحة كبيرة — قراءة فاحص واع أو باحث مدقق، ولم يدع شيئاً في السطور أو بين السطور إلاّ قرأه، ووقف عنـده وقفة متأنية بصيرة.

والحق أن صبر الناقد على قراءة هذا الكتاب بهـذه الصفة يعدُّ ظاهرة سارّة في قراءة الانتــاج العربي الجديد أو في تلقيه بالبحث والمراجعة والمعاودة.

وهي ظاهرة طمأنتنا على أن دنيا العروبة لا تزال بخير، وأن في الجيل الطالع اليوم خمائر طيبة لوعي ثقافي قرائي جديد.

كما نشكر للدكتور محمد زكريا عناني هـذا الثناء الكريم الذي أضفاه على مؤلفي الكتاب ، وعلى كاتب توطئته المفيدة الثمينة : الأستاذ الدكتور محمد مهدي علاّم عضو مجمع اللغة العربية بمصر .

وقد كان للناقد الفاضل وقفات في بعض مواطن من الكتاب ساقها على هيئة ملاحظات ، منها قوله :

● (ينقل الأستاذ مهدي علاّم في التمهيد عن فيليب دي طرازي قوله : « من دواعي الافتخار أن القطر المصري كان سباقاً في مضمار الصحافة العربية إلى نشر الجريدتين الأوليين اللتين قرأهما أبناء الضاد ، وهما جريدة « التنبيه » التي صدرت في ٦ من كانون الأول سنة ١٨٠٠ في الاسكندرية.. وجريدة « الوقائع المصرية » التي ظهرت في كانون سنة ١٨٢٨ في القاهرة». والذي نظنه أن فيليب دي طرازي لم يذكر بالمرة جريدة باسم « التنبيه » في كتابه « تاريخ الصحافة العربية » ، بل ذكر صحيفة أسماها « الحوادث اليومية » . . .) .

هكذا قال الناقد ، وهكذا أسرف في قوله أن فيليب دي طرازي لم يذكر بالمرة جريدة باسم « التنبيه » في كتابه « تاريخ الصحافة العربية » . فإن النص الذي ساقه الدكتور مهدي علاّم موجود بأكمله في الجزء الرابع من كتاب « تاريخ الصحافة العربية » ص ٤٨٢ في كلمة أخيرة بالكتاب عنوانها : « الخاتمة » . ويبدو أن الناقد الفاضل لم تقع عينه على هذا النصّ الذي نقله الدكتور مهدي ، فأسّس على ذلك ما أسّس من أن طرازي (لم يذكر بالمرة جريدة باسم التنبيه) .

وهذا النفي القاطع من الناقد يثير في النفس قضية الترفق في الاتهام ،

قبل إبداء الأحكام ، وهي قضية تتصل بالعلم من ناحية ، كما تتصل بالخلق من ناحية أخرى . ومن هنـا نوصي بالتأني والترفق والتثبت قبل النفي أو الإثبات . .

● يقول الناقد إننا أغفلنا الترجمة لحسن محمود ص ٨٣ . وهـذا اتهام آخر لأننا ترجمنا لهذا الطبيب العالم الرائد ترجمة بلغت صفحتين من قطع الكتاب ، وأتينا على عدد غير قليل من الكتب والرسائل التي ألفها أو ترجمها .

● ويقول الناقد أيضاً في ذلك المعرض إننا لم نقدم في الكتاب ترجمة للشيخ حسن العطار أستاذ رفاعة الطهطاوي . ولا أدري ـ وقد التزمنا مبدأ الترجمة لمن كتبوا مقالات وبحوثاً في مجلة روضة المدارس ـ كيف نجيز الترجمة للشيخ حسن العطـار بوصفه أستاذاً لرفاعة الطهطاوي ؟ لو أجزنا هذا الرأي لترجمنا لكل شيخ أو أستاذ لكاتب من كتاب الروضة . وذلك غير وارد ولا معقول .

● يظن الناقد أننا حين تحدثنا عن « مصطفى بكري الساعاتي » . كنا نريد التحدث عن الشاعر « محمود صفوت الساعاتي » . والحق أن الساعاتي الذي نقصـده والذي دارت المحاورة بينه وبين حسن العطار هو أديب مصـــري سابق في الزمن على محمود صفوت الساعاتي . وقد نشر الطهطاوي المحاورة بينهما بعد أن انتقلا إلى رحاب الله بزمن طويل ، أي قبل صدور روضة المدارس بعشرات السنين .. فالشيخ حسن العطار توفي سنة ١٨٣٥ ، وكذلك توفي الأديب الشيخ مصطفى بكري السـاعاتي قبل صدور الروضة بزمن . وبهذه المناسبة أقول : إن هذا الشيخ ؛ مصطفى

بكري الساعاتي ، ليس من بيت السادة البكرية بمصر ، ولا هو من الأشراف مثلهم ، وإن هناك في البيت البكري - أو بيت الصدّيق - من اسمه (مصطفى البكري) المتوفّى سنة ١٧٤٩ م ، وهو بالطبع غير « مصطفى بكري الساعاتي » تلميذ حسن العطار وصفيّه ومحاوره .

● كنا نود الترجمة أو التعريف بمن أسماهم الدكتور مهدي علاّم : « أصحاب الوحدات » أي الذين لم يزد إسهامهم على مقالة واحدة مدة صدور المجلة . من أمثال : محمد الطيب ، محمد قناوى ، عبد الحميد ثابت أحمد بليغ ، ولكن المصادر الكثيرة التي تحت أيدينا لم تزدنا بهم علماً إلا مجرد أسمائهم ، على الرغم من إسهامهم في الأدب أو الترجمة ، رحمهم الله .

ومهما يكن من أمر فإن نقد الأديب الدكتور محمد زكريا عناني لكتابنا « روضة المدارس » هو مبادرة كريمة أو مبادأة طيبة من الناقد الفاضل ، نكرر له الشكر خالصاً من أجلها ، ونرجو منه أن يكون باكورة لجهود طيبة موفقة في عالم النقد والبحث والتأليف . والله شاكره وحافظه . ومن دون شكر الله شكرنا الجزيل .

محمد عبد الغني حسن

« كتاب التحدث بنعمة الله »

لجلال الدين السيوطي

تحقيق وتقديم اليزابث ماري سارتين

E. m. Sartain : Jalal al - din al - Suyuti, Vol.I Biography and Background & Vol.II. «Kitab al-Tahadduth binicmat Allah, PP . 242 & 383, Cambridge University Press, 1975, price : 8.00

(طبع القسم العربي وهو الجزء الثاني من الكتاب في المطبعة العربية الحديثة ، العباسية ، القاهرة ، مصر)

مراجعة الدكتور صفاء خلوصي

الأستاذ المتفرغ للبحث والتأليف

أتحفتنا مطبعة جامعة كمبرج مؤخراً بمجلدين أحدهما بالانكليزية والآخر بالعربية ، فأما الذي بالانكليزية فيبحث في علم التراجم مع مقدمة ضافية عن مصر تحت حكم المماليك الشراكسة (١٣٨٢ - ١٥١٧ م) ويتطرق إلى حياة السيوطي وإلى الحياة العلمية في أيامه ، وبذلك يختم القسم الأول من الكتاب ، أما القسم الثاني من المجلد الأول فيعرّج على أدب التراجم الذاتية في الأدب العربي الكلاسيكي ، ثم يأتي على وصف المخطوطات التي استعين بها في تحقيق نص السيرة الذاتية للامام السيوطي ، وكان بودي لو أنه أدرج في المجلد الثاني بدلاً من الأول فهو إليه أقرب وبه ألصق . ويختم المجلد بملاحظات ايضاحية عن النص العربي .

وقد ذيل الكتاب - حسب الأصول - بثبت بالمصادر* والمراجع ، فضلاً عن شرح بالانكليزية لطائفة من الألفاظ العربيـة وفهرست للموضوعات وأسماء الأعلام .

أما المجلد الثاني فتحقيق جاد* لكتاب « التحدث بنعمة الله » لجلال الدين السيوطي ، وهو ككل كتب السيوطي يجمع بين المتعة والفائدة ، ويلقي ضوءاً على حياة عالم يعد من أكابر علمائنا في تاريخ التراث العربي ، ويكاد لايمضي يوم دون أن نرجع إلى كتاب من كتبه أو مؤلف من مؤلفاته كمصدر ومرجع في بحوثنا ودراساتنا .

عاش السيوطي ستين عاماً مجيداً (١٤٤٥ - ١٥٠٥ م) فيكون بذلك قد عاصر الرينيسانس أو عصر النهضة الأوربية ، فكان هو جزءاً من هذه النهضة في العالم الاسلامي ، إذ اشتهر بالتفسير والحديث والمناقشات العلمية والمجادلات الأكادمية مع خصومه ومناوئيه ، وقد تضمنت ترجمته الذاتية الكثير من ذلك ، وباعتقاد المؤلفة السيدة سارتين أن أسلوب السيوطي جرى على لغة الحديث اليومي الشائع يومذاك ، غير أننا لم نجد إلا القليل مما يؤيد هذا الزعم في مضامين الكتاب .

وليس من شك في أن المؤلفة الفاضلة مصيبة فيما ذهبت إليه من أن تحقيقها إسهام في الدراسات العربية الأساسية ، وأن الكتاب مصدر رئيسي لجميع الدراسات المقبلة عن السيوطي والحياة العقلية في أواخر عهـد المماليك بمصر .

وأراني في غنى عن القول إن عنوان الكتاب مستوحى من الآية الكريمة : ﴿ وأما بنعمة ربك فحدث ﴾ . وهو في الحق عنوان مبتكر

لكتاب في موضوع السيرة «الترجمة الذاتية» .

ومن أمتع فصوله الفصل السابع عشر (ج ٢ ص ١٦٠) وعنوانه : (ذكر نعمة الله عليّ في أن أقام لي عدواً يؤذيني وابتلاني بأبي جهل يغمصي كما كان للسلف مثل ذلك) . وفي هذا أورد الامام السيوطي نقلاً عن بعض المصادر ما يلي :

ما كان كبيرٌ في عصره إلا كان له عدو من السّفلة ، فكان لآدم عليه السلام إبليس ، وكان لابراهيم نمرود ، وكان لموسى فرعون ، وكان لمحمد ﷺ أبو جهل .

ومن المعروف في صحيح البخاري وغيره ماقاساه سعد بن أبي وقاص ، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، من جهال أهل الكوفة ، وشكواهم إياه لعمر بن الخطاب ، حتى قال له عمر : شَكَوْكَ في كل شيء ، حتى قالوا إنك لاتحسن أن تصلي : فانظروا بالله إلى الذين أسلموا البارحة يزعمون في صاحب رسول الله ﷺ ، الذي كان يُسمى ثلث الإسلام أو ربعه ، أنه لايحسن الصلاة » (ج ٢ ص ١٦٢) .

ولم يخل الكتاب من استطرادات ، على طريقة الأقدمين المألوفة ، من نحو استطراده في مسألة زيادة العمر ونقصه ، ومن سُمّي من هذه الأمة بعبد الرحمن .

وقد أوجدت الدواعي الفنية ، لطبع الكتاب في مجلدين أحدهما عربي والآخر انكليزي ، صعوبات للقارىء ، فمن ذلك مثلاً أن مستهل الفصل السابع محروم مع الإشارة إلى وجود هامش ، فإذا بحثت عن الهامش لم تجده إلا في نهاية المجلد الثاني مشروحاً بالانكليزية ، مع أن النص يتطلب الشرح

بالعربية في الصفحة ذاتها ، ولا أدري متى سيُقلع المستشرقون عن هذه المادة الغريبة وهي وضع هوامش بالانكليزية لنصوص عربية ، بعد أن أقلعوا عن وضعها باللاتينية ، فإذا كان القارىء لايفهم الشرح إلاّ بالانكليزية فمن باب أولى أنه لن يفهم النص العربي أيضاً ، فلا جدوى من مراجعته الكتاب ، ثم إن المفروض في المحققة أنها تُحسن العربية وتُحسن الشرح بها ، علاوة على أنها متزوجة من عربي ، فهي عقيلة الدكتور حمدي سكّوت ، على ماتذكر في سلسلة من شكرتهم وأثنت عليهم لمساعدتهم إياها في إعـداد الكتاب .

هذه ملاحظة وددتُ أن أذكرها لتتخذ المطبوعات الاستشراقية في المستقبل منحىً جديداً في تحقيقها وطباعتها بهدف تيسير مراجعة المصدر على القارىء ، لاتعسيره .

وكان بالامكان إخراج الجزأين في مجلد واحد ، فما هما من الضخامة بحيث يعسر ذلك ، وكثيرون هم القرّاء الذين يفضلون الطبعات ذات المجلد الواحـد على ذوات المجلدات المتعددة ، إن سمح حجم الكتاب بذلك ، وأنا واحد منهم .

ولقد أوضحت المحققة الفاضلة طريقة تحقيقها لمخطوطة تيوبنجن Tübingen التي اعتمدتها أصلاً ، بالإضافة إلى خمس مخطوطات أخرى راجعتها ، غير أنها لم تصف لنا أياً من هذه المخطوطات ، حتى ولا المخطوطة الأم ، ولم تورد صورة ضوئية لورقة من ورقاتها لنرى مدى الصعوبة والدقة في التحقيق ، بالرغم من أن الكتاب الذي بين أيدينا هو في الأصل رسالة دكتوراه من جامعة كمبرج المفروض فيها – كما يبدو من كلمة الشكر الاستهلالية –

أنها دُرست أو على الأقل روجعت من لدن البروفيسور سارجنت Serjeant والدكتور هوبكنز Hopkins .

ومع أن المحققة تزعم أنها تحاشت الرسم الاملائي القديم للمخطوط ، فإنها لم تراع هذه القاعدة دائماً ، كما في لفظة (مسألة) مثلاً ، حيث وضعت الهمزة على كرمي الياء ، وحقها في الإملاء الحديث أن تكون على كرمي الألف ، وقد برعت ـ والحق يقال ـ في علامات التنقيط ، إلا في مواضع قليلة حيث كان الأفضل وضع الفارزة أو القاطعة بدل النقطة ، ولا سيما حينما يكون ما يليها مستهلاً بالفاء أو الواو .

وقد وقع سهو غريب في العنوان العربي للجزء الأول إذ جاء فيه (لجلال الدين السيوطي) والصواب بإسقاط حرف الجر ، وأكبر الظن أن الرقعة المخطوطة أو « الكليشيه » التي أعدّت في الأصل للجزء الثاني استعملت في الجزأين معاً ، فجاء هذا الخطأ الفاضح ، بيد أنه أيا كانت النواقص فإن الجهد جليل ولن يعدم بين جلة العلماء والباحثين من عرب ومستشرقين الكثير من ألسنة الشكر والثناء والتقدير .

اكسفورد   د. صفاء خلوصي

آراء وأنباء

مخطوطات يتيمة في مكتبة شيستر بيتي بدبلن

Unique mss. at chester Beatty Library
Dublin (Irish Republic)

- ١ -

الدكتور صفاء خلوصي

عثرت أثناء بحثي عن المخطوطات النادرة على المجموعة التالية في مكتبة « چيستر بيتي » بدبلن ، أعتقد أنها يتيمة لأنني لم أعثر على نسخ لها فيما دوّن من سجلات المخطوطات وفيما ذكره كارل بروكلمان في كتابه الضخم « تاريخ الأدب العربي » وإليكها :

١) رقم المخطوطة ٣٠١٢ « العقيدة » لمحمد بن الحسن بن أصبغ ، ويبحث في العقيدة السنية ، عدد الأوراق ٢٥ ، مقاسها ٢٢,١ × ١٦,٢ سم بخط مغربي ، بلا تأريخ ، حوالي القرن السابع للهجرة / الثالث عشر للميلاد .

٢) ٣٠١٦ : « سير شهيرات النساء » لعلي بن محمد بن عليّ بن جميل المعافريّ المالقيّ (ت ٦٠٥ هـ / ١٢٠٩ م) وهو مُسَوّدة بخط المؤلف ومن دون عنوان ؛ أوراقه ١٠٧ مقاسها ١٦,٣ × ١٢,٢ سم (بالنسخ) مؤرخ بدمشق ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م [١] .

---

(١) وقد قامت السيدة الدكتورة عائدة الطيبي بتحقيقه للظفر بدرجة الدكتوراه من جامعة اكسفورد .

٣) ٣٠٢٩ : « مختارات من كتاب الحاوي » لداود بن أبي البيان اليهودي المتطبّب (عاش حوالي القرن ٧ هـ / ١٣ م) وهو يضم مختارات من كتاب أبي بكر محمد بن زكريا الرازي (ت ٣١٣ هـ / ٩٢٥ م) أوراقه ١٤٧ ، قياسها ٢٦٫٦ × ١٩٫٦ (بالنسخ) بخط عمر بن قاسم بن منصور بن المؤدّب . تأريخه ١٣ محرم ٦٥١ هـ (١٥ آذار « مارس » ١٢٥٣ م) .

٤) ٣٠٣٣ : « كتاب الأربعين التساعيّات » لأبي الروح عيسى ابن عمر بن خالد بن عبد المحسن بن الخشّاب الشافعي المخزومي (ت ٧١١ هـ ١٣١١ م) [القسم الثاني من أربعين حديثاً مختاراً] أوراقه ١٦ ، قياسها ٢١٫٤ × ١٣٫٧ سم (بالنسخ) حوالي القرن ٧ هـ / ١٣ م .

٥) ٣٠٤٥ : « رسالة في ضرورات التضادّ » لعمر الخيّام ، ورقة ٣٧ / ب – ٤٢ / ا

« رسالة في إثبات الصانع » لزين الدين صدقة بن علي ورقة : ٥٠ / ب – ٥٢ / ا

« رسالة في علـم الباريء » لزين الدين صدقة ، ورقة : ٥٢ / ب – ٥٤ / ا

« تعليقات هندسية » لأبي سعيد أحمد بن محمد بن عبد الجليل السّجزيّ (عاش حوالي ٣٨٩ هـ / ٩٩٩ م) ، ورقة : ٧٤ / ا – ٨٩ / ب

٦) ٣٠٥١ : « البديع » لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه (ت ٣٧٠ هـ / ٩٨٠ م) [رسالة عن مختلف القراءات القرآنية] أوراقه : ١٠٥ ، مقياسها ٣٢٫٥ × ٢٥٫٤ سم بخط فارسي – كوفيّ ، غير مؤرّخ ، حوالي القرن ٤ هـ / ١٠ م

٧) ٣٠٥٢ : « الحقائق والرّقائق » [مجموعة مواعظ صوفية] منسوبة خطأ إلى أبي القاسم القشيري (ت ٤٦٥ هـ/ ١٠٧٢ م) وقد ذكر العنوان بشكل مقلوب أيضاً : « الرقائق والحقائق » .

٨) ٣٠٥٧ : « الثمر الرائق المُجْتنى من الحقائق » تلخيص مؤلف مجهول لكتاب « الحدائق لأهل الحقائق » مجموعة الأحاديث الشريفة المختارة لابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م) أوراقه ١٩٦ بقياس ٢٧ × ١٧،٨ سم (بالنسخ) بخط علي بن الحسن بن علي العراقي الحنفي ، تأريخه ١٥ شعبان ٧٨٣ هـ (٤ تشرين الثاني « نوفمبر » ١٣٨٢ م) .

٩) ٣٠٥٩ « منهاج البراعة » لقطب الدين أبي الحسين سعيد بن هبة الله بن الحسن الراوندي (ت ٥٧٣ هـ / ١١٧٧م) وهو الجزء الثاني من شرح لنهج البلاغة تصنيف ذي المجدين الشريف المرتضى (ت ٤٣٦ هـ ١٠٤٤ م) أوراقه ٢٨٥ ، قياسها ٣٠ × ١٩،٨ سم (بالنسخ) بخط محمد بن أبي الفتح بن أبي الحسن بن أبي العباس ، تاريخه محرم ٦٠٣ هـ / آب « أغسطس » ١٢٠٦ م .

« للبحث صلة » صفاء خلوصي

تعقيب

على مقال للدكتور حسني سبح

قال الدكتور حسني سبح في مقاله : (نظرة في معجم المصطلحات الطبية) المنشور في مجلة المجمع ـ عدد ربيع الأول ١٣٩٥ / إبريل ١٩٧٥ـ معلقاً على الكلمات (لائط ولوطي وأوراني) ما يلي :

(والصحيح في اللفظة الأولى : لوطي ولوّاط وسته وستهان) ثم قال في الهامش : (في لسان العرب : ورجل سَتِه : ملازم للأستاه . وفي تاج العروس : وستهان كعثمان : طالبها (أي الاست) أو الملازم لها كالسَّتِه ككتف) اهـ .

لقد وهم الدكتور حسني في اعتباره لفظة ستهان مرادفة لسته . والصواب أن لفظة ستهان جمع أسته ، والأسته بمعنى السته . وعبارة القاموس : السَتَه ـ محركة ـ عظمها . والأسته والستاهي ـ كغرابي ـ العظيمها ج ككتب وستهان ، وطالبها كالسته ـ ككتف ـ والستهم ـ كزرقم .

وتقدير قوله : الأسته والستاهي ـ والجمع سته وستهان ـ والسته والستهم : عظيم الأست وطالبها ، فلفظة ستهان هنا معطوفة على سته لا على الأسته ـ ومما يدل على ذلك كونها نكرة بينما الكلمات المترجم لها كلها محلاة بال . وفي اللسان : رجل أسته والجمع سته وستهان .

هذا ويفهم من كلام الفيروز أباذي أن الكلمات الأربع : الأسته والستاهي والسُّتْهُم والسته كلها تفيد المعنيين عظيم الاست وطالبها . غير أن

المعجمات الأخرى تذكر للستاهي والستهم والأسته معنى واحداً وهو عظيم الاست ففي تهذيب اللغة (٦/١١٧) قال الليث : السته : مصدر الأسته وهو الضخم الاست ـ ويقال للواسعة من الدبر ستهاء ، وستهم . قلت : يقال : رجل ستهم إذا كان ضخم الاست وستاهي[1] مثله والميم زائدة . وفي الصحاح : رجـــل أسته بيّن السته إذا كان كبير العجز ، والستهم والستاهي مثله . والمرأة ستهاء ابن السكيت : رجل أسته وستاهي عظيم الاست . والمرأة ستهاء وستهم والميم زائدة .

أما السته فجاء في اللسان : وإذا نسبت إلى الاست قلت ستهى بالتحريك وإن شئت استي تركته على حاله وستِيهٌ أيضاً ـ بكسر التاء ـ كما قالوا حرح ـ قال ابن بري : رجل حَرِح أي ملازم للأحراح ، وستِيه ملازم الأستاه والسته : الطالب للاست وهو على النسب كما يقال : رجل حرح قال ابن سيده : التمثيل لسيبويه .

ويتضح من هذا ان السته بمعنى اللوطي . أما الستهان فهو جمع الأسته ومعناه عنـــد كثير من اللغويين العظيم الاست ويفيد أيضاً معنى طالبها عند الفيروزأباذي .

المدينة المنورة

ف . عبد الرحيم

مدرس بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة

---

(١) جاءت كلمات أخرى على هذا الوزن منها : الرؤاسي لعظيم الرأس والأناني للعظيم الأنف والأذاني للعظيم الأذنين ....

الكتب المهداة لمكتبة مجمع اللغة العربية

خلال الربع الثالث من عام ١٩٧٦

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
الأطياف	د. مصطفى حموليلا	دمشق ١٩٧٦
إقليم الجولان	د. صفوح خير	» »
أمراض جهاز التنفس ١ ـ ٢	د. درتيودور شان	» »
أمراض جهاز الهضم ١ ـ ٢	د. منذر الدقاق	» ١٩٧٥
أمراض الدم واللوحات الملونة	د. محمد بديع حمودة	» »
أمراض الكلية	د. يوسف صائغ	» ١٩٧٦
إنتاج النفط والغاز	المهندس نزار الجيرودي	» »
إنشاء البيتون المسلح	د. المهندس محمود نوفل	» ١٩٧٦
البرمنيذس	أفلاطون. ترجمة فؤاد جرجي بربارة الدمشقي	» ١٩٧٥
تاريخ وتشريع وآداب الصيدلة	د. محمد زهير البابا	» ١٩٧٥

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
تجارب في الفيزياء الحديثة	د. عدنان مصطفى و د. جان رومانوس	دمشق ١٩٧٥
تشخيص العقاقير ـ القسم النظري	د. هيام شهاب	ـ ـ
التكاثر النباتي في الزمر النباتية	د. أنور الخطيب	ـ ١٩٧٣
الجراحة العصبية	د. هشام بكداش	ـ ١٩٧٥
حول الانسان والتنمية « تقرير طوكيو »	اللجنة التنفيذية لندوة روما ترجمة خليل شطا	ـ ١٩٧٦
حول التقاليد المسرحية	جان فيلار . ترجمة سعد الله ونوس	ـ ـ
الخيول (رواية)	أحمد يوسف داود	ـ ـ
شعر عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب	عبد الحميد الراضي	ـ ـ
الشموس الثلاث (قصص وحكايا للأطفال)	عدد من المؤلفين . ترجمة ميخائيل عيد	ـ ـ
الصحافـــة	بيير ألبير . ترجمة خير الدين عبد الصمد	ـ ـ
الصناعات الغذائية ـ القسم النظري	د. سليمان المصري	ـ ـ
الصيدلة الصناعية ـ القسم العملي	د محمد نزار خوام	ـ ١٩٧٥
الطب الشرعي	د. زياد درويش	ـ ١٩٧٤
الطب الشرعي ـ القسم الثاني علم السموم	د. زياد درويش	ـ ١٩٧٥

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
العروبة ومظاهر الانتماء الأخرى في الدساتير الراهنة للأقطار العربيـــة	د. جورج جبور	دمشق ١٩٧٦
علم الأراضي	د. فلاح أبو نقطة	« «
علم تأثير الأدوية	د. نذير العظمة	« «
علم التحريك (ميكانيك الهندسة)	س تيموشنكو ورفيقه ترجمة وجيه القدسي ورفيقيه	« ١٩٧١
علم السكون (ميكانيك الهندسة)	س تيموشنكو ورفيقه ترجمه وجيه القدسي ورفيقـه	« ١٩٧٥
علم الصيدلة - الجزء الأول - القسم العملي	د. محمد نزار خوام	« «
علم الصيدلة - الجزء الأول - القسم النظري	د. محمد نزار خوام	« «
علم الصيدلة - الجزء الثاني - المراهم الدوائية	د. زياد منصور	« «
علم الصيدلة - الجزء الثاني - المراهم الدوائية - القسم العملي	د زياد منصور	« «
علم الصيدلة - القسم النظري	د. عدنان حدة	« ١٩٧٦
علم المستحاثات (الباليونتولوجيا)	د. فؤاد العجل	« ١٩٧٥
الفيزياء الحديثـة للجامعات - الضوء والاشعاع	جيمس أ. ريتشـاردز ورفقـاؤه .ترجمة عبد الرزاق قدورة ورفيقيه	« ١٩٧٦

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
الفيزياء الحديثة للجامعات ـ الفيزياء الحديثة	جيمس أ. ريتشاردز ، ورفقاؤه ترجمة عبد الرزاق قدورة ورفيقيه	دمشق ١٩٧٦
قصة المادة السيبرنية والكون	البيردو كروك.ترجمة وجيه السمان	« «
الكيمياء التحليلية العملية	د. موفق شخاشيرو ود. عبد المجيد شيخ حسين	« ١٩٧٤
الكيمياء التحليلية(القسم النظري)	د. دلال المنجد	« ١٩٧٤
الكيمياء الحيوية العامة ١ ـ ٢	د. محمود سعيد دلول	« ١٩٧٤
الكيمياء الزراعية العضوية ـ الحيوية ـ الجزء العملي	د. غياث سمينة	« ١٩٧٦
مبادىء التوبولوجيا العامة	د. خضر حامد الأحمد	« ١٩٧٦
مقدمة في علم الخلية وعلم الجنين	د. هاني رزق	= ١٩٧٦
منارات	سان جون بيرس ترجمة أدونيس	= ١٩٧٩
موجز علم النسج	د. كنمان الجابي	= ١٩٧٦
موجز الميكانيك ، الجزء الأول	وجيه القدسي	= ١٩٧٤
الوجيز في الجيولوجيا العامة	د. محمد نصوح الجيمي	= ١٩٧٤

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
الايضاح لناسخ القرآن ومنسوخه	مكي بن أبي طالب القيسي تحقيق الدكتور أحمد حسن فرحات	الرياض ١٩٧٦
تاج العروس (ج ١٥)	الزبيدي . تحقيق الترزي وحجازي والطحاوي والعزباوي	الكويت ١٩٧٥

تصويبات بعض الأخطاء المطبعية في هذا المجلد

ص	س	الصواب
٤٣٠	١٥	من العدد الثاني . يضاف إلى الجملة بعد كلمة نوبة : وإذا ثبت وجود نوبة بمعنى نبة .
٧٣٧	-٦	لفظاً
٧٩٨	١١	إلي
٧٩٩	-٦	يئنيء
٨٠٣	-٧	١٣٣٨ ﻫ
٨٢٢	٣	منهمرة
٨٢٢	٧	هالني
٨٢٤	الأخير	الأنور
٨٣٢	-٢	بأخبار
٨٣٦	-٨	لأبي العباس
٨٣١	رقم الصفحة	٨٣٨
٨٤٥	-٥	الأندلسيون

تصويبات مقالات : نظرة في معجم المصطلحات الطبية الواردة في الأعداد الأربعة لهذا المجلد

الصفحة	السطر	الصواب
٢١٨	١٢	post - infarctoïd
٢١٩	١٩	coating
٢١٩	٢٠	on
٢٢٠	٣	جذيعات
٢٢٢	١٨	Syphylitic
٢٢٣	٢٣	plessimètre
٢٢٥	٦	pampiniforme
٢٢٦	١٨	pudendal
٢٢٧	٢١	crescentic
٢٢٨	٢٠	درلند
٢٢٩	١٤	pneumatose
٢٢٩	١٩	pleuropneumonia
٢٣٠	١	insatiable
٤٦٥	١	application
٤٦٥	٣	amygdalien
٤٦٥	١٧	exudate, crypts
٤٦٥	١٨	crypts
٤٧٢	١٤	goût
٤٧٢	٩	برفيرينة
٤٧٣	١٧	porphyrization, trituration

الصفحة	السطر	الصواب
٤٧٥	١١	جـيْ
٤٧٥	٢٠	intermediary
٤٧٦	١٦	Walcher's
٤٧٦	١٩	lithotomy position in
٤٧٨	٩ = ١٥	حَساء
٤٧٩	٢٢	afer potential (
٤٧٩	٢٤	spike (
٤٨٠	٢	d'ions
٧٠٤	١٧	مُرْتَجّ
٧٠٧	٥	معان
٧١٢	٨	مؤهَّب
٧١٥	١٨	أنها
٧٤١	١	Rivière
٧٤١	٢	عُلْبة
٧٤١	٦	رشّة
٧٤٢	١١	قافز
٧٤٢	٣	à saupoudrer
٧٤٣	٢٠	characteristic
٧٤٤	١١	pouponnière

الصفحة	السطر	الصواب
٧٤٥	١٣	وجيفت
٧٤٥	١٦	الثِّين
٧٤٥	٧	ou d'hôpital
٧٤٦	١١	دَقّ
٧٤٧	٥	الضِّماد
٧٤٨	٤	(d'une lentille)
٧٤٨	٥	لعدسية
٧٤٨	٦	البيِّنة
٧٤٨	١٢	مُشْبِخة
٧٤٨	١٦	of a lens to give sharp pictures
٧٤٩	٢	لعدسية
٧٤٩	٦	لعدسية
٧٤٩	٨	Practicabilité سُلوكية
٧٤٩	١٢	أداء
٧٤٩	١٤	floculation
٧٤٩	١٧	تَرَسُّب
٧٥٩	١٨	مُتَرَسِّب
٧٤٩	١٧	مُرَسِّب ومُرَسِّبة
٧٤٩	٣٠	إقترح
٧٥٠	٦	سابق ، بدء
٧٥٠	١٤	قَبْض ، تناوُل
٧٥٠	٢٠	المخترعة قبل
٧٥١	٣	قبل
٧٥١	٣	أَخَذَ
٧٥١	٥	عَيِّنة
٧٥١	١١	بَرْد ، أصيب
٧٥١	١٩	مُجَهَّز
٧٥٢	٣	البَضْع
٧٥٢	٢١	naturpräparat
٧٥٢	٣٢	kontakpräparat
٧٥٣	٥	ومُختَصَر
٧٥٤	٣	قُصُور
٧٥٤	١٢	يَتَّنْ
٧٥٤	١٣	بالمقعدة
٧٥٤	١٦	بالقيِّمة
٧٥٥	١	hypertenseur
٧٥٥	٢	ضاغط ، مُوَتِّر
٧٥٦	١	هيبروفيل
٧٥٦	٣	confluence of the sinuses
٧٥٦	١٨	principe

فهرس الجزء الرابع من المجلد الحادي والخمسين

المقـــالات

ص

٦٩٩ الحياة في كتاب الأغاني . . . . . الأستاذ شفيق جبري
٧٠٣ نظرة في معجم المصطلحات الطبية . . الدكتور حسني سبح
٧١٩ مزاعم بناء اللغة على التوهم . . . . الأستاذ محمد بهجة الأثري
٧٥٣ عبر التاريخ . . . . الدكتور محمد كامل عياد
٧٨٥ مجمعي افتقدناه : محمد بهجة البيطار . . الدكتور عدنان الخطيب
٨٢٧ ملامح من تطور المغرب العربي . . . الأستاذ محمد المنوني

التعريف والنقد

٨٨٣ روضة المدارس : نشأتها واتجاهاتها الأدبية والعلمية الدكتور محمد زكريا عناني
٨٩٥ تعقيب على « روضة المدارس » . . . الأستاذ محمد عبد الغني حسن
٨٩٩ كتاب التحدث بنعمة الله للسيوطي . . الدكتور صفاء خلوصي

آراء وأنبـــاء

٩٠٤ مخطوطات يتيمة في مكتبة شيستربيتي « دبلن » الدكتور صفاء خلوصي
٩٠٧ تعقيب على مقال للدكتور حسني سبح . الأستاذ ف . عبد الرحيم
٩٠٩ الكتب المهداة لمكتبة مجمع اللغة العربية خلال الربع الثالث من عام ١٩٧٦
٩١٣ تصويبات بعض الأخطاء المطبعية في هذا المجلد
٩١٤ تصويبات مقالات : نظرة في معجم المصطلحات الطبية


مجمع اللغة العربية
ذكرى مرور مائة عام على ميلاد
الأستاذ الرئيس
محمد كرد علي
مؤسس
المجمع العلمي العربي
١٢٩٣ - ١٣٩٦ هـ
١٨٧٦ - ١٩٧٦ م